

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الغاشية^١

مقصودها شرح ما في آخر^٢ «سبح»، من تنزيه الله سبحانه وتعالى عن العبث^٣ باثبات الدار الآخرة التي الغاشية مبدؤها، وذكر ما فيها للاتقى والاشقى، والدلالة على القدرة عليها، وأدل ما فيها على هذا المقصود الغاشية - نعوذ بالله من القلب العاشى والبصيرة العاشية، هـ
لثلاث تكون الغاشية علينا بسوء الأعمال ناشية ﴿بسم الله﴾ الذى له العظمة البالغة والحكمة الباهرة ﴿الرحمن﴾ الذى له الفيض الأعلى؛ والنعم^٤ الظاهرة ﴿الرحيم هـ﴾ الذى اصطفى أولياء فأصلح بواطن نعمهم حتى عادت ظاهرة^٥ ظاهرة.

لما ختمت «سبح»، بالحث على تطهير النفوس عن ضر الدنيا، ١٠
و^٦ وغب في ذلك بخيرية الآخرة تارة والافتداء بأولى العزم من الأنبياء
أخرى، رهب أول هذه من الإعراض عن ذلك مرة، ومن التزكى^٨ بغير
منهاج الرسل أخرى، فقال تعالى مذكرا بالآخرة التي حث عليها آخر

(١) الثامنة والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٢٦ (٢) زيد
في الأصل : سورة، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٣) من ظ و م،
وفي الأصل : البعث (٤) من ظ و م، وفي الأصل : العالى (هـ) من ظ و م،
وفي الأصل : انقمه (٦) في ظ : زاهرة (٧) من ظ و م، وفي الأصل :
ثم (٨) من ظ و م، وفي الأصل : التزكية .

/ ٧٣٨

تلك مقررا لأشرف خلقه صلى الله عليه وسلم لأن ذلك أعظم في تقدير
اتباعه / وأقعد في تحريك النفوس إلى تلاقى الخبر بالقبول : ﴿ هل أتاك ﴾
أى جاءك و كان لك و واجهك على وجه الوضوح يا أعظم خلقنا
﴿ حديث الغاشية ه ﴾ أى القيامة التى تغشى الناس بدواهيها وشدائدها
ه العظمى و زواجرها و نواهيها ، فان الغشى لا يكون إلا فيما يكره .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم تنزيهه سبحانه عما توهم
الظالمون ، واستمرت آى السورة على ما يوضح تقدس الخالق جل
جلاله عن عظيم مقالهم ، أتبع ذلك بذكر الغاشية بعد افتتاح السورة بصورة
الاستفهام ^٢ تعظيما لأمرها ، فقال لنبى صلى الله عليه وسلم : « هل أتاك ،
١٠ يا محمد حديث الغاشية ، وهى القيامة ، [فكأنه - ^٢] سبحانه و تعالى يقول :
فى ذلك اليوم يشاهدون جزاءهم و يشتد تحسرهم حين لا يغنى عنهم ، ثم
عرف بعظيم امتحانهم فى قوله « ليس لهم طعام الا من ضريع ، مع ما
بعد ذلك و ما قبله ، ثم عرف بذكر حال من كان فى نقيض حالهم
إذ ذلك أزيد فى الفرح و أدهى ، ثم أردف بذكر ما نصب من الدلائل
١٥ و كيف لم يغن فقال « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ، - الآيات ،
أى أفلا يعتبرون بكل ذلك و يستدلون بالصنعة على الصانع ثم أمره
بالتذكار ^٤ - انتهى .

ولما هول أمرها بانتهائها ^٥ و عمومها ، زاد فى التهويل بما ذكر من

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : تفديس (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
الانهايم (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالتذكرا (٥) من ظ ،
وفى الأصل : م : بابهاها .

أحوالها في تفصيل الناس إلى شقي وسعيد ، وبدأ بالشقي لأن المقام
 للإنذار المؤثرين للحياة الدنيا ، و سوغ الابتداء ' بالذكرة التفصيل ' فقال :
 (وجوه) أى كثيرة جدا كائنه ' (يومئذ) [أى -] إذ تغشى الناس
 (خاشعة) أى ذليلة مخبئة من الخجل والفضيحة والخوف والحسرة ' التى
 لا تنفع فى مثل هذا الوقت ' (عاملة) أى مجتهدة فى الأعمال التى تبتغى بها
 النجاة حيث لا نجاة بفوات دار العمل فتراها جاهدة فيما كلفتها به الزبانية من
 جر السلاسل والأغلال وخوض الغمرات من النيران ونحو ذلك كأن يقال
 له : أد الأمانه ثم تمثل له أماته فى قعر جهنم ، فتكلف النزول إليها ثم يحملها على
 عنقه و يصعد فى جبال النيران حتى إذا كاد ^٢ أن يصل إلى ^٣ أعلاها سقطت
 منه فيتكلف النزول ^٤ إليها وهكذا ، وهذا بما كان يهمل العمل فى الدنيا
 (ناصبة) أى هى فى ذلك فى غاية التعب والدؤب فى العمل والاجتهاد -
 هذه رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما ^٥ ، وذلك لأنهم لم يخشوا
 الله فى الدنيا فلم يعملوا له فلم ينصبوا فى طاعته أجسادهم ' فاضطروهم فى
 ذلك اليوم إلى أعظم مما أبوه فى الدنيا مع المضرة دون المنفعة ، ويجوز
 أن يراد بها الذين تعبوا ونصبوا فى الدنيا أجسامهم ^٦ وهم على غير

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالذکر التفصيل (٢) من ظ ، وفى الأصل
 و م : كانهم (٣) زيد من م (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ و م .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : ينبغى (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فى
 كل ما (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : إلى أن يصلها من (٨-٨) سقط ما بين
 الرقین من م (٩) راجع العالم ١٩٨ / ٧ (١٠) سقط من ظ و م والمعلم .

/٧٣٩

دين الإسلام كالرهبان من النصارى بعد النسخ و زنادقة المتصوفة من/ الفلاسفة
و أتباعهم، بأن يكون «وجه» مبتدأ و «يومئذ» خبره أى كائنه يومئذ،
ثم يقدر ما بعده فى جواب سؤال سائل يقول: ما شأنها؟ فأجيب بقوله:
خاشعة، أى فى الدنيا- إلى آخره، و هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما
فى رواية عطاء عنه .

و لما كان العذاب لا يكون إلا [على - '] ما يسكره المعبذب، دل
على ذلك و على أنه على أنهى ما يكون ببناء^١ الفعل للفعول فى قراءة أبى عمرو
و يعقوب و أبى بكر عن عاصم فقال: ﴿تصلى﴾ أى يصلها مصل على^٢ أيسر
وجه و أسهله بأمر من له الأمر بأن يغمسها قهرا على وجه الإحاطة بها.
١٠ و المعنى على قراءة الجماعة بالبناء للفاعل: تدخل و تبشر بأن يدسها فيها
أصحابها فيحيط بها من كل جانب و هو يدل على غاية الذل لأن من فعل
بنفسه هذا لا يكون إلا كذلك ﴿نارا، حامية لا﴾ متناهية فى الحر لانها
عملت بالجهل على خلاف ما حده لها نيتها فأخلت بركن للعمل أو شرط
لما استولى عليها من الغفلة التى أحاطت بها^٣، فلم تدع لها موضعا يصلح
١٥ لدخول^٤ الرحمة منه .

و لما كان من فى الحر أحوج شىء إلى ما يبرده^٥ باطنه، قال بانبا
[عند الكل -^٦] للفعول جريا على قراءة أبى عمرو فى الذى قبله: ﴿تسقى﴾
(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بدا - كذا (٣) من ظ و م،
و فى الأصل: عن (٤) وقع، الأصل بعد «تصلى» و الترتيب من ظ و م .
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لدخوله .
(٧) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من
ظ و م .

- أى يسقى كل من أذن له الملك فى ذلك على أهون وجه ' وأيسره ' (من عين 'انية' ه) أى بلغت غايتها فى الحر فنضجت غاية النضج فصارت إذا قربوها منهم سقط لحم وجوهمهم . وإذا شربوا قطعت أمعاءهم عما شربوا فى الدنيا من كأسات الهوى التى قطعوا باستلذاذهم لها قلوب الأولياء .
- ولما ذكر ما يسقونه على وجه علم منه أنه لا يلذذ ولا يروى من ه عطش ، أتبعه ما يطعمونه فقال حاصرا له : (ليس لهم) أى هؤلاء الذين أذابوا أنفسهم فى عبادة لم يأذن الله فيها (طعام) أصلا (الا من ضريع لا) أى يبيس الشبرق ، وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبا ، فاذا يبيس تحامته ، وهو سم ؛ [و - ١] قال فى القاموس : والضريع كأمير : الشبرق أوبيسه أو نبات رطبه يسمى شبرقا ، و يابسه يسمى ضريعا ، لا تقربه ١٠ دابة لحبته ، أو شئ فى جهنم أمر من الصبر و أتن من الجيفة وأحر من النار . و نبات منتن يرمى به البحر ، و قال الهروى فى الغريين و عبد الحق فى الواعى : الضريع : الشبرق ، وهونبات معروف بالحجاز ذو شوك ، و يقال شبرق ما دام رطبا ، فاذا جف فهو ضريع ، و قال القزاز فى ديوانه : الضريع : يبيس من يبيس الشجر ، و قيل : هو يبيس الشبرق خاصة ، ١٥ و قيل : هو نبات أخضر يرمى [به - ٢] البحر و هو منتن ٧ . أبو حنيفة
-
- (١ - ١) سقط ما بين الرافعين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : بوجه من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخدثها (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : كامة . (٤) زيد من ظ و م (٥) من م و القاموس ، وفى الأصل و ظ : الخيف . (٦) من ظ ، وفى الأصل و م « و » (٧) زيد فى الأصل : و قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخدثها .

رحمه الله تعالى : و هو مرعى لا تعقد عليه السائمة شحما . [لا - '] لحما ،
وإن لم تفارقه إلى غيره ساءت حالها . وقال ابن الأثير في النهاية :
/ الضريع هو نبت بالحجاز له شوك كبار ، وقال^٢ : الشبرق نبت حجازى / ٧٤٠
يؤكل [وله - '] شوك . وإذا^٣ ييس سمي الضريع . وهذا ثوب
ه مشبرق وهو الذى أفسد ، وفي نسجه سخافة ، وشبرقت الثوب أيضا :
حرقته ، وقال فى القاموس : الشبرق كزبرج : رطب الضريع^٤ واحده
بهاء ، قال البغوى^٥ رحمه الله تعالى : قال مجاهد وقادة وعكرمة : هو
نبت ذو شوك لا طعم بالأرض ، تسميه فريش الشبرق ، فاذا هاج سموه
الضريع ، وهو أخبث طعام وأبشعه ، وهو رواية العوفى عن ابن عباس
١٠ رضى الله عنهما . ولا يمتنع فى قدرة الله سبحانه وتعالى أن يكون
الغسلين إذا انفصل عن أبدان أهل النار صار على هيئة الشبرق المسمى
ضريعا ، فيكون طعامهم الغسلين الذى هو الضريع ، ويمكن أن يكون
ذلك كناية عن أقبح العيش ولا يراد به شيء بعينه - والله تعالى أعلم ، قال
الملوى : وسمى ضريعا لأن الإنسان يتضرع^٦ عند أكله من خشوته
١٥ ومروارته وتلته .

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع ٢٠/٣ و ٢١٩/٢ (٣) زيد فى الأصل : أيضا ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد فى الأصل : نبت ، ولم تكن الزيادة
فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الربيع (٦) راجع المعالم
١٩٨/٧ (٧) من ظ و م وفى الأصل : يضرع .

ولما حصر أكلهم في هذا ، وكان الضريع المعروف عند العرب
قد يتصور متصور أنه لو أكره شيء على أكله أسمنه أو سد جوعته ،
وكان الضريع المأكول لهم في القيامة شوكا من نار كما ورد تفسيره
عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
نفي عنه فائدة الطعام ، فقال واصفا اضريع ' أو اطعام المقدّر بعد «الا» ه
بما يفهمه تحامى الإبل التي ترعى كل نبات^٤ وهي أعظم الحيوانات إقبالا
على أنواع الشوك^٥ له من أنه ضر بلا نفع ﴿ لا يسمن ﴾ [أى -^٦
فلا^٧ يشبع ولا يقوى لأنه يلزم^٨ ما يسمن ، فعدمه يلزم عدمه .

ولما نفي عنه^٩ ما هو^{١٠} مقصود أهل الرفاهية وبدأ به [لأن المقام -^{١١}
له ، نفي ما يقصد للكفاف^{١٢} فقال تعالى : ﴿ ولا يفتى ﴾ أى يسكنى كفاية ١٠
مبتدئة ﴿ من جوع^{١٣} ﴾ فلا يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال ، والمقصود
من الطعام أحد الأمرين ، وذلك لأنهم كانوا يأكلون الحرام الذي
تنت عليه لحومهم فيفسدها بفساده و تنمو به نفوسهم فيخبثها بخبثه ويتغذون
بالشبه^{١٤} أيضا و يباثرونها في جميع أوقاتهم^{١٥} و يباثرون العلوم التي تظلم

- (١) راجع معالم التنزيل ١٩٨/٧ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الضريع (٣) من
ظ و م ، وفي الأصل : الطعام (٤-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : نبات .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل و م : الشاك (٦) زيد من ظ و م (٧) من
ظ و م ، وفي الأصل : ولا (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لازم .
(٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من م (١٠) زيد من م (١١) من م ، وفي الأصل
و ظ : لفة كالك (١٢-١٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

القلوب^١ كالفلسفة والشعر والسحر و^٢ نحو ذلك^٣ مما يجر إلى البدع .
والآية من الاحتباك : نفى السمن أولا^٤ يدل على إثبات الهزال
ثانيا، ونفى الإغناء من الجوع ثانيا^٥ يدل على نفى الشبع أولا ، ومن
جعل ذلك صفة الطعام أفسد المعنى لأنه يؤل إلى : ليس لهم طعام
منى عنه الإنسان والإغناء ، بل لهم طعام لا يننى عنه ذلك .

ولما ذكر الأعداء^٦ وقدمهم لما تقدم ، أتبعه الأولياء فقال مستأنفا

ذكر ما لهم من ضد ما ذكر للأعداء^٧ : ﴿ وجوه يومئذ ﴾ أى / [إذ -]^٨

/ ٧٤١

كان ما ذكر ﴿ ناعمة ﴾^٩ أى ذات بهجة و سرور تظهر عليها النعمة
والنضرة^{١٠} والراحة والرفاهية بضد تلك الناصبة ، لأن هؤلاء أتعبوا^{١١}

أنفسهم فى دار^{١٢} العمل الدنيا و صبروا على التقشف و شظف العيش

﴿ لسعيها ﴾ أى عملها^{١٣} للآخرة الذى كأنه^{١٤} لا يسعى غيره خاصة لعلها

أنه منج^{١٥} ﴿ راضية ﴾^{١٦} لما رأت من ثوابه تود أن جميع سعيها

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : القلب (٢-٢) فى م : نحوها (٣) زيد فى الأصل :

ونفسها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :

نفسه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : أعداءهم (٦) زيد فى الأصل : فقال تعالى ،

ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ،

وفى الأصل : النظرة (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : السوا - كذا (١٠) زيد

فى الأصل : ظ : وهى دار ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) من

ظ و م ، وفى الأصل : يحملها - مع يسير من البياض (١٢) من م ، وفى

الأصل و ظ : كان (١٣) زيد فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م

فحذفناها .

[في الدنيا - ١] كان لذلك بعد أن كان ذلك السعى الذي هو للآخرة كريبها إليها في الدنيا لا تباشره إلا بشق الأنفس . ولما ذكر السعى أتبعه ثوابه فقال : ﴿ في جنة عالية لا ﴾ أى في المكان العالى و المكانة العالية والأشجار والغرف وغير ذلك بما^٢ صرفوا أنفسهم عن الدنيا ورفعوا همهم إلى النفائس .

و لما كان^٣ ما كان من هذا لا يصفو ، و فيه ما يكره من الكلام قال منزها لها عن كل سوء : ﴿ لا تسمع ﴾ أى ايها الداخل إليها^٤ - على قراءة الجماعة ، و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و رويس عن يعقوب بالبناء للفعول وهو أبلغ في النفي ﴿ فيها لا غية^٥ ﴾ أى لغو ما أو نفس تلغو أو كلمة ذات لغو على الإسناد المجازى . بل المسموع فيها الذكر من ١٠ التحميد و التمجيد و التنزيه لحل ما يرى فيها من البدائع على ذلك مع نزع الحظوظ الحاملة على غيره من القلوب بما كانوا^٦ يكرهون من لغو أهل الدنيا المنافى للحكمة .

و لما وصف الجنة بأول ما يعتبر فيها وهو عدم المنقص ، أتبعه ما يطلب بعده وهو تناول الملتذات^٧ . و كان الأكل قد فهم من ذكر ١٥ لفظ الجنة ، ذكر المشروب لذلك و لدلالته إذا كان جاريا على

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٣) فى ظ : ذكر (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عليها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : كان (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : التلذذات .

زيادة حسن الجنة و كثرة ما فيها من النباتات المقيمة و المفكهة من النجم
 و الأشجار^١ و الرى و الأطياف، فقال لأنه ليس كل جنة مما نعرفه فيه
 ماء جارٍ بنفسه: ﴿فيها﴾ أى^٢ الجنة. و لما كان الماء الجارى صالحا لأن
 يقسم إلى أماكن كثيرة^٣، و حد قوله المراد به الجنس الشامل للكثير
 ٥ مقابلة لعين أهل النار فى دار البوار: ﴿عين جارية﴾ أى عظمة الجرى
 جدا، فهى بحيث لا تنقطع أصلا لما لأرضها من الزكاء و الكرم و [ما-^٤]
 لماثها من الغزارة و طيب^٥ العنصر، فهو صالح لأن يعم جميع نواحيها
 أقاصيها و أدانيها و إن عظم [اتساعها-^٦] و تامت أقطارها و بقاعها،
 كما نراه يجرى من ساق الشجرة الكبيرة جدا فيسقى جميع أغصانها
 ١٥ و أوراقها و ثمارها، و يزيد على ذلك بأن جريه من أسفل إلى فوق،
 يحده جادب الشوق و يسوقه أى سوق. يقدره الخلاق العليم، و الذى
 قدر على هذا كما هو مشاهد لنا لانشك فيه قادر على أن يجعل هذه
 العين - الصالحة للجنس و لو كانت واحدة بالشخص - عامة لجميع مرافق
 الجنة [تجرى -^٧] إلى خيامها و رياضها و بساتينها و مصانعها و مجالسها
 ١٥ و يصعدنها إلى أعلى غرفها و إن علت، مقسمة بحسب المصالح، موزعة
 على قدر المنافع، بقاية / الإحكام بما كان لداخلها من الخضوع الذى
 يجرى منهم^٨ الدموع و يقل الهجوع و يكثر الظمأ و الجوع.

/ ٧٤٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل؛ الانفجار (٢) زيد فى ظ: فى (٣) من ظ
 و م، و فى الأصل: شريفة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى
 الأصل: لطيب (٦) زيد من م (٧) من م، و فى الأصل: معهم، و الكلمة
 ساقطة من ظ.

ولما لم يبق بعد الأكل و الشرب إلا الاتكاء، قال مفهوما أنهم ملوك : ﴿ فيها ﴾ معيدا الخبر قطعا للكلام عن الأول تنبيها^٢ على شرف العين^٣ لأن الماء مما لا حياة بدونه ﴿ سرر ﴾ أى زائدة الحد فى العكثرة^٤، جمع سرير و هو مقعد عال يجلس عليه الملك ينقل إلى الموضع الذى يشتهيه، سمي بذلك لأنه يسر النفس، و المادة كلها للمرور و الطيب و الكرم، و لذلك يطلق على الملك و النعمة و خفض العيش ﴿ مرفوعة لا ﴾ أى رفعها رافع^٥ عظيم [فى السمك - ٦] و هو جهة العلو ليرى الجالس عليها جميع ملكه و ما نعم به و ما شاء الله من غيره و فى القدر، لا كما تعهدونه فى الدنيا، بل ارتفاعها بمط جليل من مقدار عظيمة رافعها الذى رفع السماء، فالتسكير للتعظيم، و بنى الاسم للفعل للدلالة على أنه ليس له من ذاتها إلا الانخفاض، و أما ارتفاعها فبقسر القادر على كل شئ، و هذا يدل [على أنها - ٧] كسماء لا عمد لها، قال البغوى^٨ : قال ابن عباس رضى الله عنهما : ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد و الدر و الياقوت مرتفعة ما لم يحى^٩ أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها [تواضعت له حتى يجلس عليها - ٧] ثم ترتفع إلى مواضعها - انتهى . و ذلك بما كانوا يتواضعون و يباشرون ١٥ [من - ٧] مشاق العبادات على التراب و رث الأثواب .

- (١) زيد فى الأصل : أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ : اشرف الدين (٣) من ظ و م، و فى الأصل : أكثر .
(٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل : فذلك (٥) من ظ و م، و فى الأصل : واقع .
(٦) زيد من م (٧) زيد من ظ و م (٨) راجع المعالم ٧ / ١٩٩ .

و لما كان المستريح يحتاج إلى تكرار الشرب و ما يشرب فيه قال :
 ﴿ و اكواب ﴾ جمع كوب و هو إناء لا عروة له ، فهو صالح للناولة
 و الشرب من كل جهة ﴿ موضوعة ﴾ أى ملاءى و هى بحيث يسهل
 عليهم تناولها .

٥ و لما كان من هو بهذه المثابة يحتاج إلى المساند و الفرش الزائدة
 قال تعالى : ﴿ و نمارق ﴾ أى مساند يستندون إليها ، جمع عرقعة بالفتح
 والضم و هى الوسادة ﴿ مصفوفة ﴾ أى بعضها إلى بعض فهمى فى غاية
 الكثرة كأنها الروابي المنضدة على بساط الأرض ﴿ و زرابى ﴾ أى بسط
 عريضة كثيرة الورد كأنها الرياض فاخرة ناضرة زائدة عن مواضع
 ١٠ استراحاتهم ، و هى جمع زرية ﴿ مبثوثة ﴾ أى مبسوطة على وجه التفرق
 فى المواضع التى لا يراد التنزه بها من مواضع الرياحين النابتة و الأشجار
 المتشابكة كما بسط سبحانه و تعالى أديم الأرض و رصعه بأنواع النبات
 الفاخرة بما بسطوا أنفسهم فى الدنيا للحق و الانوها له .

و لما أنهى سبحانه ما أراد من تصوير تلك الدار على ما يليق
 ١٥ بهذه السور القصار ، و كانوا ينكرون غاية الإنكار فوبخهم بما يعصمهم

(١) زيد فى الأصل و ظ : قال ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفناها (٢) من ظ
 و م ، و فى الأصل : على (٣) فى م : كان (٤) من م ، و فى الأصل و ظ :
 و هى (٥) فى ظ : الزرابى (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٧) من م ،
 و فى الأصل و ظ : فيها (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : و رصفه .
 (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الواها لهم .

من الزيف عن العقائد الحققة في استفهام إنكارى مذكرا لهم بأمرهم في غاية المعرفة بها وهي في غاية الوضوح في نفسها، لأن نزول هذه السور^١ كان في [أول الأمر قبل أن يتمرنوا على المعارف تدل على قدرته على البعث وعلى قدرته على ما ذكر من هذه الأمور التي أودعها الجنان للذة الإنسان . وذلك لما في - ٢] هذه^٢ الأمور التي ذكر بها سبحانه هـ

من^٣ عجائب الصنع مع تفاوته في جعل بعضها ذا اختيار / في الخفض والرفع ، وبعضها على كيفية واحدة لاقدرة له على الانفكاك عنها من علو أو سفول مع التهور أو التوعر ، فقال مسيبا عما مضى من^٤ الإخبار عن أحوال الفريقين في الآخرة وعن قدرته على ما ذكر^٥ : ((افلا ينظرون)) أى المنسكرون^٦ من هذه الأمة لقدرة سبحانه وتعالى على الجنة و ما ١٠ ذكر فيها [و النار و ما ذكر فيها - ٢] نظر اعتبار .

و لما كان [لهم - ٢] من ملابسة الإبل ما ليس لهم من ملابسة غيرها ، وكانت فردة في المخلوقات لاشبيه لها مع ما لها من كثرة المنافع - كما قال الحسن رحمه الله تعالى - مع أكلها لكل مرعى واجترائها بأيسر

-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : السورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفي الأصل : اهل ، وفي ظ : ذلك (٤) زيد في الأصل : عظام الأمور و ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : عن . (٦) زيد في الأصل : فقال سبحانه وتعالى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها . (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : المتكبرون .

شيء لاسيما في الماء و طول صبرها عنه مع عظم خلقها و كبر جرمها
 و شدة قوتها ، فكانت^١ ادل على تمام القدرة و الفعل بالاختيار ، قال منها
 بذكرها على التدبر^٢ في الآيات المنبئة في الحيوانات التي هي أشرف
 المركبات و أكثرها صنعا بعد ما أشار إلى دلالتها على البعث في البروج
 ٥ بذكر نوح بعد أن صرح به في سورة^٣ سبحان كما مضى [بيان -^٤]
 في الموضعين و يأتي إن شاء الله تعالى في الفجر و الشمس ، و أوضح
 التعبير عنها هنا^٥ بما يدل على الخلطة المميلة المحيلة المناسبة لمعنى الغاشية
 بخلاف التعبير في سورة النحل بالإنعام لأنها سورة النعم (إلى الأبل)
 و نبه على أن عجيب خلقها بما ينبغي أن تتوفر الدواعي على الاستفهام
 ١٠ و السؤال عنه بأداة الاستفهام ، فقال باننا للفعل إشارة إلى أن الدال
 هو التأمّل في مجرد خلقها الدال على إحاطة علم الله^٦ و عظيم إحسانه^٧
 و قدرته تعالى و فعله بالاختيار و حسن تدبيره حيث خلقها لجر الأثقال
 [إلى البلاد -^٨] النائية فجعلها عظيمة بركة للحمل ناهضة به من غير معين ،
 مقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار الثقال رعى كل نبات
 ١٥ و تحتمل^٩ العطش إلى عشر فصاعدا ليتأتى بها قطع المفاوز ، فهي سفن البر مع
 ما لها من منافع آخر ، قال البيضاوي^{١٠} : ولذلك حصت بالذكر لبيان الآيات

-
- (١) من ظ ، وفي الأصل وم : و كآثر (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : البريد .
 (٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : عنها .
 (٦-٧) من ظ ، وفي الأصل : و قدرة الله تعالى ، وما بين الرقمين ساقط من م .
 (٧) زيد من أنوار التنزيل ص : ٧٩٦ (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : تحمل .
 (٩) راجع الأنوار ٧٩٦ .

المنبثة في الحيوانات التي هي أشرف المركبات وأكثرها صنعا [و-١]
لأنها أعجب ما عند العرب - انتهى ، و تنفعل للبسط^٢ و تجدد في سيرها^٣
[فتأثر-١] بالصوت الحسن جدا ، و من عجائبها أنها لا تكذب أصلا
فإنها لا تبرك [عجزا عن الحمل-١] إلا وليس فيها^٤ من القوى شيء ، وليس
فيها ما تعم كراهته^٥ إلا كثرة رغائها ، فلعله سبحانه نفى عن الجنة اللغو
لذلك ، و لعله مثل العين الجارية و قربها بديرها ، و السرر المرفوعة التي
حكى أنها تنخفض حتى يتمكن المنتفع بها من ظهورها ثم ترتفع^٦ به
بالسما في علوها مع ما يعهدون من بروك الإبل للحمل و الركوب ثم
ارتفاعها^٧ لتمام الانتفاع . و قرب نصب الأكواب^٨ بسنامها و النمارق
ببقيتها^٩ حال بروكها ، ثم فصل ما دلت عليه الإبل من الأكواب بالجبال ١٥
[ألى-١] لا يرتقى مثل / جبل السد . و النمارق التي ترتقى ، و بسط الزرابي
بمهد الأرض ، قال أبو حيان^{١٠} رحمه الله تعالى : و ﴿ كيف ﴾ سؤال عن
حال^{١١} و العامل فيه ﴿ خلقت و منه ﴾ و إذا علق الفعل عما فيه الاستفهام
لم يبق الاستفهام على حقيقته .

و لما ذكر سبحانه و تعالى هذا المخلوق المفرد الذي هو أدل ما يكون ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي
الأصل : عندها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : من الكراهة (٥) من ظ
و م ، وفي الأصل : رفع (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : انتفاعها (٧) من ظ
و م ، وفي الأصل : الاكوان (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : بنقيها (٩) راجع
البحر المحيط ٨ / ٤٦٤ (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : حامل .

على هذا القول بالطبيعة، أتبعه ذكر السماء ليتذكر السامع ذلك فيأعد^١ من يقول به فقال : ﴿ و الى السماء ﴾ أى التى هى من جملة مخلوقاتنا ﴿ كيف رفعت وثق ﴾ أى حصل بأيسر أمر رفعها من الذى خلقها بلا عمد على ما لها من السعة و الكبر و الثقل و الإحكام و ما فيها من ٥ جبال الكواكب و الغرائب و العجائب ، فذلك دال على القدرة^٢ التامة التى لا يشارك تعالى فيها أحد قل و لا جل^٣ على إيجاد الجنة العالية وعلى رفع السرر [فيها - ٢] لأنه دل^٤ على الفعل بالاختيار و نقي حكم الطبيعة حكما و^٥ حتما ، و ذلك دال على كمال قدرته تعالى على كل شئ .

و لما ذكر العالى من الحيوان الملابس للانسان و العالى [من - ٦] ١٠ الاكوان ، أتبعه أعلى الأرض^٦ فقال تعالى : ﴿ و الى الجبال ﴾ أى الشاخنة و هى أشد الأرض ﴿ كيف نصبت وثق ﴾ أى كان نصبها من ناصبها عالية^٧ جدا على بقية الأرض بلا موجب فيها لذلك من طبيعة و لا غيرها بل بفعل الفاعل المختار فهى^٨ راسخة لا تميل ، فوضعها كذلك على ما فيها من المنافع من المياه الجارية و الأشجار المختلفة أعجب من وضع الاكواب

(١) زيد فى الأصل و ظ : عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : دال (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من م (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل : و أشدها و اصلها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عالت . (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : بل هى .

و المارق المزينة ، وبها مع ذلك ثبتت الأرض و حفظت من المبد ،
 واعتدل أمر السكواكب في تقدير الليل و النهار بأعتدال البلاد^٢ بالطلق
 باعلام^٣ بعضها قبل بعض حتى [كانت -^٤] المطالع و المغارب^٥ على
 رتيب مطرد ، نظام محكم غير منخرم^٦ تقدر به الأزمان و الفصول و السنين
 و الأيام و الشهور - إلى غير ذلك من الأمور ، و لا يكون ذلك لها
 إلا بقاهر قادر مختار لا شريك له .

و لما كان الخفض لا يكون إلا بخافض قاهر كما أن الرفع كذلك
 قال تعالى : ﴿ والى الأرض ﴾ أى مع سعتها ﴿ كيف سطحت ﴾ أى
 اتفق بسطها من باسطها حتى^١ صارت ههنا موضوعا يمشى عليه بغاية السهولة ،
 و القدرة على جعلها كذلك على ما هي فيه من الزينة بناضر النبات
 و غير ذلك من الاختلافات دالة على الفعل بالاختيار ، و ليست بدون
 القدرة على بث الزرابى فى الجنة على اختلاف أشكالها و صورها و ألوانها .
 و لما دل^٢ ما ذكر^٣ من عجائب صنعه فى أنواع^٤ المخلوقات من
 البسائط و المركبات العلويات و السفليات على كمال قدرته [على كل
 شيء ، قد دل على كمال قدرته -^٥] على البعث و على كل ما ذكر أنه ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتدال (٢-٢) فى ظ : بالطلوع على (٢) زيد
 من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الغالب (٥) زيد فى الأصل :
 تقديره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) زيد فى الأصل : انها ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : سبحانه
 و هاء (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : افعال .

يفعله في الجنة والنار، وكان الحث على النظر في هذه الأشياء باستفهام
 إنكارى، وكان ذلك مفيدا لا تنفاه النظر، قال سبحانه مسيبا عنه:
 ﴿فذكرت﴾ / ٧٤٥ كل من يرجى تذكره وانتفاعه بالتذكير يا أشرف خلقنا
 بما في غرائزم وفطرم من العلم الأول^١ بما في هذه الأشياء و أمثالها بما يدل
 ٥ على صحة ما^٢ نزلنا عليك ليدلهم^٣ على كمال قدرة الذى بعثك فينقادوا لك
 أتم انقياد لاسيما في اعتقاد حقيقة البعث، ولا يهتمك كونهم لا ينظرون
 ولا يتطرفون^٤، ولعل التذكير يوصل المتذكر إذا أقبل عليه بحسن
 رغبة إلى أن يعرف أن الإبل تشبه الأنفس المطمئنة الذلولة المطيعة^٥
 المنقادة، و السماء تشبه الأرواح القدسية النورانية، و الجبال تشبه العقول
 ١٠ و المعارف الثابتة^٦ الراسخة، و الأرض تشبه البدن المشتغل على الأعضاء
 و الأركان^٧.

ولما كانت هذه السورة^٨ مكية من أوائل ما أنزل، و كان مأمورا
 إذذاك بالصفح قال: ﴿إنما انت مذكره﴾ [أى - ١٠] لامقاتل قاهر

(١) زيد في الأصل: يا أفضل الخلق و اشرفهم و افضاهم و اتقاهم، ولم تكن
 الزيادة في ظ فحذفناها، و موضه في م: يعنى (٢) من م، و في الأصل
 و ظ: الأول (٣) من ظ و م، و في الاصل: بما (٤) من ظ و م، و في
 الأصل: لتدل (٥) من ظ و م، و في الأصل: حقيقة (٦ - ٦) سقط ما بين
 الرقيين من ظ و م (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد في الأصل: انتهى،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٩) من م، و في الأصل و ظ: السور.
 (١٠) زيد من ظ و م.

قاسر لهم على التذكر والرجوع ، فلا عليك إن لم ينظروا ولم يتذكروا
لأنه ما عليك إلا البلاغ ، ولذلك قال : ﴿ لست ﴾ وأشار إلى القهر
بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم ﴾ أى خاصة ﴿ بمصطرلا ﴾ أى بمنسلط ،
وأما غيرهم فسنسلطك عليهم عن قريب ، وقرأها الكسائي بالسين
على الأصل .

٥

ولما نفي عنهم تسلط الدنيا ، وكان التقدير : فمن أقبل وآمن
فإن الله ينعمه النعيم الأكبر ، قال مستدركا قسيمهم في صورة الاستثناء :
﴿ الا ﴾ أى لكن ' ﴿ من تولي ﴾ أى كلف نفسه الماطئة وفطرته
الأولى المستقيمة للاعراض ﴿ وكفرلا ﴾ أى وأصر على كفره ؛ وأجاب
الشرط بقوله مسيا عنه : ﴿ فيعذبه ﴾ ^١ أشد العذاب الذى لا يطيقه أصلب ١٠
الحديد ولا أشد الجبال ' ﴿ الله ﴾ ^٢ أى الملك الأعظم بسبب تكبره
على الحق ، ومخالفته لأمرك المطاع ومرادك الذى كله الحسن الجميل ،
ولعله صوره وهو منقطع بصورة المتصل بالتعبير بأداته إشارة إلى أن
العذاب من الله عذاب منه صلى الله عليه وسلم ، لأن سببه تكذيبهم له ،
وقرأ ^٦ ابن عباس رضي الله عنهما ، ألا ، بالفتح والتخفيف على أنها استفاحية ١٥
﴿ العذاب الا كبرته ﴾ يعنى عذاب الآخرة ، ويجوز أن يكون الاستثناء

(١) زيد في الأصل : الا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢-٢) سقط
ما بين الرقین من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، و ، الأصل : العظيم (٤) زيد
في الأصل و ظ : بسبب فطرته ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٥-٥) في ظ
و م : حسن جميل (٦) من ظ و م ، و في الأصل : قراءة .

متصلاً فيكون المعنى: [أن - ١] من أصر على الكفر يسلطه الله عليه فيقتله فيعذبه [الله - ١] في الدار الآخرة ؛ ثم علل إخباره عن عذابه في الآخرة بقوله مؤكداً لما لهم من التكذيب: (ان النيا) أى خاصة بما لنا من العظمة والكبرياء (اياهم) أى رجوعهم وإن أبوا بالموت ثم بالبعث ثم بالحشر .

ولما كان الحساب متأخراً عن ذلك كله ، وعظيماً كما وكيفا ، عظمه بأداة التراخي فقال: [ثم ان) أكدته لإنكارهم ، وأتى بأداة دالة على أنه كالواجب في أنه لا بد منه فقال - : (علينا) أى خاصة بما لنا من القدرة والتزهد عن نقص العبث والجور وكل نقص ، ١٠ / ٧٤٦ لا على غيرنا ، لأن غيرنا لا قدرة له فقد تقدمنا فيه بالعود^١ / الصادقة ، وأكدها غاية التأكيد (حسابهم) أى يوم القيامة على التقير^٢ والقطمير ، وغير ذلك من كل صغير وكبير ، وذلك يكون في الغاشية يوم ينقسم الناس قسمين : في دار هوان ، ودار أمان ، فقد التف آخرها بأولها ، وتعاقب مفصلها بموصلها^٣ - والله الهادي للصواب وإليه المآب^٤ .

(١) زيد من م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : يـ لظ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الدنيا و (٤-٤) من م ، وفي الأصل و ظ : عذابه عن إخباره (٥) زيد من ظ و م (٦) تكرر في الأصل فقط (٧) زيد في الأصل : والفتيل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٨-٨) من ظ و م ، وفي الأصل : موصلها بمفصلها . (٩-٩) - فقط ما بين الرقيين من ظ و م .

سورة الفجر

مقصودها الاستدلال على آخر العاشية الإياب والحساب، وإدراك ما فيها على هذا المقصود الفجر بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس من غير فرق في شيء من الذات وانبعاث النيام من الموت الأصغر 'وهو' النوم بالانتشار في ضياء النهار^٢ اطلب المعاش^٣ للجازاة في الحساب بالثواب^٥ والعقاب ﴿بسم الله﴾ جامع العباد بعد تمزيقهم بما له من العظمة ﴿الرحمن﴾ الذي عمهم بعد العموم بالإيجاد بالبيان المهيئ من شاء للإيمان^٦ ﴿الرحيم﴾^٧ الذي خص أوليائه بالرضوان المهيئ للجنة .

لما ختمت تلك بأنه لا بد من الإياب والحساب، وكان تغيير

الليل والنهار وتجدد كل منهما بعد إعدامه دالا على القدرة على البعث، ١٠
وكان الحج قد جعله الله في شرعه له على وجه التجرد عن الخيط ولزوم التلية والسير إلى الأماكن المخصوصة آية مذكرة بذلك^٨ قال : ﴿والفجر لا﴾
أي الكامل في هذا الوصف لما له من العظمة حتى كأنه لا يفجر غيره،
وهو^٩ فجر يوم النحر الذي هو أول الأيام^{١٠} الآخذة في الإياب إلى

(١-١) التاسعة والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٣٠ .

(٢-٢) سقط ما بين الرقعين من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل :

بالإيمان (٤) زيد في الأصل : الروف، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

(٥) من ظ و م، وفي الأصل : ذلك (٦) زيد في الأصل م : أي، ولم تكن

الزيادة في ظ فحذفناها (٧) من م، وفي الأصل و ظ : أيام .

يبت الله الحرام بدخول حرمة والتحلل من محارمه وأكل ضيافته^١.
 ولما ذكر هذا اليوم بما العبارة به عنه أدل على البعث لأنه ينفجر
 عن صبح قد أضأ، ونهار قد انبرم وانقضى، لا فرق بينه وبين ما
 مضى، عم فقال معبرا بالمقابل: ﴿وليل عشرة﴾ هي أعظم ليالى العام.
 هـ وهي آية الله على البعث بالقيام^٢ إلى إجابة داعى الله تعالى على هيئة
 الأموات^٣ ﴿والشفع﴾ أى لمن تعجل فى يومين ﴿والوتر﴾ أى لمن
 أتم - قاله ابن الزبير، وروى أحمد^٤ والبزار^٥ رجال الصحيح عن
 عياش بن عقبة وهو ثقة عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال: العشر عشر الاضحي، والشفع يوم الاضحي، والوتر يوم عرفة.
 ١٠ ولما كان تعاقب الليل والنهار^٦ ادل على القدرة و^٧ أظهر فى
 النعمة، قال رادا لآخر القسم على اوله، ومذكرا بالنعمة وكال القدرة،
 لأن الليل أخفاهما سرى وسرا، فهو اعظمهما فى ذلك أمرا، لأن سير
 النهار ظاهر لسرايته / بخلاف الليل فانه محوى صرفه^٨. فكان أدل على
 القدرة^٩ ﴿وآيل﴾ أى من ليلة النفر ﴿اذا يسر﴾ أى ينقضى كما
 (١) زيد فى الاصل: وغير ذلك مما تقدم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها.
 (٢) من ظ و م، وفى الأصل: يوم اقامة (٣) زيد فى الأصل و ظ: وقال،
 ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها (٤) راجع المسند ٣/ ٢٢٧ (٥) راجع مجمع الزوائد
 ١٣٧/ ٧ (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، وفى
 الأصل: اظهر (٨) فى ظ: صرف (٩) زيد فى الأصل: الكاملة، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفناها.

/ ٧٤٧

ينقضى ليل الدنيا وظلام ظلمها فيخلفه الفجر ويسرى فيه الذين آبوا إلى
الله راجعين^١ إلى ديارهم بعد حط أوزارهم ، [وقد رجع آخر القسم
على أوله - ٢] وأثبت الياء في يسرى ابن كثير ويعقوب^٢ وحذفها
الباقون ، وعلّة حذفها قد سأل عنها المورج الأخفش فقال : اخدمني سنة ،
فسأله بعد سنة فقال : الليل يسرى فيه ولا يسرى ، فعدل به عن معناه^٣ ه
فوجب أن يعدل عن لفظه كقوله تعالى "وما كانت أمك بغيا" لما عدل
عن «باغية» عدل لفظه فلم يقل : بغية - انتهى ، وهو يرجع إلى اللفظ^٤
مع أنه يلزم منه رد روايات الإثبات ، والحكمة المعنوية فيه - والله
أعلم - من جهة السارى وما يقع السرى فيه ، فأما من جهة السارى
فانقسامهم ليلة النفر إلى مجاور وراجع إلى بلاده ، فأشير إلى المجاورين ١٠
بالحذف حثا لهم على ذلك لما فيه من جلالة المسالك ، فكان ليل وصالحهم
ما انقضى كله . فهم يغتيمون حلوله و يلتذون طوله من تلك المشاهد والمشاعر
والمعاهد ، وإلى الراجعين بالإثبات^٥ لما سرى الليل بخدافيه عنهم آبوا راجعين
إلى ديارهم فيما^٦ انكشف من نهارهم ، وأما من جهة ما وقع فيه السرى
فالإشارة إلى طوله تارة وقصره أخرى ، فالحذف إشارة إلى القصير ١٥
[و - ٨] الإثبات إشارة إلى الطويل بما وقع^٧ من تمام سراه وما

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : الراجعين (٢) زيد من ظ (٣) من م ، وفي
الأصل وظ : أبو يعقوب (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : معاده (هـ-هـ) سقط
ما بين الرفين من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : باثبات (٧) من ظ
و م ، وفي الأصل : بما (٨) زيد من ظ و م (٩-٩) من ظ و م ، وفي
الأصل : مما يقع .

وقع للسايرين فيه من قيام وصف^١ الأقدام بين يدي^٢ الملك العلام كما قال الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد^٣ رحمه الله تعالى حيث قال مشيراً لذلك^٤:

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض ولا نستريح

الآيات المذكورة عنه في المزمّل، فقد انقسم الليل إلى ذى طول وقصر،
 ٥ و السارى فيه إلى ذى حضور وسفر، فدلّت المفاوطة في ذلك وفي جميع
 أفراد القسم على أن فاعلها قادر مختار^٥ واحد قهار، ولذلك أتبعه الدلالة
 بقهر القهارين^٦ وإبارة الجبارين، وأما «بغى» فذكرت حكمته في مريم.
 ولما كان هذا قسمًا عظيمًا في ذكر تلك الليالي المتضمن لذكر
 تلك المشاعر وما فيها من الجوع^٧ والبكاء والخضوع كما قال أبو طالب^٨
 ١٠ في قصيدته اللامية المشهورة:

وليلة جمع و المنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل

وفي تذكيره^٩ بالبعث ودلالته عليه دلالة عقلية واضحة بالإيجاد بعد
 الإعدام مع ما لهذه الأشياء في أنفسها وفي نفوس المخاطبين بها من
 الجلالة، به على ذلك سبحانه وتعالى بقوله: ﴿هل في ذلك﴾ أى

المذكور مع ما له من على الأمر / و واضح القدر ﴿قسم﴾ أى كاف مقنع
 ١٥ / ٧٤٨ ﴿لذى﴾ أى صاحب ﴿حجرته﴾ أى عقل^{١٠} فيحجره ويمنعه^{١١} عن الهوى في

(١) زيد في الأصل: القيام ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ
 و م ، وفي الأصل: ايدى (٣-٣) -قط ما بين الرقين من ظ و م (٤) زيد في
 الأصل: قاهر، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) من م ، و ، الأصل
 و ظ: الظاهرين (٦) من ظ و م ، وفي الأصل: الخشوع (٧) من ظ و م ،
 وفي الأصل: على بن أبى طالب (٨) في م: تذكره (٩-٩) في ظ: لينعه ويحجره -

درك الهوى ، فيعليه إلى أوج الهدى ، فى درج العلى ، حتى يعلم أن الذى فعل ما تضمنه هذا القسم لا يتركه سدى ، و أنه قادر على أن يحيى الموتى ، قال ابن جرير^١ : يقال للرجل إذا كان مالكا نفسه قاهرا لها ضابطا : إنه لذو حبر - [انتهى ، فر بلغ أن يحجره عقله عن المآثم و يحمله على المكارم فهو ذو حبر -]^٢ .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : ابتداء سبحانه لمن تقدم ذكره وجهها آخر من الاعتبار ، و هو أن يتذكروا حال من تقدمهم من الأمم و ما أعقبهم تكذيبهم و اجترامهم فقال : ” ألم تركيف فعل ربك بعاد - إلى قوله : ارم ذات العماد - إلى قوله : ان ربك لبالمرصاد “ أى لا يخفى عليه شئ من مرتكبات الخلائق و^٣ لا يغيب^٤ ١٠ عنه^٥ ما أكتوه ” سواء منكم من أسر القول و من جهر به “ فهلا اعتبر^٦ هؤلاء بما يعاينونه و يشاهدونه من خلق الإبل و رفع السماء و نصب الجبال و سطح الأرض ، و كل ذلك لمصالحهم و منافعهم ، فالإبل لائقهم و انتقالهم ، و السماء لسقيهم و إظلالهم ، و الجبال لاختزان مياههم و أقلاهم ، و الأرض لحلهم و راحلهم^٧ ، فلا بهذه الأمور كلها^٨ ١٥ استبصروا ، و لا بمن خلا من القرون اعتبروا ، ” ألم تركيف فعل ربك بعاد “ على عظيم طغيانها و صميم بهتانها ” ان ربك لبالمرصاد “ فيتذكرون

(١) راجع جامع البيان ٢٠/ ٩٥ (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يخفى عليه (٤) من ظ ، و فى الأصل و م : اعتبروا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تراحلهم (٦-٦) سقط ما بين الرقین من ظ و م .

حين لا ينفع الذكر "إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا
و جىء يومئذ بجهنم، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى" -
انتهى •

و لما كان التنذير كما هدى إليه السياق : ليعثن كلهم صاغرين ثم
٥ ليحشرن ثم ليحاسبن فيجازى كل أحد بما عمل ، فان آمنوا بذلك نجوا
و إلا عذبهم الذى ثبتت قدرته على العذاب الأكبر بعد العذاب الأدنى
بسبب قدرته على البعث بسبب قدرته على ما رأيت من خلق الإبل و السماء
و الجبال و الأرض على ما فى كل من العجائب بسبب قدرته على كل
شئ ، و هذا هو المقصود بالذات ، حذف زيادة فى تعظيمه و اعتمادا^١ على
١٠ معرفته بما هدى إليه من السياق فى جميع السورة و ما قبلها . و لما طوى
جواب القسم لإرشاد السياق إليه و تعويل المعنى عليه^٢ ، و تهويلا له مع
العلم بأنه لا يكون قسم^٣ بغير مقسم عليه ، و كان قد علمت القدرة عليه
عما^٤ أشير إليه بالمقسم به ، أوضح تلك القدرة بأمر العذاب [الأدنى -]
للأثم الماضية ، فقال مخاطبا لمن قال له فى آخر تلك " فذكر انما أنت
١٥ مذكر " تسلية له صلى الله عليه وسلم و إشعارا بأنه لا يتدبره حق تدبره^٥
غيره ، و تهديدا لمن كذب من قومه : (الم تر) أى تنظر بعين الفكر
يا أشرف رسلنا فتعلم علما هو فى التيقن به كالمحسوس بالبصر ، و عبر

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتمادا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اليه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : قسما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تدبره .

بالاستفهام / إشارة إلى [أن - '] ما ندمه إلى رؤيته بما يستحق أن يسأل عنه : (كيف فعل ربك) أى المحسن إليك 'بارسالك ختاماً لجميع الأنبياء^٢ بالأمم الماضية بما شاركوا به هؤلاء من تكذيب الرسل وجعل محط نظرهم الدنيا ، و عملوا أعمال من يظن الخلود ، [و - '] بدأ بأشدهم في ذلك وأعتامهم الذين قالوا : من أشد مناقرة ؟ فقال : (بعداد ^٣) أى ه الذين بلغوا في الشدة أن قالوا : من أشد مناقرة ؟ وقال لهم نبينهم هود صلى الله عليه وسلم : ، و تتخذون مصانع لعلمكم تخلدون ، و دل على ذلك بناؤهم^٤ جنة في هذه الدنيا [القانية - '] التى هى دار الزوال ، والقلة والارتحال ، والنكد والبلاء والكدر ، والمرض والبؤس والضرر ، فقال مبيناً لهم على حذف مضاف : (ارم) أى أهلها وعمدتها ، واطلقها ١٠ عليهم لشدة الملابس لما لها من البناء العجيب والشأن الغريب ، ثم بينها بقوله : (ذات) أى صاحبة (العماد ^٥) أى البناء العالى الثابت بالأعمدة التى لم يكن في هذه الدار مثلها ، ولذا قال : (التى لم يخلق) أى يقدر ويصنع - بناءه للفعول إرادة للتعميم ' (مثلها) يصح أن يعود الضمير على "عاد" باعتبار القبيلة ، وعلى " ارم " باعتبار البلدة ، وأوضح هذا ١٥ بقوله معممًا للأرض كلها : (فى البلاد ^٦) أى فى بنائها ومرافقتها

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : حيث جعلك ختام النبيين (٣) فى ظ : بنائهم ، وفى م : بنيانهم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : للنعم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بقوله .

و ثمارها، و تقسيم مياهها و انهارها، و طيب أرضها و حسن أطيارها، و ما
اجتمع بها مما يفوت الحصر و يعجز القوى، و لا مثل أهلها الذين بنوها
في قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و غير ذلك من أمورهم، و كان صاحبها
شداد قد ملك المعمورة كلها فتحيزها فبناها في بركة عدن في ثلاثمائة سنة
٥ يضاهى بها الجنة على ما زعم^١ - فلوب ضلت و أضلت و أضلها باريها^٢ -
قال أبو حيان^٣ : على أوصاف بعيد أو مستحيل عادة أن يكون في
الأرض مثلاً، فلما تمت على ما أراد قصدها للسكن و عمره إذذاك
تسعمائة سنة، فلما كان منها على مسيرة يوم و ليلة بعث الله عليهم صيحة من
السماء فأهلكهم^٤ فكانوا كأمس الذاهب، و أخفى مدينتهم فلم يرها أحد
١٠ إلا عبد الله بن قلابة، خرج في طلب إبل ضلت له على زمن معاوية
رضي الله عنه فوقع عليها. و لما خرج منها و انفصل عنها خفيت عنه،
و كان قد حمل معه بعض ما رأى فيها من اللؤلؤ و المسك و الزعفران
فباعه، و سمع به معاوية رضي الله عنه فأرسل إليه لئله^٥، [فأرسل -°]،
معاوية رضي الله عنه إلى كعب الأحبار فسأله عن ذلك فقال : هي ارم
١٥ ذات العباد، و سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أشقر أحر قصير،
على حاجيه خال، [و -°] على عقبه خال، يخرج في طلب إبل له، ثم

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٢) في البحر المحيط ٤٦٩/٨ (٣) من
ظ و م، و في الأصل : فأهلكهم (٤) زيد في الأصل : من، و لم تكن الزيادة
في ظ و م لئله^٥ زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و في الأصل : زمانك .

٧٥٠ /

التفت فأبصر ابن^١ قلابة فقال :^٢ هذا / والله^٣ ذاك الرجل - ذكره شيخنا في
تخريج أحاديث الكشف [و-^٢] قال : و آثار الوضع^٤ عليه لائحة ،
وقال جماعة منهم ابن عباس رضى الله عنهما : الأوصاف كلها للقيلة وهم
عاد الأولى ، واسمها ارم باسم جدم ، وكانوا عربا سيرة يبنون بيوتهم
على الأعمدة على عادة العرب^٥ ، ولم يخلق مثلهم أمة من الأمم في جميع البلاد . ه
ولما بدأ هؤلاء لأن أمرهم^٦ كان أعجب ، وقصتهم أنزه وأغرب ،
فتى^٧ بأقرب الأمم إليهم زمانا وأشبههم بهم شأنا لأنهم أترفوا بما حبا
به من جنات و عيون و زروع و نخل طلعا هضيم ، فجعلوا موضع ما
لزمهم من الشكر الكفر ، واستحبوا العمى على الهدى ، مع ما في آيتهم ،
وهي الناقة ، من عظيم الدلالة على القدرة^٨ فقال : (وثمود الذين جابوا) أى ١٠
تقبوا و قطعوا قطعاً حقيقياً كأنه^٩ عندهم كالواجب (الصخر بالوادى)
أى [وادى -^{١٠}] الحجر أو وادى القرى ، فجعلوا بيوتا منقورة في الجبال
فعل من يغتال الدهر و يفنى الزمان^{١١} ؛ قال أبو حيان^{١٢} : قيل أول من
نحت الجبال^{١٣} والصخور و الرخام ثمود ، و بنوا ألفا و سبعمائة^{١٤} مدينة

(١) وقع في الأصل قبل «فأبصر» والترتيب من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفي
الأصل : والله هذا (٣) زيد من م (٤) زيد في الأصل : والله ، ولم تكن الزيادة في
ظ و م لحذفها (ه) من ظ و م ، وفي الأصل : العمر (٦) زيد في الأصل : العرب ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) تكرر في الأصل فقط (٨) زيد في ظ ؛
على الساعة (٩) في م : كان (١٠) زيد من ظ و م (١١) زيدت الواو في الأصل
ولم تكن في ظ و م لحذفها (١٢) في البحر المحيط ٤٧٠/٨ (١٣) من ظ و م والبحر ،
وفي الأصل : الحجارة (١٤) من ظ و م والبحر ، وفي الأصل : تسعمائة .

كلها بالحجارة^١ .

ولما ذكر القبيلتين^٢ من العرب ، ذكر [بعض - ٣] من جاورهم
من طغاة العجم لما في قصتهم من العتو والجبروت مع ما حوته من
الغرائب و خوارق العجائب لاسيما في القدرة على البعث بقلب العصاحية
٥ وإعادتها جمادا مع التكرار ، وبايجاد الضفادع والقمل من كثران الأرض
وغير ذلك فقال : ﴿ وفرعون ﴾ أى وفعل بفرعون^٤ ﴿ ذى الاوتاد ميلا ﴾
أى الذى ثبت ملكه تثبيت^٥ من يظن أنه لا يزول بالمساكر والجنود
وغيرهم من كل ما يظن أنه يشد أمره من الجنات والعيون والزروع
والمقامات الكريمة ، فصارت له اليد المبسوطة فى الملك .

١٠ ولما كان المراد بفرعون هو و جنوده لأن الرأس يكفى به عن
البدن ، لأنه جماعة وبه قوامه ، وصفه بوصف يجمع قومه وجميع من
ذكر هنا فقال : ﴿ الذين ﴾ أى فرعون و جنوده و كل من ذكر هنا
من الكفرة من عاد و ثمود و أتباعهم^٦ ﴿ طغوا ﴾ أى تجاوزوا الحدود
﴿ فى البلاد ميلا ﴾ أى [التى - ٣] ملكوها بالفعل وغيرها بالقوة ﴿ فاكثروا ﴾
١٥ عقب طغيانهم وبسببه ﴿ فيها الفساد ميلا ﴾ بما فعلوا من الكفر والظلم
بما صار سنة لمن سمع به .

ولما كان [ذلك - ٣] موجبا للعذاب ، سبب عنه قوله : ﴿ فصب ﴾

(١) فى م : بالحجار (٢) فى ظ و م : قبيلتين (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ
وم ، وفى الأصل : فرعون (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بشييت (٦) زيد
فى الأصل : الذى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

أى أنزل إنزالا هو فى غاية القوة (عليهم) أى فى الدنيا (ربك)
 أى المحسن إليك المدبر لأمرك الذى جعل ما مضى من أخبار الأمم
 وآثار الفرق موطئا لهم (سوط عذاب) أى جعل عذابهم من
 الإغراق و الرجف وغيرهما فى قوته و تمكنه و علوه و إحاطته كالمصوب
 فى شدة ضربه و لصوقه بالمضروب و إسرعه إليه و التفافه به كالسوط
 / و فى كونه منوعا^١ إلى أنواع متشابهة، و أصله الخلط، و إنما سمي هذا
 الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض، و لأنه
 يخلط اللحم و الدم، و قيل: شبه بالسوط ما أحل بهم فى الدنيا إشعارا^٢
 بالترديد و التكرير إلى أن يهلك المعذب به و إيذاها بأنه بالقياس إلى ما
 أعد لهم فى الآخرة كالسوط إذا قيس إلى السيف، هذا سوط الدنيا ١٠
 و سيف الآخرة أشد و أحده و أمضى، ثم علل أخذه لكل ظالم و انتقامه
 من كل مفسد بأنه رقيب، فقال ممثلا أن العصاة لا يفوتونه مؤكدا تنبيها
 على أن أعمال العباد أعمال من ينكر ذلك أو لا يحظر بياله: (ان ربك)
 أى مولاك المدبر لأمر^٣ نبوتك (للمرصاد^٤) أى لا يفوته شئ، بل
 هو قادر و مطلع على كل شئ^٥ اطلاع من يريد^٦ بالإقامة فى مكان ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اتفاته (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نوعا.

(٣) من ظ و م، و فى الأصل: اشعار (٤-٤) سقط ما بين الرقعتين من ظ

و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لأمر (٦-٦) من ظ و م، و فى

الأصل: قادر و مطلع لا يفوته شئ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يره.

الرصد و زمانه مع غاية الحفظ و الرعى و هو قادر على ما يريد .

و لما ذكر سبحانه أن عادة هؤلاء الفرق كانت الطغيان، و ذكر

أن عادة الرب سبحانه فيمن تولى و كفر أنه يعذبه [كما - ١] هدد به آخر تلك، و دل على ذلك بما^٢ شوهد في^٣ الأمم، و علل ذلك بأنه

٥ لا يغفل، [ذكر - ١] عادة الإنسان من حيث هو من غير تقييد هؤلاء.

الفرق عند الابتلاء في حال^٤ السراء و الضراء، فقال مشيرا إلى جواب ما

كانت الكفار تقوله من أنهم آثر عند الله من المسلمين لا يساعد عليهم

في الدنيا و تقلل الصحابة^٥ رضى الله عنهم من الدنيا مسييا عما مضى عطفاً

على ما تقديره: ^٦ هذه كانت^٦ عادة هؤلاء الأمم و عادة الله فيهم:

١٠ ﴿ فاما الانسان ﴾ أى الذى أودع الحجر ليعقل هذه الاقسام و ما يراد

منه من اعتقاد المقسم عليه بها و جبل على النسيان و الانس بنفسه و المحبة

لها و الرضى عنها .

و لما كان المقصود التعريف بحاله عند الابتداء، قدم الظرف الدال

على ذلك على الخبر فقال: ﴿ اذا ﴾ و أكد الامر بالنافي فقال:

١٥ ﴿ ما ابتله ﴾ أى عامله معاملة المختبر بأن خالطه بما أراد مخالطة تميحه

و تحيله ﴿ ربه ﴾ أى الذى أبدعه و أحسن إليه بما يحفظ وجوده ليظهر

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، وفى الأصل و ظ: بما (٣) من ظ و م،

وفى الأصل: من (٤) من م، وفى الأصل و ظ: حال (٥) من ظ و م،

وفى الأصل: للصحابة (٦-٦) من م، وفى الأصل و ظ: كانت هذه .

شكره أو كفره ﴿فاكرمه﴾ ١ أى بأن جعله عزيزا [بين الناس - ٢]
و أعطاه ما يكرمونه به من الجاه و المال ﴿و نعمة له﴾ أى بأن جعله
٣ متلذذا مترفا بما أعطاه [غير تعبان - ٢] بسببه ﴿فيقول﴾ سرورا
بذلك و افتخارا: ﴿ربى﴾ أى الموجد لى و المدبر لأمرى ﴿أكرمن له﴾
أى فيظن أن ذلك عن استحقاق فيترفع به ﴿و اما﴾ هو ﴿إذا﴾ و أكد ه
على نمط الأول فقال: ﴿ما ابتلاه﴾ أى ربه ليظهر صبره أو جزعه .

و لما كان قوله فى الأول "فاكرمه و نعمة" كناية / عن د فوسع
٧٥٢ / عليه ، قابله [هنا - ٧] بقوله: ﴿فتقدر﴾ أى ضيق تضيق من يعمل
الامر بحساب و تقدير ﴿عليه رزقه لا﴾ فهو كناية عن الضيق كما أن العطاء
بغير حساب كناية عن السعة ، فجعله بمقدار ضرورته الذى لا يعيش ١٠
[عادة - ٧] بدونه ، و لم يجعله فيه فضلا عن ذلك و لم يقل «فأهانه» موضع
«قدر عليه» تعليما للأدب معه سبحانه و تعالى [و - ٢] صونا لأهل
الله عن هذه العبارة ٤ لأن أكثرهم مضيق عليه فى دنياه ، و لأن ترك
الإكرام لا ينحصر ٥ فى كونه إهانة ﴿فيقول﴾ أى " الإنسان

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : و بان (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ
و م ، و فى الأصل : مقبلا مترفا (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : موجدنى .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لى (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فيرتفع .
(٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : انعبادة (٩) من ظ و م ، و فى
الأصل : ان (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : لا يحصر (١١) زيد فى الأصل :
هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

[بسبب الضيق - ١]: ﴿رَبِّ﴾ أى الربى لى ﴿أهان ع﴾ فيهم لذلك
و يضيق به ذرعا، و يكون ذلك أكبر همه .

و لما كان نسبة هذا إليه توييخا و تقريبا لقصور نظره فان الإقتار
قد يؤدى إلى سعادة الدارين، و التوسعة قد تؤدى إلى شقاوتها، و هذا
ه أكثر ما يوجد، قال ردعا عن مثل هذا القول بأعظم أدوات^٢ الزجر
معللا للتوسعة و الإقتار: ﴿كلا﴾ [أى - ٢] إني لا أكرم بتكثير الدنيا
و لا أهين بتقليلها، لا التوسعة منحصرة فى الإكرام و لا التضيق منحصر
فى الإهانة و الصغار، وإنما أتتهم الإهانة من حيث أنهم لا يطيعون الله،
و ربما كانت بالتوسعة، و ربما كانت بالإقتار. فربما عصى فوسع عليه
١٠ إهانة له، و هذا لمن يريد سبحانه به الشقاء فيجعل له طيباته فى الدنيا استدراجا،
و ربما عصى فضيق عليه إكراما [له - ٢] لأن ذلك يكفر عنه، و فى
الصحيح فى حديث أفرع و أبرص و أعمى فى بنى إسرائيل شاهد^٤ عظيم
لذلك^١.

ولما زجر^٥ عن^٦ اعتقاد أن^٦ التوسعة للأكرام و التضيق للإهانة،
١٥ ذكر أن معيار من جبل على حب الطاعة و من جبل على [حب - ٢]
المعصية بنقض الدنيا وحبها، فقال [معربا - ٢] عن كلام الإنسان فى الشقين

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، وفى الأصل: اداة (٣) زيد من ظ و م.
(٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: لذلك عظيم (ه) من م، وفى الأصل وظ:
ذكر (٦-٦) تكرر ما بين الرقنين فى الأصل فقط (٧) زيد من م، و موضعه
فى ظ ١ معربا .

و أفرد أولا لأنه أنص على التعميم و جمع ثانيا إعلاما بأن المراد الجنس
 ﴿ بل ﴾ أى يستهينون بأمر الله بما عندهم من العصيان ، فيوسع على بعض
 من جبل على الشقاء إهانة له بالاستدراج^١ و يضيق على [بعض -^٢]
 من لم يجعل على ذلك إكراما له و ردعا^٣ عن اتباع الهوى و ردا إلى
 الإحسان إلى الضعفاء ، و ترجم هذا العصيان الذى هو سبب الخذلان ه
 بقوله : ﴿ لا يكرمون ﴾ أى أكثر الناس ﴿ اليتيم لا ﴾ بالإعطاء و نحوه
 شفقة عليه و رحمة له لأنه ضعيف لا يرجى من قبله نفع بثاء و لا غيره .
 و لما كان الإنسان لا يمنع من حث غيره على الخير إلا حب الدنيا
 إن كان المحثوث أعظم منه فيدخره لحوائجه و إن كان مثله فانه يخشى
 أن يقارضه بذلك^٤ فيحثه على مسكين آخر ، و كان الإحسان^٥ بالحث ١٠
 على الإعطاء أعظم من الإعطاء لأنه يلزم منه الإعطاء بخلاف العكس ،
 قال : ﴿ ولا يحضون ﴾ أى يحثون حثا عظيما لأهلهم و لا لغيرهم
 ﴿ على طعام المسكين لا ﴾ أى بذله له سخاء^٦ و جودا ، / فكانت إضافته^٧
 إليه إشارة إلى أنه شريك للفقير^٨ فى ماله بقدر الزكاة .

٧٥٣ /

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : فى الاستدراج (٢) زيد من م (٣) زيد فى
 الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) وقع فى الأصل قبل
 « أى يستهينون » و الترتيب ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : بذلك .
 (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الإنسان (٧) تتكرر فى الأصل نقط (٨-٨) فى
 ظ و م : أضائه (٩) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م .

- ولما دل على حب الدنيا بأمر خارجي ، دل عليه بأمر في الإنسان فقال تعالى : ﴿ يا كلون ﴾ أى على سبيل التجديد والاستمرار ﴿ التراث ﴾ أى الميراث^١ ، أصله وراث^٢ أبدلت الواو تاء ، [و-^٣] كأنه عبر عنه به دلالة على أخذ الظاهر الذى تشير إليه الواو ، والتفتيش عن الباطن
- ٥ المشار إليه بمخرج التاء تفتيشا ربما أدى إلى أخذ بعض مال الغير : ﴿ اكلا لا لا ﴾ أى^٤ ذالم أى^٥ جمع وخطط بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يؤرثون النساء ولا الصبيان [و-^٦] يأكلون ما جمعه المورث وإن كانوا يعلمون أنه حرام ويقولون : لا يستحق المال إلا من يقاتل ويحمى الحوزة .
- ولما كان ذلك قد يفعل عن ضرورة [مع الكراهة -^٧] قال
- ١٠ ما هو صريح في المقصود : ﴿ ويحبون ﴾ أى على سبيل الاستمرار ﴿ المال ﴾ أى هذا النوع من أى شئ كان ، وأكدته بالمصدر والوصف^٨ فقال : ﴿ حبا جما ﴾ أى كثيرا مع حرص وشره ، [فصار -^٩] قصارى^{١٠} أمرهم النظر الدينوى ، ولم يصرفوا أنفسهم عن حبه إلى ما دعا إليه العقل الذى يعقل^{١١} النفس عن الهوى ، والحجر الذى يحجرها عن الحظوظ ، والنهاية
- ١٥ التى تنهاها عن الشهوات إلى الإقبال على الله .

- (١) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : وارث (٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل : اكلا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : « و » (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بالوصف والمصدر .
- (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : يعقله .

ولما كان السياق هاديا إلى أن التقدير: يحسبون أن ذلك يوفر
 أموالهم و يحسن أحوالهم و يصلح بالهم ، زجر عنه بمجامع الزجر فقال :
 ﴿ كلا ﴾ أى ما هكذا ينبغي أن يكون الامر ، ثم استأنف ذكر ما
 يوجب ندمهم و ينبههم من رقتهم و يعرفهم أن حب المال لا يقتضى
 نموه ، و لو اقتضى نموه ما اقتضى إيجابه للسعادة فقال : ﴿ اذا دكت الارض ﴾ ٥
 أى حصل دكها و رجها و زلزلتها لتسويتها فتكون كالأديم الممدود بشدة
 المط لا عوج فيها بوجه . و أشار بالبناء للفعول إلى سهولة ذلك لأن
 الامر عظيم لعظمة الفاعل الحق ، و لذلك قال : ﴿ دكا دكا لا ﴾ أى مكررا
 بالتوزيع على كل موضع نأت فيها ، فيكون لكل جبل و أكمة و ثنية و عتبة
 دك يخصه على حدته ليفيد ذلك أنه دك مبالغ فيه فتصير جبالها و أكامها ١٠
 هباء ماثورا ثم تستوى حتى لا يكون فيها شئ من عوج ، و هو كناية عن
 زلازل عظيمة لاتحملها الجبال الرواسى فيكف بغيرها .

ولما دلت التسوية على مجيء أمر عظيم ، فان العادة في الدنيا أن الطرق
 لاتعم بالسكنس أو الرش أو التسوية إلا للحضور عظيم كالسلطان ، قال
 متلفعا بالمخاطب من أواخر سورة البروج إلى هنا بذكر صفة الإحسان ١٥
 على وجه يفتت أكباد أزداده : ﴿ و جاء ربك ﴾ أى أمر المحسن إليك
 باظهار رفعتك العظمى في ذلك اليوم الأعظم لفصل القضاء / بين العباد

٧٥٤ /

(١) من ظ و م ، و في الأصل : لا ينقضى (٢-٢) من م ، و في الأصل و ظ :
 فيه (٣) زيد في الأصل : دكا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) سقط
 من ظ .

بشفاعتك (و الملك) أى هذا النوع^١ حال كون الملائكة مصطفىين
 (صفا صفا) أى موزعا اصطفا فهم على أصنافهم كل، صنف صف على
 حدة، ويحيط أهل السماء الدنيا بالجن والإنس، وأهل كل سماء كذلك،
 وهم على الضعف بمن أحاطوا به حتى يحيطوا أهل السماء السابعة بالكل
 ه وهم على الضعف من جميع من^٢ أحاطوا به من الخلائق، ومعنى مجيئه
 سبحانه وتعالى بعد أن ننفي عنه أن يشبه مجيء شيء من الخلق لأنه
 سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا
 صححنا العقد في ذلك في كل ما كان من التشابه قلنا في هذا أنه مثل
 أمره سبحانه وتعالى في ظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قدرته وقهره
 ١٠ وسلطانه بحال الملك إذا حضر بنفسه فظهر بحضوره^٣ من آثار الهيبة
 والسياسة ما لا يظهر بظهور عساكره كلها خالية عنه، فجيئه عبارة عن
 حكمه وإظهار عظمته وبطشه وكل ما يظهره الملوك إذا جاؤا^٤ إلى مكان،
 وهو سبحانه وتعالى شأنه حاضر مع المحكوم بينهم بعلوه وقدرته،
 لم يوصف بغية أصلا أزلا و[لا - °] أبدا، لحضوره في [ذلك - °]
 ١٥ الحال وبعده كما^٥ كان قبل ذلك من غير فرق أصلا، لم يتجدد شيء

(١) زيد في الأصل: أى، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ
 و م، وفي الأصل: ما (٣) من م، وفي الأصل و ظ: بحضور (٤) من م،
 وفي الأصل و ظ: إياه (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، وفي الأصل:
 وما، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ إلى «تعلق قدرته».

غير تعليق قدرته على حسب إرادته بالفصل بين الخلق^١، ولو غاب في وقت أو أمكنت غيبته بحيث يحتاج إلى المجيء لكان محتاجا، ولو كان محتاجا لكان عاجزا، ولو عجز أو أمكن عجزه في حال من الأحوال لم يصلح للالهية - تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا، وفي تكرير "صفا" تنبيه على صرف المجيء عن حقيقته وإرشاد إلى هـ ما ذكرت من التمثيل .

و لما كانت جهنم لا تأتي^٢ بنفسها لأنها لو أتت بنفسها لربما ظن أنها خارجة عن القدرة بل تقودها الملائكة، فكلما عالجوها ذهابا وإيابا حصل للناس من ذلك من الهول ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وكان المهول نفس المجيء بها لاتعيين الفاعلين، لذلك بنى للفعول قوله: ﴿ و جآء ﴾ ١٠ أى بأسهل أمر ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ وقع ما ذكر ﴿ بجهنم لا ﴾ أى النار التى تتجهنم من يصلها، روى أنه يؤتى بها لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، وهو كقوله تعالى: "و برزت الجحيم لمن يرى" وأبدل من "إذا" توضيحا لطول الفصل وتهويلا^٣ قوله: ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ وقعت هذه الأمور فرأى الإنسان ما أعد^٤ للشاكرين ١٥ وما أعد للكافرين^٥.

و لما قدم هذه الأمور الجليلة والقوارع المهولة اهتماما [بها -^٥]

(١) من ظ وم، وفي الأصل: الخلاق (٢) من ظ وم، وفي الأصل: لايتأتى.
(٣) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ وم فخذناها (٤-٥) في ظ وم؛ للشاكر والكافر (هـ) زيد من ظ وم .

و تنبيهها على أنها، لما لها من عظيم الموعظة، جدرة بأن يتعظ بها كل سامع،
 ذكر العامل في ظرفها وبدله فقال: ﴿ يتذكر الانسان ﴾ أى على سبيل
 التجديد والاستمرار فيذكر كل ما [كان - ١] ينفعه في / الدنيا وما
 يضره فيعلم أن حبه للدنيا لم يفده إلا خساراً، لا زاد بحبها شيئاً لم يكتب
 له ولا كان ينقصه بذلها شيئاً كما كتب له أو بذلها، وإذا تذكر ذلك
 هان عليه البذل، وليست تلك الدار دار العمل، فذلك قال: ﴿ واني ﴾
 أى كيف ومن أى وجه ﴿ له الذكرى ﴾ أى نفع التذكر العظيم فانه
 في غير موضعه، فلا ينفعه ٢ أصلاً بوجه من الوجوه ٣ لقوات دار العمل،
 ولا يقع بذلك على شيء سوى الندم وتضاعف الغم ٢ والهم ٢
 ١٠ و الآلام .

ولما كان الندم يقتضى أن يعمل الإنسان ما ينافيه، بين أنه ليس
 هناك عمل إلا [إظهار - ١] الندم فاستأنف قوله: ﴿ يقول ﴾ أى متمنياً
 المحال على سبيل التجديد والاستمرار: ﴿ يا ليتني ﴾ وهل ينفع شيئاً دلت،
 ﴿ قدمت ﴾ أى أوقعت التقديم لما ينفعني ٢ من الجدد ٢ والعمل [به - ١]
 ١٥ ﴿ لحياتي ﴾ أى أيام حياتي في الدنيا أو ١ لأجل حياتي هذه الباقية التي لاموت
 بعدها، ويمكن أن يكون سبب تمنيه هذا عليه بأنه كان في الدنيا محتاراً،
 وأن الطاعات في نفسها [كانت - ١] ممكنة لا ممانع له [منها - ١] في
 (١) زيد من م (٢) في ظ: ما (٣-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٤) سقط
 من ظ (٥) في ظ: التذكر (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفي
 الأصل «و» .

الظاهر إلا صرف نفسه عنها و عدم تعليق ما آتاه الله من القوى بها .

ولما كان هذا غير نافع له ، سبب عنه قوله : ﴿ فيومئذ ﴾ أى إذ وقعت هذه الأمور كلها ' ﴿ لا يعذب ﴾ أى يوقع ﴿ عذابه ﴾ أى عذاب [الله ، أى - ٢] مثل عذابه المطلق المجرد فكيف بتعذيبه . ولما اشتد التشوف إلى الفاعل ، أتى به على وجه لا أعم منه أصلاً^٢ فقال : ﴿ احذروا ﴾ . ولما جرت العادة بأن المعذب يستوثق منه بسجن أو غيره ، ويمنع من كل شئ . يمكن أن يقتل به نفسه ، خوفاً من أن يهرب أو يهلك نفسه قال : ﴿ ولا يوثق ﴾ أى يوجد ﴿ وثاقه ﴾ [أى - ٣] مثل وثاقه فكيف بآثاقه ﴿ احذروا ﴾ والمعنى أنه لا يقع فى خيال أحد لأجل انقطاع^{١٠} الانساب والاسباب أن أحداً يقدر^٤ على [مثل - ٣] ما يقدر عليه سبحانه وتعالى من الضر^٥ ليخشى كما يقع فى هذه الدنيا ، بل يقع فى الدنيا فى أوهام كثيرة أن عذاب من يخشونه أعظم من عذاب الله - ٤ وأن عذاب الدنيا بأسره لو اجتمع على إنسان وحده لا يساوى رؤية جهنم بذلك المقام فى ذلك المحفل المهول دون دخولها^٨ - ولذلك تقدم خوفه^{١٥} على الخوف^٩ من الله ، وبني الكسائي ويعقوب الفعيلين للفعول ، والمعنى

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : النكدة (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من م .

(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : و ، (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفى

الأصل : لا يقدر (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الحزم (٨ - ٨) سقط ما بين

الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : الحزم .

على قراءة الجماعة بينهما للفاعل : لا يعذب أحد عذاباً مثل عذاب الله أى
لا يعذب أحد^١ غير الله أحداً من الخلق مثل^٢ عذاب الله [له -^٣] ،
والحاصل أنه لا يخاف في القيامة من أحد غير الله ، فانه ثبت بهذا الكلام
أن عذابه لا مثل له ، ولم يذكر المعذب من هو فيرجع الأمر إلى
هـ [أن -^٤] المعنى : فيومئذ يخاف الإنسان من الله خوفاً لا مثل له ، أى
لا يخاف من أحد مثل خوفه منه سبحانه وتعالى ، ويجوز أن يكون
الضمير في "عذابه" للإنسان ، أى لا يعذب أحد من الزبانية / أحداً غير
الإنسان مثل عذابه . وفى المبنى للفعول : لا يعذب عذاب الإنسان [أحد -^٥]
لكن يعبده أنه يلزم^٦ عليه أن يكون عذاب الإنسان أعظم من عذاب
١٠ إبليس - ويجوز أن يكون المعنى : إنه لا يحمل أحد ما يستحقه من
العذاب كقوله تعالى "ولا تزر وازرة وزر أخرى" .

ولما علم أن هذا الجزاء^٧ المذكور لا يكون إلا^٨ لله لوع الجزوع
المضطرب النفس الطائش في حال السراء والضراء ، الذى لا يكرم اليتيم
ولا المسكين ويحب الدنيا ، وكان من المعلوم أن في الناس من ليس
د هو كذلك ، تشرفت النفس إلى جزائه فشفي عى هذا التشوف بقوله ،
إعلاماً بأنه يقال لنفوسهم عند النفخ في الصور وبعثرة ما في القبور
للبعث والنشور : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ لِإِيَّاهِ﴾ أى التى هى في غاية

(١) زيد في الأصل : عذاباً ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ
وم ، وفى الأصل : من (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ
وم ، وفى الأصل : يلزمه (٦-٧) سقط ما بين الرقعين من ظ و م .

السكون لاخوف عليها ولاحزن ولا نقص ولاغبون، لأنها كانت في الدنيا في غاية الثبات على^١ كل ما أخبر به^٢ عن الدار^٣ الآخرة وغيرها من وعد ووعيد و تعذير و تهديد، فهم راجون لوعده خائفون من وعيده، وإذا كانت هذه حال^٤ النفس التي شأنها الميل إلى الدنيا فما ظنك بالروح التي هي خير؛ صرف ﴿ارجعني﴾ أى بالبعث ﴿إلى ربك﴾ هـ أى موعده^٥ الذى أوجدك ورباك تربة الموقفين، أو إلى بدنك حال كونك ﴿راضية﴾ أى بما تعطينه. فلا كدر يلحقك بوجه^٦ من الوجوه أصلاً^٧ كما كنت في دار القلق [والاضطراب -^٨] مطمئنة ساكنة تحت القضاء والقدر سالكة سبيل الرضا إن حصل ابتلاء بالتكريم والتعظيم أو التضيق والتغريم وثوقاً بما عند الله^٩ ﴿مرضية﴾ عند الله وسائر خلقه، ١٠ فلا شيء يكرهك بسبب ما كنت مطمئنة تعملين الأعمال الصالحة تحت القضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره، ثم بين ما أجل من الرجوع فقال سبحانه: ﴿فادخلي﴾ أى بسبب^{١١} هذا الأمر^{١٢} ﴿في عبدي﴾ أى في زمرة الصالحين الوافدين على^{١٣} الذين هم أهل للاضافة^{١٤} إلى^{١٥}، أو في أجساد عبادي

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : عن (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي الأصل : في .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : حاة (٤) من م ، وفي الأصل : حين ، والكلمة ساقطة في ظ (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : موجدك (٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد في الأصل : جل جلاله و علا زائداً ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م ، وفي الأصل : هذه الأمور (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : الاضافة .

التي خرجت في الدنيا منها، وقراءة "عبدى" بالتوحيد [للجنس - ١]
 الشامل للقليل والكثير تدل على ذلك (وادخل جنتي) [أى - ١]
 وهي جنة عدن وهي أعلى الجنان، قال البغوى^٢ : قال سعيد بن جبير : مات
 ابن عباس رضى الله عنهما [بالطائف - ٢] فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير^٣
 ٥ على [صورة - ٥] خلقه^٤، فدخل نعشه فلم ير^٥ خارجا منه، فلما دفن تليت
 هذه الآية على شفير القبر فلم ندر من تلاها، وهذا^٦ الآخر هو أولها
 على ما هو ظاهر المقسم عليه بالفجر من البعث المحتوم، الذي لولا هو لكان
 خلق الخلق^٧ من العبث المذموم، المنزه عنه الحى القيوم، فسبحان الملك الأعظم
 الذى هذا كلامه، علت معانيه عن طعن وشرفت أعلامه، وغر في ذروة
 ١٠ الإعجاز تركيبه ونظامه، «و أين الثريا من يد المتناول» .

- (١) زيد من ظ و م (٢) راجع العالم ٢٠٦/ ٧ (٣) زيد من ظ و م والعالم .
 (٤) من ظ و م والعالم، وفي الأصل : لم ندر (٥) زيد من العالم (٦) من ظ و م
 والعالم، وفي الأصل : خطته (٧) من ظ و م والعالم، وفي الأصل : فلم ندر .
 (٨) من ظ و م، وفي الأصل : هذه (٩) من م، وفي الأصل و ظ : الحق .

٧٥٧ /

/ سورة البلد

مقصودها^٢ "الدلالة على نفى القدرة" عن الإنسان، وإثباتها لحالقه الديان،
 بذكر ما للإنسان من الهموم^٣ والاحزان، وذكر الأسباب [الموقعة له
 فيما شاء أو أبى، وذكر السبب -^٤] المخلص منها، الموصل إلى السعادة في
 الآخرة، وهو ما هدى إليه ربه سبحانه، وذلك هو معنى اسمها، فإن ه
 من تأمل أمان أهل الحرم وما هم فيه من الرزق والخير على قلة
 الرزق يلدهم - مع ما فيه غيرهم من^٥ هم أكثر منهم وأقوى - من الخوف
 والجوع علم ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الملك الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذى
 أسبغ نعمته على سائر بريته، وفاوت بينهم فى عطيته، فكان كل ساعطا
 لحالته فى كبد ما يهمه فى خاصته وعامته لحكم تعجز الافكار^٦ ﴿ الرحيم ﴾ ١٠
 الذى خص أهل ولايته بما يرضيه عنهم من أقضيته فبوصلهم إلى
 جنته وينجيهم من النار.

لما ختم^٧ كلمات الفجر بالجنة التى هى افضل الاماكن التى يسكنها
 الخلق، لاسيما المضافة إلى اسمه^٨ الاخص المؤذن بأنها افضل الجنان،

(١) اتسمون من سور اقرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٢٠ (٢) تكرر
 فى الأصل فقط (٣ - ٣) من ظ و م، وفى الأصل: نفى الدلالة (٤) من ظ
 و م، وفى الأصل: الهول (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى
 الأصل: من (٧) زيد فى الأصل و ظ: عن درك جزء الجزء منها، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) من م، وفى الأصل و ظ: ختمت.

بعد ما ختم آياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الامارة التي وقعت في كبد الندم
الذى يتمنى لأجله العدم، بعد ما تقدم [من - ١] أنها لا تزال في كبد
ابتلاء المعيشة في السراء والضراء، افتتح هذه بالامارة^٢ مقسما في أمرها
بأعظم البلاد وأشرف أولى الانفس المطمئنة، فقال مؤكدا بالثاني من
٥ حيث أنه ينفي ضد ما ثبت من مضمون الكلام مع القطع بأنه لم^٣ يقصد
[به - ١] غير ذلك: (لا أقسم) أى أقسم قسما أثبت مضمونه
وأنتى ضده، ويمكن أن يكون النفي على ظاهره، والمعنى أن الأمر
في الظهور غنى عن الإقسام حتى بهذا القسم الذى أتم عارفون بأنه في
غاية العظمة، فيكون كقوله " فلا أقسم بمواقع النجوم " وانه [لقسم - ١]
١٠ لو تعلمون عظيم " (بهذا البلد) أى الحرام وهو مكة التى لا يصل
إليها قاصدوها إلا بشق الانفس، ولا يزدادون لها مع ذلك إلا جبا،
الدال على أن الله تعالى جعلها خير البلاد^٤، وقذف جها في قلوب
من اختارهم^٥ من كل حاضر وباد، لأنها تشرفت في أولها وآخرها
وأثنائها بخير العباد، ولم يصفه بالأمن لأنه لا يناسب سياق المشقة بخلاف
١٥ ما في التين، فان المراد هناك الكمالات .

ولما عظم البلد بالإقسام به، زاده عظما بالحال به إشعارا بأن

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: بالاره - كذا (٣) من
ظ و م، وفي الأصل: لا (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، وفي الأصل:
وهو (٦) زيد في الأصل: بلاشك ولا ريب، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفها (٧-٧) من ظ و م. وفي الأصل: ... مع اختيارهم .

شرف المكان بشرف السكان ، وذلك في جملة حالة فقال : ﴿ وانت ﴾
يعنى و أنت خير كل ' حاضر و باد ﴿ حل ﴾ أى مقيم أو حلال لك
ما لم يحل لغيرك من قتل من تريد ممن يدعى أنه لا قدرة لأحد عليه '
﴿ بهذا البلد ﴾ فتحل قتل ابن خطل وغيره وإن كان متعلقا بأستار
الكعبة ، وتحرم قتل من دخل دار / ابى سفيان وغير ذلك بما فعله ه / ٧٥٨
الله لك بعد الهجرة بعد نزول هذه السورة المسكية بمدة طويلة علما
من أعلام النبوة ، أو المعنى : يستحل أهله منك وانت أشرف الخلق ما
لا يستحلونه من صيد و لا شجر ، وكرر إظهاره و لم يضره زيادة في
تعظيمه تقييحا لما يستحلونه من أذى المؤمنين فيه ، وإشارة إلى أنه
يتلذذ بذكره ، فقد وقع القسم بسيد البلاد و سيد العباد ، ولكل جنس ١٠
[سيد - °] ، و هو انتهاؤه في الشرف ، فأشرف الجماد الياقوت و هو
سيده ، ولو ارتفع عن هذا الشرف لصار نباتا ينمو كما في الجنة ، وأشرف
جنس النبات النخل [ولو - ٦] ارتفع صار حيوانا يتحرك بالإرادة ،
فالحيوان سيد الأكوان ، و سيده الإنسان ، لما له من النطق و البيان ،
و سيد الإنسان الرسل عليهم أفضل الصلاة و السلام ، لما لهم من عظيم ١٥
الوصلة بالملك الديان ، و سيدهم ' أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم الذى
ختموا به لما فاق به من الفضائل التى أعلاها هذا القرآن ، فسيد الخلق

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : معه (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : بزيادة (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مذكرة (هـ) زيد من ظ
و م (٦) زيد من م (٧-٧) فى ظ و م : من .

محمد بن عبد الله^١ رسول الله أشرف الممكنات و سيدها لأنه وصل
إلى أعلى مقام يمكن أن يكون لها، ولو بقى فوق ذلك مقام يمكن
للممكن لنقل إليه، و لكونه^٢ أشرف كانت مكابذته أعلى المكابذات، يصبر
على أذى قومه بالكلام الذى هو أنفذ من السهام. و وضع السلاء من
الجزور على ظهره الشريف - نفديه بحر وجوهنا و مصون جباهنا^٣
و خدودنا - و هو ساجد، و وضع الشوك فى طريقه، و الإجماع على قصده
بجميع انواع^٤ الأذى من الحبس و الننى و القتل بحيث قال صلى الله عليه
و سلم ما أؤذى أحد فى الله ما أؤذيت..

و لما أفهمت هذه الحال أن القسم إنما هو فى الحقيقة به^٥ صلى الله
عليه و سلم، كرر الإقسام به على وجه يشمل غيره فقال: ((و والد))
و لما كان المراد التعجيب من ابتداء الخلق بالتوليد من كل حيوان فى
جميع أمر التوليد و بما عليه الإنسان من النطق و البيان و غريب^٦ الفهم
و كان السياق لزم أولى الانفس الامارة، و كانوا هم أكثر الناس، حسن
التعبير بأداة ما^٧ لا يعقل لأنها من أدوات التعجيب فقال: ((و ما ولد))
١٥ أى من ذكر أو أنثى كائنا من كان، فدخل كما مضى النبى صلى الله عليه
و سلم فصار مقسما به مرارا، و كذا دخل أبواه^٨ إبراهيم و ولده إسماعيل

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ،
و فى الأصل : لكنه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : جبان (٤) زيد فى الأصل :
السلاء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) فى الأصل بياض ملأه من
ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : غير (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .
(٨) من م ، و فى الأصل و ظ : أبوه .

عليهما الصلاة والسلام و ما صنعا و ما صنع الله لهما بذلك البلد،
و معلوم أن ذكر الصنعة تنبيه على صانعها، فالمقصود^١ القسم بمن جعل
البلد على ما هو عليه من الجلال، و خص النبي صلى الله عليه وسلم
بما خصه به من الإرسال، و فاوت^٢ بين المتوالدين في الخصال^٣، من النقص
و الكمال و سائر الأحوال، تنبيهاً على ماله من الكمال^٤ بالجلال و الجمال^٥،
و لعله خص هذه الأشياء بالإقسام تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم،
/ و تثبتاً له على احتمال الأذى، إشارة إلى أن من كان قد حكم عليه بأنه
لا يزال في فكيد، كان الذي ينبغي [له - °] أن يختار أن يكون ذلك
اتسكداً فيما يرضى الله سبحانه و تعالى، و ذلك لأن النبي صلى الله عليه
وسلم كان في مكة المشرفة في أعظم شدة بما يعانيه من أذى الكفار^{١٠}
في نفسه و أصحابه رضي الله عنهم لعلوا^٦ مقامه، فان شدة البلاء للأمثل
فالأمثل كما مضى مع أمره صلى الله عليه وسلم بالصبر^٧ و الصفح، و كل
والد و مولود في شدة بالوالدية و المولودية، و غير ذلك إنما لا يحصى من
الآنكاد البشرية، من حين هو^٨ نطفة في ظلمات ثلاث في ضيق عمر و مقر
ثم ولادة و ربط في تابوت و فطام عن الآف و أهنة^٩ من المؤدب^{١٥}

- (١) من م، و في الأصل و ظ : و المقصود (٢) من ظ و م، و في الأصل :
فات (٣) من ظ و م، و في الأصل : الحال (٤ - ٤) من ظ و م، و في
الأصل : و الجمال و الجلال (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و في
الأصل : و علو (٧) من ظ و م، و في الأصل : بالامر (٨) من ظ و م، و في
الأصل : كان .

و المعلم وتويخ من المشايخ ومعاندة من الأقران ، ومن يتسلط^١ عليه
من النسوان ، مع أنه عرضة للأمراض ، وسائر ما يكره من الأعراض
و الأغراض ، و الفاقات والنوائب والآفات ، و المطالب والحاجات ،
لا يحظى بهواه ، ولا يبلغ مناه ، ولا يدرك ما اجتباه ، ولا ينجو غالباً مما
يخشاه ، و تفاصيل هذا الإجمال لا تحصى ، ولا حد لها فتستقصى ، إلى الموت
و ما بعده ، فلذلك كان المقسم عليه قوله : ﴿ لقد خلقنا ﴾ أى بمانا
من القدرة التامة و^٢ العظمة^٢ التى لاتضاهى^٣ ﴿ الانسان ﴾ أى هذا النوع
﴿ فى كبد ﴾ أى شدة شديدة ومشقة عظيمة^٤ محيطة به إحاطة الظرف
بالمظروف ، لو وكله سبحانه وتعالى فى شيء منها إلى نفسه ملك^٥ ، ولولا
١٠ هذه البلايا لادعى^٥ ما لا يليق به من عظيم المزايا ، و قد ادعى بعضهم
مع ذلك الإلهية و بعضهم الاتحاد برب العباد - تعالى الله عن قولهم
الواضح الفساد ، بما قرنه به سبحانه وتعالى من الموت والمرض وسائر
الأنكاد ، فعل سبحانه ذلك [ليظهر^٦] بما للعبد من الضعف والعجز -
مع ما منحه به من القوى الظاهرة والباطنة فى القول والفعل والبطش
١٥ والعقل - ما له سبحانه من تمام العلم و شمول القدرة ، و يظهر من
خلقه له على هذه الصفة ، علم جميع ما فى السورة ، فعمل قطعاً إنكار ظنه
(١) من ظ و م ، وفى الأصل : يتسلط (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ
و م (٣) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) فى الأصل
بياض ملأناه من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : لاد (٦) زيد
من ظ .

لتناهي قدرته و تعالى عظمته ، و فساد هذا الظن بشاهد العقل^١ من حيث
 كونه مصنوعا ، و بشاهد الوجود من أجل^٢ أنه يسلك طريق الشر و لا يقدر
 على طريق الخير إلا بالتوفيق ، فعلم قطعا إعجاز السورة لأنه لا قدرة لمخلوق
 على أن يأتي بجملة واحدة تجمع جميع [ما -^٣] وراءها من الجمل - هذا
 إلى ما لها من فتون الإعجاز التي وصلت إلى حد الإعجاز ، هذا إلى ما ه
 لبقية الجمل من الإعجاز في حسن الرصف و إحكام التركيب و الربط
 و المراعاة بالألفاظ اللعاني إلى غير ذلك مما لا يبلغ^٤ كنهه إلى منزله
 سبحانه و عز شأنه ، و علم أن الإكرام و الإهانة / ليستا دائرتين على التنعيم
 في الدنيا و التضيق كما تقدم شرحه في سورة الفجر ، و لأجل ما علم
 من كون الإنسان لا يزال في نكد و شدة و نصب من حيث احتياجه ١٠
 أولا إلى مطلق الحركة و السكون ، و ثانيا إلى المأكل و المشرب ، و ثالثا
 إلى ما يترتب عليهما إلى غير ذلك [ما -^٥] يعي عده و يجهل حده ،
 توجه الإنكار في قوله تعالى يانا للأسباب الموقعة له في النكد ، و هي
 شهواتان : نفسية و حسية ، و النفسية منحصرة في أربع : الأولى أنه^٦
 يشتهي أن يكون كل من في الوجود في قبضته فأشار إليها () (يحسب) ١٥

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : الفعل (٢) من م ، وفي الأصل و ظ :
 بحيث (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : لا يبلغه (٥) زيد
 من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : ان (٧) زيد في الأصل : بقوله
 تعالى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

أى هذا الإنسان لضعف عقله^١ مع ما هو فيه من أنواع الشدائد
 ﴿ان لن يقدر﴾ و لما أكد بالفعلية و خصوص هذا النفي^٢ قدم الجار
 تأكيذا بما يفيد من الاهتمام بالإنسان فقال: ﴿عليه﴾ أى خاصة ﴿أحدي﴾
 أى من أهل الأرض أو السماء فيغلبه حتى أنه يعاند خالقه^٣ مع ما ينظر
 ٥ من اقتداره على أمثاله بنفسه و بمن شاء من جنوده فيعادي رسله عليهم
 الصلاة و السلام و يمجّد آياته .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أوضح سبحانه و تعالى حال
 [من -^٤] تقدم ذكره في السورتين في عظيم حيرتهم و سوء غفلتهم
 و ما أعقبهم ذلك من التذكر تحسرا حين لا ينفع التندم^٥ ، و لات حين
 ١٠ مطمع ، أتبع ذلك بتعريف نبينا^٦ عليه أفضل الصلاة و السلام بأن
 وقوع^٧ ذلك منهم إنما جرى على حكم السابقة التى شاءها و [الحكمة -^٨]
 التى قدرها كما جاء فى الموضع الآخر ” ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها “
 فأشار تعالى إلى هذا بقوله ” لقد خلقنا الإنسان فى كبد “ أى أنا
 خلقناه لذلك ابتلاء ليكون ذلك قاطعا لمن سبق له الشقاء عن التفكير^٩
 ١٥ و الاعتبار ” و ان تدعهم إلى الهدى قلن يهتدوا اذا أبدا “ فأعماهم بما

(١) زيد فى الأصل و ظ : علله ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ
 و م ، و فى الأصل : المنافى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حلقه (٤) زيد من
 م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الندم (٦) فى ظ و م : نبيه (٧) زيد فى
 الأصل : مثل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى
 الأصل : التذكر .

خلقهم فيه من الكبد و أغفل قلوبهم فحبوا أنهم لا يقدر عليهم أحد ،
 وقد بين سبحانه و تعالى فعله هذا بهم في قوله لئن صلى الله عليه وسلم
 " و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه " " و لو شاء ربك
 لأمن من في الارض كلهم جميعا " فأنت تشاهدكم يا محمد ذوى أبصار
 و آلات يعتبر بها الناظر " الم يجعل له عيني و لسانا و شفقتين " فهلا اخذ
 في خلاص نفسه ، و اعتبر بحاله و أمسه ، " فلا اقتحم العقبة " و لكن
 إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له - انتهى .

و لما كان الإنسان لا يفتخر بالاتفاق إلا إذا أنصى إلى الإملاق ،
 فلم أن مراده * الإشارة إلى أن معه أضعاف ما أنفق من حيث أنه
 حقره بلفظ الإهلاك ، إشارة إلى الثانية و الثالثة من شهواته النفسية . ١٠
 و هما إرادته أن يكون له الفخار و الامتنان على جميع الموجودات
 و إرادته أن يكون عنده من الأموال ما لا يحيط به الأفكار / و لا تحويه
 الأقطار - كما يشير إليه حديث * لو أن لابن آدم واد من ذهب ، و لا يملأ
 جوف ابن آدم إلا التراب ، علل سبحانه و تعالى جهله * في حسابه

- (١) زيد في الأصل : بلهائم و عما قلوبهم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
 (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الناظر (٣) زيد في الأصل : بيومه و ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : ملاق .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : مراد (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : حيث .
 (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بنى (٨) من ظ و م ، وفي الأصل :
 جعل ابن آدم .

ذلك وما تبعه بقوله : ﴿ يقول ﴾ أى مفتخرا بقدرته و شدته :
 ﴿ اهلك ما لا بداءه ﴾ ولقصد المبالغة فى كثرتة جاءت قراءة [ابى - ١]
 جعفر بالتشديد على أنه جمع لا بد كركع و راكم فأفهمت أنه بحيث
 لا يحصى ، بل لو جمع لم تسعه الأرض إلا بأن يكون [بعضه - ١] على
 ٥ بعض فلا يعد و لا يعد ، أى و ذلك قليل من الكثير الذى معى ، قلدت
 به أعناق الرجال المن ، و استعبدت^٢ به الأحرار فى كل زمن ، فصرت^٣
 بحيث إذا دعوت كثر الملبى ، و إذا ناديت كثر المجيب ، و إذا أمرت
 عظم الممثل ، وفاء لصنائى الماضى و رغبة فى نعمى الباقى ، فمن يستعصى
 على و من يخالف أمرى ، فضلا عن أن يريد إخمالي^٤ ذكرى
 ١٠ أو نقص قدرى .

ولما كان الشيء لا يعنى إلا إذا كان مجهولا و لو من بعض الجهات ،
 أنكر عليه هذا الظن على تقدير وقوعه فانه لا يوصل إلى ما ظنه إلا به ،
 بقوله مشيرا إلى شهوته النفسية الرابعة ، و هى أن تكون أموره مستورة
 فلا يظهر على غيبه أحد أصلا : ﴿ يحسب ﴾ أى هذا الإنسان العنيد بقلة
 ١٥ عقله ﴿ ان لم يره ﴾ أى^٥ بالبصر و لا بالبصرة^٦ فى الزمن الماضى ﴿ احدثه ﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : استعبدت (٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : بصرف (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : انخالي (٥) من
 ظ و م ، وفى الأصل : الجهالات (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : قال تعالى .
 (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يره بالبصرة و لا البصر .

أى فى عمله هذا سره و جهره و جميع أمره ، فينقص جميع ما عمل إذا أراد ، و [كل - ١] ما فاته من آثار هذه الشهوات الأربع ، و هو لا يزال فائتاله ، كان^٢ من إرادة تحصيله فى نكد و معاناة و كبد^٣ بحيث يرمى نفسه لتحصيله فى المهالك ، و لا يتحصل منه على ما يرضيه أبداً ، و هذا كناية عن أنه يعمل من المساوئ أعمال من يظن أنه لا يطلع عليه ، فذلك ٥
 نبه الله تعالى بأنواع التنبيه لياخذ حذرہ و يحرز عمره .

و لما أنكر عليه^٤ سبحانه و تعالى هذه النقائص ، قرره على ما أوجب^٥ شهوته [الحسية - ٦] المتفرعة إلى أنواع بما^٦ يستلزم أن يكون فاعله [له - ٦] المان عليه به من بعض فيضه ، عالماً بجميع أمره قادراً على نفعه و ضرره بنفسه و بمن أراد من جنده ، فقال مشيراً إلى ما يترتب ١٠
 على نظر العين الباصرة^٨ الجائلة فى العالم الحسى و نظر عين البصيرة الجائلة فى العالم المعنوى^٩ من شهوته أن يحصل على كل ما يراه بعين باصرته^{١٠} و يعلمه بعين بصيرته^{١١} من ملبس ، و يخلص من كل ما يراه من قبيح ، و مذكراً له بما كان يجب عليه من الشكر باستعمال هذه المشاعر^{١٢} فيما شرع له

-
- (١) زيد من م (٢) - سقط من ظ (٣) فى ظ : كيد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اوجبت (٦) زيد من ظ و م .
 (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : ما (٨-٨) - سقط ما بين الرقين من ظ و م .
 (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بصيرته (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : باصرته (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : الشارع .

و كفها عما منع الله منه : ﴿الم نجعل﴾ أى بما لنا من العظمة التى^١
لا يمكن أحدا أن يضاهيها^٢ ولا يقرب منها^٣ ﴿له عنين﴾^٤ يبصر^٥
/ ٧٦٢ /
/بهما وإلا لتمطل عليه أكثر ما يريد، شققناهما و هو فى الرحم فى ظلمات
ثلاث على مقدار مناسب لا يزيد إحداهما على الأخرى شيئا و قدرنا
هـ البياض و السواد^٦ أو الزرقه أو الشبهة أو غير ذلك على ما روى،
و أودعناهما البصر على كيفية يعجز^٧ الخلق عن^٨ إدراكها .

و لما قدره^٩ سبحانه على ما ينشأ [عنه - ^{١٠}] شهوتا تحصيل الملبح
و نفي القبيح ، أتبع [ذلك - ^{١١}] ما ينشأ عنه^{١٢} شهوتا الأمر والنهى و أنواع
الكلمات الكمالية فقال : ﴿و لسانا﴾ أى يترجم به عما فى ضميره ﴿و شفقتين﴾^{١٣}
١٠ أى يستران فاه و يعينانه على الأكل و الشرب و على النطق بفصاحة
و بلاغة^{١٤} على حد^{١٥} معلوم لا يبلغه غيره ، فيجتمع له أمره و يصل إلى
مقاصد جمة^{١٦} و أهوال مهمة ، و لم يذكر السمع لأن الكلام يستلزمه ، و المعنى :
السنا قادرين بالقدرة التى جعلنا له بها ما ذكر على أن نجعل لغيره مثل ما
جعلنا له و أكثر فيقاومه و يغلبه .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و القدرة على هذا الصنم و جعل الذين (٢) من
ظ و م ، و فى الأصل : يضاهيها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منها (٤) زيد
فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحدقناها (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : على (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الخلاق على (٧) فى ظ : قرره .
(٨) زيد من م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : عنها (١٠-١٠) من ظ و م ،
و فى الأصل : لأحد (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : جمعه .

ولما كان لله تعالى على كل أحد في كل لحظة منه جديدة في إبقاء هذه الآلات الثلاث، عبر فيها بالمضارع، ولما كانت النعمة في العقل إنما هي بهيته أولا ثم بحمله [به - ٢] على الخير ثانيا، وكان أمره خفيا، وكان من المعلوم أن كل أحد غير مهدي في كل حركاته وسكناته إلى ما يسعده، بل كان هذا المنكر^٢ عليه لم يؤهل لطريق الخير، اختير له لفظ الماضي لذلك تحقيقا لكونه وجعله غريزة لا تتحول وطبيعة لا تتبدل، بل هي غالبية على صاحبها، قائدة إلى مضارة أو محابة و مسارة وإن كره^٣، وهو السبب الذي يكون به الخلاص من شر تلك الانكاد في دار الإسعاد فقال تعالى: ﴿ وهديته ﴾ أي بما أتياه من العقل ﴿ النجدين ﴾ أي طريق الخير والشر، وصار بما جعلناه له من ذلك سميما بصيرا^٤ عالما فصار موضعا للتسليف، روى الطبراني^٥ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس! هلموا إلى ربكم فان^٦ ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، يا أيها الناس إنما هما نجدان: نجد خير ونجد شر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير^٧، قال المنذرى: النجد هنا الطريق - انتهى. ١٥

(١) من ظ و م، وفي الأصل: على (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: الفكر (٤) من ظ و م، وفي الأصل: كرهو (٥ - ٥) في ظ و م: بصيرا سميما (٦) راجع بجمع التروائد ١٠ / ٢٥٦ (٧) من ظ و م، وفي الأصل: فانه (٨) زبدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ و م فخذناها.

وهو طريق في ارتفاع، عبر عن الخير والشر به^١ لإعلانها الإنسان
 عن رتبة باقي الحيوان، ولأن الإنسان لا يختار واحدة منها إلا بمعاناة
 وتكلف كمعاناة من يصعد في عقبة، والتجد لغة الموضع العالي، والله
 تعالى يعلى^٢ من أراد على ما^٣ شاء منها بخلاف ما كان يقتضيه ظاهر
 حاله من ٥ / ٧٦٣ أنه لا يجب تكلف شيء أصلاً، ولا يريد الأشياء / تأتبه
 إلا عفواً، وذلك لأجل إظهار قدرته سبحانه وتعالى، أما صعوبة طريق
 الخير فيها، حقه به من المكاره حتى صار العمل به، مع أن كل أحد
 يعشق اسمه ومعناه، أشد شيء وأصعبه، وأشق وأتعبه، وأما صعوبة^٤
 طريق الشر فواضحة جداً مع أن الله يلزمه لمن أراد بتسهيله وتحييه وتخفيفه
 ١٠. وتقريبه مع أن كل أحد يكره اسمه وينفر من معناه، وجعل الله
 تعالى الفطرة الأولى السليمة التي فطر الناس عليها من الاستقامة بحيث
 تدرك الشر وتنتهي عنه، وتدرك الخير وتأمر به، غير أن الشهوات
 والحظوظ تعالجها، والغالب من أعانها الله، وإلى ذلك يشير حديث^٥
 «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» وحديث «البر ما اطمأنت إليه النفس
 (١) وقع في الأصل بعد «عبر» والترتيب من ظ و م (٢) زيد في الأصل :
 من يشاء و، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م، وفي
 الأصل : من (٤) في ظ : فما (٥) من ظ و م، وفي الأصل : يكره (٦) زيد في
 الأصل : ينفر من، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م،
 وفي الأصل : صعبة (٨) في ظ و م : العباد (٩) من ظ و م، وفي الأصل :
 قوله عليه الصلاة والسلام .

وانشرح له الصدر، والإثم ما حاك في الصدر و تردد [في - '] القلب
و إن افتاك الناس وأفتوك . .

و لما كان معنى ما مضى أن هذا الإنسان عاجز و إن تناهت
قوته، و بلغت الذروة قدرته،^٢ السبق قوله تعالى "و خلق الانسان ضعيفا"^٣
و أنه معلوم جميع أمره مفضوح في سره كما هو مفضوح في جهره، كما ه
أشار إليه حديث جندب رضى الله تعالى عنه عند الطبراني^٤ "ما أمر عبد
سريرة إلا ألبسه الله رداءها، و حديث أبي سعيد رضى الله تعالى عنه
عند أحمد و أبي يعلى^٥ "لو أن أحدكم يعمل في صحرة صماء ليس لها باب
و لا كوة يخرج عمله للناس، فهو موصول إليه و مقدور عليه، و أنه كان
يجب عليه الشكر على ما "جعل له" سبحانه و تعالى^٦ من القوى التي جعلها ١٠
لسوء كسبه آلات للكفر^٧، سبب سبحانه و تعالى عنه قوله تفصيلا للأشياء
الموصلة إلى الراحة في العقبي نافيا لفعالها عنه على سبيل الحقيقة دلالة
على عجزه: ﴿ فلا اقتحم ﴾ أى وثب ورمى بنفسه بسرعة و ضغط
و شدة حتى كان من شدة المحبة لما يراه فيما دخل فيه من الخير كأنه
أتاه من غير فكر و لا روية بل هجما ﴿ العقبة ﴾^٨ و هى طريق النجاة، ١٥
و المقرر فى اللغة أنها الطريق الصاعد فى الجبل المستعار اسمها لأفعال البر

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٣) راجع بجمع
الزوائد ١٠ / ٢٢٥ (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ان (٥ - ٥) من م ، وفى
الأصل و ظ : جعله (٦) زيد فى الأصل و ظ : له ، ولم تكن الزيادة فى م
لخذلناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : للفكر .

المقرر في النفوس أنها مريحة لا متعبة، مع كونها أعظم نفرا وأعلى منقبة،
لأننا حجبناه^١ عنها بأيدينا وعظيم قوتنا وعجيب قدرتنا، وذلك أن الخير لما
كان محيا إلى القلوب معشوقا للنفوس مرغوبا^٢ فيه لا يعدل عنه أحد، جعلناه
في بادئ الأمر كريها [و-^٣] على النفوس مستصعبا ثقيلًا حتى صار لمخالفته^٤
ه الهوى كأنه عقبة كثود، لا ينال ما فيه من مشقة الصعود، إلا بعزم
شديد وهمة ماضية، ونية جازمة، ورياضة وتدريب، وتأديب وتهذيب،
وشديد^٥ مجاهدة وعظيم مكابدة للنفس والهوى / والشيطان، بحيث / ٧٦٤
يكون متعاطيه في فعله له كالرامي بنفسه فيه [بلا -^٦] روية رمى
العاشق له المتهالك عليه، فكان هذا سببا لأن هذا الجاهل بنفسه المتعدى
١٠ لطوره لم يختار لنفسه الخير بما أوتي من البصر الذي يبصر به صنائع الله،
والبصيرة التي يعرف بها ما يضره وما ينفعه شكرا لربه سبحانه^٧ أو تعالى
ويكون ذلك^٨ لإحسانه إليه، وهل جزاء الإحسان^٩ إلا الإحسان،^{١٠} وهل
جزاء النعمة إلا الشكر^{١١}، بل اختار الشر وارتكب الضرر مع أنا هيأناه لكل
منها فبانت لنا القدرة، و اتضحت في صفاتنا العظمة، و تحقق له الضعف
١٥ وظهر منه^{١٢} النقص والعجز، فوجب عليه لعزتنا الخضوع، وإجراء مصون
(١) من ظ و م، وفي الأصل : حجبنا (٢) من ظ و م، وفي الأصل :
مرغبا (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، وفي الأصل و ظ : لمخالفة (٥) من م،
وفي الأصل و ظ : شدة (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من م (٧) من م، وفي
الأصل و ظ : الانسان (٨-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٩) من ظ و م،
وفي الأصل : له .

الدموع وإظهار الافتقار والذل والصغار ، لنفحه سيل الجنة و تنجيه
من طريق النار ، ومن اقتحم هذه العقبة التي هي الأعمال الصالحة اقتحم
عقبة الصراط ، فكانت سهولتها عليه بقدر مكابذته لهذه ^١ ، واستراح
من تلك المكابذات والأحزان والهموم و صار إلى حياة طيبة كما قال
الله تعالى "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنجينه حياة ه
طيبة" الآية ، واقتحامها بأن يرتحل من عالمه السافل إلى العالم العالى الكامل
الذى ليس فيه إلا اللذة ، وذلك هو الاعتراف بحق العبودية ، و تلك
هى الحرية لأن الحر من خرج من رق الشهوات إلى خدمة المولى ،
فصار [طوع - ٢] أمره فى سره وجهره لاحظ لشهوة فيه ولا وصول
لحظ إليه ، و ذلك يكون بشيئين : أحدهما جذب و الآخر كسب ، فالمجذوب ١٠
محمول ، و الكاسب فى تعب المجاهدات بسيف الهمة العالية موصول .
و لما بين أنه لا خلاص من النكد إلا بهذا الاقتحام ، شرع فى
تفسير العقبة بادئا بتحويل أمرها لعظيم قدرها ، فقال معبرا بالماضى الذى
جرت عادة القرآن بأنه إذا عبر به شرح المستفهم عنه : ﴿ وما أدراك ﴾
أى أيها السامع ^٢ لكلامنا ، الراغب ^٣ فيما عندنا ﴿ ما العقبة ه ﴾ أى إنك ١٥
لم تعرف كنهه صعوبتها وعظمة ثوابها ، فلما تفرغ القلب بالاستفهام عما
لا يعرفه ، وكان الإنسان أشهى ما إليه تعرف ما أشكل عليه ، فتشوفت
النفوس إلى علمها ، قال مشيرا إلى الأولى التى هى العقبة التى ثمرتها السخاء
(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بهذه (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٢) من ظ
و م ، وفى الأصل : الراغب لكلامنا .

و إصلاح قوة الشهوة معبرا بالفك الذى هو أدنى ما يكون من العتق
لأنه 'الإعانة فيه و لو بما قل كما ورد فى حديث البراء رضى الله عنه
'أعتق النسمة وفك الرقبة، و عتقها أن تفرد به، و فكها أن تعين فى
ثمنها، و فسر المراد بهذه العقبة بمادل على معادل لا كما يأتى تعيين تقديره
ه فانها لا تستعمل إلا مكررة^٢ قال: ﴿فك﴾ أى الإنسان ﴿رقبة لا﴾ أى
من الأسر أو^٣ الظلم أو الغرم أو السقم شكرا / لمن أولاه الخير و تنفيسا
للكرية حبا للعالمى و المكارم لا رياء و^٤ سمعة كما فعل هذا الظان الضال
و لا لطمع فى جزاء و لا لخوف من عناء ﴿او اطعم﴾ أى أوقع الإطعام
لشيء^٥ له قابلية ذلك ﴿فى يوم ذى مسغبة لا﴾ أى جوع عام فى مكان
١٠ جوع و زمان جوع - بما أنهم الوصف و الصيغة، فكان لذلك يحمل
على الضنة بالموجود خوفا من مثل ما فيه المطعم يخاف النفس و أثر
عليها اعتمادا على الله ﴿يتيما﴾ أى [إنسانا -^٦] صغيرا لا أب له يرجى
أو يخاف ﴿ذا مقربة لا﴾ لا^٧ يرجى باطعامه إلا التودد لأقاربه للتكثير بهم
مع [أنه -^٨] يجمع بذلك بين صدقة و صلة و إن كان غنيا^٩ ﴿أو مسكينا﴾
(١) من ظ و م، و فى الأصل: لان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مكروهة.
(٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد فى
الأصل: لا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من م، و فى الأصل
و ظ: بشيء (٦) زيد من م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: أى (٨) زيد من
ظ و م (٩) زيد فى الأصل: انتهى قبل تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها.

أى شخصا لا كفاية له (إذا متربة ٥) أى حاجة مقعدة له على التراب ، لا يقدر على سواء ، فالآية من الاحتباك : ذكر القرب أولا يدل على ضده ثانيا ، و ذكر المتربة ثانيا يدل على ضدها ' أولا ، و سر ذلك أنه [ذكر - ١] فى اليتيم القرب المعطف ، و فى المسكين الوصف المرقق الملطاف ، فهو لا يقصد بطعامه إلا سد فاقته ، و دخل فيه اليتيم البعيد و الفقير من باب الأولى و إن كان أجنيا .

و لما كانت ٢ هذه الأفعال خيرا فى ١ نفسها تدل على جودة الطبع و علو الهمة و كرم ٣ العنصر و إباء النفس إشاره إلى شدة حسنها لأنه لا يوفق لها إلا مخلص و إن كان غير مستند إلى ٤ شرع و إلى ما يفيد من سلاسة ٥ الطبع و سهولة الانقياد و إلى عظمة الإيمان بالتعبير بأداة ١٠ التراخى فى قوله مشيرا إلى العقبة الثانية و هى الحكمة المزكية للقوة النطقية : (ثم كان) أى بعد التخلق بهذه الأخلاق الزاكية العالية النفيسة الغالية فى حال كفره أو مبادئ إسلامه للدلالة على صفاء جبلته و جودة عنصره من الراشقين فى الإيمان المعبر عنه بقوله : (من الذين آمنوا) أى عند ما دعاه إليه الهادى و لم تحمله حية الأنف و شমাخة النفس ١٥

-
- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : ضد (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٥) من م ، و فى الأصل : و ظ : كبير (٦) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفها . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : سلامة .

على الإباء عن أن يكون تابعا بعدما^١ كان متبوعا، و سافلا في زعمه أثر
 ما كان رفيعا، بل سدّد النظر وقوم الفـكر فأيقن أنه يعلى نفسه من
 الحضيض إلى ما فوق السهوى، يرفيها^٢ في درج المعالى إلى ما ليس له انتها،
 "ان في ذلك آيات لاولى النهى" فحينئذ يعلم استقامة طبعه وكرم
 ٥ غريزته وعلى همته وحسن نيته وجميل طويته و غزارة عقله و جلالة
 نبهه وفضله واستحقاقه التقدم على الأعلام فى الجاهلية والإسلام،
 ولذلك كان الصديق رضى الله تعالى عنه أعلى الناس درجة بعد النبيين
 عليهم أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام، لأن هذه كانت أفعاله
 رضى الله تعالى عنه قبل الإسلام كما قال ابن الدغنة حين وجده قد خرج
 ١٠ / ٧٦٦ من مكة / المشرفة يريد الهجرة حين آذاه الكفار: إن مثلك يا أبا بكر
 لا يخرج ولا يخرج، لأنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل
 وتعين على نوائب الحق - كما^٣ قالت خديجة رضى الله عنها للنبي صلى الله
 عليه وسلم حين رجع إليها ترجف بوادره^٤ من تجلى جبريل عليه الصلاة
 والسلام له سواء، فلما سرب فى رحيب مسربه، وشرب من صافى مشربه،
 ١٥ توفيقا من الله تعالى لم يتلغم حين^٥ دعاه إلى الدين و [لا - ٦] كانت
 عنده كسوة ولا تردد، ثم ترقى فى درجات الإسلام إلى أعلى مرام
 بحيث قال^٦ يوم الحديبية لعمر رضى الله عنهما حين أظهر الكراهة للصالح ما

(١) من ظ و م، وفى الأصل: ان (٢) من ظ و م، وفى الأصل: يركبها.

(٣) - سقط من ظ (٤) من ظ و م، وفى الأصل: بواره (٥) من م، وفى

الأصل و ظ: حتى (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفى الأصل: قام -

قال 'له النبي' صلى الله عليه وسلم سواء حرفا بحرف من غير أن يكون حاضره أو ينقل إليه كلامه، فإسار حيثنذ حائزا قصب السبق، لا مطمع في مداناته، فكيف بلحاظه ومساواته، ولكماله وعظمته وجلاله لم يشرب قط خمرا، وكان إذا ليم على ذلك في الجاهلية قال [لعشراء]: والله لو وجدت شيئا يزيد في عقلي لاشتريته بجميع مالى فكيف أشتري بمالى ما يزيل عقلى . وتلك الأعمال لا تصح وإن كانت بمدوحة^٢ في كل^١ حال إلا بالإيمان، أما إن كانت بعده فواضح، وأما إن كانت قبله فبانعاطفه عليها كما قال صلى الله عليه وسلم : أسلمت على ما سلف منك من خير^٣ .

ولما كان الإيمان معليا للإنسان عن درك الهوان إلى عظم^{١٠} الشأن، حاملا له على محاسن الأعمال ومكارم الأفعال، وذلك أنه يقود إلى جميع شرائع الدين العظيمة الشأن، وكانت موجبة للجهد الأكبر من حيث مخالفتها^١ للطبع، وكان ذلك غير مقدور عليه إلا بالشجاعة وهي القوة الثالثة التي إذا هدئت أراحت، وكانت لا تكون إلا بعظيم الصبر، وكان الصبر لممارسته لا يدوم إلا بالتعاون قال تعالى : (وتواصوا)^{١٥}

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل : للنبي (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل : بكل (٣) زيد في الأصل : وأنه لم يسجد لهنم قط، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله على ما كان منك من خير انتهى والله تعالى أعلم بالصواب، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م، وفي الأصل : مخالفتها.

أى صبروا وأوصى بعضهم بعضاً (بالصبر) فى اقتحام عقبات الأعمال^١ التى لا يجرها إلا أبطال^٢ الرجال من الأمر بالمعروف إلى ما دونه وإن كان فيه الخوف ، فإن الشجاعة كما قيل صبر ساعة .

ولما كان الإنسان لا بد أن يعرض له من غيره من الخلاف ما يوجب قسوته^٣ عليه ، فكانت الرحمة من ثمرات الاصطبار المثمر للعدالة ، وهى التوسط بين مذمتى الإفراط والتفريط فى الفسق والبله وهى العقبة الرابعة ، قال مؤكداً بإعادة العامل إشارة إلى قلة العاملين بها : (وتواصوا بالرحمة^٤) أى الرحمة العظيمة / بحسب زمانها ومكانها بأن يوطنوا أنفسهم على كل ما يحمل على الرحمة العظيمة التى توجب لهم ١٠ الحب فى الله والبغض فيه لأنهم كانوا قبل الإيمان خالسين عن الرياء والإعجاب متهئين للتزكية فزكاهم الإيمان ، فصاروا فى غاية النورانية والعرفان .

/ ٧٦٧

ولما كان ذلك من معالى الأخلاق ، وموجبات الفواق والوفاق ، كانت نتيجته^٥ لا محالة : (اولئك) أى العظماء الكبراء العالو المنزلة ، ١٥ ولم يأت بضمير الفصل كما يأتى لاضدادهم ليخلص الفعل له سبحانه وتعالى من غير نظر إلى ضمائرهم الدالة على جبلاتهم لأنه هو الذى جبلها ، واغنى عنه بالإشارة الدالة على علو مقامهم وبعد مراتبهم (١) من ظ و م ، وفى الأصل : الانعزال (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الإبطال و (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : تسوية (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : نتيجة .

(اصحاب الميمنة^١) أى الجانب [الذى - ١] فيه اليمن^٢ والبركة والنجاة من [كل - ١] هلكة بقسميهم من السابقين المقربين وأصحاب اليمن الأبرار، كما مضى [شرحه - ٢] فى سورة^٣ الواقعة، وهذا تعريض بذلك الذى ألفت ماله^٤ فى المنافسة، والمشاقة^٥ والمعاكسة .

و لما أرشد السياق لمعادلة " فلا اقتحم العقبة " إلى أن التقدير: هـ
و لا أحجم عن المعطبة التى هى الأفعال^٦ الموجبة للعتبة مع كونها متعبة ، بل قطع من يستحق الوصل ووصل من يستأهل القطع، ثم كان من الذين كفروا وتواصوا بالملائمة و اكتسبوا السيئات و اتبعوا الشهوات وعاملوا بالقسوة، عطف عليه قوله : (و الذين كفروا) أى ستروا ما تظهر لهم مرأتى بصائرهم من العلم . و لما كان الكفر بالآيات من أسوء ١٠ أنواع الكفر لأنه كفر بما جعله الله علما على غيب عهده، و هى جميع ما تدركه الحواس من الأقوال و الأفعال الدالة على ذى الجلال لأنها دالة على الصفات الدالة على الموصوف بها الذى ظهر بأفعاله و بطن بعظيم جلاله، قال : (بأيتنا) [أى - ٢] على ما لها من العظمة بالإضافة إلينا و الظهور الذى [لا - ١] يمكن خفاؤه (م) أى خاصة لسوء ضمائرهم ١٥ ولفساد جبلاتهم (اصحاب المشئمة^٧) أى الخصلة المكسبة للشؤم والحرمان و الهلكة فهو لاء مشائيم^٨ على أنفسهم، وكفرهم دال على فساد جبلاتهم فهو

(١) زيد من ظ و م (٢) فى الأصل بياض ملثام من ظ و م (٣) زيد من م (٤) سقط من ظ و م (٥) فى ظ: أمواه (٦) من ظ و م، وفى الأصل : الناقشة (٧) من م، وفى الأصل و ظ : افعال (٨) من ظ و م، وفى الأصل : متشابههم .

يشير إلى أن^١ من كان كفره أخف لم يكن جبلياً، فيوشك أن يهدى
فيكون من أصحاب الميمنة .

ولما كان معنى هذا أنهم في الجانب الذي فيه الشؤم والهلكة ،
والبعد من كل بركة ، أنتج قوله : ﴿ عليهم ﴾ أى خاصة 'دون غيرهم'
هـ ﴿ نار مؤصدة ﴾ أى مطبقة الباب مع إحاطتها بهم من جميع الجوانب - بما
أفهمته أداة الاستعلاء ومع الضيق والوعورة ، وهذا لعمري أشد
الضيق والكبد^٢ ، والنصب والتكد ، فالملجأ^٣ منه إلى الله الواحد ، الواحد
الصد ، وقد [علم -^٤] أن أولها هو هذا الآخر ، فكان التقاطر / فيها بما
تشدبه الأيدي وتعقد عليه الخناصر - والله تعالى هو^٥ المرجو للهداية
١٠ إلى خير السرائر ، وهو^٦ الهادى للصواب ، وإليه المرجع والمآب^٧ .

/ ٧٦٨

(١) زيد في الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفناها (٢-٢) سقط
ما بين الرقين من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : فالتجا - كذا .
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الله .

سورة و الشمس

مقصودها لإثبات تصرفه سبحانه و تعالى في النفوس التي هي سرج الأبدان ،
تقودها إلى سعادة أو كيد و هوان و نكد^١، كما أن الشمس سراج الفلك ،
يتصرف سبحانه في النفوس بالاختيار لإضلالا و هداية نعيما و شقاوة
كتصرفه سبحانه في الشمس بمثل ذلك من صحة و اعتلال ، و انتظام^٥ ه
و اختلال ، و كذا في جميع الأكوان ، بما له من عظيم الشأن ، و اسمها
الشمس واضح الدلالة على ذلك بتأمل القسم [و المقسم عليه - ٣] بما
أعلم به و أشار إليه ﴿ بسم الله ﴾ [الذي هو - ٢] الملك الأعظم فله^٦
التصرف العام ﴿ الرحمن ﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء فاليه الإنعام
﴿ الرحيم ﴾ الذي خص من شاء بالتوفيق فبني إنعامه عليهم على التمام ١٠٠
لما أثبت في سورة البلد أن الإنسان في كبد^٧، و ختمها بأن من
حاد عن^٨ سبيله [كان - ٢] في أنكد النكد ، و هو النار المؤصدة . أقسم
أول هذه على أن الفاعل لذلك أولا و آخرها هو الله سبحانه [لأنه - ١]
يحول بين المرء و قلبه و بين القلب و لبه ، فقال مقسما بما يدل على تمام عمله

(١) الحادية و التسعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها ١٥ ، و زيد
في الأصل و م : و ضحاها (٢) من م ، و في الأصل و ظ : نظام (٣) زيد من
ظ و م (٤) من ظ و م ، و في الأصل الذي له (ه) من ظ و م ، و في الأصل :
على (٦) زيد من ظ .

وشمول قدرته في الآفاق علويها وسفليها، والأنفس سعيدها وشقيها،
وبدأ بالعالم العلوى، فأفاد ذلك قطعا العلم بأنه الفاعل المختار، وعلى العلم
بوجوب ذاته وكمال صفاته، وذلك أقصى درجات القوى النظرية، تذكيرا
بعضائم آلائه، ليحمل على الاستغراق في شكر نعمائه، الذى هو منتهى
٥ [كالات - ١] القوى العملية، مع أن أول المقسم به مذكر بما ختم
به آخر تلك من النار: ﴿والشمس﴾ أى الجامعة بين ٢ النفع والضرر
بالنور والحر، كما أن العقول كذلك لا أنور منها إذا تارت، ولا أظلم منها
إذا بارت ﴿وضئها﴾ أى [و - ١] ضوئها الناشئ عن جرمها
العظيم الشأن البديع التكوين المذكر بالنيران إذا أشرقت وقام سلطانها
١٠ كاشراق أنوار العقول، والضحي - بالضم والقصر: صدر النهار حين
ارتفاعه، وبالفتح والمد: شدة الحر [بعد امتداد النهار، وشيء ضاح -
إذا ظهر للشمس والحر - ١] .

ولما افتتح بذكر آية النهار، أتبعه ذكر آية الليل فقال: ﴿والقمر﴾
أى المكتسب من نورها كما أن أنوار النفوس من أنوار العقول
١٥ ﴿إذا تلهها﴾ أى تبعها في الاستدارة والنور بما دل على أن نوره
من نورها من القرب المالحق لنوره والبعد المكتسب له في مقدار ما يقابلها
من جرمه، ولا يزال يكثر إلى أن تتم / المفاصلة فيتم النور ليلة الابدار

/ ٧٦٩

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من م ، وفى الأصل و ظ : الضر والنفع (٣) من
ظ و م ، وفى الأصل : ارتفاعها .

عند تقابلها^١ في أفق الشرق والغرب، ومن ثم يأخذ في المقاربة فينقص بقدر ما ينحرف عن المقابلة، ونسبة التبع إليه مجازية أطلقت بالنسبة إلى ما ينظر منه كذلك^٢.

ولما ذكر الآيتين، ذكر ما هما آيتاه، وبدا بهما لأنه لا صلاح له إلا بهما كما أنه لا صلاح للبدن إلا بالنفس والعقل فقال: ﴿والتَّهَارِ﴾ ٥
أى [الذى - ٣] هو محل الانتشار فيما جرت [به - ٢] الأقدار ﴿إِذَا جُلُّهَا لَا﴾
أى جلى الشمس بحيلة عظيمة بعضها أعظم من بعض باعتبار الطول والقصر والصحو والغيم والضباب والصفاء والكدر كما أن الأبدان تارة تزكى القلوب والنفوس والعقول وتارة تدنسها، لأن العقل يكون في غاية الصفاء والدعاء إلى الخير في حال الصغر ثم لا يزال يزيد ١٠
وينقص بحسب زكاء البدن في حسن الجيلة، أو نجاسته بسوء الجيلة، حتى يصير الشخص نورا محضا ملكا ناطقا إذا طابق البدن العقل فتعاونوا على الخير، أو يصير ظلما محضا شيطانا رجيا إذا خالف البدن العقل بسوء الجيلة وشرارة الطبع.

ولما ذكر معدن الضياء، ذكر محل الظلام فقال: ﴿وَالْئِيلِ﴾ أى ١٥
الذى هو ضد النهار فهو محل السكون والانتقاض والسكون

(١) من ظ و م . وفى الأصل: تقابلها (٢) زيد فى الأصل: انتهى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: إذ (٦) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها.

(اذا يغشها^١) أى يغطى الشمس فيذهب ضوءها حين تغيب فتمتد ظلال الارض على وجهها المماس لنا، فيأخذ الافق الشرقى فى الإظلام، ويمتد ذلك الظلام بحسب طول الليل وقصره كما يغطى البدن نور العقل بواسطة طبعه بخبثه ورداءة عنصره، وذلك كله بمقادير معلومة، وموازن قسط محتومة، ليس فيها اختلال، ولا يعتريها^٢ انحلال، حتى يريد ذو الجلال، ولم يعبر بالماضى كما فى النهار لأن الليل لا يذهب الضياء بمرة بل شيئاً فشيئاً، ولا ينفك عن نور بخلاف النهار، فانه إذا أبدى الشمس^٣ ولم يكن غيم ولا كدر جلى الشمس فى آن واحد، فلم يبق معه ظلام بوجه .

١٠ ولما ذكر الآيتين و محل أثرهما . ذكر محل الكل فقال تعالى :
(و السماء) أى التى هى محل ذلك كله و مجلاه كما أن الأبدان محل النفوس، والنفوس مركب العقول، ولما رقى الأفكار من أعظم المحسوسات المماسية إلى ما هو دونه فى الحس و فوقه فى الاحتياج إلى أعمال فكر، رقى إلى الباطن^٤ الأعلى المقصود بالذات وهو المبدع لذلك كله معبراً عنه
١٥ بأداة ما [لا - لا] يعقل، مع الدلالة بنفس الإقسام، على أن له العلم التام، والإحاطة الكبرى^٥ بالحكمة البالغة، تنبيهاً [على] أنهم وصفوه بالإشراك

- (١) من م . وفى الأصل و ظ : انظلام (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يقر بها (٣) زيد فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
(٤) من ظ ، وفى الأصل و م : قوته (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الباطل .
(٦) زيد من م (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : والكبرياء .

وإنكار الحشر بتلك المنزلة السفلى و المساواة بالجمادات التي عبدوها مع
 ماله من صفات الكمال التي ليس لغيره ما يداني شيئاً منها، زجراً لهم
 بالإشارة والإيماء عن ذلك / و مشيراً إلى شدة التعجب^٢ منهم لكونها
 أداة التعجب فقال : ﴿ وما بنها لا ﴾ أي هذا البناء المحكم الذي ركب فيه
 ما ذكره إشارة إلى ما وراءه مما يعجز الوصف .
 ٥

ولما ذكر البناء ذكر المهاد فقال : ﴿ والارض ﴾ [أى - ٢] التي هي
 فراشكم بمنزلة محالّ تصرفاتكم بالعقل في المعاني المقصودة ﴿ وما طحنها لا ﴾
 أى بسطها على وجه هي فيه محيطه بالحيوان كاه و محاط بها في مقر
 الأفلاك ، و هي [مع - ٤] كونها ممسكة بالقدرة كأنها طائفة^٥ في تيار
 بحارها ، و هي موضع البعد و الهلاك و محل الجمع - كل هذا بما يشير إليه ١٠
 التعبير بهذا اللفظ إشارة إلى ما [فى - ٤] سعى الإنسان من أمثال هذا ،
 قال أهل البصائر : و ليس في العالم الآفاق شيء إلا و في العالم النفساني نظيره ،
 و انشدوا في ذلك :

دواؤك فيك وما تشعر ودواؤك منك و تستنكر
 و تحسب أنك جزء صغير و فيك انطوى العالم الأكبر
 ١٥

فالسماوات سبع كطباق الرأس التي تتعلق بالقوى المعنوية والحسية

(١) فى ظ : زاجرا (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : التعجب (٣) زيد من ظ
 و م (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : حائطة (٦) من ظ و م ،
 وفى الأصل : بحار .

كالذاكرة والحافظة والواهمة والمخيلة والمفكرة والحس المشترك
وما هو لمقاسم البصر في العين ، ونظير الشمس الروح^٣ في إشراقه وحسنه ،
ونظير الليل الطبع فان ما به من نور فانما^٤ هو من الروح كما أن
الليل كذلك لا يكون نور إلا من الشمس بواسطة إفادتها للقمر المنير له
و الكواكب ، ونظير النهار - الذي هو نير في أسله^٥ و متكرر بما يخيل^٦ له
من السحب^٧ ونحوه - القلب وسحبه^٨ الشكوك والأوهام النفسية ، ونظير
القمر في ظلمته^٩ بأصله وإنارته بالشمس النفس ، فإذا أكسبها القلب
المستفيد من الروح النور أنار جميع البدن ، وإذا أظلمت أظلم كله ،
والاعضاء الباطنة كالشكوك يقوم بها البدن فينير له الوجود بواسطة
الروح والنفس ، والأمطار كالدمع ، والحر كالخزن^{١٠} ، والبرد كالسرور^{١١} ،
والرعد كالنطق ، والبرق كاللمح ، والرياح كالنفس - إلى غير ذلك [من
البدائع - ^{١٢}] لمن تأمل ، والعالم السفلي سبع طباق أيضا^{١٣} ، قال الملوى :
و " نظيرها طبقة الجلد و " هي ثلاث ، [و - ^{١٤}] طبقة اللحم وطبقة^{١٥} الشحم
(١) في ظ و م : انما (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : نقه (م) في ظ : يحدث .
(٤) من م ، وفي الأصل و ظ : السحاب (٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
مسحه (٦) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٧) زيد في الأصل : والدمع ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفي الأصل :
كالدور - كذا (٩) زيد من ظ و م (١٠) زيدت الواو في الأصل و ظ ،
ولم تكن في م لحذفها (١١ - ١٢) من ظ و م ، وفي الأصل : نظير هذه
الجلل (١٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الجلد .

وطبقة العروق وطبقة العصب، والجبال كالعظام والمعادن^١ منها المياه
وفيها^٢ العذب كالريق^٣ والملح كالدمع والمر كما في الأذن والمنتن منه
كما في الأنف، ومنه ما هو جار كالبول، ومنه ما هو كالعيون وهو
الدم، والسيل كالعرق^٤، والمعادن المنطبعة كالحديد والرصاص هي وسخ
الأرض وهي كالغذرة وما يخرج من الجلد من خبث، [و-^٥] النبات
كالشعور تارة تحلق [كالخصاد-^٥] وتارة تقلع كالنتف، والحيوانات
التي فيها كالقمل، وطيورها^٦ كالبراغيث، وعامر البدن^٧ ما أقبل منه،
وخراجه ما أدبر.

و لما أتم^٨ الإشارة / إلى النفوس لأهل البصائر، صرح بالعبارة
لمن دونهم فقال تعالى: (ونفس) أى أى نفس جمع فيها سبحانه العالم
بأسره . ولما كانت النفوس أعجب ما فى الكون وأجمع، عبر فيها
بالتسوية خفا على^٩ تدبر أمرها للاستدلال على "مبدعها للسمى فى إصلاح"
شأنها فقال تعالى: (وما سوّاهم^{١٠}) أى عدلها على هذا القانون الأحكم فى
أعضائها وما فيها من الجواهر والأعراض والمعاني وعجائب المزاج
من الأخلاط المتنافرة التى لآم بينها بالتسوية والتعديل فجعلها متمازجة، ١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل: العاد (٢) من ظ و م، وفى الأصل: منها
الماء (٣) من ظ و م، وفى الأصل: الريق (٤) فى ظ: العروق (٥) زيد من ظ
وم (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الطيور (٧) من ظ، وفى الأصل و م: البلدة
(٨) من ظ و م، وفى الأصل: تمت (٩) زيد فى الأصل: ما، ولم تكن الزيادة
فى ظ و م لحذفها (١٠-١١) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل فقط.

وقد أرشد السياق والسباق واللاحق إلى أن جواب القسم مقدر تقديره :
لقد طبع سبحانه وتعالى نفوسكم على طبائع متباينة هيأها بها لما يريد من القلوب
من تزكية وتدسية بما جعل لكم من القدرة^١ والاختيار، وأبلغ في
التقدم إليكم في تزكية نفوسكم وتطهير قلوبكم لاعتقاد الحشر بما هو
ه أوضح من الشمس لا شبهة فيه^٢ ولا لبس لتنجوا من عذاب الدنيا
والآخرة بالاتصاف بالتقوى، والانخلاص من الفجور والطغوى .

وقال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم في سورة البلد تعريفه
تعالى بما خلق فيه^٣ الإنسان من الكبد مع ما جعل له سبحانه من آلات
النظر، وبسط له من الدلائل والعبء، وأظهر في صورة من ملك قياده،
١٠ وميز رشده وعناده^٤ " وهديناه النجدين " " إنا هديناه السبيل " وذلك
بما جعل له من القدرة الكسبية التي حقيقتها اهتمام أو لم ؟ وأنى بالاستبداد
والاستقلال، ثم^٥ " وإله خلقكم وما تعملون " أقسم سبحانه وتعالى في
هذه السورة على فلاح من اختار رشده واستعمل جهده وأنفق وجده
" قد افلح من زكاها " وخيبة من غاب هداه فاتبع هواه " وقد خاب
١٥ من دساها " فبين حال الفريقين وسلوك الطريقين - انتهى .

ولما كان أعجب أمورها الفجور لما غلب سبحانه عليها من الخطوط
و الشهوات ، وهي تعلم بما لها من زاجر العقل بصحيح النقل أن^٦ الفجور

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : القوة (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فيها .
(٣) زيد في الأصل و ظ : أي ، ولم تكن التريفة في ظ و م لحذفها (٤) من
ظ و م ، وفي الأصل : عناد (٥) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٦) من
ظ و م ، وفي الأصل : إذا .

أقبح القبيح ، و ' التقوى لما أقام ' عليها من [ملك - ٢] العقل الملكي و غريزة العلم النوراني أحسن الحسن ، و تذوق أن الفجور أشهى شهى ، و أن التقوى أمر شئ ' و أصعب ' ، و أثقله و أتعبه ، قال معلما أن هذا لا يقدر عليه سواه لأنه أعجب من جميع ما مضى لأن البهيمة لا تقدم على ما يضرها و هي تبصر و لو قطعت ، و الآدمي يقدم على ما يضره ه و هو يعلم و يقاتل من منعه منه ، فقال مسييا عما حذف ' من جواب القسم : ﴿ فإلهمها ﴾ أى النفس إلهام الفطرة السابقة الأولى ' قبل الست بربكم ' ، ﴿ فنجورها ﴾ أى انبعاثها ' فى الميل [مع - ٨] دواعى الشهوات و ' عدم الخوف الحامل على خرق سياج / الشريعة بسبب ذلك الطبع الذى عدل فيه ذاتها و صفاتها فى قسر المتعارفات على التمازج غاية ١٠ التعديل ﴿ و تقوئها ﴾ أى خوفها الذى أوجب سكونها و تحرزها بوقايات الشريعة ، فالآية من الاحتباك : ذكر الفجور أولا دال ' على السكون الذى هو ضده ثانيا ، و ذكر التقوى ثانيا دال ' على ضده ، و هو عدم الخوف أولا ، و إلهامها للآمرين هو جعله لها عارفة بالخير و الشر مستعدة و منهيمة لكل منهما ؛ ثم زاد ذلك بالبيان التام بحيث لم يبق لبس ، فزالت ١٥

(١) زيد فى الأصل : اما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : غاب (٣) زيد من م (٤-٤) - سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : حدث (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : انبعاثاتها (٨) زيد من ظ و م (٩) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة .

الشبه عقلا بالفريزة والإلهام ونقل بالرسالة والإعلام ، و دل بالإضافة على أن ذلك كله منسوب إليها و مكتوب عليها وإن كان بخلقه و تقديره لأنه أودعها قوة و جعل لها اختيارا صالحا لكل من النجدين ، و أوضح أمر النجدين في الكتب و على السنة الرسل عليهم الصلاة و السلام ٥ بعد ما وهبه لها من الفطرة القويمة و أحق عنها سر القضاء و القدر و علم العاقبة ، فأقام بذلك عليها الحجة و أوضح المحجة .

و لما كان من المعلوم أن من سمع هذا الكلام يعلم أن التقوى لا يكون إلا مأمورا بها ، و الفجور لا يكون إلا منها عنه ، فيتوقع ما يقال فيها ' مما يتأثر عنهما ' ، قال تعالى : ﴿ قد افلح ﴾ أى ظفر بجميع المراتد ١٠ ﴿ من زكّٰها ﴾ أى نماها و أصلحها و صفاها تصفية عظيمة بما يسره الله له من العلوم النافعة و الأعمال الصالحة و طهرها على ما يسره لمجانبتها ٢ من مذام الاخلاق لأن كلا ميسر لما خلق له ، و الدين بنى على التحلية و التخلية و ذكرى ، صالح للنعين ﴿ و قد خاب ﴾ أى حرم مراده مما أعد لغيره فى الدار الآخرة و خسر و كان سعيه باطلا ﴿ من دسها ﴾ أى أغواها ١٥ إغواء عظيما و أفسدها و دنس بحياها و قدرها و حقرها و أهلكها بخباثت الاعتماد و مساوئ الأعمال ، و قبائح النيات و الاحوال ، و أخفاها بالجهالة و الفسوق ، و الجلافة و العقوق ، و أصل "دسى" ، دسس ، فالتركية أن يحرص

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عنها .
 (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لمجانبتها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كل .
 (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فالتركية .

الإنسان على شمس أنه لا تكسف، وقره أن لا يخسف، و نهاره أن لا يتكدر، و ليله ألا يطفى، و التدسيس أقله إهمال الأمر حتى تكسف شمس، و يخسف قره، و يتكدر نهاره، و يدوم ليله، و طرق ذلك اعتبار نظائر المذكورات من الروحانيات^٢ و إعطاء كل ذى حق حقه، فظير الشمس هي النبوة لأنها كلها ضياء باهر و صفاء قاهر، و سخاها الرسالة ه و قرها الولاية، و النهار هو العرفان، و الليل عدم طمأنينة النفس بذكر الله و ما جاء من عنده، و إعراضها عن الانقياد لقبول ما جاء من النبوة^٣ أو الولاية^٢، و العلماء العاملون هم / أولياء الله، قال الإمامان أبو حنيفة و الشافعي رضي الله عنهما: إن لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي - رواه عنهما الحافظ^٤ أبو بكر الخطيب^٥، و هو مذكور في التبيان وغيره من مصنفات النووي، و نظير السقاء العزة و الترفع عن الشهوات و عن خطوات الشاطين^٦ من الإنس و الجن، و الأرض نظيرها التواضع لحق الله^٧ و لرسوله و للؤمنين فيكون بإخراجه المنافع^٨ لهم كالأرض المخرجة لنباتها، و التدسية خلاف ذلك، من عمل بالسوء فقد هضم نفسه و حقرها

(١) من ظ و م، و في الأصل: انتهاره (٢) من م، و في الأصل و ظ: الروحيات (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: الأولياء (٤) من ظ و م، و في الأصل: الإمام (٥) زيد في الأصل: الحافظ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦-٦) من م ظ و في الأصل: الحظوظ طين (٧) زيد في الأصل: وغيره، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م، و في الأصل: المانع.

فأخفاها^١ كما أن اللثام ينزلون بطون الأدبية^٢ ومقاطعها بحيث تخفى
أماكنهم على^٣ الطارقين، و الأجواد ينزلون الروابي^٤، و يوقدون النيران
للطارقين، و يشهرون أماكنهم للضيفين منازل الأشراف في الأطراف
كما قيل :-

- ٥ قوم على المحتاج^٥ سهل وصلهم و مقامهم وعر على الفرسان
و لما كان السياق للترهيب بما دلت عليه سورة البلد و تقديم الفجور
هنا، و كان الترهيب أحث على الزكاء، قال دالا على خيبة المدسى ليعتبر
به من سمع خبره لاسيما إن كان يعرف أثره: (كذبت ثمود) أنث
فعلهم لضعف أثر تكذيبهم لأن كل سامع له يعرف ظلهم فيه لوضوح
١٠ آيتهم و قبح^٦ غايتهم، و ما لهم بسفول الهمم و قباحة الشيم، و خصهم^٧
لأن آيتهم مع أنها كانت أوضح الآيات في نفسها هي أدلها على الساعة،
و قريش و سائر العرب عارفون بهم لما يرون من آثارهم، و يتناقلون
من أخبارهم (بطغوها^٨) أى أوقعت التكذيب لرسولها بكل ما أتى
به عن الله تعالى بسبب ما كان لنفوسهم من وصف الطغيان، و هو
١٥ مجاوزة القدر و ارتفاعه و الغلو في الكفر و الإسراف في المعاصي
و الظلم، أو بما توعدها به من العذاب العاجل و هى الطاغية التى أهلكتها
(١) من ظ و م، و فى الأصل: و أخفاها (٢) من ظ و م، و فى الأصل:
الأرض (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٤) فى م: الربى (٥) من ظ
و م، و فى الأصل: المختار (٦) فى ظ: قبح (٧) من ظ و م، و فى الأصل:
خضتهم لاسيما إن كان يعرف.

بها ، و طغى - واوى يأتى يقال : طغى كدعا يطغو طغوى و طغوانا - بضمها
 كطغى يطغى ، و طغى كرضى طغيا و طغيانا - بالكسر و الضم ، فالطغوى^١
 - بالفتح اسم ، و بالضم مصدر ، فقلبت الياء - على تقدير كونه يائيا - واوا للفرقة
 بين الاسم و الصفة ، و اختير التعبير به دون البائى لقوة الواو ، فأفهم
 أنهم بلغوا النهاية فى تكذيبهم ، فكانوا على الغاية^٢ من سوء تعذيبهم^٣ .
 و لما ذكر تكذيبهم ، دل [عليه -^٤] بقوله : ((اذ)) أى تحقق تكذيبهم
 أو طغيانهم بالفعل حين ((انبعث اشقها)) أى أشد ثمود شقاء و هو عاقر
 الناقة للمشاركة فى الكفر و الزيادة بمباشرة^٥ العقر ، و هو قدار بن سالف ،
 أو هو [و -^٦] من ماله^٦ على عقرها ، فان أفعل التفضيل إذا أضيف
 / صالح للواحد و الجمع ((فقال لهم)) أى بسبب الانبعاث أو التكذيب ١٠ / ٧٧٤
 الذى دل على قصدهم لها بالأذى ، و أظهر^٧ و لم يضمر و عين الإظهار بالجلالة
 [إشارة -^٨] إلى عظيم آيتهم و بديع بدايتهم و نهايتهم فقال : ((رسول الله))
 أى الملك الذى له الأمر كله ، فتعظيمه من تعظيم مرسله و هو صالح
 عليه الصلاة و السلام وكذا الناقة ، و عبر بالرسول لأن وظيفته الإبلاغ
 و التحذير الذى ذكرهنا ، ولذا قال مشيرا بحذف العامل إلى ضيق الحال ١٥
 عن ذكره لعظيم الهول و سرعة التعذيب عند مسها بالأذى ، و زاد فى التعظيم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فالطغى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العناية .

(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تكذيبهم (٤) زيد من م (هـ) من ظ و م ،

و فى الأصل : بمشاهدة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : و لاه (٧) من ظ و م ،

و فى الأصل : و عين الجهر (٨) زيد من ظ و م .

بإعادة الجلالة : ﴿ ناقة الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الجبروت كله
 فلا يقر من انتهك حرمة^١ واجترأ على ما أضافه إليه ، ولهذا أعاد الإظهار
 دون الإضمار ، والعامل : دعوا أو احذروا - أو نحو ذلك أى احذروا أذاها
 بكل اعتبار ﴿ وسقيها^٢ ﴾ أى الماء الذى جعله الله تعالى لها لسقيها وهو
 ٥ بئرها ، فلا تذودوها عن بئرها فى [اليوم -^٣] الذى تكون فيه نوبتها فى
 الشرب ولا تمسوها بسوء ، وكأنه صلى الله عليه وسلم فهم عنهم بعد
 مدة أنهم يريدون عقرها فكرر عليهم التحذير ﴿ فكذبوه ﴾ أى
 أوقعوا تكذيبه بسبب طغيانهم وعقب أمره هذا الأخير فيما حذر
 من حلول العذاب ، أو تكون الفاء هى الفصيحة أى قال لهم ذلك
 ١٠ فكانت [بعده -^٤] بينه وبينهم فى أمرها أمور ، فأوقعوا تكذيبه فيها كلها
 ﴿ ففقروها^٥ ﴾ أى بسبب ذلك التكذيب بعضهم بالفعل وبعضهم بالرضا
 به ﴿ فدمدم ﴾ أى عذب عذابا تاما مجللا مغظيا مطبقا مستأصلا شديدا
 به رؤسهم وأسرع فى الإجهاز وطحنهم طحنا^٦ مع الغضب الشديد ، قال
 الرازى : والدمدمة : تحريك البناء حتى ينقلب ، ودل بأداة الاستعلاء على
 ١٥ شدته وإحاطته فقال : ﴿ عليهم ﴾ ودل على شدة العذاب لشدة الغضب
 بلفت القول بذكر صفة الإحسان التى كفروها لأنه لا أشد غضبا من

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : حرمة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفى
 الأصل وظ : بما (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : التكذيب (٥) سقط من م .
 (٦) فى ظ : متاصلا (٧) زيد فى الأصل : شديدا ، ولم تكن الزيادة فى ظ
 وم فحذفناها .

كفر إحسانه فقال: ﴿ ربهم ﴾ أى الذى أحسن إليهم ففرهم^١ إحسانه
فقطعه عنهم فعادوا كأمس الدابر ﴿ بذنبهم ﴾ أى بسببه .

و لما استووا فى الظلم و الكفر بسبب عقر الناقة بعضهم بالفعل
و بعضهم بالرضا و الحث ، قال مسيبا عن ذلك [و معقبا -^٢] : ﴿ فوئها^٣ ﴾

أى الدمة عليهم فجعلها كأنها أرض بولغ فى تعديلها فلم يكن فيها شيء .

[خارج عن شيء -^٤] سوى الشمس المقسم بها و سوى بين الناس

فيها ، [و كذا -^٥] ما أقسم به بعدها ، فكانت الدمة على قويمهم كما كانت

على ضيفهم^٦ / ، فلم تدع منهم أحدا و لم يتقدم هلاك أحد منهم^٧ على

أحد^٨ ، بل كانوا كلهم^٩ كنفس واحدة من قوة الصعقة و شدة الرجفة كما

أنهم استووا فى الكفر و الرضا بعقر الناقة و كل [نفس -^{١٠}] هى عند

صاحبها كالناقة قد أوصى الله صاحبها أن يرعى نعمته سبحانه فيها فيزكيها

و لا يديسها ، فان الناقة عبارة عن مطية يقطع^{١١} عليها السير حسا أو معنى ،

و ذلك صالح لأن يراد به النفس التى تقطع بها عقبات الأعمال ، و السقيا

ما يعيش المسقى به ، و هو صالح لأن يراد به الذكر و العبادة ، فمن [لم -^{١٢}]

يرع النعمة^{١٣} و يشكر المنعم فقد عقرها ، فاستحق الدمة منه ، و كما^{١٤} أنه

سوى بينهم فى الدمة سوى بين المهتدين^{١٥} فى النجاة ﴿ ولا ﴾ أى و الحال

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فعرفهم (٢) زيد من ظ و م (٣) فى م : ضيفهم .

(٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عن صاحبه (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ

و م ، وفى الأصل : يقع (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : النعم (٨) سقط من م

(٩) فى م : المهتدى .

أنه لا (يخاف)^١ في وقت من الأوقات أى ربهم ، روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما و يؤيده^٢ قراءة أهل المدينة و الشام بالقاء المسبية عن الدمدة [و التسوية -^٣] وكذلك^٤ هى فى مصاحفهم (عسفها)^٥ أى عاقبة هذه الدمدة و تبعثها فانه الملك الأعلى الذى^٦ كل شيء فى قبضته لا كما يخاف كل معاقب^٧ من الملوك فيبقى [بعض -^٨] الإبقاء .
 هـ . فعمل أنه سبحانه و تعالى يعلى أوليائه لأنهم على الحق ، و يسفل أعداءه^٩ لأنهم على الباطل ، فلا يضل بعد ذلك إلا هالك ، بصيرته^{١٠} أشد ظلما من الليل الحالك ، و قد رجع آخرها على أولها بالقسم و جوابه المحذوف الذى هو طبع النفوس على طبائع مختلفة و انتقدم إليهم بالإنذار ١٠ . من الهلاك ، و نفس القسم أيضا فان من له هذه الأفعال الهائلة التى^{١١} سوى بين خلقه [فيها -^{١٢}] و هذا التدبير المحكم هو بحيث لا يعجزه أمر و لا يخشى عاقبة - و الله الموفق للصواب^{١٣} .

(١) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من م ، وفى الأصل وظ ؛ يؤيد (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ذلك . (٥) من م ، وفى الأصل وظ ؛ فان (٦) زيد فى الأصل : له كل شيء . ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : معقب (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : أعداءهم (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : اعمى البصيرة قلبه (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : الذى (١١) زيد من م - (١٢) سقط من م .

سورة الليل

مقصودها الدلالة على مقصود الشمس، و هو التصرف التام في النفوس
بأثبات كمال القدرة بالاختيار باختلاف^٢ الناس في السعي مع^٣ اتحاد
مقاصدهم، وهى^٤ الوصول إلى الملاذ من شهوة البطن و الفرج و ما
يتبع ذلك من الراحة^٥، و اسمها الليل أوضح ما فيها^٦ على ذلك بتأمل هـ
القسم و الجواب، و الوقوع من ذلك على الصواب، و أيضا ليل نفسه دال
على ذلك لأنه على غير مراد النفس^٧ بما فيه من الظلام و النوم الذى
هو أخو الموت، و ذلك [مانع -^٨] عن أكثر المرادات، و مقتضى لاكثر
المضادات ﴿بسم الله﴾ الذى له العظمة الظاهرة^٩ و الحكمة الباهرة
﴿الرحمن﴾ الذى شملت نعمته إيماده و يانه^{١٠} المتواترة ﴿الرحيم﴾ الذى ١٠
خص من أرادته^{١١} / من عباده بما يرضيه، فجعله حامده و شاكره .

٧٧٦/

لما بين في الشمس حال من زكى نفسه و حال من دساها، و أوضح

-
- (١) الثانية و اتسعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آياتها ٢١ .
(٢) من ظ و م، و فى الأصل: بخلاف (م) من ظ و م، و فى الأصل: بعد.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: هو (ه) زيد فى الأصل: واقفه أعلم، و لم تكن
الزيادة فى ظ و م لحدوثها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٧) فى ظ:
النفوس (٨) زيد من م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: القاهرة (١٠) من ظ
و م، و فى الأصل: نعيمه (١١) فى ظ و م: اراد .

في آخرها من مخالفة نمود لرسولهم^١ ما أهلكهم، فلم أن الناس مختلفون
 في السعي في تحصيل نجد الخير و نجد الشر، فمنهم من تغلب عليه ظلمة
 اللبس، ومنهم من يغلب عليه نهار الهدى، فتباينوا في مقاصدهم، و في
 مصادرهم ومواردهم، بعد أن أثبت [أنه -^٢] هو الذي تصرف في النفوس
 بالفجور والتقوى، أقسم أول هذه بما يدل على عجائب صنعه في ضره
 ونفذه على ذلك، تنبيها على تمام قدرته في أنه الفاعل بالاختيار، يحول
 بين المرء و قلبه حتى يحمله على^٣ التوصل إلى مراده، بضد ما يوصل
 إليه بل بما يوصل إلى مضاده، [و -^٤] على أنه لا يكاد يصدق الاتحاد
 في القصد و الاختلاف في^٥ السعي و التوصل^٦، و شرح جزاء كل^٧ تحذيرا
 ١٠ من نجد الشر و ترغيبا في نجد الخير، و بين ما به التزكية و ما به التدمية
 فقال: ﴿وَاللَّيْلِ﴾ أي الذي هو آية الظلام الذي هو سبب الخبط
 و الخلط^٨ لما يحدث عنه من الإشكال و اللبس في الاحوال و الالهال
 الموصل إلى ظلمة العدم، و هو محل الأسرار بما يصل الأخيار و يقطع
 الأشرار: ﴿إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي يغطي ما كان من الوجود^٩ مبصرا بضياء
 ١٥ النهار على التدريج قليلا قليلا، و ما يدل عليه من جليل مبدعه، و عظيم

(١) في م: لرسولهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: إلى.
 (٤-٤) في ظ و م: التوصل والسعي (٥) زيد في الأصل: به، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الخبط (٧) زيد
 في الأصل و ظ: ما كان، ولم تكن الزيادة في م لحذفها.

ماحقه و مطلقه ﴿ و النهار ﴾ [أى - ١] الذى هو سبب^٢ انكشاف
 الامور^٣ كالموت الذى يزيل عن الروح علائق البدن فينجلى لها ما كانت
 فيه من القبائح، و الجهر الذى يشرح النفس بازالة اللبس ﴿ اذا تجلّى لا ﴾
 أى ظهر ظهورا عظيما بضياء^٤ الشمس، و أظهر ما كان خفيا فلم يدع
 لبصر شيئا من لبس، فمن كان يريد السر قصد الليل، و من أراد الجهر^٥
 قعد النهار سواء كان من الارار أو من الفجار .

ولما ذكر المتخالطين معنى، أتبعهما المتخالطين^٦ حسا، فقال مصرحا
 فيها بما هو مراد فى الأول، و خص هذا بالتصريح تنبيها على انه
 - [لكونه - ١] عاقلا - عاقد يغلط فى نفسه فيدعى الإلهية أو الاتحاد،
 أو غير ذلك من وجوه الإلحاد ﴿ و ما خلق ﴾ و حكم التعبير بما^٧ ١٠
 الأغلب فيه غير العقلاء ما تقدم فى سورة^٨ الشمس من تنبيههم على أنهم
 [لما - ١] أشركوا به سبحانه و تعالى ما [لا - ١] يعقل نزوله^٩ تلك المنزلة
 و قد أحاط^{١٠} بكل شيء، و هو الذى خلق العلماء، و هم لا يحيطون به علما
 [مع - ١] ما يفيد [ما - ١] من التعجب^{١١} منهم فى ذلك لكونها صيغة التعجب^{١٢}

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م، وفى الأصل : الانكشاف
 للأمور (٣) من ظ و م، وفى الأصل : اظهر (٤) من ظ و م، وفى
 الأصل : الخير (٥) من م، وفى الأصل وظ : المتخالطين (٦) زيد فى الأصل : هو،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م، وفى الأصل : السورة.
 (٨) من ظ و م، وفى الأصل : نزوله (٩) من ظ، وفى الأصل و م : احاطوا.
 (١٠) فى م : التعجب .

(الذكر) اى حيا بآلة الرجل ومعنى بالهمة والقوة (والانثى لا) حسا بآلة المرأة ومعنى بسفول الهمة وضعف القوة وما دلا عليه من عظيم الاصطناع، و باهر الاختراع والابتداع، فانه دل فرقة بينهما / وهما من غير؟ واحدة وهى التراب على تمام قدرته المستلزم لشمول علمه و فعله بالاختيار، فالآية [من الاحباك - ٢]: ذكر أولا الصنعة دلالة على حذفها ثانيا، وثانيا الصانع دلالة على حذفه أولا.

ولما ذكر ما هو محسوس التخالف من المعانى والأجرام، أتبعه ما هو معقول التباين من الأعراض فقال: (ان سعيكم) أى عملكم أيها المكلفون فى التوصل إلى مقصد واحد. ولذلك أكدته لأنه لا يكاد يصدق اختلاف وجوه السعى مع اتحاد^٢ المراد، وعبر بالسعى ليزل كل فى^٣ عمله غاية جهده (لشئ^٤) أى مختلف^٥ اختلافا شديدا باختلاف ما تقدم، وهو جمع شئت كقتلى وقيل، فيكون الإنسان رجلا وهو أى الهمة، ويكون أنثى وهو ذكر الفعل، فتنايفتم فى الاعتقادات، وتعاذتم فى المقالات، وتباينتم غاية التباين بأفعال طيبات وخيئات، فساع فى فكاك نفسه، وساع فى لإثامها، فلم قطعا أنه لابد من محق ومبطل ومرض^٦ ومغضب لأنه لا جائز أن يكون المتباين متحدين^٧

(١) من ظ و م، وفى الأصل: القدرة (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل؛ وجود، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من م، وفى الأصل و ظ: من (ه) من ظ و م، وفى الأصل: مختلفا (٦) من ظ و م، وفى الأصل: راض (٧) من ظ و م، وفى الأصل: متحيدان.

في الوصف بالإرضاء أو الإغضاب ، فبطل ما أراد المشتركون من قولهم
 ”لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء“ - [الآية ١ -] وما ضاهاها .
 وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما بين قبل حالهم في الافتراق ،
 أقسم سبحانه على ذلك الشأن في الخلائق بحسب تقديره أزالا ”ليلوهم
 أيهم احسن عملا“ فقال تعالى ”ان سعيكم لشتى“ فاتصل بقوله تعالى ٥
 ”قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها“ ثم إن قوله تعالى ”فاما من
 أعطى واتقى - إلى - العسرى“ يلائمه تفسيره وتذكيرا بما الامر عليه من
 كون الخير والشر بارادته وإلهامه وبحسب السوابق قوله ”فألهما فجورها
 وتقواها“ فهو سبحانه الملهم للاعطاء والاتقاء والتصدق ، والمقدر للبخل
 والاستغناء والتكذيب ”والله خلقكم وما تعملون“ ”لا يستل عما يفعل“ ١٥
 ثم زاد ذلك إيضا بقوله تعالى ”ان علينا للهدى وان لنا للآخرة
 والاولى“ فتبا للقدرية والمعتزلة ”وكاين من آية في السموات
 والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون“ - [انتهى - ٢] .

ولما طابق بين القسم والمقسم عليه ، ونه بالقسم والتأكيد مع
 ظهور المقسم عليه على ٥ أنهم في أمنهم مع التحذير كن ٦ يدعى أنه ١٥
 لافرق وأن مآل الكل واحد كما يقوله أصحاب الوحدة - عليهم الخزي
 واللعنة ، شرع في بيان تشتت المساعي وبيان الجزاء لها ، فقال مسيبا

(١) زيد من م (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : هذا (٣) تكرور في الأصل
 فقط (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : مع (٦) من ظ وم ،
 وفي الأصل : ممن .

عن اختلافهم ما هو مركز في الطباع من أنه لا يجوز تسوية المحسن بالمسيء. ناسرا لمن زكى نفسه أو دساها نشرًا مستويا لإبذانا بأن المطيع في هذه الأمة - والله الحمد - كثير بشارة لنيها^٢ صلى الله عليه وسلم : ﴿فأما من أعطى﴾ أى رقع منه إعطاء على ما حددنا له^٣ وأمرناه به ﴿واتقى﴾ أى وقعت منه التقوى وهو اتخاذ الوقايات من الطاعات واجتناب المعاصي / خوفا من سطواتنا ﴿وصدق﴾ أى أوقع التصديق للخبر ﴿بالحسنى﴾ أى وهى كلمة العدل التى هى أحسن الكلام من التوحيد وما يتفرع عنه من الوعود الصادقة بالآخرة والإخلاف^٤ فى النفقة فى الدنيا وإظهار الدين وإن قل أهله على الدين كله، وغير ذلك من كل ما وعد به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى، وعدل الكلام إلى مظهر العظمة إشارة إلى صعوبة الطاعة على النفس وإن كانت فى غاية اليسر فى نفسها لأنها فى غاية الثقل على النفس فقال : ﴿فستيمره﴾ أى نهيه^٥ بما لنا من العظمة بوعد لاخلف فيه ﴿للسرى﴾ أى الخصلة التى هى فى غاية اليسر والراحة من الرحمة ١٥ المقتضية للعمل بما يرضيه سبحانه وتعالى ليصل إلى ما يرضى به^٦ من

/ ٧٧٨

- (١) من ظ وم ، وفى الأصل : والمسى (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : لبيتنا .
(٣-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : حددناه (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : الاخلاق (٥) زيد فى الأصل و ظ : بما ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها .
(٦) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها (٧-٧) من ظ وم ، وفى الأصل : يرضيه .

الحياة الطيبة^١ ودخول الجنة .

ولما ذكر المزمكى وثمرته، أتبعه المدسّى وشقوته فقال: ﴿ واما من بخل ﴾
 أى أوجد هذه الحقيقة الخبيثة فتنع ما أمر به وندب إليه ﴿ واستغنى^١ لا ﴾
 أى طلب الغنى عن الناس وعمّا وعد به من الثواب وأوجده بما زعمت
 له^٢ نفسه الخائبة، وظنونه الكاذبة . فلم يحسن إلى الناس ولا عمل^٥
 للعقبى: ﴿ وكذب ﴾ أى أوقع التكذيب أن يستحق التصديق ﴿ بالحسنى^١ لا ﴾
 أى فأنكرها، ولما^٢ كان جامدا مع المحسوسات كالبهائم قال^٢: ﴿ فسنيسره ﴾
 أى نهيه بما لا من العظمة بوعده لا خلف فيه ﴿ للعسرى^١ لا ﴾ أى للخصلة
 التى هى أعسر الأشياء وأنكدها، وهى العمل بما يغضبه سبحانه الموجب
 لدخول النار وما أدى إليه، وأشار بنون العظمة فى كل من نجد الخير^{١٠}
 ونجد الشر إلى أن ارتكاب الإنسان لكل منهما فى غاية البعد، أما نجد
 الخير فلما حفه من المكاره، وأما نجد الشر فلما فى العقل والقطرة
 الأولى من الزواجر عنه، وذلك كله أمر قد فرغ منه فى الأزل
 بتعيين أهل السعادة وأهل الشقاوة^{١٠} [وكل -^١] - كما قال صلى الله
 عليه وسلم - ميسر لما خلق له . .

١٥

ولما كان أهل الدنيا إذا وقعوا فى ورطة تخلصوا منها بأموالهم

(١) زيد فى الأصل: الأبدية، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من
 ظ و م، وفى الأصل: به (٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م،
 وفى الأصل و ظ: اذ .

قال: ﴿وما يغني﴾ أي في تلك الحالة ﴿عنه﴾ أي هذا الذي بخل وكذب ﴿مالة﴾ أي الذي بخل به رجاء نفعه، ويجوز أن يكون استفهاما إنكاريا فيكون نافيا للاغناء على أبلغ وجه ﴿إذا تردى﴾ أي هلك بالسقوط في حفرة القبر و النار، تفعل من الردى وهو الهلاك والسقوط في بئر.

ولما كان ربما قال المتعنت الجاهل بما له سبحانه وتعالى من العظمة التي لا اعتراض لأحد عليها: ما له^٢ لا ييسر الكل للحسنى، استأنف جوابه مبينا ما ألزم به نفسه من المصالح تفضلا منه بما له من اللطف والكرم وما / يفعله بما هو له من غير نظر إلى ذلك بما له من الجبروت والكبر، فقال مؤكدا تنبيها على أنه يجب العلم بأنه لا حق لأحد عليه أصلا: ﴿ان علينا﴾ أي على ما لنا من العظمة ﴿للهدى﴾ أي البيان للطريق للحق وإقامة الأدلة الواضحة على ذلك.

ولما بين ما ألزمه نفسه المقدس فصار كأنه عليه لنحتم وقوعه فكان ربما أوهم أنه يلزمه^٥ شيء، أتبعه ما ينفيه ويفيد أن له غاية التصرف [١٥ - فلا يعسر عليه شيء أراده فقال: ﴿وان لنا﴾ أي بإيها المنكرون خاصا بنا، و قدم ما العناية به أشد لأجل إنكارهم لا للفاصلة، فانه يفيدها مثلا أن يقال: للعاجلة والأخرى، فقال: ﴿الأخرة والاولى﴾

(١) زيد في الأصل: اذا، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٢) من ظ و م، وفي الأصل: ما (٣) من ظ و م، وفي الأصل: المصلح (٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: بيان الطريق للحق (٥) من م، وفي الأصل وظ: الزمه. (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م.

فن ترك ما بينا له من طريق الهداية لم يخرج عن كونه لنا ولم يضر
إلا نفسه ولنا التصرف [التام، بما نقيم من الأسباب المقربة للشيء
جدا، ثم بما نقيم من الموانع الموجبة لبعده غاية البعد، فنعطى من
نشأ ما نشأ 'ونمنع من نشأ ما نشأ'، و من طلب منهما شيئا من غيرنا
فال رأيه وخاب سعيه، وليس التقديم لأجل الفاصلة، فقد ثبت بطلان ه
هذا وأنه لا يحل اعتقاده في غير موضع، منها آخر سورة براءة، وأنه
لا فرق بين أن يعتقد^٢ أن فيه شيئا موزونا بقصد الوزن فقط ليكون
شعرا، وأن يعتقد أن فيه [شيئا - ٢] قدم أو آخر لأجل الفاصلة
فقط ليكون سجعا، على أنه لو كان [هذا - ٢] لأجل الفاصلة فقط
لكان يمكن أن يقال: للاولى - أو للأولة - و' الأخرى مثلا . ١٠

ولما أخبر سبحانه وتعالى أنه ' ألزم نفسه المقدس البيان، وأن له
كل شيء، المستلزم لإحاطة العلم وشمول القدرة، شرح ذلك بما سبب
عنه من قوله لافتنا القول إلى تجريد الضمير من مظهر العظمة للترفع^٦
بالمخاطبين في تبعيد الوهم و تقريب المهم فقال : ﴿ فأنذرتكم ﴾ أى
حذرتكم أيها المخالفون للطريق الذى بينته ﴿ نارا تلظى ﴾ أى تنقد ١٥
وتتلهب تلهبا هو فى غاية الشدة من غير كلفة فيه على موقدا أصلا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمن من م (٢) زيد فى الأصل : فيه، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفى
الأصل : او (٥) من م، وفى الأصل و ظ : ان (٦) من ظ و م، وفى
الأصل : بالرفق .

و لا أحد من خزنتها - بما اشار إليه إسقاط التاء، وفي الإدغام أيضا
إشارة إلى أن أدنى نار الآخرة كذلك، فيصير إنذار ما يتلظى^١ وما فوق
ذلك من باب الأولى .

ولما كان قد تقدم غير مرة تخصيص كل من المحسن والمسيء
٥ بداره بطريق الحصر إنكارا لأن يسوى محسن بمسيء في شيء، وكان
الحصر بـ "لا" و "إلا" أصرح أنواعه قال: ﴿ لا يصلها ﴾ أى
يقاسى^٢ حرها و^٣ شدتها على طريق اللزوم والانغماس ﴿ الا الاشقى لا ﴾ أى
الذى هو فى الذروة من الشقاوة وهو الكافر، فان الفاسق وإن دخلها
لا يكون^٤ ذلك له^٥ على طريق اللزوم، ولذلك وصفه بقوله تعالى:
١٠ ﴿ الذى كذب ﴾ أى أفسد قوته العملية^٦ بأن أوقع التكذيب بما حقه
التصديق ﴿ وتولى^٧ ﴾ أى أفسد قوته العملية بأن أعرض عن الحق
تكبرا وعنادا فلم يؤت^٨ ماله لزكاة نفسه ﴿ وسيجنبها ﴾ أى النار
الموصوفة بوعد لاخلف فيه عن قرب - بما أفهمته السين من التأكيد
/ مع التنفيس، وتجنبيه له فى غاية السهولة - بما أفهمه البناء للفعول ﴿ الاتقى^٩ ﴾
١٥ أى الذى أسس قوته العملية^{١٠} أمكن تأسيس، فكان فى الذروة^{١١} من رتبة
التقوى وهو الذى اتقى الشرك والمعاصى، وهو يفهم أن من لم يكن^{١٢}

/ ٧٨٠

(١) زيد فى ظ: منه (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٣-٣) من م،
وفى الأصل و ظ: له ذلك (٤) من ظ و م، وفى الأصل: العملية (٥) زيد
فى الأصل و ظ: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦-٦) سقط
ما بين الرقين من ظ .

[في الذروة-^١] لا يكون كذلك ، فان الفاسق يدخلها ثم يخرج منها ، ولا ينافي الحصر السابق .

ولما ذكر ما يتعلق بالقوة العلية ، أتبعه ما ينظر^٢ إلى القوة^٣ العملية فقال : (الذي يؤتى ماله) أى يصرفه فى مصارف الخير ، ولذلك بينه بقوله تعالى : (يزكى^٤) أى يتطهر من الأوضار^٥ والأدناس^٥ بتطهيره^٥ نفسه و تنميتها بذلك الإيتاء بالبعد عن مساوئ الأخلاق ولزوم محاسنها لأنه ما كذب و [ما -^١] تولى ، والآية من الاحتباك : ذكر التكذيب أولا دليلا على حذف ضده ثانيا ، وإيتاء المال ثانيا دليلا على حذف ضده أولا^٥ .

ولما كان الإنسان قد يعطى ليزكى نفسه بدفع مائه ومكافأة نعمته^٦ ١٠ قال : (وما) أى و الحال أنه ما (لاحد عنده) وأغرق فى التنى فقال : (من نعمة تجزى^٧) أى [هى -^٧] بما يحق جزاؤه لأجلها . ولما تبنى أن يكون بذلك قصد مكافأة ، قال مينا قصده باستثناء منقطع : (الا) أى لكن قصد بذلك (ابتغاء) أى طلب و قصد ، ولقت القول إلى صفة الإحسان إشارة إلى^٨ وصفه بالشكر فقال : (وجه ربه) ١٥

(١) زيد من م (٢-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٣) من م ، وفى الأصل وظ : الأصار (٤) فى ظ و م : بتطهره (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى م لحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل و ظ : ان ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها .

الذى اوجده و ربه و احسن إليه^١ بحيث أنه لم ير^٢ إحسانا إلا منه
و لا عنده شيء إلا وهو من فضله (الاعلى ٤) أى مطلقا فهو أعلى من
كل شيء، فلا يمكن أن يعطى أحد من نفسه شيئا يقع مكافأة له،
و عبر عن المنقطع بأداة المتصل للإشارة إلى أن الابتغاء المذكور كأنه
نعمه من آتاه المال لأن الابتغاء - وهو تطلب رضا الله - كان السبب في

ذلك الإيتاء بغاية الترغيب، و قد آل الأمر بهذه العبارة الرشيقة والإشارة
[الأنيقة -^٤] مع ما أومأت إليه من الترغيب، و أعطته من التحبيب إلى
أن المعنى : [إنه -^٥] لا نعمى عليه^٦ لأحد في ذلك إلا لله، و عبر بالوجه
إشارة إلى أن قصده أعلى القصود فلا نظر له إلا إلى ذاته سبحانه و تعالى
١٠ التى عبر عنها بالوجه لأنه^٧ أشرف الذات، و بالنظر إليه تحصل الحياة
و الرغبة و الرهبة، لا إلى طلب شيء من دنيا و لا آخرة . و لما كان
هذا مقاما ليس فوقه مقام، قال تعالى بعد وعده من الإنجاء من النار :
(و اسوف يرضى ع) أى باعطاء الجنة العليا و المزيد بوعده لاخلف فيه
بعد المذلة في الحياة الطيبة - بما أشارت إليه أداة التنفيس و لا بدع^٨ أن

(١) زيد في الأصل : بانه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) من ظ
و م ، و في الأصل : لا يرى (م) زيد في الأصل : سبب ، مع قدر من البياض ،
و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) زيد من م .
(٦-٦) من م ، و في الأصل : لا يعنى عليه ، و في ظ : لا نعمة عليه (٧) من
ظ و م ، و في الأصل : لأنها (٨) من ظ و م ، و في الأصل : لا بد .

يكون هذا الوعد على هذا الوجه الأعلى لأن الآية نزلت في أبي بكر
الصدق رضي الله عنه / حين اشترى بلالا رضي الله عنه في جماعة من
الضعفاء المسلمين يؤذيهم المشركون فأعتقهم ، فبين تعالى أنه مطبوع على
تزكية نفسه فهو المفلح كما ذكر في سورة الشمس ، وأنه مخلص لإعطائه
الضعفاء من الأيتام والمساكين وإعتاقه الضعفاء في كل حال كما ذكر ه
في سورة البلد ، نقل^١ البغوي^٢ رضي الله تعالى عنه عن الزبير [يعنى -^٣]
ابن بكار أنه [قال -^٤] : كان أبو بكر رضي الله عنه يبتاع الضعفاء فيعتقهم
فقال [له -^٥] أبوه : أي بني^٦ ! لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك ، قال : منع
ظهري أريد . و قال : إنه أعتق بلالا و أم عيسى و زهرة^٧ فأصيب^٨
بصرها حين أعتقها ، فقالت^٩ قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، ١٠
فقال^{١١} : كذبوا و بيت الله ، ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان^{١٢} ، فرد الله
عليها بصرها ، و أعتق التهذية و ابنتها و جارية بني المؤمل . و قال : إنه
اشترى بلالا من أمية بن خلف استنقاذا له عما كان فيه من العذاب

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : روى (٢) راجع المعالم ٢١٣/٧ (٣) زيد من ظ
و م (٤) من م ، وفي الأصل وظ : فني يضر (ه) من المعالم ، وفي الأصل
وظ : زهير ، وليس واضحا في م (٦) من ظ و المعالم ، وفي الأصل و م :
فكف (٧) من ظ و م و المعالم ، وفي الأصل : فقال (٨) زيد في الأصل :
ردا عليهم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٩) من ظ و م و المعالم ،
وفي الأصل : لا ينفعنا - كذا .

حين كان يشد يديه ورجليه وقت الهجرة ويلقيه عربانا على الرضاه
 و يضربه، وكلما ضربه صاح و نادى: أحد أحد، فزيده ضربا فاشتراه^١
 بعد كان لأبي بكر رضى الله عنه^٢، كان ذلك العبد صاحب عشرة آلاف
 دينار و غلمان و جوار و مواش و كان مشركا، فلما اشتراه به و أعنته قال
 المشركون: ما فعل هذا ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده، يعنى فأزل الله
 ذلك تكذيبا لهم، و من أبدع الأشياء تعقيبها بالضحى الى هى فى النبى
 صلى الله عليه و سلم و فيها^٣ "ولسوف يعطيك ربك فترضى" إشارة إلى
 إنه أقرب أمته إلى مقامه صلى الله عليه و سلم ما عدا عيسى صلى الله عليه
 و سلم لأنه الاتقى بعد النبيين مطلقا، و إلى [أن -^٤] خلافته حق لا مرية
 ١٠ فيه لأنه بما وعد النبي صلى الله عليه و سلم أنه يرضيه و أنه لا يرضيه^٥
 غيره كما أنه أرضاه خلافته له فى الصلاة و لم يرضه غيره حين نهى
 عن^٦ ذلك بل زجر لما سمع قراءة^٧ غيره و قال: يابى الله و المؤمنون
 إلا أبا بكر رضى الله عنه. و قد رجع آخرها على أولها بأن سعى هذا
 الصديق رضى الله عنه مبين آتم مباينة سعى ذلك الأشقى، و قال بعضهم:

(١-١) سقط ما بين الرقعين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: أبو بكر
 رضى الله عنه بعد كان له (٣) من ظ و م والمعلم، وفى الأصل: له (٤) زيد فى
 الأصل: لكن، ولم تكن الزيادة فى ظ و م والمعلم فحذفناها (٥) زيد فى الأصل:
 أيضا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد من ظ و م (٧) من
 ظ و م، وفى الأصل: لا يرضى (٨) من م، فى الأصل و ظ: عنه (٩) من ظ
 و م، وفى الأصل: قراءته.

إن المراد بذلك^١ الأشقى أبوجهل، وأيضاً فإن [هذا -^٢] الختم دال على أن من صفى نفسه و زكاها بالتجلى بالنور^٣ المعنوى من إنارة ظلام الليل بما يحليه به من ضياء القيام و غير ذلك من أنواع الخير يرضى بالنور^٤ الحسى بعد الموت - والله الموفق للصواب؛.

(١) زيد في الأصل : الى قوله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م غـذفناها .
 (٢) زيد من ظ و م (٣) زبدت ابوا في الأصل ولم تكن في ظ و م
 غذفناها (٤) سقط من ظ و م .

سورة الضحى

مقصودها الدلالة على آخر الليل بأن أتقى الاتقياء الذى هو الاتقى على الإطلاق فى عين / الرضا دائما، لا ينفك عنه فى الدنيا والآخرة، لما تحلى به من صفات الكمال التى هى الإيصال للمقصود بما لها^٢ من النور المعنوى كالضحى بما له من النور الحسى الذى هو أشرف ما فى النهار، وقد علم بهذا أن اسمها أدل ما فيها على مقصودها ﴿ بسم الله ﴾ المعز لمن أراد، الكريم البر الودود ذى الجلال والإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمته^٣ الإيجاد الخاص والعام ﴿ الرحيم ﴾ الذى أعلى أهل وده فخصهم بآتمام الإنعام .

/ ٧٨٢

لما حكم فى آخر الليل باسعاد الاتقياء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أتقى الخلق مطلقا، وكان قد قطع عنه الوحى حينما ابتلاه لمن شاء من عبادته، وكان به صلى الله عليه وسلم صلاح الدين والدنيا والآخرة، وكان الملوان سبب [صلاح^٤] معاش الخلق وكثير من معادهم، أقدم سبحانه وتعالى بهما^٥ على أنه أسعد الخلاق دنيا

(١) الثالثة والتسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ١١ (٢) من م، وفى الأصل وظ : له (٣) من ظ، وفى الأصل وم : بنعمة (٤) زيد من م (٥) من ظ وم، وفى الأصل : كثر (٦ - ٦) من ظ وم، وفى الأصل : بهم سبحانه وتعالى .

و أخرى ، فقال مقدا ما يناسب^١ حال الاتق الذى قصد به أبو بكر
رضى الله عنه قصدًا أوليا من النور الذى يملأ^٢ الاقطار ، ويمحو كل
ظلام يرد عليه ويصل إليه ، ففيها بما ذكر من وقت الضياء الناصع حالة
أول النهار و آخر الليل التى هى ظلمة ملتف بساقها ساق النهار عند
الإسفار : ﴿ والضحي لا ﴾ فذكر ما هو أشرف النهار و الطفه و هو زهرته ، و
وأضوأه و هو صدره ، و ذلك وقت ارتفاع الشمس لأن المقسم لأجله
أشرف الخلائق ، و ذلك يدل على أنه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد
من الخلق^٣ .

ولما ذكر النهار بأشرف ما فيه مناسبة لأجل المقسم لأجله ، أتبعه
الليل مقيدا له بما يفهم إخلاصه^٤ لأنه ليس لأشرف ما فيه اسم يخصه^٥
فقال : ﴿ واليل ﴾ أى الذى به تمام الصلاح . ولما كان أوله و آخر
النهار و آخره و أول النهار [ضوا -^٦] ممتزجا بظلمة لالتفاف ساق
الليل بساق النهار ، قيد بالظلام الخالص فقال : ﴿ اذا سبى لا ﴾ أى سكن
أهله أو ركذ ظلامه و إلباسه و سواده و اعتدل فخلص فغطى بظلامه
كل شيء ، و المتسجى : المتغطى ، ومع تغطيته سكنت ربحه ، فكان فى غاية^٧
الحسن ، ويمكن أن يكون [الأول -^٨] مشيرا إلى ما يأتى به هذا الرسول
صلى الله عليه وسلم من المحكم ، و الثانى مشيرا إلى المتشابه ، وهذه الأربعة
(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ينافى (٢) زيد فى الأصل : واقع أعلم ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفنا (٣) فى ظ : أخلصه (٤) زيد من م .
(٥) زيد من ظ و م .

الأحوال^١ للنور و الظلمة - وهى ضوء ممتزج بظلمة^٢، [وظلمة -^٣] ممتزجة بضوء، وضياء خالص، وظلام خالص - الحاصلة^٤ فى الآفاق فى الإنسان مثلها، فروحه نور خالص، وطبعه ظلام حالك، و قلبه نور ممتزج بظلمة النفس، و النفس ظلمة ممتزجة بنور القلب، فان قويت شهوة النفس على نورانية القلب اظلم جميعه، و إن قويت نورانية القلب على ظلمة النفس صار نورانيا، و إن غلبت / الروح على الطبع تروخن فارفع^٥ عن رتبة الملائكة، و إن غلب الطبع على الروح أنزله عن رتبة البهائم كما قال تعالى «ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا» .

/ ٧٨٣

و لما أقسم بهذا [القسم -^٦] المناسب لحاله صلى الله عليه وسلم،
 ١٠ أجابه بقوله تعالى : ﴿ ما ودعك ﴾ أى تركك تركا يحصل به فرقة كفرقة المودع و لو على احسن الوجوه الذى هو مراد المودع^٧ ﴿ ربك ﴾ أى الذى أحسن إليك بايجادك أولا ، و جعلك أكمل الخلق ثانيا، و ربك أحسن تربية ثالثا، كما أنه لا يمكن توديع الليل للنهار بل^٨ الضحى للنهار الذى هو أشد ضيائه، و لا يمكن توديع الضحى للنهار و لا الليل وقت مجهوله^٩ .
 ١٥ و لما كان ربما تغنت متغنت فقال : ما تركه و لكنه لا يجبه^{١٠}، فكم

(١) من ظ و م . وفى الأصل : احوال (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الحاصل (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : وانتفع وارتفع (٥) زيد فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ولا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : اى (٨) من م ، وفى الأصل وظ : النهار ليل (٩) فى م : ليل (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : كما قيل .

من مواصل وليس بواصل، قال نافيا لكل رك: (وما قلني) أي
وما أبغضك بغضا، وحذف الضمير اختصارا^١ لفظيا ليعم، فهو من
تقليل اللفظ لتكثير المعنى، وذلك لأنه^٢ كان انقطع عنه الوحي مدة لأنهم
سألوه عن الروح وقصة أهل السكف وذى القرنين فقال: أخبركم
بذلك غدا، ولم يستثن، فقالوا: [قد -^٣] ودعه ربه وقلاه، فنزلت هـ
لذلك، ولما نزلت كبر صلى الله عليه وسلم فكان التكبير فيها وفيما بعدها
سنة كما يأتي إيضاحه وحكمته^٤ آخرها، وقد أفهمت هذه العبارة
أن المراتب التقريبية^٥ أربع: تقرب بالطاعات ومحبة وهي للمؤمنين،
وإبعاد بالمعاصي وبغض وهي للكفار، وتقريب بالطاعات مخلوط بتباعد
للمعاصي وهي لعصاة المؤمنين، وإعراض مخلوط بتقريب بصور طاعات ١٠
لا قبول لها وهي لعباد الكفار.

وقال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما قال تعالى "فألهما فجورها
وتقواها" ثم أتبعه بقوله "في الليل" "فسنيسره"، وبقوله "إن علينا للهدى
وإن لنا للآخرة [والأولى]"^٦، فلزم الخوف واشتد الفزع وتعين
على الموحد الإذعان للتسليم والتضرع في^٧ التخلص والتجاؤه إلى السميع ١٥
العليم، أنس تعالى أحب عباده إليه وأعظمهم منزلة لديه، وذكر [له -^٨]

- (١) من م، وفي الأصل: اختيارا، والكلمة ساقطة من ظ (٢ - ٣) في ظ
وم: ذلك (٣) زيد من ظ وم (٤) من م، وفي الأصل وظ: حكمة.
(٥) من ظ وم، وفي الأصل: الترتيب (٦ - ٧) سقط ما بين الرقین من م.
(٧) من ظ وم، وفي الأصل «و».

ما منحه من تقريبه و اجتنائه و جمع خير^١ الدارين له فقال تعالى "و الضحى
 و الليل اذا جى ما ودعك ربك و ما قلى و الآخرة خير لك من
 الاولى" ثم عدد تعالى [عليه - ٢] نعمه بعد وعده الكريم له بقوله
 ["و لسوف يعطيك ربك فترضى " و أعقب ذلك بقوله - ٢] " فاما اليتيم فلا
 تقهر و أما السائل فلا تنهر " فقد أويتك قبل تعرضك و أعطيتك^٢ قبل
 سؤالك ، فلا تقابله بقهر من تعرض و انتهار من سأل ، ' و قد حاشاه
 سبحانه عما نهاه [عنه - ٢] و لكنه تذكير بالنعم و ليستوضح الطريق
 من وفق [من - ٢] أمة محمد صلى الله عليه وسلم / ، ' أما هو صلى الله عليه
 وسلم فحسبك من تعرف رحمته و رفقته " و كان^٣ بالمؤمنين رحيمًا^٤ " " عزيز
 ١٠ عليه ما عنتم^٥ حريص عليكم بالمؤمنين رؤف^٦ رحيم " ثم تأمل استفتاح هذه
 السورة و مناسبة ذلك المقصود و لذلك السورة قبلها برفع القسم فى الأولى
 بقوله " و الليل اذا يغشى " تنبيها على إيهام الامر فى السلوك على المكلفين
 و غيبة حكم العواقب ، و ليناسب هذا حال المتذكر بالآيات و ما يلحقه
 من الخوف بما أمره غائب عنه من تيسيره و مصيره و استعصامه به
 ١٥ يحصل اليقين و استصغار درجات المتقين ، ثم لما لم يكن هذا غائبا بالجملة

/ ٧٨٤

(١) فى ظ : خ-يرى (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل :
 اعطيك (٤-٤) من م ، وفى الأصل و ظ : فقد (٥-٥) تكرو ما بين الرقيين
 فى الأصل فقط (٦) زيد فى الأصل : قال تعالى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 فخذناها (٧-٧) فى ظ و م : الى .

عن أحاد المكلفين أغنى ما يثمر العلم اليقين و يعلى من اهل للترقى ' في درجات المتقين ، بل قد يطلع^٢ سبحانه خواص عباده - بملازمته^٣ التقوى و الاعتبار - على واضحة السبيل و يرهم مشاهدة و عيانا ما قد انتهجوا قبل سيده بمشقة النظر في الدليل ، قال صلى الله عليه وسلم لحارثة : وجدت فالزم ، و قال مثله للصديق ، و قال تعالى " لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة " " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تحافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا و في الآخرة " فلم يبق في حق هؤلاء ذلك الإبهام ، و لا كدر خواطرهم بتكاثف ذلك الإظلام ، بما منحهم سبحانه و تعالى من نعمة الإحسان بما وعدهم في قوله " يجعل لكم فرقانا " و " يجعل لكم نورا تمشون به " " أو من كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها " فعمل هؤلاء على بصيرة ، و استولوا اجتهدا بتوفيق ربهم على أعمال جليلة خطيرة ، فقطعوا عن الدنيا الآمال ، و تاهبوا لآخرتهم بأرضح الأعمال " تتجافى جنوبهم عن المضاجع " " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين " فلا ابتداء الأمر و شدة الإبهام و الإظلام أشار^٤ قوله سبحانه و تعالى " و الليل اذا

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الترقى (٢) زيد في الأصل و ظ : عليه ، و لم تكن الزيادة في م لحذفها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : بملازمة . (٤) زيد في الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) من م ، و في الأصل و ظ : الظلام (٦) زيد في الأصل : إليه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

يغشى“ و لما' يوؤل إليه الحال فى حق من كتب فى قلبه الإيمان و أیده
 بروح منه أشار قوله سبحانه و تعالى ” و النهار إذا تجلى “ و لا تخصار
 السبل و إن تشعبت فى طريق ” فنكم كافر و منكم مؤمن “ ” فريق فى الجنة
 و فريق فى السعير “ أشار قوله سبحانه و تعالى ” و ما خلق الذكر و الانثى “
 ٥ ” و من كل شىء خلقنا زوجين “ ” ففروا إلى الله “ الواحد مطلقا، فقد وضح
 لك إن شاء الله بعض ما يسر من تخصيص هذا القسم - و الله أعلم ، اما
 سورة الضحى^١ فلا إشكال فى مناسبة فى استفتاح القسم بالضحى^٢ لما
 يسره به سبحانه لاسيما إذا / اعتبر ما ذكر من سبب زول السورة ،
 و أنه صلى الله عليه و سلم كان قد فتر عنه^٣ الوحي حتى قال بعض
 ١٠ الكفار: قلى محمدا ربه ، فنزلت السورة مشعرة عن هذه النعمة
 و البشارة - انتهى .

/ ٧٨٥

و لما ذكر حاله فى الدنيا بأنه لا يزال يواصله بالوحي و الكرامة ،
 و منه ما هو مفتوح على أمته من بعده ، روى عن أنس رضى الله عنه أنه
 قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : أريت ما هو مفتوح
 ١٥ على أمتى من بعدى * كفرا كفرا^٦ فسرني ذلك . فلما كان ذلك و كان
 ذكره على وجه شمل الدارين صرح بالآخرة التى هى أعلى و أجل ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) فى م : و الضحى (م) من ظ و م ،
 و فى الأصل : فى الضحى (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (ه) من ظ
 و م ، و فى الأصل : بعد (٦) أى قرية قرية - كما الناية .

ولادنى

ولأذن من يدخلها^١ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
 قلب بشر، فكيف بما له صلى الله عليه وسلم، فقال مؤكداً لذلك كما
 أكد الأول بالقسم بما لهم فيه من الإنكار: ﴿والآخرة﴾ أى التى هى
 المقصود من الوجود بالدات لأنها باقية خالصة عن شوائب الكدر
 أو الحالة المتأخرة لك ليفهم منه أنه لا يزال في رَق من على^٢ إلى أعلى^٥
 منه^٢ و كامل إلى أكمل منه^٢ دائماً أبداً لا إلى نهاية ﴿خير﴾ وقيد بقوله:
 ﴿لك﴾ لأنه ليس كل أحد كذلك ﴿من الأولى﴾ أى الدنيا الفانية
 التى لا سرور فيها خالص كما أن النهار الذى هو بعد الليل خير منه
 وأشرف ولا سيما الضحى منه، وقد أفهم ذلك أن الناس على أربعة
 أقسام: منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء، [ومنهم ١٠
 من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء -^٥]، ومنهم من له صورة [خير
 في الدنيا و شر في الآخرة وهم الكفرة الأغنياء، ومنهم من له صورة
 شر -^٥] في الدنيا و خير في الآخرة وهم المؤمنون الفقراء، فقد قال:
 الناس في الدنيا على أربع والنفس في فكرتهم حارّه
 فواحد دنياه مقبوضة إن له من بعدها آخره ١٥
 وواحد دنياه مبسوطة ليس له من بعدها آخره
 وواحد قد حاز حظها سعيد في الدنيا وفي الآخرة

(١) من ظ و م، وفي الأصل: يدخل (٢) من ظ و م، وفي الأصل: أعلى.

(٣) سقط من م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: أقسم (٥) زيد من ظ و م.

(٦) العبارة من هنا إلى آخر الأبيات سائطة من ظ و م.

و واحد يسقط من بينهم فذلك لا دنيا ولا آخره

ولما ذكر سبحانه الدنيا والآخرة، ذكر ما يشملهما^٢ مما زاده^٣ من فضله، فقال مصدرا بحرف الابتداء تأكيداً للكلام لأنهم ينكرونه^٤ وليست للقسم لأنها إذا دخلت على المضارع لزمته النون المؤكدة، وضم هـ هذه اللام إلى كلمة التنفيس للدلالة على [أن -] العطاء وإن تأخر وقته لحكمة كائن^٥ لا محالة : (ولسوف يعطيك) أى بوعده لا حلف فيه وإن تأخر وقته بما أفهمته الأداة (ربك) أى الذى لم يزل يحسن إليك^٦ بوعده الدنيا ووعده الآخرة^٧ (فترضى^٨) أى فيتعقب على ذلك ويتسبب عنه رضاك^٩. وهذا شامل لما منحه بعد كمال النفس ١٠ من كمال العلم وظهور الأمر وإعلاء الدين وفتح البلاد ودينونة العباد ونقص ممالك الجبابرة، وإنهاب كنوز الأكامرة / [و -] القياصرة، وإحلال الغنائم حتى كان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر، وشامل لما ادخره له سبحانه وتعالى فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود، والشفاعة العظمى^{١٠} إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود^{١١}، وقد أفهمت ١٥ العبارة أن الناس أربعة أقسام : معطى راض، ومنوع غير راض، ومعطى

/ ٧٨٦

(١) من م، وفى الأصل : يشبهها، وفى ظ : يشمله (٢) من ظ و م، وفى الأصل : زاد (٣) من ظ و م، وفى الأصل : ينكرون (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل : هذا اللازم (٥) زيد من ظ و م (٦) سقط من م (٧) من ظ و م، وفى الأصل : كاتبة (٨-٨) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٩) من ظ و م، وفى الأصل : برضاك (١٠) من ظ و م، وفى الأصل : المحصر.

غير

(٢٧)

١٠٨

غير راض، و ممنوع راص، و عن على رضى الله عنه أنها أرجى آية
 فى القرآن لأنه صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحدا من أمته فى النار .
 و لما وعده بأنه لا يزال فى كل لحظة يرقبه فى مراقى العلا و الشرف،
 ذكره بما رقا به قبل ذلك من حين توفى أبوه و هو حمل و ماتت أمه
 و هو ابن ثمان سنين، قتم يتمه من الأبوين قبل بلوغه ثلثا يكون عليه ه
 - كما قال جعفر الصادق - حق لمخلوق، فقال مقرر له : (الم يحذك) أى
 يصادفك أى يفعل بك فعل من صادف آخر حال كونه (يتيما فاؤلى)
 و لما كان يلزم من اليتيم فى الغالب عدم العلم لليتيم لتهاون الكافل، و من
 عدم العلم الضلال، قال مينا أن يتمه و إهماله من الحمل على دينهم
 كان نعمة عظيمة عليه لأنه لم يكن على دين قومه فى حين من الأحيان ١٠
 أصلا : (و وجدك) أى صادفك (ضالا) أى لا تعلم الشرائع " ما
 كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان " فأطلق اللازم و هو الضلال
 على المزوم، و المسبب على السبب، و هو عدم العلم، فكنت لأجل ذلك
 [لا تقدم - '] على فعل من الأفعال لأنك لا تعلم الحكم فيه إلا ما علمت
 بالعقل الصحيح و الفطرة السليمة المستقيمة من التوحيد و بعض توابه، ١٥
 و هذا هو التقوى كما تقدم فى الفاتحة، و لم يرد به حقيقته و إنما أعراه
 من التعلق بشئ من الشرائع و نحوها باعدام من يحمله على ذلك ليفرغه

(١) زيد فى ظ : به (٢-٢) فى ظ : على (٣) من ظ و م، وفى الأصل : فكيف.
 (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل : عليك بالفعل .

ذلك للتأمل بنفسه فيوصله بعقله السديد إلى الاعتقاد الحق في الأصول
و [الوقوف في -١] الفروع ﴿فهدى﴾ أى فهداك هدى محيطا بكل
علم ، فعلمك بالوحى والإلهام والتوفيق للنظر^٢ ما لم تكن تعلم .

و لما كان العيال يمنعون من التفرغ لعلم أو غيره قال : ﴿ووجدك﴾
هـ أى حال كونك ﴿عائلا﴾ أى ذا عيال لا تقدر على التوسعة عليهم أو فقيرا ،
قال ابن القطاع^٣ : عال الرجل^٤ : افتقر ، و أعال : كثر عياله . ﴿فاغنى^٥﴾
بما جعل لك من ربح التجارة ثم من كسب الغنائم وقد أفهم ذلك أن الناس
أربعة أقسام : منهم من وجد الدين و الدنيا ، و منهم من عدمهما ، و منهم
من وجد الدين لا الدنيا ، و منهم من وجد الدنيا لا الدين . و لما ذكره
١٠ بما أنعم عليه به من هذه [النعم - ١] الثلاث أوصاه^٥ بما يفعل في
ثلاث مقابلة لها ، فقال مسيبا عنه مقدما معمول ما بعد الفاء عليها اهتماما :
﴿فاما اليتيم﴾ أى هذا النوع ﴿فلا تقهره﴾ أى تغلبه على شيء / فانما
أذقك اليتيم تأديبا^٦ بأحسن الآداب لتعرف ضعف اليتيم و ذله ، و فوق
ذلك كفالاته و هى خلافة عن الله لأن اليتيم لا كافل له إلا الله ، و لهذا
١٥ قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا و كافل اليتيم كهاتين^٧ - و أشار بالسبابة^٧
و الوسطى .

/ ٧٨٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و النظر (٣) فى كتاب
الأفعال ٣٨٩/٢ (٤) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و كتاب
الأفعال لمخزناتها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اوصاف (٦) من ظ و م ،
و فى الأصل : تاديبا (٧-٧) فى ظ و م : السبابة .

ولما

و لما بدأ بما كان بداية له ، ثنى بما هو نهاية له من حيث كونه
يصير رأس الخلق فيصير محط الرجال في كل سؤال من علم و مال ، فقال
مقدما له اهتماما به إشارة إلى أن جبر الخواطر و استتلاف الخلق من أعظم
المقاصد في تمام الدين : ﴿ و اما السائل ﴾ أى الذى أحوجته العيلة
أو غيرها إلى السؤال ﴿ فلا تنهره ﴾ أى تزجر زجرا مهينا ، فقد علمت ه
مضاضة العيلة ، بل أعطه ' و لو قليلا ، أورده ردا جميلا ، وكذا السائل
[فى العلم - ٢] .

و لما ذكر له تفصيل ما يفعل فى اليتيم و الفقير و الجاهل ، أمره بما
يفعل ' فى العلم الذى آتاه إياه إعلاما بأنه الآلة التى يستعملها فى الامرين الماضيين
و غيرهما لأنها أشرف أحوال ' الإنسان و هى أرفق الامور لأن يكون
مقطع السورة لتوافق مطلعها فقال : ﴿ و اما بنعمة ربك ﴾ أى الذى ١٠
أحسن إليك باصلاح جميع ما يهمك من العلم و غيره و بالهجرة و مبادئها
عند تمام عدد آياتها [من - ١] السين و هى إحدى عشرة ﴿ فحدث ع ﴾
أى فاذكر النبوة و بلغ الرسالة فاذكر جميع نعمه عليك فانها نعم على
الخلق كافة ، و منها إنقاذك ' بالهجرة من أيدى الكفرة و إعزازك
بالانصار ، و تحديتك بها شكرها ، فانك مرشد يحتاج الناس إلى الاقتداء بك ، ١٥
و يجب عليهم أن يعرفوا [لك - ١] ذلك و يتعرفوا مقدارك ليؤدوا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مضادة (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : اعطهم .
(٣) زيد من م (٤-٤) - سقط ما بين الرتين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : حال (٦) زيد من ظ و م (٧) من م ، و فى الأصل : اتقاوك ،
و فى ظ : اتقاؤى (٨) فى ظ : اعزازى .

حقك ، فحدثهم أنى ما رددتكم ولا قليتك ، ومن قال ذلك فقد خاب
 وافتقر ، و اشرح لهم تفاصيل ذلك بما وهبتك من العلم الذى هو
 أضوأ من [ضياء - ٢] الضحى وقد رجع آخرها على اولها بالتحديث
 بهذا القسم والمقسم لأجله ، وما للملك الأعلى فى ذلك من عظيم فضله :
 هـ و لقد امتثل صلى الله عليه وسلم و ابتداء هذا التحديث الذى يشرح
 الصدور ، و يلاءم الأكواف من السرور ، و النعمة و الحبور . لأنه بأ كبر النعم
 المزيلة ، لكل النقم بالتكبير كما ورد فى قراءة ابن كثير و فى رواية
 السوسى عن أبى عمرو ، و اختلاف القراء فى ابتدائه و انتهائه و لفظه ،
 فقال بعضهم : هو من أول الضحى ، و قال آخرون : من آخرها ، و قال
 ١٠ غيرهم من أول الشرح ، فن قال للأول لم يكبر آخر الناس ، و من قال
 للآخر انتهى تكبيره بالتكبير فى آخرها ، و سبه أن جبريل عليه
 الصلاة و السلام لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعد فترة الوحى ، فتلا
 السورة عليه كبر مسرورا لما كان أحزنه من الفترة و من قول المشركين :
 قلاه ربه ، و تحديثا بالنعم التى / حباه الله بها فى هذه السورة له و لأمته

/ ٧٨٨

(١) من م ، و فى الأصل وظ : تفصيل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
 و فى الأصل : فى (٤ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لا قسم (٥) زيد فى
 الأصل : اول ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيدت الواو فى
 الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : آخر .
 (٨) زيد فى الأصل : فقد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م ،
 و فى الأصل : و تلى .

امثالاً لما أمر به^١ و اختلف عنهم في لفظه ، فنههم من اقتصر على
 « الله أكبر ، و منهم من زاد التهليل فقال : « لا إله إلا الله و الله أكبر ،
 و هذا هو المستعمل ، و منهم من زاد « و لله الحمد ، و الرأجح قول من
 قال : إنه لآخر الضحى إسناداً و معنى ، لأنها و إن كانت هى السبب
 و العادة جارية^٢ بأن من دهمه أمر عظيم يكبر مع أوله ، لكن شغله^٣ ه
 صلى الله عليه و سلم بالإصغاء إلى ما يوحى إليه منعه من ذلك ، فلما
 ختمت السورة تفرغ له ، فكان ذلك الوقت [كأنه -^٤] ابتداء مفاجأة
 ذلك^٥ الأمر العظيم له ، و زاد ما فى السورة من جلائل النعم المقتضية
 للتحميد و ما فى ذلك من بدائع الصنع الموجب للتهليل^٦ ، و قد علم بذلك
 سبب من ظنه فى أولها ، و أما من ظنه لأول الشرح فكونه كان فى ١٥
 [آخر -^٧] الضحى ، فاذا وصل بها « ألم نشرح ، ألبس الحال ، و تعليق^٨
 الأشياء بالآوائل هو الأمر المعتاد ، و حكمته مع ما مضى من سببه^٩ أن
 التهليل توحيده سبحانه و تعالى بالأمر ، و امتناع شريك يمنعه من شئ^{١٠}
 يريد من الوحي و غيره ، و التكبير تفريده له^{١١} بالكبرياء تنزيها له عن
 شوب نقص يلم به من أن يتجدد له علم ما لم يكن ليسكون ذلك سبباً ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : له (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الجارية .

(٣) زيد فى الأصل و ظ : النبى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) زيد

من ظ و م (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : للتعليل .

(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : تعليل (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : تسيبه .

(٩) سقط من ظ .

لقطع من وصله بوحى أو غيره، و التحميد إثبات التفرد بالكمال له
 على إسباغ نعمه، و فى ذلك أن هذه السورة^١ آذنت^٢ بأن القرآن^٣ أشرف
 على الختام، لأن عادة الحكماء من المدبرين تخفيف المنازل فى الاواخر
 على السائرين كتخفيف أول مرحلة رقفا بالمقصرين، فناسب الذكر بهذا
 ٥ عند الآخر لأن تذكر الانقضاء يهيج مثل ذلك عند السالك، و لأن
 تقصير السور [ربما -^٢] أوهم شيئاً مما لا يليق، فسن^٤ التنزيه بتكبيره^٥
 سبحانه و تعالى عن كل ما يؤهم نقصاً، و إثبات الكمال له بالتوحيد منه على
 الحث على تدبر ما فى هذه السورة^٦ من الجمع للعانى على و جازتها و قصر
 آياتها و حلاوتها مع ما فى ذلك من تخفيف التعليم، و التدريب على الحفظ
 ١٠ فى المبادئ و التحبيب [فيه -^٦] و التهميم^٧، و التحميد على إتمام النعمة
 على غاية الإحكام^٨ من لدن حكيم عليم^٩.

(١) فى م : السور (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بالقرآن (٣) زيد من ظ
 و م (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : التكبير بتنزيه (٥) فى ظ و م :
 السور (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : التهميم (٨-٨) من م ،
 وفى الأصل : والله تعالى هو الرؤف الرحيم ، و العبارة ساقطة من ظ .

سورة ألم نشرح^١

مقصودها تفصيل ما في آخر الضحى من النعمة، وبيان [أن - ^٢] المراد بالتحديث^٣ بها هو شكرها بالنصب في عبادة الله والرغبة إليه بتذكر^٤ إحسانه وعظيم رحمته بوصف الربوبية وامتنانه، وعلى ذلك دل اسمها الشرح / (بسم الله) الذي جل أمره وتعالى جده * ولا إله غيره * فعظم ماله ٥ / ٧٨٩
من إنعام (الرحمن) الذي أفاض جوده على سائر خلقه لأنه ذو الجلال والإكرام (الرحيم *) الذي أعلى أهل حضرته بخاص رحمته في مقامات الاختصاص إلى أعلى مقام .

لما أمره صلى الله عليه وسلم آخر الضحى^٦ بالتحديث بنعمته^٧
^٨ التي أنعمها عليه^٩ فصلها في هذه السورة فقال مثبتا لها في استفهام ١٠
إنكارى مبالغة في إثباتها عند من ينكرها والتقرير بها مقدما المنه بالشرح
في صورته قبل الإعلام بالمغفرة كما فعل ذلك في سورة الفتح الذي هو
نتيجة الشرح، لتكون البشارة بالإكرام أولا لافتا القول إلى مظهر
العظمة [تعظيما - ^{١١}] للشرح : (ألم نشرح) أى شرحا يليق بعظمتنا

(١) في م : الشرح ، وهى الرابعة و التسعون من سور القرآن الكريم ،
مكية ، وعدد آياتها ٨ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : من
التحديث (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : بتذكير (هـ-هـ) سقط ما بين الرقنين
من ظ و م (٦-٦) من م ، وفى الأصل و ظ : بتحديث نعمته (٧-٧) سقط
ما بين الرقنين من م (٨) زيد من ظ و م .

(لك) أى خاصة .

ولما عين المشروح له ، فكان المشروح مبهما ، فزاد تشوف النفس إليه ليكون أضخم له ، بينه^١ ليكون بيانا بعد إبهام^٢ فيكون [أعظم -^٣] فى التنويه به و أجل فى التعريف بأمره فقال : (صدرك^٤) أى نسره

٥ و نفرحه بالهجرة ، فإن هذه السورة مدنية عند ابن عباس رضى الله عنهما ، ونجله ونعظمه ونخرج منه قلبك ونشقه ونغسله ونملأه إيمانا وحكمة ورأفة و^٥ علما ورحمة^٥ ، فانفسح جدا حتى وسع^٦ مناجاة الحق ودعوة الخلق ، فكان مع الحق بعظمته وارتفاعه ، ومع الخلق بفيض أنواره وشعاعه ، وقد كان هذا الشرح حقيقة مرارا ، وكان مجازا أيضا ١٠ باحلال جميع معانيه ، وكل ذلك على ما لا يدخل تحت الوصف [لا -^٢]

يعبر^٧ لكم عنه^٨ بأكثر من أنه شق بعظمتنا ، فالعلم الذى شق به معرفة الله والدار الآخرة والدين والدنيا ، والحكمة التى درت^٩ فيه هى وضع الشيء فى محله ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، وقرأ أبو جعفر المنصور بفتح حاء " تشرح " وخرجها ابن عطية على التأكيد بالنون الخفيفة ثم ١٥ أبدل ألف من النون ، ثم حذف النون تخفيفا ،^{١٠} وقال^{١١} أبو حيان^{١٢} بأن اللحياني حكى فى نوادره عن بعض العرب النصب بلم والجزم بلى ،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل ١ بين ذلك (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ايها (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : رمة وعلما (٦) زيد فى ظ : خطا (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عنه لكم (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ودت (٩-٩) فى الأصل : بياض ملأناه من ظ (١٠) راجع البحر ٨/ ٤٨٨ .

و سره هنا أن الفتح في اللفظ مناسب غاية المناسبة للشرح ، ووجه قراءة الجمهور أنه لما دل على الفتح بالشرح دل بالجزم على أنه مع ذلك رابط لما أودعه من الحكم ضابط له . هاد بما فيه من رزاة العلم ، و وقار التقى و الحلم ، قال ابن برجان : ففرق [ما - '] بين النبي و الولي في ذلك أن النبي شرح^٢ صدره ظاهرا فأعلى ظاهرا ، و الولي شرح ذلك^٣ منه باطنا ه فعلى به باطنا ، و الكافر ضيق ذلك منه و أبقى [بظلمته - '] ' و حظوظ^٤ الشيطان منه فهو لا يستطيع قبول / الهداية و لا الصعود في [معارج العبرة إلا على مقدار ما يستطيع الصعود في - '] السماء " كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " - الآيات .

و لما كانت سعة الصدر بالعلم و الحكمة هي الجمال باجتماع المحاسن ، ١٠ و كان ذلك مع حمل ما يعنى من أعظم النكد ، و كان الجمال بجمع المحاسن لا يكمل إلا إذا جمع إلى الجمال الجلال^٥ بانتفاء الرذائل ، و كان الاستفهام الإنكارى إذا اجتمع^٦ مع النفي صار إثباتا ، لأنه نفي للنفي ، قال عاطفا عليه ما لا يعطف إلا مع الإثبات (و وضعنا) أى حططنا و أسقطنا و أبطلنا خطأ لارجعة له و لا فيه بوجه بما لنا من العظمة ، مجازا ١٥ (عنك و زرك) أى حملك الثقيل الذى لا يستطيع حمله ، و لذلك

(١) زيد من ظ و م (٢) في ظ : يفسر (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : منه (٤-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : يحظوظ (٥-٥) من ظ و م . وفي الأصل : الجلال الجمال (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : جمع .

وصفه بقوله : ﴿الَّذِي انقَضَ ظَهْرُكَ﴾ أى [جملة - '] و هو عماد
 بدنك تصوت مفاصله من الثقل كما يصوت الرجل الجديد إذا لز بالحل
 الثقيل ، و ذلك هو [ما - '] دمه عند ما أمر بانذار قومه و مفاجأتهم
 بما يكرهون عن عيب دينهم و تضليل آبائهم و تسفيه حلومهم ^٢ فى
 ٥ التدين ^٣ بدين لا يرضاه أدنى العقلاء إذا تأمل شيئاً من تأمل مع التجرد
 من حظ النفس مع ما عندهم من الأنفة و الحمية و إلقاء الأنفس فى
 المهالك لأدنى غضب ، فقال : يا رب إذن يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة .
 تخفف ^٤ سبحانه و تعالى عنه ذلك بما أظهر له من الكرامات و أيدته
 به من المعجزات ، و ضمن له من الحماية إلى أمور لا يحيط بها علماً إلا الذى
 ١٠ أيدته بها ^٥ "و الله يعصمك من الناس" حتى خف ذلك عليه ، فصار أشفق
 أهل عليه يمنعه من بعض الإبلاغ و يمسك بثوبه ^٦ لئلا يخرج إلى الناس
 فيقول لهم ذلك فيحصل له ما يكره فيجذب نفسه منه و يخرج إليهم
 فيخبرهم ^٧ كما وقع فى أمر الإسراء و غيره ، و قال ابن عباس رضى الله عنهما ^٨ :
 هو أن جبريل عليه الصلاة و السلام شق صدره فأخرج منه قلبه فشرحه
 ١٥ و أخرج منه علقه سوداء فألقاه و غسله ثم ملأه علماً و إيماناً و حكمة ،
 يعنى فصار يحتمل ما لا يحتمله غيره ، و خف عليه ما يثقل على غيره ،

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بالتدين (٣-٣) من
 ظ و م ، وفى الأصل : عنه سبحانه و تعالى (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ
 و م (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : ثوبه (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 و يخبرهم (٧) راجع البحر ٨ / ٤٨٧ .

ولاشك أن ذلك وزر لغوى، وهو واضح، وشرعى بالمال^١ على تقدير ترك الامتثال اللازم للاستئصال، وقد أعاده الله من ذلك.

وقال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: معنى^٢ هذه السورة من معنى السورة قبلها، وحاصل السورتين تعداد نعمه سبحانه وتعالى عليه^٣،

فإن قلت: فلم فصلت^٤ سورة ألم نشرح ولم ينسق ذكر هذه النعم في سورة واحدة، / قلت: من المعهود في البشر فيمن عدد على ولده أو عبده نعماً

٧٩١ /

أن يذكر له أولاً ما شامد الحصول عليه منها بسببه مما يمكن أن يتعلق في بعضها بأن ذلك وقع جزاء لا ابتداء، فإذا استوفى له ما قصده من هذا^٥، أتبعه بذكر نعم ابتدائية قد كان ابتداءه بها قبل وجوده^٦ كقول

الآب مثلاً لابنه: ألم اختر لأجلك الآم والنفقة حيث استولدتك^٧ وأعددت من مصالحك كذا وكذا، ونظير ما أشرنا إليه [بقوله^٨-]

سبحانه لذكرها عليه الصلاة والسلام "ولم تك شيئاً" وقد قدم له "أنا نبشرك بيجي" وتوهم استبداد الكسبية في وجود الولد^٩ غير

خافية (٩) في حق من قصر نظره ولم يوفق فابتدى بذكرها ثم أعقب بما

لا يمكن أن يتوهم فيه ذلك، وهو قوله "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً" وله نظائر من الكتب وعليه جاء ما ورد في هاتين السورتين -

(١) من م، وفي الأصل وظ: في المال (٢) من ظ وم، وفي الأصل: يعني.

(٣-٢) في م: عليه سبحانه وتعالى (٤) من ظ وم، وفي الأصل: فصلنا (ه) من

ظ وم، وفي الأصل: هذه (٦) من ظ وم، وفي الأصل: وجودها (٧) زيد

من ظ وم (٨) من ظ وم، وفي الأصل: البلد.

و الله أعلم - انتهى .

ولما شرفه في نفسه بالكمال الجامع^١ للجلال إلى الجلال^١، وكان ذلك لا يصفو إلا مع الشرف عند الناس قال: ﴿و رفعتنا﴾ أى بما لنا من العظمة^٢ والقدرة الباهرة^٢ ﴿لك﴾ أى خاصة رفعة تلا شئ عندها ه رفعة غيرك من الخلق كلهم^٢ ﴿ذكرك ه﴾ عند جميع العالمين العقلاء وغيرهم بالصدق والأمانة والحلم والرزانة ومكارم الأخلاق وطهارة الشيم وانتفاء شوائب النقص حتى [ما - ه] كانت شهرتك عند قومك قبل النبوة إلا الأمين، وكانوا يضربون المثل بشمائلك الطاهرة، وأوصافك الزاهرة الباهرة، ثم بالنبوة ثم بالرسالة ثم بالهجرة، وبأن جعلنا اسمك ١٠ مقرونا باسمنا فى كلمة^٢ التوحيد^٢ والإيمان والأذان والإقامة والشهد والخطبة، فلا أذكر إلا وذكرت^٢ معى، ومن الكرامة الظفر على أعدائك والكرامة لأوليائك، وجعل^٢ رضاك رضاى وطاعتك طاعتى، وأمر^٢ ملائكتى بالصلاة عليك، ومخاطبتى لك بالألقاب العلية والسمات المعزة المعلية من الرسول والنبي، ونحو ذلك على حسب الأساليب ومناسبات ١٥ التراكيب إلى غير ذلك من فضائل ومناقب وشمائل لا تضبط بالوصف، قال الرازى: ثم جعل لأمته من ذلك أوفر الحظ، قيل: يا رسول الله،

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: للجمال والجلال (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: انعقاد (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: تذكر (٧) من ظ و م، وفى الأصل: جعلت (٨) من ظ و م، وفى الأصل: امرت (٩) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفناها .

من أولياء الله ؟ قال : الذين [إذا - ١] ذكروا ذكر الله . [وفي حديث :
الذين إذا رؤوا ذكر الله - ١] . وقال : خياركم من تذكروا الله رؤيته ،
ويزيد في علمكم منطقته ، ويزهدكم في الدنيا عمله . فتتهى قصة الشفاء
أن خلط ذكره بذكره .

ولما ذكر هذه المآثر الشريفة التي هي الكمال ، وكان الكمال هـ

لا يصفو إلا مع مساعدة الأقدار ، فإن الهمم إذا عظمت
[اتسعت - ١] مجالاتها ، فإذا حصل فيها تعطيل حصل فيها نكس على

حسبه ، بين أنه أزال عنه / العوائق في عبارة دالة على أن سبب المنحة بهذه
الكالات هو ما كان صلى الله عليه وسلم فيه من الصبر على الأقدار ،

وتجرع مرارات الأقدار ، فقال مؤكدا ترغيبا في حمل مثل ذلك رجاء في ١٥
الإثابة بما يليق من هذه المعالي مبالغا في الحث على تحمله بذكر المعية
إشارة إلى تقارب الزمنين بحيث أنهما كانا كالتلازمين مسيا عما مضى
ذكره من حاله في الضحى : ﴿ فان ﴾ أى فعل بك سبحانه هذه الكالات

الكبار بسبب أنه قضى في الأزل قضاء لا مرد له [ولا معقب - ١]
أشئ منه أن ﴿ مع العسر ﴾ أى [هذا - ٢] النوع خاصة ﴿ يسرا ﴾ ١٥
أى عظيما جدا يجلب به المصالح ويشرح به ما كان قيده من القرائح ،
فإن أهل البلاء ما زالوا ينتظرون الرخاء علما منهم بالفطرة الأولى التي

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : يذكر (٣) زيد في
الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) زيد في الأصل : في
كل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) سقط من م (٦) في ظ :
كالتلاصقين ، وفي م : كالتلازمين (٧) زيد من م .

فطر الناس عليها أنه ' المتفرد بالكمال ، وأنه الفاعل بالاختيار لنسبه
الكواثر بأضدادها ، وقد أجرى سنته القديمة سبحانه و تعالى بأن الفرج
مع الكرب ، فلما قاسى صلى الله عليه وسلم بما ذكر في الضحى من اليتيم
الشديد وضلال قومه العرب خاصة كلهم الذين ألهمه الله تعالى مخالفتهم
ه في أصل الدين بتجنب الآوثان ، وفي فرعه بالوقوف مع الناس في الحج
في عرفة^٢ موقف إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، و من العيلة ما لم يحمله
أحد حتى كان بحيث يمتن سبحانه و تعالى عليه بانقاذه منه في كتابه
القديم وذكره الحكيم ، و كان مع تحمل ذلك قائما بما يحق له من الصبر
و يعلو إلى معالي الشكر ، فيحمل - كما قالت الصديقة الكبرى خديجة
١٠ رضى الله تعالى عنها^٣ - الكل ، و يقرى الضيف ، و يصل الرحم ، و يعين
على نوائب الحق ، ثم حمل أعباء النبوة فكان يلقي من قومه [من -^٤]
الاذى و المكرب و البلاء ما لم يحمله غيره ، بشره الله تعالى بأنه يسر له
جميع ذلك و يلين قلوبهم فيظهر دينه على الدين كله ، و يغنى أصحابه
رضى الله عنهم بعد عيلتهم ، و يكثرهم بعد قتلهم ، و يعزهم بعد ذلتهم ،
١٥ و يصير هؤلاء المخالفون^٥ له أعظم الأعضاء ، و ينقاد له المخالف أتم انقياد ،
و يفتح له أكثر البلاد ، ليكون هذا العطاء في اليسر بحسب ما كان وقع

(١) من ظ و م ، و في الأصل : بأنه (٢) من ظ و م ، و في الأصل : العمرة .
(٣) زيد في الأصل : وارضاه ورضى عن والدها ، و لم تكن الزيادة في ظ
و م لحذفناها (٤) زيد من ظ و م (هـ) من ظ و م ، و في الأصل : المحلقون .

من 'العسر' ، فانه قضى سبحانه وتعالى قضاء لا يرتد أنه يخالف بين الأحوال ،
 دليلا قاطعا على أنه تعالى وحده الفعال ، وأن^٢ فعله بالاختيار ،
 لا بالذات والإجبار .

و لما كان العسر مكروها إلى النفوس ، و كان لله سبحانه وتعالى
 فيه حكما عظيمة ، و كانت الحكم لا تترامى إلا للأفراد من العباد ، كرره ه
 سبحانه وتعالى / على طريق الاستئناف لجواب من يقول : وهل^٢ بعده
 من عسر ؟ مؤكدا له ترغيا في أمره رقا لما يتسبب عنه مبشرا بتكثيره
 مع وحدة العسر و إن كان حمل كل [واحد -^١] منهما على شيء غير
 ما قصد به الآخر ممكنا فقال : (ان مع العسر) أى المذكور فانه
 معرفة ، و المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت غير الأولى سواء أريد العهد ١٠
 أو الجنس (يسرا^١) أى آخر لدفع المضار والمكاره ، فان النكرة إذا
 أعيدت نكرة احتمل أن تكون غير الأولى ، و قد قال النبي صلى الله عليه
 و سلم أنها غيرها ، فقال^٢ الحسن البصرى : إن الآية لما نزلت قال النبي
 صلى الله عليه و سلم : أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين . و قد روى هذا
 من أوجه كثيرة ، و روى عبد الرزاق عن ابن مسعود رضى الله عنه ١٥
 قال^١ : لو كان العسر في جحر ضب ل تبعه اليسر حتى يخرج منه . [و للطبراني
 عنه رضى الله عنه قال^٢ : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لو كان

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : في (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : انه (م) زيد
 في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : و قال (٦) راجع الدر المنثور ٦ / ٣٦٤ .
 (٧) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٣٩ .

العسر في جهر لدخل عليه اليسر حتى يخرج -^١، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية، قال الحافظ نور الدين الهيثمي: وفيه أبو مالك^٢ النخعي وهو ضعيف، ورواه الطبراني أيضا في الأوسط و البزار عن أنس رضي الله عنه بنحوه، قال الهيثمي: وفيه عائذ بن شريح وهو ضعيف، وروى الفراء عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول: لن يغلب عسر يسرين، وروى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن الحسن به مرسلا، ومن طريقه أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب [و-^٣] رواه الطبري^٤ من طريق ابن ثور عن معمر، ورواه ابن مردويه من طريق أخرى موصولا وإسناده ضعيف، وفي الباب عن عمر ذكره مالك في الموطأ^٥ عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه أنه بلغه أن أبا عبيدة رضي الله عنه حضر بالشام فكتب إليه كتابا^٦ فيه «ولن يغلب عسر يسرين»، ومن طريقه رواه الحاكم، قال ذلك شيخنا ابن حجر في تخريج أحاديث الكشف، وقال: وهذا أصح طرقه - انتهى، وهذا من جهة أن اليسر نكرة والعسر معرفة، وقد اشتهر أن النكرة إذا أعيدت نكرة فالثاني غير الأول، والمعرفة بالعكس، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في أول تلويحه^٧ في الكلام على^٨ المعرفة والنكرة:

(١) زيد من ظ والمجمع: (٢) في المجمع: إبراهيم (٣) زيد من ظ (٤) راجع ٢٩ / ١٣٠ (٥) راجع ص ١٦٧ (٦) من ظ وم، وفي الأصل: كتابه (٧-٧) من ظ وم، وفي الأصل: على الكلام في (٨) راجع ص ١٥١ (التوضيح والتلويح).
١٢٤ (٣١) والكلام

و الكلام فيما إذا أعيد اللفظ الأول إما مع كلفته من^١ التكثير و التعريف أو بدونها ، و حينئذ^٢ يكون طريق التعريف هو اللام أو الإضافة ليصح إعادة المعرفة نكرة و بالعكس ، و تفصيل ذلك أن المذكور أولا إما أن يكون نكرة أو معرفة ، و على التقديرين إما أن يعاد نكرة أو معرفة فيصير أربعة أقسام ، و حكمها أن ينظر إلى الثاني ، فإن كان هـ نكرة فهو مغاير للأول ، وإلا لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهودا سابقا بالذكر ، إن كان معرفة فهو الأول حلا له على المعهود الذى هو الأصل فى اللام / و الإضافة ، و ذكر فى الكشف أنه إذا أعيدت النكرة نكرة فالثاني مغاير للأول وإلا فعينه^٣ فإن المعرفة تستغرق الجنس ، و النكرة تتناول البعض ، فيكون داخلا فى الكل سواء قدم ١٠ أو آخر ، و فيه نظر ، أما أولا فلان التعريف لا يلزم أن يكون للاستغراق بل العهد هو الأصل ، و عند تقدم المعهود لا يلزم أن تكون النكرة عينه ، و أما ثانيا فلان معنى كون الثاني عين الأول أن يكون المراد به هو المراد بالأول ، و الجزء بالنسبة إلى الكل ليس كذلك ، و أما ثالثا فإن إعادة المعرفة نكرة^٤ مع مغايره الثاني للأول كثير فى ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مع (٢) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لكان بعينه (٤) زيد فى الأصل و ظ : و للعهد ، و لم تكن الزيادة فى م و التلويح فحذفناها (هـ) من م ، و فى الأصل و ظ : فلان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تكون .

الكلام، قال الله تعالى "ثم آتينا موسى الكتاب تماما" إلى قوله "وهذا كتاب أنزلناه" وقال تعالى "اهبطوا بعضكم لبعض عدو" وقال تعالى "ورفع بعضكم فوق بعض درجات" إلى غير ذلك، وقال غيره: "يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء" ومنه قول الشاعر:

إذ الناس ناس و الزمان زمان

٥

فإن الثاني لو كان عين الأول لم يكن في الإخبار به فائدة - انتهى . قال: و اعلم أن المراد أن هذا هو الأصل عند الإطلاق و خلو المقام عن القرائن* و إلا فقد تعاد النكرة نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالى "و هو الذي في السماء اله و في الارض اله" وقالوا لولا نزل [عليه - ١] آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية "

١٠ " ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا و شيعة" يعنى قوة الشباب، ومنه باب التأكيد اللفظي، و قد تعاد النكرة معرقة مع المغايرة كقوله تعالى "و هذا كتاب أنزلناه مبارك" إلى قوله "[ان تقولوا - ١] إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا" و قال غيره: "فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا و الصلح خير" المراد

(١) من ظ و م ، و في الأصل : تعالى (٢) من ظ و م ، و في الأصل : اذا . (٣) من ظ و م ، و في الأصل : عنه (٤) من ظ و م ، و في الأصل : المكان . (٥) من م ، و في الأصل و ظ : القونين (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : بقوله (٨) زيد من م (٩) من م ، و في الأصل و ظ : يصلحا .

بالنكرة خاص وهو الصلح بين الزوجين، وبالمعرفة عام في كل صلح جائز
 "زدناهم عذابا فوق العذاب" فان التثنية لا يكون فوق نفسه -
 انتهى. قال: وقد تعاد المعرفة معرفة مع المغايرة كقوله تعالى [دو أنزلنا
 إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب] وقال غيره -^١:
 "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء" الأول عام والثاني خاص، هـ
 "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" الأول العمل والثاني الثواب "وكتبنا
 عليهم فيها ان النفس بالنفس" الأولى القاتلة والثانية المقتولة - انتهى،
 قال: وقد تعاد المعرفة نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالى "انما الهكم
 اله واحد" ومثله كثير، والمعرفة مثل النكرة في حالتى^٢ الإعادة
 معرفة والإعادة نكرة في أنها إن / أعيدت معرفة كان الثاني هو الأول، ١٠ / ٧٩٥
 وإن أعيدت نكرة كان غيره، ثم مثل بالآية التي هنا، وقال: وهذا
 مبنى على [ان -^١] تنكير "يسرا"^٢ للتفخيم وتعريف العسر للعهد، أى
 العسر الذى أنتم عليه أو الجنس [أى -^١] الذى يعرفه كل أحد، فيكون
 اليسر الثانى مغايرا للأول بخلاف العسر - انتهى . وقال فى الكشف:
 و أما اليسر فنسركر متناول لبعض [الجنس -^١] ، فإذا^٣ كان الكلام الثانى ١٥
 مستأنفا عن منكر تناول بعضا غير البعض الأول بغير الإشكال .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و التلوخ ، وفى الأصل : حاله انكرة فى ، وفى
 م : حالة (٣) فى ظ و م : يسر (٤) من ظ و م . وفى الأصل : اليسر (هـ) من
 ظ و م ، وفى الأصل : فان .

و لما علم من هذا أن المواد تكون بحسب الأوراد الشداد لما على
 الممدود من الشكر، و لما علم للشاكر^١ من الوعد بالمزيد، قال مسيبا عما
 أعطاه من اليسر بعد ذلك العسر ^٢ندبا له^٢ إلى الشكر و إعلاما بأنه
 لا ينفك عن تحمل أمر في الله : ﴿ فاذا فرغت ﴾ أي بما أتاك من اليسر
 ٥ يسر من جهادك الذي أنت فيه في وقت المخاطبة بهذا الكلام بما يوجب
 عسرا^٣ في المال أو الحال، وعقبه العسر في [أي - ^٤] موضع كان
 لاسيبا عند دخول الناس في الدين أفواجا، أو من العبادة الثقيلة العظيمة
 بسماع الوحي وتحمله، أو من الغرض بالتيسير الذي بشرناك به ﴿ فانصب لا ﴾
 أي بالغ في التعب بعبادة أخرى من التسييح والاستغفار، أو النفل لمن
 ١٠ أولاك هذا المعروف ﴿ و الى ربك ﴾ أي المحسن إليك بما ذكر في
 هاتين السورتين [خاصة - ^٤] ﴿ فارغب ﴾ أي بالسؤال لأنه القادر
 وحده كما قدر على تربيتك فيما مضى وحده، لأنه المختص بالعظمة، فلا
 قدرة أصلا إلا لمن يعطيه ما يريد منها، والرجب شعار العبد دائما في
 كل حال أي افعل ذلك، ألم تشرح لك صدرك؟ فقد اتصل هذا
 ١٥ الآخر بالأول اتصال المعلول بالعلة، و لأم ما بعدها بذلك أيضا بعينه

(١) من ظ و م، وفي الأصل : من الشاكر (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل .

ندباه (٣) من م، وفي الأصل و ظ : عسر (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ

وم، وفي الأصل : وقد (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل : الأول بالآخر .

ملاءمة الشمس بالآهلة، وآخر هذه السورة مشير^١ إلى الاجتهاد في العبادة
عند الفراغ من جهاد الكفار في جزيرة العرب بعد انقضاء ما يوازي عدد
آي هذه السورة من السنين بعد الهجرة، وهي ثمان، رغبة في الأخرى
التي هي [خير - ^٢] من الأولى، إشارة إلى قرب الأجل بما أشارت إليه
سورة النصر - إكمالاً لسيأتي إن شاء الله تعالى .

٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : مشيراً (٢) زيد من ظ و م .

سورة التين^١

مقصودها [سر - ٢] مقصود "ألم نشرح" و ذلك هو إثبات^٢
 القدرة الكاملة و هو المشار إليه باسمها، فان في خلق التين و الزيتون
 من الغرائب ما يدل على ذلك، و كذا فيما اشير إليه بذلك من النبوت،
 ه و ضم القسم إلى المقسم عليه و هو الإنسان، الذى هو أعجب ما فى
 الالكون، [واضح - ٢] فى ذلك / ﴿بسم الله﴾ الملك الأعظم الذى لا نعبد^٣
 إلا إياه ﴿الرحمن﴾ الذى عم بنعمة إيجاده و بيانه جميع خلقه أسفله
 و أعلاه [و أدناه - ٢] و أقصاه ﴿الرحيم﴾ الذى خص من بينهم أهل
 وده بما يرضاه، و أردى من عداهم^٤ و أشقاه .

/ ٧٩٦

١٠ لما ذكر سبحانه و تعالى [فى - ٢] تلك السورة أكل خلقه و ما
 كله به، [و - ٦] ختمها بالأمر بتخصيصه سبحانه و تعالى بالرغبة إليه،
 فكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورم قدماه و يذل^٥ الجهد لمولاه^٦
 فى [كل - ٢] ما يرضاه، ذكر فى هذه أنه سبحانه و تعالى كما جعل ذاته

(١) الخاتمة و التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آياتها ٨ .

(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل : إشارة إلى (٤) من ظ و م،

وفى الأصل : لا يعدل (٥) من م، وفى الأصل : عاداهم، وفى ظ : عاداه .

(٦) زيد من م (٧) من ظ و م، وفى الأصل : بيده (٨) سقط من ظ و م .

أكل ذوات المخلوقات ، خصه بأن جعل نوعه صلى الله عليه وسلم أكمل
الأنواع وهو الإنسان ، وأصله أعظم الأصول ، وهو إبراهيم صلى الله عليه
وسلم ، وبلده أفضل البلاد وهي مكة ، و [أن - ١] من عاداه بمنابذة شرعه
أسفل الخلق . و أن له سبحانه وتعالى تمام القدرة ، وهو فاعل بالاختيار ،
يعلى من يشاء ويسفل من يشاء ، فنزلتها من آخر تلك ' منزلة العلة من ' ٥
المعلول ، وأقسم فيها بأشياء أشار بها إلى شرفها في أنفسها وفي عجيب
صنعها و شرف البقاع التي يكون بها إيمان إلى ما شرفها به مما أظهر
بها من الخير والبركات بسكنى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،
والصالحين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فكانت مهاجر إبراهيم ومولد
عيسى وأكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام و منشأهم ، وكان منها ١٠
مظهر نبوة موسى ، ومظهر نبوة إسماعيل عليهما الصلاة والسلام
و ولده خاتم الأنبياء الكرام - عليه أفضل الصلاة والسلام ، ومكان
البيت الذي هو قوام للناس ، و هدى للعالمين - إلى غير ذلك من
الإشارات الظاهرات والدلالات الواضحات على تمام قدرته وفعله^٢
بالاختيار ، لأنه يعلى من يشاء من العقلاء وغيرهم من البقاع وغيرها ١٥
على أحسن تقويم^٣ ، ويسفل [من يشاء - ١] من ذلك كله إلى
أسفل سافلين .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المنزلة عن (٣) من
ظ و م ، وفي الأصل : علمه (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : تقوم .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: هذه سورة موضحة و متممة^١
 للقصود في السورتين قبلها، فإن لك أن الصورة الإنسانية بظاهر الأمر
 - بما [هى -^٢] عليه من الترتيب و الإتقان - قد كانت تقتضى الاتفاق^٣ بظاهر
 ارتباط الكمال [بها -^٤] من حيث أنها فى أحسن تقويم، و الافتراق يبعد
 ه فى الظاهر، فكيف افترق الحكم و اختلف السلوك، فن صاعد بالاستيضاح
 و الامثال، و نازل^٥ أسفل سافلين فضلا عن رقى بعض درجات الكمال،
 فإذا ليس يرقى من خص بمزية التقريب إلا لأنه نودى من قريب فأسرع
 فى إجابة مناديه و اصاخ، و ما اعتل بجاده فسلك من واضحات السيل
 ما رسم له. و بنى [على -^٦] ما كتب له من ذلك عمله "ولو شئنا لآتينا
 ١٠ / ٧٩٧ كل نفس هداها"، فعلى العاقل المنصف فى نفسه أن يعلم أن كلا^٧ ميسر
 لما خلق له فيضرع إلى خالقه فى طلب الخلاص، من وجد خيرا فليحمد
 الله، فأوضحت هذه السورة أن ما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم
 و خصه به من ضروب^٨ الكرامات و ابتدأه به من عظيم الآلاء بما تضمنته
 السورتان إلى ما منحه من خير الدارين و ما تضمنه. قسمه له سبحانه
 ١٥ و تعالى أنه ما ودعه ولا قلاه من الملاطفة و التأنيس و دلائل الحب
 و التقريب - كل ذلك فضلا^٩ منه سبحانه و تعالى و إحسانا^{١٠} لا لعمل

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: مهمة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ، وفى
 الأصل و م: الاتقان (٤) من ظ و م، وفى الأصل: قال (٥) زيد من م.
 (٦) من ظ و م، وفى الأصل: كل (٧) من ظ و م، وفى الأصل: ضروب. (٨)
 (٨) فى ظ: فضل (٩) فى ظ و م: احسان.

تقدم يستوجب ذلك أو بعضه ، و لو تقدم عمل لم يقع إلا بمشيئته ،
و توفيقه و إرادته ، و لا يستوجب أحد عليه شيئاً ، و إنما [هو - ']
فضله يؤتيه من يشاء ، فقال سبحانه و تعالى منها على ما وقع الإيماء إلى
بعضه " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " و مع ذلك لا ينفعه
وقوع صورته الظاهرة في عالم الشهادة على أكمل خلق و اتم وضع ه
بل إذا لم يصحبه [توفيق - '] و سبقته سعادة من خالقه و لم يجعل
له نور^١ يمشى به لم يرغب نفسه و لا عرف إلا ابتاء جنسه . فقصر نظره على
أول ما شاهد ، و وقف عند^٢ ما عاين من غير اعتبار يحده إلى تحقق^٣ مآله
و تبين حاله أنه لم يكن شيئاً مذكوراً ، فلما قصر و ما أبصر اعتقد لنفسه
الكمال ، و عى عن المبتدأ و المآل ، فصار أسفل سافلين حيث لم ينتفع ١٠
بالآيات نظره ، و لا تعرف حقيقة خبره ، " أو لم ير الإنسان أنا خلقناه
من نطفة فإذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلاً و نسي خلقه "
ثم قال تعالى " إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم الذين هداهم ربهم
[بإيمانهم - "] فجزوا بسبيته من خلقه في [أحسن - '] تقويم ، و استوضحوا^٤
الصراط المستقيم ،^٥ و استبصروا^٦ فأبصروا ، و نظروا فاعتبروا . و قالوا : ١٥
ربنا الله ثم استقاموا ، فلهم أجر غير ممنون - [انتهى - °] .

- (١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و في الأصل و ظ : نورا (٣) من م ،
و في الأصل و ظ : على (٤) من ظ و م ، و في الأصل : تحقيق (٥) زيد من
م (٦-٦) من ظ و م ، و في الأصل : تقوية و - توصوا (٧-٧) من ظ و م ،
و في الأصل : فاستبصروا .

ولما كان التين أحسن الفواكه تقويماً فيما ذكروا من فضيلته، وهو
 - مع كونه فاكهة شهية حلوة جداً - غذاء بقيم الصلب وقرت كالبر [و-']
 سريع الهضم، ودواء كثير النفع يولد دماً صالحاً وينفع الرئة والكلية
 ويلين الطبع ويحلل البلغم ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد
 ٥ والطحال. فكان جامعاً لجميع منافع المتناولات من الغذاء والتفكه
 والتجلى والتداوى، فهو كامل في مجموع ما هو فيه من [لذة -'] طعمه
 وكثرة نفعه، وكونه كففاً لآفة الجوع بلا شائبة تعوق عن أكله من صنوان
 يتعب أو نوى يرمى، مع أنه ينتفع به رطباً ويابساً، وهو مع ذلك في
 سرعة فسادِه و سوء تغيره أسفلها رتبة وأردوها مغبة، فهو كالقطرة
 ١٠ الأولى [في -'] مبدئه سهولة وحسناً وقبولاً لكل من الإصلاح
 والتغير، كآخر الهرم عند نهايته في عظيم تغيره بحيث [أنه -'] لا ينتفع
 بشيء منه / إذا تغير، وغيره من الفواكه إذا فسد جانب منه بقى آخر،
 فكان في هذا كالتقسيم للسافل من الإنسان أقسم الله تعالى به فقال:
 ﴿والتين﴾ بادئاً به لأن القسم المشار [به -'] إليه أكثر، فالاهتمام
 ١٥ به أكبر.

/ ٧٩٨

ولما كان الزيتون في [عدم -'] فساد بطرقه أو تغير يلحقه،
 وفيه الدسومة والحرقاة والمرارة، وهو إدام ودواء مع تهينه للنفع
 (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: رهن - كذا (م) من
 ظ و م، وفي الأصل: بجميع.

بكل حال فى أكله بعد تزيتته و التزوير بدعنه و الادهان به لإزالة الشعث
و تنعيم البشرة و تقوية العظم و شد العصب و غير ذلك من المنافع
مع لدنه و ما يتبع ذلك من فضائله الجمّة كما مؤمن^١ [تلاه به -^٢] فقال :
﴿ والزيتون^٣ ﴾ ولما كان [مع -^٢] ذلك مشارا بهما إلى مواضع نباتهما وهى
الأرض المقدسة من جميع بلاد الشام إيماء إلى من كان بها من الأنبياء
و التابعين لهم باحسان لاسيما إبراهيم عليه السّلاة و السلام الذى^٤ كانت
مهاجره فأحيّاها^٥ الله تعالى بعبادته و تردد الملائكة إليه بالوحى و من بعده
أولاده الذين طهرها الله بهم من الشرك و أنارها بهم بالتوحيد ، و ختمهم
بعيسى عليه الصلاة و السلام أحد أولى العزم المشرف بكونه من أمة
محمد صلى الله عليه و سلم و على نبينا أفضل الصلاة و السلام ، و كانت ١٠
الكناية بالشجرتين عن البلد المراد به سكانه أبلغ من التصريح بالمراد من
أول وملة ، ساقه على هذا المنهج العزيز ، و لم يبق عن لم يسكنها من
أشرافهم إلا موسى و هارون و إسماعيل و محمد عليهم الصلاة و السلام ،
فأشاره إلى الأولين بقوله معبرا بما يدل على أحسن التقويم [لأن -^٦]
الطور الجبل ذو النبت من النجم و الشجر [الثمر -^٧] و غيره : ١٥
﴿ و طور ﴾ أى جبل^٨ المكان [المسمى -^٩] بهذا الاسم .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى
الأصل : التى (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : فأحيّاها (٥) من ظ و م ، وفى
الأصل : و أشار (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : جعل .

ولما كان الكلام في التقويم . كان المناسب له صورة جمع السلامة
 فقال تعالى : ﴿سِينِينَ لَا﴾ أى وما كان بالجبل ذى النبت الحسن الذى
 كلم الله فيه ' موسى عليه الصلاة والسلام من لذيد المناجاة و عجائب
 المواعدة وحكم الكلام مع أن فيه [من - ٢] الأشجار و الأماكن ما
 ٥ يكن من الحر و البرد ، و فيه خلوه و حسنه و علوه جمع الخاطر للتفرد
 و طمأنينة النفس للتخلى للعبادة و التحصن ' بما يخشى لعلوه و صعوبته ،
 و فيه ما يصلح للزرع من غير كلفة ، وفيه ما يأكله الناس و الدواب
 مع الماء العذب و الفناء الرحب و المنظر الأنيق ، و سنين و سينا - اسم
 للموضع الذى ^١ هذا الجبل به ، و أشار سبحانه و تعالى إلى الآخرين من
 ١٠ أولاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ختاماً للقسم بأكل المقسم به ' كما
 جعل المنزل عليه ذلك [الذى - ٣] هو ختام الرسل أكل النوع [المقسم - ٢]
 لأجله ليكون فى البدء ^٢ بما يرد / بعد حسن التقويم إلى الفساد و الختم
 بما هو أشرف المذكورين - بكل اعتبار طباق حاز أعلى الأسرار :
 ﴿ و هذا البلد ﴾ أى مكة ، صرح هنا ^٣ بهذين المكانين ترشيحاً لأن المراد

/ ٧٩٩

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عجيب .
 المساجدة (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : التحصين .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : آدم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ختام .
 (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : البلد (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : به .
 (٣٤) بالاولين ١٣٦

بالأولين مواضع نبتهما مع تلك الإشارة اللطيفة بذكر اسميهما إلى مناسبتها
 للقسم من أجله ﴿الامين لا﴾ [أى - ١] الذى يأمن فيه من ' حل به
 من البشر والطير والوحش، فكان بذلك كالرجل الامين الذى يأمنه
 آخر على نفسه وما يعز عليه فيؤديه إليه ويوقره عليه، وأمانته شاملة
 لكل ما^٢ يخشى حتى الفقر والعيلة والجوع وتغير الدين بعد تقررره ٥
 مع أن^٣ به البيت الذى جعله الله^٤ هدى للعالمين وقياما للناس فهو مدار
 الدين والدنيا، وكان به من الأبرار بالوحي وآثاره ما لم يكن فى
 بلد من البلاد، وذلك إشارة إلى أنه تعالى كما جعل النبى المبعوث منه
 فى [آخر - ١] الزمان فى أحسن تقويم جعله فى أحسن تقويم البلدان
 إذ كان أمانا من غير ملك [مرهوب - ١] والناس يتخطفون^٥ من ١٠
 حوله، وهو محل الأانس بالناس^٦ كما أن الذى قبله محل الأانس^٧ بالانفراد،
 وهو مجمع المرافق ومعدن المنافع ومحل فزوى الوجاهة دينا ودنيا،
 ومحل الرفعة والمناصب^٨ مع ما حازه^٩ المكمان من أنزل السكتب السماوية
 وإشراق الأنوار الإلهية^{١٠} الدينية فيها، وفى ذلك تخويف [لهم - ١] بأنهم
 إن لم يرجعوا عن عيهم أخافه إخافة لم يخفها [بلدا - ١] من بلاد العرب ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل وظ : حله، ولم تكن الزيادة
 فى م لحذفها (٣) من ظ و م، وفى الأصل : من (٤) من ظ و م،
 وفى الأصل : دانه (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل :
 يخطفون (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) من ظ و م، وفى الأصل :
 المتاب (٩) من ظ و م، وفى الأصل : جار .

فيكونون بذلك قد ردوا أسفل سافلين في الدد، كما ردوا في الأخلاق بالشقاق و اللدد .

ولما كان هذا القسم مع كونه جامعا لبدائع المصنوعات التي هي [لما ذكر - ١] من حكمها دالة على كمال علم خالقها^١ و تمام قدرته^٢ جامعا
 ٥ لأكبر الذين آمنوا، وكان إبراهيم عليه الصلاة و السلام لتكون أباهم
 مذكورا مرتين بالأرض^٣ المقدسة من القدس^٤ و مكة، فتوقع أكل
 الخلق و أفطنهم المخاطب بهذا الذكر المقسم عليه علما منه ببلوغ القسم إلى
 غايته و استوائه على نهايته . أجيب بقوله تعالى محققا : ﴿ لقد خلقنا ﴾
 أى قدرنا و أوجدنا بما لنا من العظمة الباهرة الظاهرة و العزة الغالبة
 ١٠ القاهرة ﴿ الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى جمع فيه الشهوة و العقل
 و فيه الأنس بنفسه ما ينسيه أكثر مهمه . و لهذا قالت الملائكة عليهم
 الصلاة و السلام ” انجمل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ” لأنهم
 علموا [أنه - ٦] إذا جمع^٥ الغضب و الشهوة إلى العقل جاءت المنازعة
 فيتولد الفساد من الشهوة و السفك من الغضب ﴿ فى احسن تقويم ﴾
 ١٥ / ٧٨٠ أى كائن^٦ منا روحا و عقلا / أو أعم من ذلك بما جعلنا له من حسن الخلق

(١) زيد من م (٢) زيد في الأصل : جلت قدرته . ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لحدفناها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : احاطته بكل شيء (٤) من م ، و في
 الأصل و ظ : في الأرض (٥) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في
 ظ و م لحدفناها (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : جميع (٨) من
 ظ و م ، و في الأصل : كائنا .

و الخلق بما خص به من انتصاب القامة و حسن الصورة و اجتماع
خواص الكائنات و نظائر سائر الممكنات بعد ما شارك فيه غيره من
السمع و البصر و الذوق و اللمس و الشم^١ الجوارح التي هيأته لما خلق
له حتى قيل أنه العالم الأصغر كما مضى بسط ذلك في سورة الشمس ،
ثم ميزناه بما أودعناه^٢ فيه بما جعلناه عليه من الفطرة الأولى التي لا تبدل^٣
لها من الطبع الأول السليم الذي هيأناه به^٤ و قويناه بقدرتنا^٥ لقبول
الحق ، و بمثل ما قلته في حمل الآية على الفطرة الأولى قال الأصفهاني
في تفسير " كان الناس أمة واحدة " في البقرة ، [و -^٦] قال ابن رجب
هنا : مفطور على فطرة الإسلام الدين القيم ، ثم لما منحناه به من العقل
المدرک القويم ، فكما جعلنا له شكلاً يميزه عن سائر الحيوان منحناه عقلاً^٧
يهديه إلى العروج عن درك التيران إلى درج الجنان بالإيمان و الأعمال
الصالحة البالغة نهاية الإحسان ، بدليل من فيه من الأنبياء الذين أكملهم
[محمد -^٨] على جميعهم أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام
و التابعين لهم بإحسان^٩ الذين ملأوا الأرض علماً و حكمة و نوراً ، قال
البغوي^{١٠} : خلقه سبحانه و تعالى مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزيناً^{١١}

(١) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفنا ما (٢) من ظ و م ،
و في الأصل : اودعنا (هـ-م) سقط ما بين الرقین من م (٤) زيد من م .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و في الأصل : بالاحسان (٧) راجع

بالعقل والتمييز - انتهى ، والعقل 'هو المقصود في الحقيقة' من الإنسان لأن من أسماء اللب ، ومن المعلوم أن المقصود من [كل - ٢] شيء به وهو الشرع كما مضى في آخر النساء ، والظاهر أن عقول الناس بحسب الخلق متقاربة^٢ و [أنها - ٢] إنما تفاوتت بحسب الجبلية فبعضهم جعل سبحانه وتعالى عنصره وجبلته في غاية الفساد فلا تزال جبلته تردى على عقله فيتناقص إلى أن يصير إلى أسوأ الأحوال ، فكل ميسر لما خلق له ، وبمضهم يصرف عقله بحسب ما هياه الله له إلى ما ينجي ، وبمضهم يصرفه لذلك إلى ما يرديه ، لأنك تجد أعقل الناس في شيء وأعرفهم به أشدهم بلادة في شيء آخر ، وأغباهم في شيء أذكاهم في شيء آخر -

١٠ فاعتبر ذلك ، وبذلك انتظم أمر الخلق في أمر معاشهم بالعلوم والصنائع والأحوال - والله الهادي ، وهذه الآية تدل على أن الله سبحانه وتعالى منزّه عن التركيب والصورة لأنه لو كان في شيء منها لكان هو الأحسن لأن كل صفة يشترك فيها الخلق^٦ والحق فالمبالغة للحق كالعالم والأعلم والكريم والأكرم - قاله^٧ الاستاذ أبو القاسم القشيري

١٥ في تفسيره ، وصيغة "أفعل" لا تدل على ما قاله الزنادقة ، وإن عزي ذلك

(١-١) من م ، وفي الأصل : في الحقيقة هو المقصود (٢) زيد من ظ و م .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : متفاوتة (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : تفاوت .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بذلك (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : الحق .
 (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : قال .

- ٨٠١ / إلى بعض^١ الأكابر^٢ من قولهم^٣ : / ليس في الإمكان أبدع مما كان، لأن
الدرجة الواحدة تتفاوت إلى ما لا يدخل تحت حصر كتفاوت أفراد
الإنسان في صوره وألوانه، وغير ذلك من أكوانه وبديع شأنه، وقد
بينت ذلك في تصنيف مفرد لهذه الكلمة سميته : تهديم الأركان من
"ليس في الإمكان أبدع مما كان"، [وأوضحته غاية الإيضاح والبيان، هـ
و جرت فيه فنن تصم الآذان، ونصر الله الحق بموافقة الأعيان، وقهر
أهل الطغيان، ثم أردفته بكتاب دلالة البرهان على أن في الإمكان
أبدع مما كان، - ٢] ثم شفيت الأسقام، ودمغت الأخصام، وخسأت
الأوهام، بالقول الفارق بين الصادق والمنافق، وهو نحو ورقتين في
غاية الإبداع في قطع النزاع، ويمكن أن تكون صيغة^٤ أفعل مفيدة ١٠
[بالنسبة - ٢] إلى شيء أراد الله بحيث أن تتفطن له [نحن - ٢] لأن
من المجمع عليه عند أهل السنة وصرح به الأشعري وغيره في غير موضع
من كتبهم أن الله تعالى لا تتناهى مقدوراته، ومن صرح بما صرح
به الأشعري وأكثر فيه الإمام حجة الإسلام الغزالي في كتبه^٥ الإحياء
وغيره ولا سيما كتابه تهافت الفلاسفة، وبين أن هذا من قواعدهم ١٥
لنفهم صفة الإرادة^٦ وقولهم^٦ بأن فعله بالذات، وبين فساد ذلك،
-
- (١ - ١) من ظ و م، وفي الأصل : بعض (٢ - ٢) من ظ و م، وفي
الأصل : لقولهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل : صفة .
(٥) من ظ و م، وفي الأصل : كتابه (٦ - ٦) تكرر ما بين الرقين في
الاصل فقط .

و انه سبحانه و تعالى قادر على اختراع [عالم -^١] آخر و ثالث متفاوتة بالصغر و الكبير، و على كل ممكن، و عرف أن الممكن هو المقدور عليه، و أنه يرجع إلى المقدور عليه أيضا ممكن، و عرف الممتنع بأنه إثبات الشيء مع نفيه، و إثبات الأخص مع نفي الأعم، و إثبات الاثنين مع نفي الواحد، و قال: و ما لا يرجع إلى ذلك فهو ممكن، فدخل فيه^٢ عالم أبدع من هذا العالم - و الله الموفق لما يريد^٣.

و لما كان الإنسان مع هذه المحاسن قد سلط الله سبحانه و تعالى عليه شهوات و هيأ طبعه لذائل و أخلاق دنيئات، و أهوية و حظوظ للأنفس ميلات، و كان أكثر الخلق بها هالكا لتبين قدرة الله سبحانه ١٠ و تعالى، لم يستثن بل حكم على الجنس كله بها كما حكم عليه بالتقويم، فقال تعالى دالا بأداة التراخي على أن اعوجاجه بعد ذلك العقل الرصين و الذهن الصافي المستنير في غاية البعد لولا القدرة الباهرة و القوة القاهرة القاهرة: ﴿ثم رددته﴾ أي بما لنا من القدرة الكاملة و العلم الشامل، ففعل منافع ما خلقناه^٤ له فضيع نفسه و فوت أسباب سعادته^٥ و نكسناه ١٥ نحن في خلقه، فصار بالأميرين في خلقه و خلقه نفسا و هوى أو أعم

(١) زيد من م (٢) من م، و في الأصل وظ: عليه (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٤) من ظ و م، و في الأصل: الخلائق (٥) من ظ و م، و في الأصل: لم يستثن (٦) من ظ و م، و في الأصل: بهما (٧) من ظ و م، و في الأصل: خلقنا (٨) من ظ و م، و في الأصل: سعادات و نكسناه - كذا.

من ذلك بالنكسر^١ (اسفل سافلين لا) أى إلى ما تحت رتبة الجمادات المستفدرات، فصار يعمل الاعمال السيئات المقتضية بعد حسن الجمع لغاية الشتات^٢، أما رده فى خلقه فبأن سلطنا عليه الشهوات التى ركبناها فى النفوس، وجعلناها داعية / إلى كل بؤس، فغلبت على عقله فأعمته حتى أوردته^٣ الموارد، وأوقعته فى المهادى والمعاطب، حتى انه ليركب كثيرا^٤ ه من أموره وهو قاطع بأنه باطل شنيع. لا يقدم على مثله عاقل، فصار يعبد من دون الله ما [هو -] دون البشر بل ومطلق الحيوان مما لا ضرر فيه ولا نفع،^٥ و صار يركب^٦ الظلم والعدوان والإفك والبهتان، وما لا يحصى بالعد من أنواع الفواحش والعصيان، ويظلم أبناء جنسه وغيرهم، ويجتهد فى الفجور، ويتصرف بما^٧ لا يشك^٨ هو فى أنه لا يقره^٩ ١٠ عليه من له أدنى نظر ممن يلزمه أمره^{١٠} ويعنيه شأنه، فصار بذلك أخط رتبة من البهائم بل من أدنى الحشرات المستفدرات لأنها وإن كانت لها شهوات إلا أنها ليس لها عقل تغطيه بها وتطمس نوره بظلامها، فلا تنسب إلى أنها قوّت شيئا لعدم تكليفها لعدم العقل الموجب للشرف، وأما هو فاستعمل ما خلقناه له من الآلات، وما فضلناه به من الكمالات، ١٥

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: بالنكسر (٢) من ظ و م، وفى الأصل: استتات - كذا (٣) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها. (٤) من ظ و م، وفى الأصل: كثير (٥) زيد من ظ (٦-٧) من ظ و م، وفى الأصل: فصار (٧) من ظ و م، وفى الأصل: فيما (٨) زيد فى الأصل: فيه، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها (٩) من ظ و م، وفى الأصل: امره.

في غير ما خلقناه له فاستحق العذاب المهين، ثم يموت من^١ غير مجازاة
 على^٢ شيء من ذلك أو على كثير منه^٣، فلا بد في الحكمة حينئذ من بعثه،
 وله بعد البعث عند ربه على ذلك عذاب مقيم. وأما في خلقه فبالهرم
 حتى صار بعد تلك القوى ضعيفا، وبعد ذلك العز ذليلا مهينا، وبعد
 ذلك العلم الغزير والفكر المنير لا يعلم شيئا، وصار يستقدره^٤ وينسكركه
 من كان يألفه ويستعطره، وقال ابن رجان: أما رده في طريق الديانة
 فبالكفر والتكذيب، وأما فيما سبيله الجزاء فبالسخر في دار البرزخ
 وتحويل صورته إلى ما غلب^٥ عليه خلقته وعمله في^٦ الدنيا من الدواب
 والهوام والبهائم، وفي الآخرة تزرق عيناه ويشوه خلقه^٧، وقال
 الإمام أبو العباس الأقليشي^٨ في شرح «المقدم المؤخر» من شرحه للاسماء
 الحسنى: إن الله تعالى خلقه - أي الإنسان - أولا في أحسن تقويم.
 ثم ركبته في هذا الجسم الذي يجذبه إلى أسفل سافلين^٩، فإن قدم عقله
 على هواه صعد إلى أعلى عليين، وكان من المقربين المقدمين، وإن قدم
 هواه هبط إلى أدراك الجحيم، وكان من المبعدين المؤخرين.

(١) من ظ و م، وفي الأصل: فلان قد استحق (٢) من ظ، وفي الأصل وم؛
 على (٣) من ظ، وفي الأصل وم: من (٤) زيد في الأصل و ظ: بل،
 ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٥) سقط من ظ وم (٦) من ظ وم،
 وفي الأصل: قلب (٧) زيد في الأصل: دار، ولم تكن الزيادة في ظ وم
 لحذفها (٨) من ظ وم، وفي الأصل: خلقته (٩) راجع معجم المؤلفين
 ١٨١/٢ (١٠) من ظ وم، وفي الأصل: السافلين.

ولما حكم بهذا الرد على جميع النوع إشارة إلى كثرة المتصف به منهم، وكان الصالح قليلا جدا، جعله محط الاستثناء فقال: ﴿الذين آمنوا﴾ أى بالله ورسله^١ فكانوا [من - ٢] ذوى البصائر والمعارف، فغلطنا بلطفنا عقولهم بما دعت إليه و أعانت عليه الفطرة الأولى على شهواتهم، وحيثهم^٢ من أرذل / العمر، فكانوا [كلها - ٣] زدناهم ٥ / ٨٠٣ سنا زدنا أنوار عقولهم و نقصنا نار شهواتهم بما أضعفنا من إحكام طبائعهم و تعلقهم بهذا العالم، و أحكمتنا من مدارك أنوار الحق و إشرافاته^٤ منهم، و أعظمنا من قوى أرواحهم .

ولما كان الإنسان قد يدعى الإيمان^٥ كاذبا قال: ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا لدعواهم الإيمان ﴿الصلحت﴾ أى من محاسن الأعمال من^٦ ١٠ الأقوال والأفعال ثابتة الأركان على أساس الإيمان، محكمة بما آتيناهم من العلم غاية الإحكام، متقنة غاية الإتقان، فانا حفظناهم - و قليل ما هم - بما كملناهم به و شرفناهم على جميع الحيوانات و سائر من سواهم فلم نمكن منهم الشهوات ولا غيرها، و أقنأهم^٧ على ما اقتضاه منهاج العقل، فتبعوا الرسل بسبب إبقائنا لهم على الفطرة الأولى فى أحسن تقويم، لم يدنس ١٥ بحياتها بشهوة و لاحظ ولا هوى، فسهل انقيادهم، فأداهم ذلك إلى العدل

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : رسوله (٢) زيد من م (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : حياتهم (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : إشرافاته (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الان (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : « و » (٨) فى ظ و م : إقنأهم

و النصفة و الإحسان، و جميع مكارم الأخلاق و معالى الأمور،
 و لم يزيغوا عن [منهاج -^١] الرسل فى قول ولا عمل، فالآية [كأرى -^١]
 من الاحتباك : حذف أولا بما أفهمته الآية عمل السيئات . و ثانيا الإبقاء
 على أصل الخلق فى أحسن تقويم على الفطرة الأولى، ليكون نظمها فى
 الأصل : "ثم رددناه أسفل سافلين"^٢ بعمل السيئات فله على ذلك^٣ عذاب
 مهين "الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات" فانا أبقينا هم على الفطرة الأولى
 فى أحسن تقويم .

ولما كان السياق لمدح المؤمنين، حسن أن يعد أعمالهم التى تفضل
 عليهم بها سببا كما منّ عليهم^٤ به من الثواب^٥ فقال : (فلهم) أى
 ١٠ فتسبب عن ذلك أن كان لهم فى الدارين على ما وفقوا له بما يرضيه
 سبحانه و تعالى (أجر) أى عظيم جدا وهو مع ذلك (غير ممنون^٦)
 أى مقطوع أو يمن عليهم به حتى فى حالة المرض و الهرم [لكونهم -^٧]
 سعوا فى مرضاة الله سبحانه و تعالى و عزموا عزمًا صادقًا أنهم لا ينقصون
 من أعمال البر ذرة^٨ ولو عاشوا مدى الدهر، و ذلك الأجر جزاء لأعمالهم
 ١٥ فضلا منه بالأصل^٩ و الفرع حتى أنهم إذا عجزوا بالهرم كتب لهم
 أجر ما كانوا يعملون فى حال الصحة، و لمن تابع هواه فى السفول
 عذاب عظيم لأنه رد أسفل سافلين^{١٠} .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : السافلين (م) فى ظ :
 بذلك (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : على (هـ-هـ) من ظ و م ، وفى الأصل :
 بالثواب (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بالأصنف .

ولما ثبت بهذا انه لا يجوز في الحكمة تركهم بغير^١ جزاء مع ما
 يشاهد^٢ من ظلم بعضهم لبعض معاندة لما يقتضيه [قويم-^٣] العقل الذي
 لا شك فيه، فكان ذلك بحيث لا يرضاه أحد منهم ولا يقر مخلوق عبدا
 في ملكه على مثله بأن يغني بعضهم على بعض فيهملهم^٤ بل لابد أن
 يحجز بينهم أو يأخذ للظلم من الظالم، ولو كان ذلك المالك أقل الناس
 وجاهلهم فكيف إن كان عاقلا فكيف إن كان حاكما فكيف / إن
 كان لا يخاف أحدا فكيف إن كان عدلا مقسطا قد ثبتت إحاطة علمه
 وقدرته سبحانه وتعالى، حسن كل الحسن^٥ أن يكون ذلك سببا للانكار
 على من يظن أن الله يهمل عباده من الحكم بينهم لمجازاة كل من المطيع
 والعاصي بما^٦ عمل مع ما ترى من ظلم بعضهم لبعض، وأن الظالم قد^٧
 يموت قبل القصاص، فقال مسيبا عن الوعد بما أفصح^٨ به الكتاب من
 إثابة المؤمنين الذين طالما بغى عليهم الظلمة، وانتقصهم^٩ حقوقهم الفسقة،
 والوعيد بما أفهمه الخطاب لعقاب المجرمين الذين طالما بغوا على غيرهم:
 ﴿فما﴾ أي قسب عن إقامة الدليل على تمام القدرة وعلى بغى العبيد
 بعضهم على بعض أنه يقال لك تصديقا لك فيما أخبرت به من [أن-^{١٠}]

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : من غير (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : يشاء .
 - كذا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يشك (٥) من
 م ، وفي الأصل و ظ : فيهملهم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بل (٧) من
 ظ و م ، وفي الأصل : الحق (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : على (٩) سقط
 من ظ و م (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : افتتح (١١) من ظ و م ، وفي
 الأصل : انتقصوهم .

الله سبحانه و تعالى يبعث الخلائق بعد موتهم ليجازى كلا بما عمل
و إنكارا على من كذبك : [ما - ١] ﴿يَكْذِبُ﴾ أى أى شئ^١ ينسبك إلى
الكذب يا أشرف الخلق و أكملهم نفسا و أقام عرضا و أطهرهم خلقا
و خلقا، و عبر بـ «ما»^٢ إشارة إلى^٣ أن الكذب بهذا مع [هذا - ٤]
الدليل القطعى الذى تضمنته هذه السورة فى عداد ما لا يعقل بل دونه
﴿ بعد ﴾ أى بعد مشاهدة بغى بعض الناس على بعض استعمالا لحال^٥ التمسك،
و أعراه من الجار إشارة إلى أن هذا الذم لمن استغرق زمانه الذى بعد هذا
الدليل بالتكذيب، إشارة إلى أن من آمن قبل الغرغرة و اتصل بإيمانه ذلك
بموته^٦ كان ممن له أجر غير ممنون ﴿ بالدين^٧ ﴾ أى الجزاء لكل أحد
بما يستحقه على سبيل العدل و الإنصاف لأجل تلك الأعمال التى غلبت
فيها الحظوظ على العقول، فوقع بها من الظلم و الأذى ما لا يسمع عاقلا
من العباد أن يحسن عنده ترك فاعلها من غير^٨ جزاء حتى كان أكثر
أفعال العباد ظلما، و من شأن الملوك الإنصاف بين عبيدهم و رعاياهم،
فكيف بالله سبحانه و تعالى الذى شرع لعباده ذلك، و قد ثبت بما له
١٥ من هذا الخلق العظيم، على هذا النظام المحكم و المنهاج الاقوم أنه الحكيم،
الذى لا حكيم غيره، العليم الذى لا عليم سواه .

(١) زيد من م (٢) سقط من م (٣-٢) من ظ و م، و فى الأصل :
ادت الإشارة اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : لحانة.
(٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل : اتصلت السعادة بإيمانه حين موته (٧) من
ظ و م، و فى الأصل : نعم .

ولما صح أن تارك الظالم بغير انتقام والمحسن بلا إكرام ليس
 [على - ٢] منهاج العدل الذي شرعه^٢ الله تعالى، حسن جدا تكرير
 الإنكار بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ليس الله ﴾ أى على ما له من صفات
 الكمال، وأكده بالجار في قوله: ﴿ باحكم الحكيم ﴾ أى حتى يدع الخلق
 يهلك بعضهم بعضا من غير جزاء، فيكون خلقهم عبثا، بل هو أحكم
 الحاكمين علما وقدره وعدلا وحكمة بما شوهده^٣ من إبداعه الخلق ومفاوته
 بينهم، وجعل الإنسان [من - ٢] بينهم على أحسن تقويم، فلا بد أن
 يقيم الجزاء ويضع الموزن القسط / ليوم القيامة فيظهر عدله وحكمته
 وفضله، وهذا الآخر هو أولها قسما من جهة النبوت التي ظهر بها
 حكمه وحكمته، ومقسما عليه من حيث أن الخلق في أحسن تقويم يقتضى ١٠
 العدل لا محالة، والرد أسفل سافلين* يتقاضى الحكم حتما لأجل ما يقع
 من الظلم والتشاجر بين من استمر على الفطرة القويمة ومن رد للأسفل
 سافلين، وقد اشتملت هذه السورة على وجازتها على جميع مقاصد
 التوراة إجمالا، وزادت دلالة على الآخرة، وذلك أن قسمها هو قوله
 في التوراة «أتانا ربنا من سيناء وشرق لنا من جبل ساعر، وظهر لنا ١٥
 من جبال فاران^٤، والخلق في [أحسن - ٢] تقويم هو خلق آدم
 (١) من ظ و م، وفي الأصل: بغير (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م،
 وفي الأصل: شره (٤) زيد في الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لحذفناها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: السافلين (٦) من ظ و م، وفي
 الأصل: ظران.

عليه الصلاة والسلام المذكور في أولها وخلق زوجه وما يحتاجان إليه
 من السماء والأرض ، وخلق الأصفياء من أولادهما وما جاؤا به من
 الخير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات هو ما فيها من الشرائع
 والأحكام ، وقوله بعد ما تقدم من المعبر بالمقسم عنه « معه ربوات
 ٥ الأظهار عن يمينه أعظام وحيهم إلى الشعوب ، وبارك على جميع أطهاره ،
 والرد أسفل سافلين هو ما ذكر أولها من العصاة من قاييل ومن بعده
 إلى آخرها ، على ما أشار إليه من عصيان بني إسرائيل الموجب للعنهم ،
 فقد اكتتفت بأول التوراة وآخرها وأوسطها ، وأبدأ بآخرها لأنه
 في النبوات ، وهي أهم المهم لأنها المنجية من شر قطاع الطريق ، وآخرها
 ١٠ أدل ما فيها على النبوات^١ لاسيما الثلاث [العظام - ^٢] المشار إليها بقسم
 هذه السورة - ^٣ والله سبحانه وتعالى أعلم بالغيب^٤ .

(١) زيد في الأصل : والله الهادي ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
 (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٢) في ظ : والله الهادي إلى الصواب وإليه المرجع
 والمآب ، وفي م : والله الهادي .

سورة العلق^١ و تسمى اقراً

^٢ مقصودها الامر لاسميا للمقصود بالفضل في سورة التين بعبادة من له الخلق و الامر ، شكرا لإحسانه و اجتنابا لكفرانه ، طمعا في جنانه و خوفا من نيرانه ، لما^٣ ثبت من أنه يدين العباد يوم^٤ المعاد ، و كل من اسميها دال على ذلك لأن المربي يجب شكره ، و يحرم غاية التحريم كفره ، على^٥ أن "اقراً" ، يشير إلى الامر ، "و العلق" يشير إلى الخلق ، و "اقراً" يدل على البداية و هي العبادة بالمطابقة ، و على النهاية و هي النجاة يوم الدين باللازم ، و العلق يدل على كل من النهاية ثم البداية بالالتزام ، لأن من عرف أنه مخلوق من دم عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب ، فان التراب أقبل للحياة من الدم ، و من صدق [بالإعادة -]^{١٠} عمل لها ، و خص العلق لأنه مركب الحياة ، و لذلك سمي^٦ نفسا ﴿ بسم الله ﴾ الذي له صفات الكمال فاستحق التفرد بالإلهية / ﴿ الرحمن ﴾ الذي عمت نعمته فاستوجب الشكر من سائر البرية ﴿ الرحيم ﴾ الذي وفق من شاء

(١) السادسة والتسعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ١٩ .
 (٢) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ ، و في الأصل و م : كما (٤) زيد في الأصل : القيامة وهو ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و في الأصل : سميا .

من خواصه لما أنالهم به^١ المواهب السنية^٢ والعطايا الوفية^٣ .

لما أمره سبحانه و تعالى في الضحى بالتحديث بنعمته ، و ذكره
بمجامعها في " ألم نشرح " فأتج ذلك لإفراده بما أمره به^٤ في ختمها من
تخصيصه بالرغبة إليه ، فدل في الزيتون على أنه أهل لذلك لتمام قدرته
٥ الذي يلزم منه أنه لاقدرة لغيره إلا به ، فأتج ذلك تمام الحكمة فأثمر قطاعا
البعث^٥ للجزاء فتشوف السامع^٦ إلى ما يوجب حسن الجزاء في ذلك اليوم
و بأيّ وسيلة يقف بين يدي الملك الأعلى في يوم الجمع الأكبر من
خصال الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، فأرشد^٧ إلى ذلك في هذه السورة ،
فقال بادئا بالتعريف بالعلم الأصلي ذاكرًا أصل من خلقه سبحانه و تعالى
١٠ في أحسن تقويم و بعض أطواره الحسنة و القبيحة تمجيبًا من تمام قدرته
سبحانه و تعالى و تفيها على تعرفها و إنعام^٨ النظر فيها ، و قدم الفعل
العامل في الجار و المجرور هنا لأنه أوقع في النفس لكونها أول ما نزل
فكان الأمر بالقراءة أم : (اقرأ) و حذف مفعوله لإشارة إلى أنه
لا قراءة إلا بما أمره به ، و هي الجمع الأعظم ، فالمعنى : أوجد القراءة لما
١٥ لا مقروء غيره ، و هو القرآن الجامع لكل خير ، و أفصح له بأنه لا يقدر

- (١) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢-٢) سقط
ما بين الرقيين من ظ و م (٣) في م : بها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : منها .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : البحث (٦) من م ، وفي الأصل و ظ :
الشارع (٧) زيد في الأصل : السياق ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
(٨) من ظ و م ، وفي الأصل : امعان .

على ذلك إلا بمعونة الله الذى أدبه فأحسن تأديبه ، ورباه^١ فأحسن تربيته ، فقال ما أرشد المعنى إلى [أن -^٢] تقديره : حال كونك مفتتحا القراءة (باسم ربك) أى بأن تبسمل ، أو مستعينا بالمحسن إليك لما^٣ له من الأسماء الحسنى والصفات العلى بما خصك به فى "ألم نشرح" أو بذكر اسمه ، والمراد على هذا بالاسم الصفات العلى ، و عبر به لأنه يلزم من حسن ه الاسم حسن مدلوله ، ومن تعظيم الاسم تعظيم المسمى وجميع ما يتصف به و ينسب إليه^٤ ، قالوا : وهذا يدل على أن القراءة لا تكون تامة إلا بالتسمية ، ولكونه فى سياق الأمر بالطاعة الداعى إليها تذكر النعم لم ينمك الاسم الأعظم الجامع ، وذكر صفة الإحسان بالتربية الجامع لما عداه و تأنيسا له صلى الله عليه وسلم لكونه أول ما نزل حين جب ١٠ إليه الخلاه ، فكان يخلو بنفسه^٥ يتعبد بربه فى غار حراء ، فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بخمس آيات من أول هذه السورة إلى قوله "ما لم يعلم" ولهذا السر ساقية مساق البسملة بعبارة هى أكثر تأنيسا فى أول الأمر وأبسط منها ، فأشار إلى الاسم الأعظم بما فى مجموع الكلام من صفات الكمال ، وأشار إلى عموم منة الرحمن بصفة / الخلق المشار إلى تعميمها^{١٥} / ٨٠٧ بخذف المفعول ، وإلى خصوص صفة الرحيم بالأكرمية التى من شأنها

- (١) من م ، وفى الأصل و ظ : زيادة (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الى ما (٤) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها .
(٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نعيمها .

بلوغ النهاية ، وذلك لا يكون بدون إفاضة العمل بما يرضى ، فيكون سببا
للكرامة^١ الدائمة ، و بالتعليم^٢ الذى من شأنه أن يهذى إلى الرضوان ،
و أشار إلى الاستعاذة^٣ بالأمر بالقرآن لما أفهمه قوله سبحانه و تعالى "و اذا
قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة - [أى من
ه شياطين الإنس و الجن - '] - حجابا مستورا " - و قوله تعالى " فاذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم " .

و لما خصه تشريفا* باضافة هذا الوصف الشريف إليه ، وصفه
على جهة العموم بالخلق و الأمر إعلاما بأن له التدبير و التأثير ، و بدأ
بالخلق لأنه محسوس بالعين ، فهو أعلق^٤ بالفهم ، و أقرب إلى التصور ، و أدل
١٠ على الوجود و عظيم القدرة و كمال الحكمة^٥ ، فكانت البداية به فى هذه
السورة التى هى أول ما نزل أنسب الامور لأن أول الواجبات^٦ معرفة
الله^٧ ، و هى بالنظر إلى أفعاله فى غاية الوضوح فقال : (الذى خلق^٨)
و حذف مفعوله إشارة إلى أن له هذا الوصف و هو التقدير و الإيجاد
على وفق التقدير الآن و فيما كان و فيما يكون ، فكل شئ يدخل فى
١٥ الوجود فهو من صنعه و متردد بين إذنه و منعه و ضره و نفعه .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الكرامة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل :
بالتعظيم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ساعاته - كذا (٤) زيد من ظ و م .
(٥) زيد فى الأصل : بما خصه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من
ظ و م ، و فى الأصل : أعلم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : القدرة (٨-٨) فى
ظ و م : معرفته سبحانه .

ولما كان الحيوان أكمل المخلوقات، وكان الإنسان أكمل الحيوان
و زبدة مخضه، و لباب حقيقته و سر محضه، و أدل على تمام القدرة
لكونه جامعا لجميع ما فى الأكون، فكان خلقه أبداع من خلق غيره،
فكان لذلك أدل على كمال الصانع^١ و على وجوب إفراده بالعبادة، خصه
فقال: ﴿خلق الإنسان﴾ أى هذا الجنس الذى من شأنه الانس بنفسه^٥
و ما رأى من أخلاقه و حسه، و ما ألقه من أبناء جنسه .

ولما كانت العرب تأكل الدم، و كان الله تعالى قد حرمه لانه^٢
أصل الإنسان^٣ أو غيره من الحيوان^٢ و هو مركب الحياة، فاذا أكل تطبع
آكله بخلق ما هو دمه، قال معرفا بأنه سبحانه و تعالى بنى هذه الدار^٤ على
حكمة الأسباب مع قدرته على الإيجاد من غير تطوير^٥ فى تسليب: ١٠
﴿من علق^٦﴾ أى [خلق^٦] هذا النوع من هذا الشيء و هو دم شديد
الحرارة جامد غليظ، جمع علقه، وكذا الطين الذى يعلق باليد يسمى علقا،
و هم^٧ مَقْرُونُونَ بخلق الآدمى من الأمرين كليهما، فالآية من أدلة إمامنا
الشافعى رضى الله تعالى عنه على استعمال المشترك فى معنيه، و لعله عبر
به ليعم الطين فيكون - مع ما فيه من الإشارة إلى بديع الصنعة - إشارة إلى ١٥
حرمة أكل ما هو أصلنا من الدم و التراب قبل أن يستحيل، فاذا

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الصنع (٢) من ظ و م، وفى الأصل: لأن.

(٣-٢) من ظ و م، وفى الأصل: من الحيوان و غيره (٤-٤) فى ظ و م:

بنى هذه الدار سبحانه و تعالى (٥) من ظ و م، وفى الأصل: تطور (٦) زيد

من ظ و م (٧) من ظ و م، وفى الأصل: هو .

/ ٨٠٨

استحال وصف بالحلال لأن الاستحالات لها مدخل في الإحالات^١
 في النكاح وغيره /، واحمرار النطفة ليس استحالة لأنها كانت حمراء قبل
 قصر الشهوة لها، وربما ضعفت الشهوة عن قصرها فنزلت [حمراء-]^٢،
 فاذا تحول^٣ الدم لحما صار إلى جنس ما يحل، وكذا إذا تحول التراب
 بمخالطة الماء تمرا^٤ أو حبا حل .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال الله سبحانه وتعالى لبيه
 صلى الله عليه وسلم "فأيكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين"
 وكان معنى ذلك: أى شئ حل على هذا بعد وضوح الأمر لك وبيانه
 وقد نزهه سبحانه وتعالى عن التكذيب بالحساب وأعلى قدره عن ذلك،
 ١٠ ولكن سبيل مثل هذا إذا ورد كسبيل قوله تعالى "لئن اشركت ليحبطن
 عملك" وبابه، وحكم هذا القليل واضح في حق من تعدى إليه الخطاب
 وقصد بالحقيقة به من أمته صلى الله عليه وسلم من حيث عدم عصمتهم
 وإمكان تطرق الشكوك والشبهة إليهم، فتقدير الكلام: أى شئ
 يمكن^٥ فيه أن يحملكم على التوقف أو التكذيب بأمر الحساب، وقد
 ١٥ وضع لكم ما يرفع الريب ويزيل الإشكال، ألم تعلموا أن ربكم أحكم
 الحاكمين؟ أفيلق^٦ به وهو العليم الخبير أن يجعل اختلاف أحوالكم في

(١) من ظ، وفي الأصل: الاستحالات، وفي م: الاستحالات (٢) زيد
 من ظ وم (٣) من ظ وم، وفي الأصل: استحالة (٤) من ظ وم، وفي
 الأصل: بحر (٥) من ظ وم، وفي الأصل: طريق (٦) من م، وفي الأصل
 وظ: يمكنكم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: يلقي.

الشكوك بعد خلقكم في أحسن تقويم؟ أفحس أن يفعل ذلك عبثاً؟
وقد قال تعالى "وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً" فلما
قرر سبحانه العبيد على أنه أحكم الحاكمين مع ما تقدم ذلك من موجب
نفي الاسترابة في نوع الحق إذا اعتبر و نظر، و وقعت في الترتيب سورة
العلق مشيرة إلى ما به يقع [الشفاء - ٢]، ومنه يعلم الابتداء والانهاء، ه
وهو كتابه المبين، الذي جعله الله تعالى تبياناً لكل شيء و هدى و رحمة
و بشرى للحسنين، فأمر بقراءته ليتدبروا آياته فقال "اقرأ باسم ربك"
مستعينا به فسوف يتضح سبيلك و ينتهج دليلك "تبارك الذي نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين نذيراً" و أيضاً فإنه تعالى أعلم عباده بخلقهم
الإنسان في أحسن تقويم "ثم رددناه أسفل سافلين" و حصل منه على ما ١٠
قدم^٢ بيانه افتراق الطرفين و تباين القائلين، كل ذلك بسابق حكمته
و إرادته "و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها" و قد بين سبحانه لنا
أقصى غاية ينالها أكرم خلقه و أجل عباده لديه من الصنف الإنساني،
و ذلك فيما أوضحت السورتان قبل من حال نبينا المصطفى صلى الله
عليه وسلم و جليل وعده الكريم له في قوله "و لسوف يعطيك ربك ١٥
فرضى" و فضل حال ابتداء "الم نشرح" على تقدم سؤال "رب اشرح"
إلى ما أشارت إليه آى السورتين من خصائصه الجليلة، و ذلك
أعلى مقام يناله^٤ أحد من ذكر، فوقع [تعقيب - ٢] ذلك بسورة

(١) من ظ و م، و في الأصل: وقد (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و في
الأصل و ظ ا تقدم (٤) في ظ: لا يناله .

/ ٨٠٩

تضمنت الإشارة إلى حال من جعل في الظرف الآخر من الجنس الإنساني،
وذلك حال من أشير إليه من لدن قوله تعالى "أرأيت الذي ينهى عبدا
إذا صلى" إلى قوله "كلا لا تطعه" ليظهر تفاوت / المنزلتين و تباين ما بين
الحالتين، وهي العادة المطردة في الكتب، ولم يقع صريح التعريف هنا
ه كما وقع في الظرف الآخر لطابق المقصود، و لعل بعض من لم يتفطن
يعترض هنا بأن هذه السورة من أول ما أزل فكيف يستقيم مرادك
من ادعاء ترتيبها على ما تأخر [عنها-٢] نزولا، فنقول له: وأين غاب
اعتراضك في عدة سور مما تقدم بل في معظم ذلك، وإلا فليست سورة
البقرة من المدنى، و مقتضى تأليفنا هذا بناء ما بعدها من السور على الترتيب
الحاصل في مصحف الجماعة إنما هو عليها و فيما بعد من المكي^٢ ما لا يخصي،
فإنما غاب عنك نسيان (٩) ما قدمناه في الخطبة من أن ترتيب السور على
ما هي عليه راجع إلى فعله عليه الصلاة والسلام أكان ذلك بتوقيف
منه أو باجتهاد الصحابة رضى الله عنهم على ما قدمناه، فارجع بصرك،
وأعد في الخطبة نظرك، والله يوفقنا إلى اعتبار بيناته و تدبر آياته،
١٥ و يحملنا في ذلك على ما يقربنا إليه بمنه [و -٥] فضله - انتهى .

و لما أنم سبحانه ما أراد من أمر الخلق و هو الإيجاد [بالأسباب-٥]

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ليوافق (٢) زيد من ظ و م (٣) زيدت
انوا و في الأصل و لم تكن في ظ و م لخدفتاها (٤) من ظ و م ، و في الأصل :
الى (٥) زيد من م .

بالتدرج، أخذ في التنيه على عالم الامر و هو الإبداع من غير أسباب،
فقال مكررا للأمر بالقراءة تنبيهها على عظم شأنها و تأنيسا له صلى الله عليه
وسلم و 'مسكننا لروعه و معلما أن من جاءه الامر من قبله ليس كآربابهم:
﴿اقرأ﴾ و لما كان قد قال صلى الله عليه وسلم عند هذا الأمر إخبارا
بالواقع كما يقوله لسان الحال لو لم ينطق بلسان القول: ما أنا بقارئ، ه
فكان التقدير: فربك الذى رباك فأحسن تربيتك و أدبك فأحسن
تأديبك^٢ أمرك بالقراءة و هو قادر على جعلك قارئنا، عطف عليه [قوله -^٢]:
﴿و ربك﴾ أو يكون التقدير: و الحال أن الذى خصك بالإحسان الجم
﴿الأكرم﴾ أى الذى له الكمال الأعظم مطلقا من جهة الذات و من
جهة الصفات و من جهة الأفعال، فلا يلحقه نقض فى شيء من الأشياء ١٠
[أصلا -^٢] لأن حقيقته البعيد عن اللوم الجامع لمساوى الأخلاق، فهو
الجامع لمعالى الأخلاق، و ليس غيره يتصف بذلك، فهو يعطيك ما لا يدخل
تحت الحصر، و أشار إلى [أن -^٢] من ذلك أنه يفيض على^٣ أمته الامية
من العلم و الحظ ما لم يفض على أمة قبلها على قصر أعمارهم، فقال مشيرا
إلى العلم التعليم، مشعرا بوصفه سبحانه بالمنح بالعلم إلى ترتيب الحكم بالأكرمية ١٥
على هذا الوصف الناقل للانسان من الحال العلقى^٤ السافل إلى هذا الحال

(١) سقط من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نادبك (٣) زيد من م .
(٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٧) من م، و فى الأصل
و ظ : العقل .

العالى الكامل ﴿الذى علم﴾ أى بعدد^١ الحلم عن معاجلتهم^٢ بالعذاب والعقاب^٣ جودا منه من غير مانع من خوف عاقبة ولا رجاء منفعة ﴿بالقلم^٤﴾ أى الكتابة به . ولما نبه بذلك على [ما فى -^٥] الكتابة من المنافع التى لا يحيط بها غيره سبحانه وتعالى ، لأنها انبنت عليها استقامة أمور الدنيا والدين فى الدنيا والآخرة ، وهى كافية فى الدلالة على دقيق^٥ حكمته / تعالى ولطيف تدبيره ، زاد ذلك عظمة على وجه يعم غيره فقال^٦ :
 ﴿علم﴾ أى العلم الضرورى والنظرى ﴿الانسان﴾ أى الذى من شأنه الانس بما هو فيه لا يتقل إلى غيره بل ينساه إن لم يلهمه ربه إياه ﴿ما لم يعلم^٧﴾ أى باطنه وحكمته لينتظم^٨ به حاله [فى دينه -^٩] من الكتاب والسنن ودينه من المعاملات والصنائع ، فيفيض عليه من علمه اللدنى الذى لا سبب له ظاهر ما يعرف به ترتيب المقدمات بالحدود [و -^٩] الوسطى ، فيعلم النتائج ، وما يعرف به الحدسيات ، وذلك بعد خلق القوى ونصب الدلائل وإنزال الآيات . ولو كان ذلك بالاسباب فقط لتساوى الناس فى مدة التعليم [و -^٩] فى أصل المعلوم كما تساوا فى مدة الحمل وأصل الإنسانية ، وقد ذكر سبحانه مبدأ الإنسان ومنتهاه بنقله من أحسن الحالات^{١٠} إلى أعلاها تقريراً لربوبيته^{١١} وتحقيقاً لأكرميته ،

(١) زيد فى ظ : محكم (٢-٢) فى ظ و م : بالعقاب (٣) زيد من ظ و م .
 (٤) زيد فى الأصل : وما فيها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل تدقيق (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : قال (٧) زيد فى ظ : من (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لينتظم (٩) زيد من م (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : الأحوال (١١) من م ، وفى الأصل وظ : للربوبية .

قال الملوى : و لو كان شيء من العطاء و النعم أشرف من العلم لذكره^١
عقب صفة الأكرمية - انتهى ، وفى ذلك إشارة إلى مزيد كرم العلماء
بالتعليم ، وفى الآية الإشارة إلى مطالعة عالمى الخلق و الامر ، قال الرازى ،
وفى كل من العالمين خصوص و عموم - انتهى ، فالمعنى أنه يعلمك أيها
النبي الكريم و إن كنت أميا لا تعلم الآن شيئا كما علم بالقلم من لم يكن يعلم ، ه
فتكون أنت - بما أشارت إليه صفة الأكرمية على ما أنت فيه من الأمية -
أعلم من أهل الأقلام ، و أعلى فى [كل -^٢] مقام سام .

و لما كان الدم أكثر الأخلط و أشدها هيجانا^٣ ، فإن مرضه لا يشبهه
شيء من أمراض بقية الأخلط ، و كان مع ذلك سريع البرء إن أصيب
علاجه و عولج بأمر قاهر أقوى منه ، و كان العلم قرين الغنى فى الأغلب ، ١٠
و كانت زلة العالم تفوق زلة غيره ، قال معرفا بعد التعريف بالإلهيات
بأمر النفس مبينا لقسم الإنسان المردود أسفل سافلين مقررا لحاله ،
و رادعا له عن ضلاله : ﴿ كَلَّا ﴾ أى ارتدع أيها العالم عن الطغيان
إن نلت الغنى حقا ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى هو نوعك و من
شأنه الانس بنفسه و النظر فى عطفه ﴿ ليطنى^٤ ﴾ أى من شأنه - إلا من ١٥
عصمه الله سبحانه - أن يزيد على الحد الذى لا ينبغي له مجاوزته كما يزيد
الخلط^٥ الدموى ، و أكده لما لاكثر الخلق من التكذيب به فانه لا طاعنى
يقر بأنه طغى ﴿ ان ﴾ أى لأجل أن ﴿ راه ﴾ أى علم الإنسان نفسه

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لذكر (٢) زيد من ظ و م (٣) فى ظ و م :
هيجا (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : كان (ه) من ظ و م ، وفى الأصل :
الحفظ .

علما وجدانيا ﴿استغنى^٥﴾ أى وجد له الغنى، هذا هو الطبع الغالب فى الإنسان متى استغنى عن شىء عمى عن مواضع افتقاره، فتغيرت أحواله معه، و تجاوز فيه ما ينبغى له الوقوف عنده «ولا يملأ» جوف ابن آدم إلا التراب، و من كان مفتقرا^٢ إلى شىء كان منطاعا له كما فى حديث ٥ آخر أهل النار خروجا منها يقسم لربه أنه لا يسأل غير ما طلبه، فإذا أعطيه و استغنى به سأل غيره حتى يدخل دار القرار، [و -^٤] لعله نبه بهذا على أن هذه الأمة المحتاجة ستفتح / لها خزائن الأرض فيطغىها الغنى كما أظنى من قبلها و إن كانوا هم ينكرون ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم حين بشرهم بالفتوحات و قال : إنه يغدى على أحدكم بصفحة ١٠ و يراح عليه بأخرى^٦ ثم قال لهم : أنتم اليوم خير أم يومئذ، فقالوا : بل يومئذ، تنفرغ لعبادة ربنا، فقال : بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ، قال صلى الله عليه وسلم : و الله ما الفقر أخشى عليكم، و لكن أخشى أن يبسط^٧ عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم - أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

١٥ ولما كان لا دواء [لذلك -^٨] مثل تذكر الجزاء. قال معرfa أن

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : بنى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : معتقدا .
 (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : أخرى (٦) زيد فى الأصل : كما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها (٧) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفها .
 (٨) زيد من ظ و م .

الإنسان لا يزال مفتقرا إلى مولاه في حياته و [ماتته -^١] وغناه وفقره،
محذرا له سوء حالاته مؤكدا لأجل إنكارهم ذلك: ﴿ ان إلى ربك ﴾
أى المحسن إليك بالرسالة التى رفع بها ذكرك، لا إلى غيره من التراب
ونحوه^٢ ﴿الرجعى له﴾ أى الرجوع الاعظم الثابت الذى لا يحيد عنه، أما
في الدنيا فلا يحيد عن الإقرار به، فانه لا يقدر أحد على شئ. إلا بتقديره، هـ
و أما في الآخرة فيما أثبت في برهانه في سورة التين، فيحاسب الناس
بأعمالهم، ويجازى كل أحد بما يستحق من ثواب أو عقاب، فقيه وعيد
للطاغى [وتحقير -^١] لغنى ينقطع .

ولما أخبر بطغيانه وعجل بذكر دوائه لأن المبادرة بالدواء لثلاث^٣
يتحكم الداء واجبة، دل على طغيانه مخوفا من عواقب الرجعى في أسلوب ١٠
التقرير لأنه أوقع في النفس و أروع^٤ للّب لأن أبا جهل قال: لئن رأيت
محمدا يعفر وجهه لأفضخن رأسه بصخرة، فجاء ليفعل ما^٥ زعم فنكص على
عقبه و يبست يده على حجره فسئل عما دهاه، فقال: إن يئى و بينه لهولا
و أجنحة، وفي رواية: لثندقا من النار^٦، وفي رواية: لفحلا من الإبل،
فأرأيت مثله، ولودنوت [منه -^٧] لا كلنى، وأصل الحديث في صحيح ١٥
مسلم^٨ عن أبى هريرة رضى الله عنه، [فقال -^٧]: ﴿ارهيت ﴾ تقدم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: وغيره (٣) من ظ
و م، وفي الأصل: قبل ان (٤) من ظ و م، وفي الأصل: أروع (٥) من
ظ و م، وفي الأصل: كما (٦) في ظ: الغبار (٧) زيد من ظ (٨) راجع
صفات المنافقين .

في الأنعام أن هذا الفعل إذا لم يكن بصريا كان بمعنى أخبر، فالمعنى:
[أخبرني - '] هل علمت بقلبك علما هو في الجلاء كروية بصرك
(الذي ينهى^١) أي على سبيل التجديد والاستمرار .

ولما كان أخش ما يكون صد العبد عن خدمة سيده، قال معبرا
بالعبودية منكرا للبالغة في تقبيح النهى والدلالة على كمال العبودية:
٥ (عبدا) أي من العبيد (إذا صلي^٢) أي خدم سيده الذي لا يقدر
أحد أن ينكر سيادته بإيقاع الصلاة التي هي وصلته به، وهي أعظم
أنواع العبادة لأنها مع كونها أقرب وصلة إلى الحق انقطاع وتجرد
بالكلية عن الخلق، فكان نهيه له عن ذلك نهيا عن أداء الحق لاهله
١٠ حسدا أو بغيا، فكان دالا على أن من طبع [أهل - '] كل زمان
عداوة أهل الفضل وعدمهم عن الخير لثلا يختصوا^٣ بالكمال .

ولما كان هذا أمرا خارجا عن الحد في الطغيان، وكان السؤال
إنما / هو عن رؤية حاله في نهيه العبد عن الصلاة، لا عن رؤية ذاته،
فتشوف السامع إلى معرفة ذلك [الحال - ']، كرر التقرير بزيادة
١٥ التعجيب من حاله والتحذير، فقال مكررا العامل بزيادة في التأكيد وبيانا
لأن هذا في الحقيقة أول السؤال عن الحال: (أريت) أي أخبرني^٤
عن حاله (ان كان) أي هذا الناهي، وعبر بأداة الاستعلاء إشارة
إلى أنه في غاية الثبات والتمكن فقال: (على الهدى^٥) أي الكامل

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ر م، وفي الأصل: لثلا يختصموا (م) من
ظ و م، وفي الأصل: اخبرت .

في الهداية فكف^١ عن نهى هذا المصلى عن خدمة مولاه الذى هو معترف بسيادته و إن ادعى كذبا أن له شريكا كما أنه لا ينهى عن السجود للأصنام .

ولما ذكر ما لعله يكون عليه في تكميل نفسه ، ذكر ما لعله يعانيه من إنجاء غيره فقال : ﴿ او امر ﴾ أى ذلك الناهى ﴿ بالتقوى^٥ ﴾ ه
أى التى هى عماد الدين ، وهى عمارة الباطن بالنور الناشئة عن الهدى ، و عمارة الظاهر لذلك ، المرشحة من عمارة الباطن ، الموجب لذلك ، فأمر هذا المصلى بملازمة خدمة سيده المجمع على سيادته ، ولاشك في توحيده^٢ بالربوبية بالإقبال على ما يرضيه من أفعال العبادة^٣ ، ليكون ذلك وقاية للفاعل من سخطه فيأمن الهلاك ، والجواب محذوف تقديره : ألم يكن خيرا ١٠ له فليتدبر^٤ كل أمر من أموره فلا يقدم عليه حتى يعلم بالدليل أنه هدى و تقوى .

ولما كان التقدير حتما كما هدى إليه السياق ما قدرته من جواب السؤالين ، بنى عليه قوله زيادة في التوبيخ والتعجيب والتقريع استفهاما عن حال لهذا الناهى مناف^٦ للحال الأول معيدا الفعل لإيضاحا لذلك : ١٥
﴿ اريت ﴾ أى أخبرنى أيها السامع ولا تستعجل ﴿ ان كذب ﴾ أى [أوقع -^٧] هذا الناهى التكذيب بأن المصلى على الهدى بخدمة سيده

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : فكيف (٢) في ظ : توحده (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : العباد (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : فيتدبر (٥) من ظ ، وفي الأصل و م : منافيا (٦) زيد من ظ و م .

المتفق على سيادته ، فكان بذلك مرتكبا للضلال الذي لا شك في كونه ضلالا ، ولا يدعو إليه إلا الهوى .

و لما كان المكذب [قد - ١] لا يترك من كذبه ، أشار إلى أن حال هذا على غير ذلك فقال : ﴿ وتولى ﴾ أى وكلف فطرته الأولى بعد معالجتها الإعراض عن قبول الأمر بالتقوى ، وذلك التولى لإخراجه الباطن بالأخلاق السيئة الناشئة عن التكذيب [وإخراجه الظاهر بالأعمال القبيحة الناشئة عن التكذيب - ٢] ، والجواب محذوف تقديره : ألم يكن ذلك التولى و التكذيب شرا له لأن التكذيب والتولى من غير دليل شر محض ، فكيف إذا كان الدليل قائما على ضدتهما .

١٠ و لما عجب من حاله البعيدة عن العقل مع نفسه و مع أبناء جنسه ، أنكر عليه معجبا من كونه يعلم أنه ليس بيده شئ ، المنتج لأنه مراقب و حاله مضبوط غاية الضبط و ينسى ذلك ، فقال ذاكرا مفعول « أرديت » الثانى وهو لا يكون إلا جملة استفهامية : [(ألم يعلم) - ١] أى يقع له علم يوما من الأيام ﴿ بأن الله ﴾ أى وهو الملك الأعلى ﴿ يرى ﴾ أى [له - ١]

١٥ صفتا البصر و العلم على الإطلاق ، فهو يعلم كل معلوم و يبصر كل مبصر ، و من كان له ذلك كان جديرا بأن يهلك ٢ من يراه على الضلال و الإضلال و ينصر / من يطيع امره على كل من يعاديه ، وإنما جاء هذا الاستفهام الإنكارى على هذا الوجه لأنهم يمتدحون بكل ما أنكر عليهم

/ ٨١٣

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣) زيد في الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م محذوفاتها .

فيه و يلزمهم [بما يفعلون - '] من عداوة النبي صلى الله عليه وسلم أن يكونوا منكرين له، وذلك هو عين التناقض الذي لا أشنع عندهم منه، هذا ويمكن، وهو أحسن، أن تنزل الآية على الاحتباك فيقال: لما كان السؤال عن حال الناهي لأن الرؤية عليه لا بصرية، فتشوف السامع إلى معرفتها. وكان للناهي حالان: طاعة ومعصية، بدأ بالأولى لشرفها^٥ على الأسلوب الماضى فى التقرير على سبيل التعجيب فقال: "أريدت" أى أخبرنى "ان كان" الناهي ثابتا فى نهيه هذا متمكنا "على الهدى" أى الكامل "او" كان قد "امر" فى ذلك الأمر^٢ أو فى أمر^٣ ما من عبادة الأوثان وغيرها "بالتقوى" وحذف جواب السؤال عن هذا الحال لدلالة جواب الحال الثانى عليه، وهو ألم يعلم بأن الله يرى كل ١٠ ما يصح أن يرى، فينهى عنه إن كان مكروها ولا يقر عليه ويحاسب به ليزن هذا الناهي أفعاله بما شرعه سبحانه من الدليل العقلى والسمعى فيعلم أى ما يرضيه ليقره^٤ عليه كما يقر [سائر - '] ما يرضيه أو يستخطه فيمنعه منه. ولما ذكر ما يمكن أن يكون عليه حال الناهي من السداد، ذكر ما يمكن أن يكون عليه من الفساد، فقال مقورا معجبا معيدا ١٥ العامل لزيادة التعجيب على النمط الأول: "أريدت ان كذب" أى هذا الناهي بالحق فى وقت النهى - ولما كان لا يلزم من التكذيب التولى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: اشرفها (٣-٣) سقط

ما بين الرقيين من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: فيقره.

قال: "وتولى" أى عن الدين بنهيه هذا، فكان على الضلال والهو
 متمكنا في^١ ذلك بحيث [أنه -^٢] لا يصدر عنه فعل إلا فاسدا^٣
 "الم يعلم بأن الله يرى" فيحاسب نفسه بما ارشد إليه سبحانه من البراهين
 فيعلم أن ما هو عليه من الرشد إن كان الله يقره عليه ويمكنه منه أو الغواية
 ه إن كان ينهيه عنه ولا يقره عليه، كما فعل بهذا الذى أقسم: ليرضخ رأس
 هذا المصلى، وأقدم عليه بصخرته وهو عند نفسه فى غاية القدرة على ذلك
 بزعمه فنهى الله عنه وردده عنه فرجع على عقبيه خاسئا ظاهرا عليه الجبن
 والرعب وغيرهما مما يتحاماه الرجال^٤، ويأتق منه الصراغمة الأبطال،
 والاحتباك هنا بطلب رأييت، جملة ليس هو من التنازع لأنه يستدعى
 ١٠ إضمارا والجل لا تضمر، إنما هو من باب الحذف لدليل، لحذف الكون^٥
 على الضلال ثانيا^٦ لدلالة الكون على الهدى [عليه -^٧] أولا، وحذف
 "الم يعلم بأن الله يرى" أولا لدلالة ذكره^٨ آخره عليه .

ولما كان هذا الخبيث معرضا عن هذا العلم الذى هو معترف به
 كله، وإنما كان إعراضه لما^٩ عنده من الحظوظ والشهوات الموقعة له

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفى
 الأصل و ظ : فاسد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عاتيه (٥) من ظ و م ،
 وفى الأصل : عنه (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : الرجل (٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : لكونه (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : للدلالة (٩) من ظ
 و م ، وفى الأصل : ذكر (١٠) من ظ ، وفى الأصل و م : لما (١١) من ظ
 و م ، وفى الأصل : بما .

- بحكم الرد^١ أسفل سافلين - إلى رتبة البهائم ، أتى بأعظم أدوات الردع
 فقال : ﴿ كلا ﴾ أى ليس عنده علم بشيء من ذلك لسفول رتبته عن رتبة
 البهائم ولا فى يده شيء من الأشياء ، فهو لا يقدر / على شيء مما رامه
 من الأذى ، فليرتدع عن تعاطي ذلك لأنه لا يضر إلا نفسه .

و لما كان نبي العلم عنه يوم أنه فى عداد الغافلين الذين لاملامه ه
 عليهم ، بين أن اتقاء العلم عنه ليس عن غفلة يعذر صاحبها ، إنما هو عن
 تهاون بالخير^٢ ورضى بالعمى و التقليد ، فهو من قسم الضال^٣ الذى فرط
 فى استعمال القوة العلمية المذكور^٤ فى الفاتحة ، فاستأنف الإخبار عنه فى
 جواب من يقول : فما يفعل [به - °] ؟ معبرا^٥ بأداة الشك لإقامة له ولغيره
 فى محل الرجاء لانتهائه إبقاء للتكليف و مؤكدا لأنهم منكرون : ١٠
 ﴿ لن لم ينته ﴾ أى يقتل^٦ هذا الناهى لهذا العبد المطيع فيقف و يكف
 عما هو فيه من نهيه و تكذيبه و توليه .

و لما كان الحال غير محتاج إلى أكثر من التأكيد لإيقاع الفعل ،
 عبر بالحقيقة و لم ينقلها إشارة إلى أن هذا الناهى أقل من أن يحتاج
 فيه إلى فعل شديد ، بل أقل نفحة من العذاب تكفى فى إهلاكه ، و ما كان ١٥
 أصل التأكيد إلا تطيبا^٧ لقلوب الأولياء و تكذيبا للأعداء فقال^٨ :

(١) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفنا (٢) من ظ و م ،
 وفى الأصل : فى الخير (٣) من م ، وفى الأصل وظ : الضلال (٤) من م ، وفى
 الأصل وظ : المذكورة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفنا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يعتقد (٨) من ظ
 و م ، وفى الأصل : تعليليا (٩) فى الأصل وظ : قال ، و ساقط من م .

﴿لنفسعاً﴾ أى والله لناخذن و نقبضن قبضا و أخذنا بشدة و عنف مع الجرو والاجتذاب و اللطم و الدفع و الغيظ أخذ من يعض ما خوضه و يذله و يسود وجهه و يقذره ﴿بالناصية﴾ أى بالشعر الذى فى مقدم رأسه و هو أشرف ما فيه، و' العرب لا تأنف من شئ. أنفثهم من أخذ الناصية، وإذا انتكحت حرمة الأشرف فما بالك بغيره، واستغنى بتعريف العهد عن الإضافة.

و لما كان من المعلوم أن من صار فى القبضة على هذه الهيئة المهينة المزرية فهو هالك، اغتنى به عن أن يقول: و لنسجبه بها على وجهه إلى النار، و وصفها بما يدل على ذلك فقال مبدلاً لأن البدل وصف بما قر به من المعرفة: ﴿ناصية﴾ أى عظيمة القبح ﴿كاذبة﴾ أى متعمدة ١٠ للكذب ﴿خاطئة﴾^١ فهي صادر^٢ عنها الذنب من الكذب و غيره من غير تعمد، فأغلب أحوالها على [غير -^٣] صواب تارة عن عمد و تارة عن^٤ غير عمد، و ما ذاك إلا لسوء جيلة صاحبها حتى كاد لا يصدر عنه فعل سديد، و وصفها بما هو لصاحبها على الإسناد المجازى مبالغته فى تكذيبه فى أنه لا يقدر على منع المهتدى أو إذلاله أو شئ من أذاه إلا إن ١٥ أذن له صاحب الأمر كله فيما يكون سبباً لزيادة رفعة، و فى^٥ العدول عن الحقيقة، كأن يقال: ناصية كاذب خاطئ، بالإضافة إلى هذا المجاز،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لأن (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى .
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: صادرة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: او .

من الجزالة و الفخامة و الجلالة ما لا يخفى .

و لما كان هذا هو ' غاية الإهانة ، و كان الكفار إنما يقصدون باعراضهم
الشهاخة و الأنفة و العز عن أن يكونوا أتباعا أذنانا ، و إنما عزم بقومهم ،
و أقرب من يعتز به الإنسان أهل ناديه ، و هم القوم الذين يجتمعون نهارا
ليحدث بعضهم بعضا و يستروح بعضهم إلى بعض لما عندهم من التصاق ه
لأنهم لا يتركون أشغالهم نهارا و يجتمعون لذلك إلا عن ذلك ، قال
تعالى / مسيبا عن أخذه على هذا الوجه ^٢ المزرى : ﴿ فليدع ﴾ أى دعاء استغاثة
﴿ ناديه لا ﴾ أى [القوم - ^٢] الذين كانوا ' يجتمعون معه ' نهارا يتجدثون فى
مكان ينادى فيه بعضهم بعضا من أنصاره و عشيرته ليخلصوه عما هو فيه ،
والذى نزلت فيه هو أبو جهل ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أتهددنى ١٠
و أنا أكثر أهل الوادى ناديا .

و لما كان كأنه قيل : فلو دعا ناديه يكون ماذا ؟ قال : ﴿ سندع ﴾
أى بوعد لاخلف فيه ﴿ الزبانية لا ﴾ أى الأعوان الموكلين بالنار ليجروه
إليها ، و هم فى الأصل الشرط ، الواحد زبينة كهبرية ، من الزبن و هو الدفع
أو زبنى على النسبة ، أصلها زباني و التاء عوض عن الياء ، و هم كل من ١٥
عظم خلقه ، و اشتد بطشه ، و قد اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف
الواو من هذا [الفعل - ^٢] خطأ ، و لا موجب لحذفه من العربية لفظا ،

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : المذكور ، و لم تكن الزيادة فى
ظ و م لحذفناها (٣) زيد من م (٤-٤) سقط من م (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : هذا (٦) من القاموس ، و فى الاصول : كمفزية (٧) زيد من ظ و م .

و كأن المعنى فى ذلك - والله أعلم - أن لا يظن أنهم دعوا لرفعة لهم فى ذواتهم يستعان بهم بسببها لأن معنى الواو عند الربانيين العلو والرفعة ، إشارة إلى أنهم لا قوة لهم إلا بالقوى العزيز ، أو يقال : إن الحذف دال على تشبيه الفعل بالامر ليدل على أن هذا الدعاء أمر لابد من إيقاع مضمونه ، ومن إجابة المدعوي^١ إلى ما دعوا إليه ، وأن ذلك كله يكون [على -^٢] غاية الإحكام ، والاتساق بين خطه ومعناه والانتظام ، لاسيما مع التأكيد بالسین ، الدال على تحتم الاتحاد والتكسين ، أو يكون المعنى : إنا ندعوهم بأيسر دعاء وأسهل أمر ، فيكون منهم ما لا يطاق ولا يستطيع^٣ دفاعه بوجه ، فكيف لو أكدنا دعوتهم وقويت عزمتهم .

١٠ ولما كان الذى تقدم نهى الناهى للصلى والسفع بناصيته إن لم ينته وأمره بدعاء ناديه ، وكان الحكم فى الأول أنه لا يجيبه إلى ترك الصلاة ، وفى الثانى أن الناهى لا ينتهى عن عصيانه بالتهديد^٤ وأنه لا يفيد [دعاء -^٥] ناديه ، فالكل منى ، حسن كل الحسن الإتيان بأداة الردع فقال : ﴿ كلا^٦ ﴾ أى لا يقدر على دعاء ناديه ولا ينتهى عن

١٥ أذاه للطبع بالتهديد فليرتدع عن كل [من -^٧] ذلك .

ولما كان كأنه قيل : فما أفعَل ؟ قال معرفا أن^٨ من علم أن (١) من ظ و م ، وفى الأصل : المدعين (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ان (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فى النهاية (٦) زيد من ظ و م (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : أى .

طبع الزمان و أهله الفساد، وجب [عليه - ١] الإقبال [على شأنه - ١]
و الإعراض عن سائر العباد ﴿ لا تطعه ﴾ أى فى نهيه لك عن الطاعة
بالصلاة أو غيرها .

و لما كان نهيه عن الصلاة التى هى عماد الدين، و كانت الصلاة
يعبر عنها بالسجود لأنه - مع أنه جزؤها - هو أشرفها، وهو أيضا يطلق على ٥
مطلق العبادة، قال تعالى مشيرا إلى النصر له صلى الله عليه وسلم و لاتباعه
على كل من يمتنعهم عبادته^٢: ﴿ و اسجد ﴾ أى دم على صلاتك و خضوعك
بنفسك و جدد ذلك فى كل وقت . و لما كان السجود أقرب مقرب للعبد
إلى الله قال: ﴿ و اقرب ^{السجدة} ﴾ أى اجتهد بسرك فى بلوغ درجة القرب
إلى ربك و التحجب إليه بكل عبادة لاسيما الصلاة فانه^٣ أقرب ما يكون العبد ١٠
من ربه و هو ساجد، و قد شرح^٤ / هذا المقام كما تقدم فى الفاتحة / ٨١٦/
قوله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بـعفوك [من - ١] عقوبتك، فان هذه الجملة
أفادت - كما قال الإمام الغزالي فى كتاب الشكر^٥ - مشاهدة أفعال الله فقط ،
فكانه لم ير إلا الله و أفعاله ، فاستعاذ بفعله من فعله ، قال : ثم اقرب ففنى
فى^٦ مشاهدة الأحوال ، و ترقى إلى مصادر الأفعال، و هى الصفات ، فقال: ١٥
«أعوذ برضاك من سخطك» و هما صفتان ، ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عبادة لهم (٣) من ظ
و م ، وفى الأصل : وانه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الى (٥) من اُظ
و م ، وفى الأصل : صرح (٦) راجع الإحياء ٥٦/٤ (٧) فى الإحياء : عن .

فاقرب وترقى من [مقام - ١] مشاهدة الصفات^٢ إلى مشاهدة الذات^٣ فقال
 « وأعوذ بك منك ، فرارا^٤ منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ، ولكنه رأى
 نفسه فارا منه إليه و مستعيذا ومثنيا ففنى عن مشاهدة نفسه إذ^٥ رأى ذلك
 نقصانا فاقرب فقال « أنت كما أثبتت على نفسك لا أحصى ثناء عليك ، فقوله
 ٥ « لا أحصى ، [خبر عن - ٦] فناء نفسه و خروجه عن مشاهدتها ، وقوله
 « أنت - ٧] كما أثبتت ، بيان أنه المثنى و المثنى عليه ، وأن الكل منه بدأ وإليه
 يعود ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، فكان أول مقامه نهاية مقامات^٨ الموحدين
 وهو أن لا يرى إلا الله وأفعاله فيستعبد بفعل من فعل ، فانظر إلى ماذا
 انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره و مشاهدته
 ١٠ سوى الذات الحق ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من مرتبة إلى
 أخرى إلا ويرى الأولى بعدا بالإضافة إلى الثانية ، فكان يستغفر الله من
 الأولى ، ويرى ذلك نقضا [فى - ٩] سلوكه و تقصيرا فى مقامه ، وإليه
 الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان^٩ على قلبي حتى أستغفر الله
 فى اليوم و الليلة سبعين مرة ، فكان [ذلك - ١٠] لترقيه إلى سبعين مقاما
 ١٥ بعضها يعد نقضا لنقص أوائلها وإن كان مجاوزا أقصى غايات مقامات
 الخلق ، ولكن كان نقصانا بالإضافة إلى أواخرها ، فكان استغفاره لذلك .

(١) زيد من ظ و الإحياء (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الذات (م) من ظ
 و م ، وفى الأصل : الصفات (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اقرارا (٥) من
 ظ و م ، وفى الأصل : اى (٦) زيد من الإحياء (٧) زيد من ظ و م (٨) من
 ظ و م ، وفى الأصل : مقام (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : ليعاد .

و لما قالت عائشة رضى الله عنها: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
و ما تأخر، فما هذا البكاء فى السجود و ما هذا الجهد الشديد ؟ قال :
أفلا أكون عبدا شكورا - معناه : أفلا أكون طالبا للزيد فى المقامات ،
فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى " و لئن شكرتم لأزيدنكم " انتهى .
و هو على ما ترى من النفاسة فمن أكثر من الدعاء فى سجوده ه
فقهمن أن يستجاب له ، و الصلاة لا تكون إلا بالقراءة ، فاذا فعلت ذلك
احتجبت عن الاغيار بحجاب منيع^١ ، فازدودت صفاء و صنت^٢ حالك عن
الغير - كما يرشد إليه ما فى صحف إبراهيم عليه الصلاة و السلام ' ينبغي
للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه - ^٣ و الله أعلم ،
فقد رجع آخرها إلى الاول ، على أحسن وجه و أجمل^٤ و أكمل - ١٠
و الله الهادى^٥ .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بليغ (٢) ريد فى الأصل : احوالك و صفت ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٣-٢) سقط ما بين الرقین من م .
(٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ و م .

سورة القدر

مقصودها تفصيل الأمر الذي هو أحد قسمي ما ضمنه مقصود "اقرأ"
 وعلى ذلك دل اسمها لأن الليلة فضلت به ، فهو من^٢ إطلاق المسبب على
 السبب ، و هو دليل / لمن يقول باعتياد تفضيل الاوقات لأجل ما
 ٥ كان فيها ، [كا - ٣] قال ذلك اليهودي في اليوم الذي نزل فيه قوله تعالى
 "اليوم أكملت لكم دينكم" وأمره الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله
 تعالى عنه على ذلك وأعلمه أنه صار لنا عيدين : عيداً من جهة كونه يوم
 عرفة ، وعيداً من جهة كونه يوم جمعة ﴿بسم الله﴾ الذي جل أمره
 و"تنزه ذاته" ﴿الرحمن﴾ الذي عمت رحمته فبدعت صفاته ﴿الرحيم﴾
 ١٠ الذي خص أهل التوحيد بآتمام النعمة فاخصت بهم جناته .

لما ذكر الله سبحانه وتعالى كتابه في هذا الذكر العربي المعجز ، ذكر
 إنزاله مستحضراً في كل قلب . كان ذلك مغنياً عن إعادته بصريح اسمه ،
 فكان متى أضمره عليه المخاطب بما^٢ في السياق من القرائن الدالة عليه ،
 وبما له في القلب من العظمة و في الذهن من الحضور لاسيما في هذه

(١) السابعة والتسعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها (٢) زيد
 في الأصل : باب ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من م (٥) - سقط من م (٦-٦) من ظ و م ، وفي
 الأصل : تنزهت صفاته (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : كما .

السورة لا فتاح العلق بالامر بقراءته ، و ختمها بالصلاة التي هي أعظم
أركانها ، فكانت دلالتها عليه دلالة هي في غاية الوضوح ، فكان كأنه
قال : واقترب بقراءة القرآن في الصلاة ، فكان إضمماره أدل على العظمة
الباهرة^١ من إظهاره ، لدلالة^٢ الإضممار على أنه ما تم شيء ينزل غيره فهو
بحيث لا يحتاج إلى التصريح به ، قال مفخما له بأمر : إضمماره ، وإسناد ه
إزاله إليه ، وجعل ذلك في مظهر العظمة ، وتعظيم وقت إزاله المتضمن
لعظمة البلد الذي أنزل فيه - على قول الأكثر ، والنبي الذي أنزل عليه ،
مؤكدًا لأجل ما لهم من الإنكار : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة
﴿ أنزلناه ﴾ أى هذا الذكر كله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من
السماء [الدنيا - ٣] مرتبًا هذا الترتيب الذي جمع الله الأمة المعصومة ١٠
عليه ، وهو الموجود الآن ، وكذا كان إزال أول نجم منه ، وهو أول
السورة الماضية إزالًا مصداقًا لأن عظمته من عظمتنا بما له من
الإعجاز في نظمه ، ومن تضاؤل القوى عن الإحاطة بعلمه ، وأول ما
أنزل منه صدرها إلى خمس آيات منها [آخرها - ٤] « ما لم يعلم ، على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو مجاور في هذا الشهر الشريف بجبل حراء ١٥
من جبال مكة المشرفة ، ثم صار ينزل مفرقا بحسب الوقائع حتى تم في
ثلاث وعشرين سنة ، وكلما نزل منه نجم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم
(١) سقط من م (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : لدلالته على (٣) زيد من م .
(٤) زيد من إظ وم .

بترتيبه في سورته عن أمر الله تعالى حتى تم في السور 'على ما هو عليه الآن' على ما هو عليه في بيت العزة .

و لما عظمه بما ذكر، زاده عظمًا بالوقت الذي اختار إزاله فيه ليكون طالعه سعيداً^١ لما كان أثره حميدا فقال : (في ليلة القدر عظمه) أى هـ الليلة التي لها قدر عظيم وشرف كبير، والأعمال فيها ذات قدر وشرف، فكانت بذلك كأنها محتصة بالقدر فلا قدر لغيرها^٢ .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: ورد تعريفا بانزال ما تقدم الامر بقراءته لما قدمت الإشارة إلى عظيم أمر الكتب، وأن السلوك إليه سبحانه إنما هو من ذلك الباب، أعلم سبحانه وتعالى ببليلة إزاله ٨١٨ / ١٠ وعرفنا / بقدرها لتعتمدها في مظان دعائنا وتعلق رجائنا ونبحث في ' الاجتهاد في العمل لعلنا نوافقها وهي كالساعة في يوم الجمعة في إيهام أمرها مع جليل قدرها و من قبيل الصلاة الوسطى ، والله سبحانه في إخفاء ذلك أعظم رحمة، وكان في التعريف بعظيم قدر هذه الليلة التعريف بجلالة المنزل فيها ، فصارت سورة القدر من تمام ما تقدم ١٥ ووضح اتصالها - انتهى .

و لما علم من السياق تعظيمها بعظمة ما أنزل فيها و بالتعبير عنها بهذا ، قال مؤكداً لذلك التعظيم حثا على الاجتهاد في إحيائها لأن

(١ - ١) - فقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : سیدا .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لغيره (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : على .

للإنسان من الكسل والتداعى إلى البطالة ما يزهده في ذلك :
 ﴿وما آدرُك﴾ أى وأى شيء أعلمك وأنت شديد التفحص ﴿ماليلة القدرُ﴾
 أى لم تبلغ درايتك وأنت أعلم الناس غاية فضلها ومنتهاى^١ على قدرها
 على مالك من سعة العلم وإحاطة الفكر وعظيم المواهب .

ولما ثبتت عظمتها بالتنبيه على أنها أهل لأن يسأل عن خصائصها، ه
 قال مستأنفاً : ﴿ليلة القدرُ﴾ أى التى خصصناها بأنزلنا [له - ٢] فيها
 ﴿خير من ألف شهرٍ﴾ أى خالية [عنها - ٢] أو العمل فيها خير من
 العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وذلك ثلاث وثمانون
 سنة و أربعة أشهر، قالوا: وهى مدة ملك^٢ بنى أمية سواء، و تسميتها
 بذلك لشرفها ولعظيم قدرها، أو لأنه يفصل فيها من أم الكتاب مقادير ١٠
 الأمور؛ فيكتب فيها عن الله حكم ما يكون من تلك الليلة إلى مثلها
 من العام المقبل، من قولهم: قدر الله على هذا الأمر يقدره قدرا، أى قضاء،
 وهى الليلة المرادة فى سورة الدخان بقوله تعالى "فيها يفرق كل أمر
 حكيم"، و ذكر الآلاف إما للبالغة بنهاية مراتب العدد ليكون أبلغ من
 السبعين فى تعظيمها أو لأن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر شخصا من مؤمنى ١٥
 بنى إسرائيل ليس السلاح مجاهدا فى سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون
 منه فتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعظمهم الله سبحانه و تعالى ليلة من قامها
 (١) من ظ و م، وفى الأصل: تنتهى (٢) زيد من ظ و م (٣) فى
 ظ؛ دواة .

كان خيرا^١ من ذلك ،^٢ وأبهما^٣ في العشر الاخير من شهر رمضان في قول
الجمهور على ما صح من الأحاديث ليجتهدوا في إدراكها كما أخفى ساعة
الإجابة في يوم الجمعة و الصلاة الوسطى في الخمس ، واسمه الأعظم في
الاسماء ، ورضاه في سائر الطاعات ليرغبوا في جميعها ، وخطه في المعاصي
٥ ليتنبهوا عن جميعها ، وقيام الساعة في الاوقات ليجتهدوا في كل لحظة
حذرا من قيامها ، والسر في ذلك أن النفيس لا يوصل^٤ إليه إلا باجتهد
عظيم إظهارا لنفاسه وإعظاما للفرصة فيه وإيدانا بالسرور به ، لكن جعل
السورة ثلاثين كلمة سواء يرجع أنها السابعة والعشرون التي وازاها^٥
قوله هي - كما نقل عن أبي بكر الوراق .

١٠ ولما عظمها ، ذكر وجه العظم ليكون إعلاما بعد إلهام وهو أوقع

في النفس فقال مستأنفا : ﴿ تنزل ﴾ أى تنزلا متدرجا هو أصلا على غاية

ما يكون من الخفة و السرعة بما أشار إليه / حذف التاء ﴿ الملائكة ﴾ / ٨١٩

أى هذا النوع العظيم الذى هو خير كله ﴿ و الروح ﴾ أى جبريل عليه

الصلاة والسلام ، خصه بيانا لفضله أو هو مع أشرف الملائكة أو هو

١٥ خلق أكبر من الملائكة أو هو أمر تسكن إليه نفوس العارفين ويحصل

به اليقين والبركة ﴿ فيها ﴾ و أشار إلى خفاء ذلك التنزل باسقاط تاء

التنزل [مع - °] ما تقدم من الإشارات ، و دل على زيادة البركة في

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ثواب قياسها خير (٢ - ٣) من ظ و م ،

وفى الأصل : قائما - كذا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يتوصل (٤) من ظ

و م ، وفى الأصل : وزاها (٥) زيد من ظ و م .

ذلك النزل وعظيم طاعة الملائكة بقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ج﴾ أى يعلم المحسن
إليهم الربى لهم وتمكينه، وتنزلهم إلى لأرض أو السماء الدنيا أو تقرّبهم
من المؤمنين، متبدئ تنزلهم^١ ﴿من كل امرٍ لا﴾ أى الأمور الكلية التي
يفرقون فيها بإذن [الله - ٢] تفاصيل الأمور التي يريدونها سبحانه في ذلك
العام في أوقاتها من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل، أو من أجل هـ
تقدير كل شيء يكون في تلك السنة، وعبر عن الشيء بالأمر إعلاماً
بأنهم لا يفعلون شيئاً إلا بأمره .

ولما ذكر سبحانه هذه الفضائل، كانت النتيجة أنها متصفة بالسلامة
التامة كاتصاف الجنة - التي هي سببها - بها، فكان ذلك أدل^٢ على عظمتها
فقال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَدْ﴾ أى عظيم جداً ﴿هِيَ﴾ أى ما هي إلا سلامة ١٠
وخير ليس فيها شر، ولا يزال ذلك السلام والبركة فيها ﴿حتى﴾ أى إلى
﴿مطلع الفجر﴾ أى طلوعه ووقت طلوعه وموضع طلوعه، لا يكون فيه شر
كما في غير ليلتها، فلا تطلع الشمس في صبيحتها بين قرني الشيطان إن
شاء الله تعالى. وذلك سر قراءة الكسائي [بالكسر - ٢] - والله أعلم، واختير
التعبير بـ ﴿حتى﴾ دون ﴿إلى﴾ ليفهم أن لما بعدها حكم ما قبلها، فيكون المطلع في ١٥
حكم الليلة، وعن ابن عباس^٣ رضى الله عنهما أن جبريل عليه الصلاة
والسلام ينزل ليلة القدر في كوكبة من الملائكة ومعه لواء أخضر يركزه

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : نزلهم (٢) زيد من ظ و م (م) زيد في
الأصل : دليل واضح ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) راجع
الباب ٧ / ٢٣٠ - رواية أنس .

فوق الكعبة، ثم يفرق الملائكة في^١ الناس حتى يسلبوا على كل قائم وقاعد وذاكر وراكع وساجد^٢ إلى أن يطلع الفجر. فن تأمل هذه السورة علم منها ما للقرآن من العظمة فأقبل عليه بكلية يتلوه حق تلاوته كما أمر في سورة « اقرأ » فأمن من غير شك من هول يوم الدين المذكور في التين، ومن تلاوته بحقه تعظيم ليلة القدر لما ذكر من شرفها، وذلك جازاً إلى الحرص عليها في كل السنة، فان لم يكن ففي كل رمضان، فان لم يكن ففي جميع ليالي العشر الأخير منه، ليكون له من الأعمال بسبب فضلها ومضاعفه العمل^٣ فيها ما لا يحصى إلا الله تعالى بحيث أنه ربما يكون خيراً من عمل من اجتهد فيما قبلنا ألف سنة، ١٠ ورجوع آخرها يكون هذا النزول في ليلة القدر على أولها في غاية الوضوح لأن أعظم السلام فيها نزول القرآن، ولعل كونها ثلاثين^٤ كلمة إشارة إلى إن خلافة النبوة التي هي ثلاثون سنة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم التي آخرها يوم نزل أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنها [فيه - ٥] عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين هي كليلة القدر في الزمان، وما بعدها كليالي العام فيه الفاضل وغيره، وتلك المدة كانت لخمس خلفاء / أشارت إليهم حروف الكلمة الأخيرة منها، فآلاف لأبي بكر رضي الله عنه

١٨٢٠

- (١) من م، وفي الأصل وظ : بين (٢) زيد في الأصل وظ : وقارني، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٣) من م، وفي الأصل وظ : الأعمال . (٤) من م، وفي الأصل وظ : تأثير - كذا (٥) زيد من ظ وم .

و هي في غاية المناسبة له ، فان الربانيين قالوا : هو اسم للقائم المحيط
 الأعلى الغائب عن مقامه ، لكنها الحاضر معه وجودا كالروح ، وكذا كان
 رضى الله عنه حاضرا مع ' الأمة ' بوجوده و هو غائب عنهم بتوجهه ،
 وجميع قلبه إنما هو مع الله عز وجل ، و اللام لعمر رضى الله عنه و هي
 شديدة المناسبة^٢ له فانها صلة بين باطن الآلف و ظاهر الميم الذى هو ه
 لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه للتمام ، وكذلك فعل - وصل بين السيرتين^٣
 وصلا تاما بحيث وصل ضعف الصديق في بدنه^٤ و قوته في أمر الله
 بقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتظم به الأمر انتظاما لا مزيد
 عليه ، و الفاء لعثمان رضى الله تعالى عنه و هو إشارة لبدا خلوص منته
 لتنقل بمزيد أو نقص ، و آيته الفطرة الأولى ، و آيتها المحسوسة اللبن أول ٦٠
 خروجه إذا أصابه أقل شيء من الهواء الممدود غيره ، وكذلك الفطرة
 إذا أصابها أقل شيء من الهوى المقصود غيرها ، وكذا [كان -^٥] حاله
 رضى الله تعالى عنه ، حصلت له آفات الإحسان إلى أقاربه الذى قاده إليه
 قويم فطرته حتى حصلت [له -^٦] الآفات الكبار رضى الله عنه ، و الجيم لعل
 رضى الله عنه [و هو -^٧] إشارة إلى الجمع ، و الإجمال الذى يحصل عنده ١٥
 عنا و هو أنسب الأمور له رضى الله تعالى عنه فانه حصل به الجمع بعد

(١) من ظ و م ، و في الأصل : مقاصد (٢) في الأصل بياض ملأناه من ظ
 و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : للناسبة (٤) من ظ و م ، و في الأصل :
 السورتين (٥) من ظ و م ، و في الأصل : باطنه (٦) من ظ و م ، و في
 الأصل : انه (٧) زيد من م (٨) زيد من ظ و م .

الافراق العظيم بقتل [أمير المؤمنين - ١] عثمان رضى الله تعالى عنه
 شهيدا مظلوما، وحصل به الإجمال لكن لم يتم التفصيل بسبب ما حصل
 من العناد، والراء إشارة إلى الحسن رضى الله تعالى عنه وهى تطوير
 وتصير^٢ وتريه، وهى لكل مرب مثل زوج المرأة وسيد العبد،
 ٥ ولذلك فعل رضى الله عنه لما رأى الملك يهلك بقتل المسلمين رياه
 بنزوله عن الأمر لمعاوية، فكان كالسيد أذن لعبده وربى أمره به، وقد
 سماه النبي صلى الله عليه وسلم سيدا - رضى الله عنهم أجمعين، [والله أعلم
 بالصواب - ٢] .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل : تصوير (٣) زيد من ظ -

سورة لم يكن^١ وتسمى القيامة والمنفكين

مقصودها الإعلام بأن هذا الكتاب القيم من علو مقداره و جليل آثاره
أنه كما أنه لقوم نور وهدى فهو لآخرين^٢ وقر وعى، فيقود^٣ إلى الجنة
دار الأبرار، ويسوق إلى النار دار الأشقياء الفجار، وعلى ذلك [دل-^٤] كل
من أسمائها، الذين كفروا، والمنفكين، بتأمل الآية في انقسام الناس^٥
إلى أهل الشقاوة وأهل الهداية، وكذا القيامة بانقسام أهل الدعوة فيها
بحسب الإرادة إلى القسمين: أهل الشقاوة وأهل السعادة ﴿بسم الله﴾
الذى له / العلو المطلق فلا يخرج شيء عن مراده ﴿الرحمن﴾ الذى
عم بنعمة إيجاده ويأنه جميع عباده ﴿الرحيم﴾ الذى خص أهل وداده
بالأعمال الصالحة المتكفلة بأنجاه العامل بها وإسعاده .

١٠

لما أخبر سبحانه وتعالى أن الليلة الشريفة التى صانها بنوع خفاء
فى تنزل من يتنزل فيها وفى تعيينها لا تزال قائمة على ما لها من تلك
الصفة حتى يأتى الفجر الذى يحصل به غاية البيان، أخبر أن أهل الأديان
سواء كان لها أصل من^٦ الحق أم لا لم يصح فى العادة الجارية على
حكمة الأسباب^٧ فى دار الأسباب^٨ أن يتحولوا عما هم فيه إلا بسبب عظيم^٩

١٥

(١) الثامنة والتسعون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها ٨ (٢) من
ظ و م، وفى الأصل: لآخر (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فيقول (٤) زيد
من م (٥) سقط من ظ و م (٦) فى ظ: فى (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .

يكون بيانه أعظم من بيان الفجر، وهو القرآن المذكور في القدر
والرسول المنزل عليه ذلك فقال: ﴿لم يكن﴾ أى في مطلق الزمان
الماضى والحال والاستقبال كونا هو كالجبل والطبع، وهذا يدل على
ما كانوا عليه قبل ذلك من أنهم يدلون ما هم عليه من الكفر أو الإيمان
٥ بكفر أو بدعة^١ ثم لا يثبتون عليه [لأن -^٢] ذلك ليس في جبلاتهم،
ولما هو خاطر عارض كما هو محكى عن سيرتهم من بعد موسى عليه
الصلاة والسلام [لما كانت تسوسهم الأنبياء عليهم السلام -^٣] كما دل
على بعض ذلك قوله تعالى "فعموا و صموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا
وصموا" وكذا المشركون كانوا يدلون دين إسماعيل عليه الصلاة
١٠ والسلام ولا ينفصلون عنه بالكلية، وتارة يعبدون الأصنام، وتارة
الملائكة، وأخرى الجن، ولم يكونوا يثبتون على حالة واحدة ثباتا كليا
مثل ثباتهم على الإسلام بعد مجيء البينة ونسيانهم أمور الجاهلية بالكلية
حتى نسوا الميسر^٤، فلم يكن أحد من أولادهم يعرف كيفيته وكذا السائبة
وما معها وغير ذلك من خرافاتهم ﴿الذين كفروا﴾ أى سواء كانوا
١٥ عريقين في الكفر أم لا .

ولما كان العالم أولى باتباع الحق وأشد جرما عند فعل ما يقتضى
اللوم، بدأ بقوله: ﴿من اهل الكتاب﴾ أى من اليهود والنصارى الذين
كان أصل دينهم حقا، فألحدوا فيه بالتبديل والتحريف والاعوجاج

(١) من م، وفي الأصل و ظ : بدعة (٢) زيد من م (٣) من ظ و م،
وفي الأصل : السير .

في صفات الله تعالى ، ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته في الفروع
و موافقته في الأصول فكذبوا ﴿ والمشركون ﴾ اى بعبادة الاصنام و النار
و الشمس و نحو ذلك ممن هم عريقون في دين لم يكن له أصل في الحق
بأن [لم - ١] يكن لهم كتاب ﴿ منفكين ﴾ اى منفصلين زائلين عما
كانوا عليه من دينهم انفكاً كما يزلبهم عنه بالكلية بحيث ^٢ لا يبق لهم به
علقة ، و يشتون على ذلك الانفكاك ، و أصل الفك الفتح و الانفصال
لما كان ملتجأ ، من فك الكتاب و الختم و العظم - إذا ^٣ زایل ما ^٢
كان ملتصقا و متصلا به ، أو عما في أنفسهم من ظن اتباع الحق إذا ^٤
جاءهم الرسول المبشر به بما كان أهل الكتاب يستفتحون به و المشركون
يقسمون بالله جهد أيمانهم " / لئن جاءهم نذير ليكون أهدى من إحدى الامم " - ١٠ / ٨٢٢
الآية ، فيصيروا بذلك أحزابا و فرقا ﴿ حتى ﴾ اى [الى - ١] أن
﴿ تاتيهم ﴾ عبر بالمضارع لتجدد البيان في كل وقت بتجدد الرسالة
و التلاوة ﴿ الينة ٥ ﴾ اى الآية التى هى في البيان كالفجر المنير الذى
لا يزداد بالتمادى إلا ظهورا و ضياء و نورا ، و ذلك هو الرسول و ما معه
من الآيات التى ^٦ أعظمها الكتاب سواء كان التوراة أو الإنجيل أو الزبور ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : حيث (٣-٣) من ظ
و م ، وفى الأصل : ازال (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اذ (٥) زيد
في الأصل و ظ : فلما جاءهم نذير ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها .
(٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : التلاوة و الرسالة (٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : الذى .

أو الفرقان، و لذلك أبدل منها قوله: ﴿رسول﴾ أى عظيم جدا، وزاد
عظمته بقوله واصفا [له - ']: ﴿من الله﴾ [أى - '] الذى له الجلال
والإكرام ﴿يتلوا﴾ أى يقرأ قراءة متواترة ذلك الرسول بعد تعليمنا
له ﴿صحفا﴾ جمع صحيفة و هى القرطاس و المراد ما فيها، عبر بها
٥ عنه لشدة المواصلة ﴿مطهرة لا﴾ أى هى فى غاية الطهارة^١ والنظافة^٢
و النزاهة من^٣ كل قدر^٤ بما جعلنا لها من البعد من^٥ الأدناس بأن الباطل
من الشرك بالأوثان و غيرها من كل زيغ لا يأتياها من بين يديها ولا من
خلفها و أنها لا يمسها إلا المطهرون، و قراءته وإن كان^٦ أميا لمثل^٧ ما
فيها قراءة لها. و لما عظمه بأن وصف صحفه التى [هى - '] محل
١٠ المكتوب بالطهارة، بين سبب ذلك فقال: ﴿فيها﴾ أى تلك الصحف
﴿كتب﴾ جمع كتاب أى علوم هى لنفسها^٨ حقيقة بأن تكتب ﴿قيمة﴾^٩
أى هى فى غاية الاستقامة لنطقها بالحق الذى لامرية فيه ليس^{١٠} فيها
شرك ولا عوج بنوع من الأنواع، فاذا أتتهم هذه البينة انفسكوا
[و - '] انفسكاهم أنهم كانوا مجتمعين^{١١} قبل هذا، أهل الكتاب يؤمنون
١٥ بالنبي صلى الله عليه وسلم لما عندهم من البشائر الصريحة به، والمشركون
يقولون: لئن جاءنا نذير لنكونن أهدي من لإحدى الأمم، ويقولون: نحن

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٣-٣) من ظ
و م، وفى الأصل: القدر (٤) من ظ و م، وفى الأصل: عن (٥-٥) من ظ
و م، وفى الأصل: الها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: كنفاستها (٧) من
ظ و م، وفى الأصل: لا (٨) من م، وفى الأصل و ظ: بمجمين .

نعرف الحق لأهله ولا ندفعه بوجه ، فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بما لا شبهة فيه تفرقوا ، فبعضهم^١ آمن وبعضهم^٢ كفر .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هي من كال^٣ ما تقدمها

لأنه لما أمره عليه الصلاة والسلام بقراءة كتابه الذي [به -^٤] اتضحت

سبيله وقامت حجته ، [و -^٥] أتبع ذلك بالتعريف بليلة إنزاله وتعظيمها^٥

بمعظم ما أهدت له مما أنزل فيها ، أتبع ذلك بتعريفه^٦ صلى الله عليه وسلم

بأن هذا الكتاب هو الذي كانت اليهود تستفتح به على مشركي العرب

وتعظم أمره وأمر الآتي به ، حتى إذا حصل ذلك مشاهدا لهم كانوا هم^٧

أول كافر به ، فقال تعالى " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب

والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة - إلى قوله : وذلك دين القيمة " ١٠

وفي التعريف بهذا تأكيد ما تقدم بيانه مما يشر الخوف وينهج باذن

الله التسليم والتبرؤ من ادعاء حول أوقوة ، فإن هؤلاء قد كانوا قدم

لهم في^٨ أمر الكتاب والآتي / به^٩ يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ٨٢٣ /

والإنجيل ، وقد كانوا يؤملون الانتصار به عليه الصلاة والسلام من

أعدائهم ويستفتحون بكتابه ، فرحم الله من لم يكن عنده علم منه كآبى بكر ١٥

وعمر وأنظارهما رضى الله عنهم أجمعين ، وحرّم^{١٠} هؤلاء الذين قد كانوا

(١) في ظ و م : بعض (٢) في ظ و م : بعض (٣) من ظ و م ، وفي الأصل :

كلام (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بتعريف النبي .

(٦) سقط من م (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : من (٨) زيد في ظ : ما .

(٩) من م ، وفي الأصل و ظ : رحم .

على بصيرة من أمره و جعلهم بكفرهم شر البرية ، و رضى^١ عن الآخرين
و رضوا عنه ، و أسكنهم فى جواره و منحهم الفوز الأكبر و الحياة
الابدية و إن كانوا قبل بعثه عليه الصلاة و السلام على جهالة و عمى ،
فلم يضرم إذ قد سبق لهم فى الازل "أولئك هم خير البرية - " انتهى .
٥ و لما كان التقدير : فإذا أتتهم البينة انكسوا ، فلقد تفرق المشركون
بعد إتيانك و أنت البينة العظمى إليهم إلى مهتد و ضال ، و الضال إلى
مجاهر^٢ و مسامر ، و كذا اهل الكتاب ، ثم [ما - ٢] اجتمع العرب على
الهدى إلا من بعد ما جاءتهم البينة ، عطف على هذا الذى أفهمه السياق
قوله معلما بزيادة القبح فى وقوع الذنب من العالم بأفرادهم بالتصريح عن
١٠ المشركين : ﴿ و ما تفرق ﴾ أى الآن و فيما مضى من الزمان تفرقا عظيما
﴿ الذين ﴾ و لما كانوا فى حال هى أبقى بالإعراض ، بنى للفعول قوله :
﴿ اوتوا الكتب ﴾ أى عما كانوا عليه من الإطباق على الضلال أو الوعد
باتباع^٣ الحق المنتظر فى محمد صلى الله عليه و سلم ، و كذا كان فعلهم فى
عيسى صلى الله عليه و سلم من قبل ، فاستمر بعضهم على الضلال و بالغ
١٥ فى نقض العهد و العناد ، و وفى^٤ بعض بالوعد^٥ فاهتدى ، و كان تفرقهم
لم يعد تفرقا إلا^٦ زمنا يسيرا ، ثم اجتمعوا فلم يؤمن منهم من يعد
(١) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من ظ
و م ، و فى الأصل : مهاجر (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل
و ظ : باطباق (٥-٥) من م ، و فى الأصل : نقض العهد ، و فى ظ : بعضهم
بالوعد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

خلافه' لباقيهم تفرقا لكونه قليلا من كثير، فلذلك أدخل الجار فقال:

(الا من بعد) و كان ذلك الزمن اليسير هو بإسلام من أسلم من قبائل العرب الذين كانوا قد أطبقوا على النصرانية من تنوخ و غسان و عاملة و بكر بن وائل و عبد القيس و نحوهم و كذا من كان تهود من قبائل اليمن و أسلم، ثم أطبق اليهود و النصارى على الضلال فلم يسلم منهم إلا من لا يعد لقلته مفرقا لهم (ما) أى 'الزمن' الذى (جاءتهم) فيه أو بجىء (البيئة) فكان حالهم كما قال سبحانه "وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به" و قد كان بجىء البيئة يقتضى اجتماعهم على الحق، لا تفرقهم فيه، وكأنه أشار إلى المشركين بالعاطف و لم يصرح بذكرهم لأنهم كانوا عكس أهل الكتاب لم يفرقوا ١٠ إلا زمنا يسيرا فى أول الامر، فكان الضال منهم أكثر، ثم أطبقوا على الهدى لما لهم من قويم الطبع و معتدل المزاج، فدل ذلك على غاية العوج لأهل الكتاب لأنهم كانوا لما عندهم من العلم أولى من المشركين بالاجتماع على الهدى، و دل ذلك على أن وقوع اللدد و العناد / من العالم أكثر، ٨٢٤ / و حصول الآفة لهم من قوة ما لطباعهم من كدر النقص بتربيته وتنميته ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: خلافهم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٣) ليس فى ظ (٤) من م، و فى الأصل و ظ: زمن (هـ) زبدي فى الأصل: فاستحقوا اللعن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: لأنه يفرقهم.

بالمعاصي من أكل السحت من الربا وغيره من الكبائر والتسويف بالتوبة ، فألفت ذلك أبدانهم فأشربته قلوبهم حتى تراكم ظلامها ، وتكاثف رينها وغمامها ، فلما دعوا لم يكن عندهم شيء من نور تكون لهم به قابلية الانقياد للدعاء .

٥ ولما كان حال من ضل على علم أشنع ، زاد في فضيحتهم فقال : ﴿ وما ﴾ أى فعلوا ذلك والحال أنهم ما . ولما كان المقصود بروز الأمر المطاع ، لا تعيين الأمر ، قال بعد وصف الصحف بأنه ثبت أنها قيمة بانيا للفعول : ﴿ امروا ﴾ أى وقع أمرهم بما أمروا به بمن إذا أطلق الأمر لم يستحق أن ينصرف إلا إليه ، في تلك الكتب التي . اوجب ثبوت اتباعها وأذعنوا [له - ٢] ﴿ الا ليعبدوا ﴾ أى لاجل أن يعبدوا ﴿ الله ﴾ أى الإله الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد غيره بأن يوجدوا عبادته ويجددوها في كل وقت ، والعبادة امتثال أمر الله تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر ، مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم ، وذلك مع الاقتصاد لثلاث ١٥ يمل الإنسان فيخل ، أو يحصل له الإعجاب فتفسد عبادته ، حال كونهم ﴿ مخلصين ﴾ أى ثابتا غاية الثبات لإخلاصهم ﴿ له الدين ﴾ بحيث لا يكون فيه شوب شيء مما يكدره من شرك جلي ولا خفي بأن

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المستطاع .
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : فيحل (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : مفسد .

يكون الامثال لكونه أمر لرضاء لا لشيء من نفع ولا دفع^١، ويكون ذلك على الصواب، فان كثيرا من العاملين يكون مخلصا، ويكون بناؤه بغير أساس صالح، فلا يفعه بل يكون وبالا عليه، فانه ضيع الأصل كالرهبان وكذا كثير ممن يعتقد ولاية شخص وهو لا يعرف أن يميز بين الولي والعدو والمكرم والمستدرج، وحقيقة الإخلاص أنه أفراد ه الحق في الطاعة بالقصد^٢ مع نسيان الخلق في الأعمال والتوصل إليه بالتوقي عن ملاحظتهم مع التنقي عن مطالعة النفس برؤية العبد نفسه عبدا مأمورا لا يريد ثوابا، جاعلا^٣ كل شيء وسيلة إلى الله، وعلامته عدم رؤية العمل، ويعرف ذلك بالخوف وعدم الالتفات إلى طلب الثواب، وبالحياء منه لكونه يرى أنه ما قام بحق السيد على ما ينبغي كما قال تعالى ١٠ "يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون" قال القشيري: [ويقال - ٤]: الإخلاص تصفية العمل من الخلل، وقال الرازي: الإخلاص النية الصافية لأن [النية - ٥] دائمة، والعمل ينقطع، والعمل يحتاج^٦ إلى النية، والنية لا تحتاج إلى العمل، ولأجل^٧ ما أفهمه التعبير بالاسم من التمكن والثبات أكد به بقوله: (حنفاء) أى في غاية الميل ١٥

(١) زيد في الأصل و ظ: ضرر، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٢) من ظ و م، وفي الأصل: بانقدر (٣) من ظ و م، وفي الأصل: عاجلا (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، وفي الأصل و ظ: الدائمة (٧) من م، وفي الأصل و ظ: يحتاج (٨) من م، وفي الأصل و ظ: لاجله.

مع الدليل 'إلى القوم' بحيث لا يكون عندهم اعوجاج أصلا، بل مهما حصل أدنى زيغ عرضوه على الدليل فالوا معه بما لهم من الخنف فقادهم^٢ إلى الصلاح / فصاروا في غاية الاستقامة، وتلك هي العبادة الإحسانية،

/ ٨٢٥

و أصل الخنف في اللغة: الميل، قال الملو: وخصه العرف بالميل إلى الخير، ولذا سمي الأحنف بن قيس [لميل - ٢] في رجليه إلى داخل من جهة القدم إلى الوراء، وسموا الميل إلى الشر إلحادا، فالخنيف المطلق الذي يكون متبرئا عن أصول الملل الخمس: اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين، وعن فروعها من جميع التحل إلى الاعتقادات الحققة، وعن توابعها من الخطايا والسيئات إلى العمل الصالح ١٠ وهو مقام التقى [و- ٤]، عن المكروهات إلى المستحبات وهو المقام الأول من الورع، وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو* ما لا يعني إلى الذي يعني، وهو المقام [الثاني من الورع، و عما يجر إلى الفضول وهو - ٣] مقام الزهد، فالآية جامعة لمقامي الإخلاص الناظر أحدهما إلى الحق، والثاني إلى الخلق، فالإخلاص لمقام المشتغل بالمصني له لأنه ١٥ أفراد الحق بالقصد في الطاعة، والخوف لمقام المشتغل بالمصني منه لأنه الميل عن سائر المخلوقات إلى الله تعالى وإلى ما يرضيه.

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: الاقوم (٢) من ظ و م، وفي الأصل: فقادوا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد في الأصل: ترك، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

و لما ذكر أصل الدين، أتبعه الفروع، فبدأ بأعظمها الذى مر
بجمع الدين و موضع التجرد عن العوائق فقال: ﴿ و يقيموا ﴾ أى يعدلوا
من غير اعوجاج ما، بجميع الشرائط و الأركان و الحدود ﴿ الصلوة ﴾
لتصير بذلك أهلاً لأن تقوم بنفسها، و هى التعظيم لأمر الله تعالى .
و لما ذكر صلة الخالق، أتبعها وصلة الخلائق فقال: هـ
﴿ و يؤتوا الزكاة ﴾ [أى-^١] بأن يحضروها لمستحقها شفقة على خلق الله
إعانة على الدين، و لكنهم حرفوا ذلك و بدلوه بطباعهم المعوجة، و تدخل
الزكاة عند أهل الله فى كل ما رزق الله من عقل و سمع و بصر و لسان
و يد و رجل و راحة و غير ذلك - كما هو واضح من قوله تعالى
” و بما رزقناهم ينفقون “ . ١٠

و لما كان هذا دينا حسنا [بينا -^٢] فضلوا عنه على [ما -^٣] عندهم
من الأدلة، زاد فى توبيخهم بمدحه فقال: ﴿ و ذلك ﴾ أى و الحال أن
هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور الذى هو فى غاية العلو
والخير ﴿ دين القيمة^٤ ﴾ أى الملة أو النفوس أو الكتب التى لا عوج فيها،
و هو على الأول من إضافة^٣ الموصوف إلى الصفة^٢، و عن الخليل أنه ١٥
قال: هو جمع قيم، و القيم و القائم واحد، و المعنى دين القائمين لله تعالى
بالتوحيد، و دل على ما قدرته فى أمر المشركين بذكرهم^٥ فى نتيجة^٥ ما

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل:
الصفة الى الموصوف (٤-٤) من ظ و م. و فى الأصل: بنتيجة .

مضى 'فى قوله' مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ان الذين كفروا﴾ أى وقع منهم الستر لمرائى عقولهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك وإن لم يكونوا عريقين فيه ﴿من اهل الكتب﴾ أى اليهود والنصارى ﴿والمشركين﴾ أى العريقين فى الشرك، ودل بالإتيان بالوصف هنا والفعل فى أولك^٢ - والله أعلم - على أن المشرك^٣ يرجع عن شركه و يؤمن إن لم يكن عريقا فى الشرك بخلاف أهل الكتاب متى تلبس أحد منهم بكفر لا يرجع عنه وإن كان / تلبسه به على أضعف الوجوه، وكذا كل من ينسب إلى علم ولا سيما إن كان بليدا متى عرضت له شبهة بعد رجوعه عنها، فلذلك جمع بينهم فى قوله: ﴿فى نار جهنم﴾ ١٠ أى النار التى تلقاهم بالتجهنم والعبوسة تكون عذابا لأجسامهم ﴿خلدين فيها﴾ أى يوم القيامة أو فى الحال لسعيهم فى موجباتها، واشترك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب التساوى فى النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر وخفته .

/ ٨٢٦

ولما كان معظم السياق للعبادة والترغيب فيها من القراءة والسجود ١٥ والافتكاك عن الكفر، لم يذكر التأييد بلفظه، بل اكتفى بما دل عليه وقال فى نتيجة ما مضى: ﴿اولئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿هم﴾ أى خاصة بما لظهارهم من الخبث ﴿شر البرية﴾ أى الخليفة الدين أهلوا

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بقوله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : او- كذا (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : المشركين (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ف .

إصلاح أنفسهم ، وفرطوا في حوائجهم و مآربهم ، وهذا نار لأرواحهم حين ينادى عليهم به .

ولما ذكر الأعداء وبدأ بهم ، لأن السياق لزم من جمد مع المألوف^١ وترك المعروف ، أتبعه الأولياء فقال مؤكدا لما للكفار من الإنكار : ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان من الخلق كلهم^٢ الملائكة^٣ وغيرهم ﴿ وعملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ أى [هذا -^٤] النوع . ولما كان نعيم القلب أعظم ، قدمه على نعيم البدن إبلاغا فى مدحهم فقال : ﴿ أولئك ﴾ أى العالو الدرجات ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ خير البرية^٥ ﴾ .

ولما خصصهم بالخيرية ، ذكر ثوابهم ، فقال ذاكرا جنه أبدانهم معظا^{١٠} لهم بالتعبير عن إنعامه عليهم بلفظ الجزاء المؤذن بأنه فى مقابلة ما وصفوا به : ﴿ جزاؤهم ﴾ أى على طاعاتهم ، وعظمه بقوله : ﴿ عندهم ﴾ إلههم المربى لهم وأى المحسن ﴿ جنت عدن ﴾ أى إقامة لا تحول عنها ﴿ نجوى ﴾ أى جريا دائما لا انقطاع له . ولما كان عموم الماء مانعا من تمام اللذة ، قرب وبعض بقوله : ﴿ من تحتها ﴾ أى تحت أرضها^{١٥} وغرنها وأشجارها ﴿ الانهر ﴾ .

ولما كانت اللذة لا تكمل إلا بالدوام قال : ﴿ خلدن فيها ﴾ ولما كان النظر إلى الترغيب فى هذا السياق أتم حثا على اتباع الدليل

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الملائكة (٢) زيد فى ظ : من (م) زيد من ظ و م .

المعروف ، و المفارقة للحال المألوف ، أكد معنى الخلود تعظيما لجزائهم بقوله : ﴿ ابدأ ﴾ .

و لما كان هذا [كله - '] ثمرة الرضا ، و كان التصريح به أقر للعين لأنه جنة الروح ، قال مستأنفا أو معللا : ﴿ رضى الله ﴾ أى بما له من نعوت الجلال و الجمال ﴿ عنهم ﴾ أى بما كان سبق لهم ^٢ من العناية و التوفيق .
و لما كان الرضا إذا كان من الجانبين ، كان اتم و أعلى لهم ^٣ قال : ﴿ و رضوا عنه ﴾ لأنهم لم يبق لهم أمنية إلا أعطاهمها مع علمهم أنه متفضل فى جميع ذلك ، لا يجب عليه لأحد شيء . و لا يقدره أحد حق قدره ،
فلو أخذ الخلق بما يستحقونه أهلكتهم ، و أعظم نعمه عليهم ما من / عليهم / ٨٢٧
١٠ به من متابعتهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فان ذلك كان سبيبا لكل خير .

و لما كان ذلك ربما ادعى أنه لناس مخصوصين ، فى زمان مخصوص ، قال معمما له و منبها على الوصف الذى كان سبب أعمالهم التى كانت سبب جزائهم : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الذى جوزوا به ﴿ لمن خشى ربه ﴾ .
١٥ أى خاف المحسن إليه خوفا يلىق به ، فلم يركن إلى التسويف و التكاسل ،
و لم يطبع نفسه بالشر بالجرى مع الهوى فى التطعم بالمحرمات بل كان بمن ^٤

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل فقط (٣) من م ،
وفى الأصل وظ : لأنه (٤) من م ، وفى الأصل وظ : مخصوص (٥-٥) سقط
ما بين الرقيين من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بما .

يطلب معالى الاخلاق فيستقى قلبه فيما يرضى ربه ، فكان تواتر إحسانه
يزيده خوفاً فيزيده شكراً ، فإن الخشية ملاك الأمر ، والباعث على كل خير ،
وهى للعارفين ، قال الملوى ما معناه : إن الإنسان إذا استشعر عقاباً يأتته
أو خسراً ، لحقته حالة يقال لها الخوف وهى انخلاع القلب عن طمأنينة
'الامن وقلقه' واضطرابه لتوقع مكروه ، فان اشتد سعى وجلا لجولانه ه
فى نفسه ، فاذا اشتد سعى رهباً لادائه إلى الهرب ، وهى حالة المؤمنين
الفارين إلى الله و من غلب عليه الحب لاستغراق فى شهود الجلاليات
لحقته حالة تسمى مهابة إذ لا ينفك عن خوف إبعاد أو صد اغفلة أو ذلة ،
ومن غلب عليه التعظيم لاستغراق فى شهود الجلاليات^٢ صار فى الإجلال ،
و وراء هذا الخشية " إنما يخشى الله من عباده العلماء " فمن خاف ربه هذا ١٠
الخوف انفك من جميع ما عنده مما لا يلىق بجناحه سبحانه ، و لم يقدح
فى البينة ولا توقف فيها ، وما فارق الخوف قلباً إلا خرب ، فكان جديراً
بأن يقدح فى كل ما أدى إلى العبارة ، و قد رجع آخر السورة على
أولها بذلك ، و بتصنيف^٣ الناس صنفين : صنف انفك عن هوى نفسه
فأنجاها ، و صنف استمر فى أسرهِ فأرداها ، و قد ذكرت فى «مساعد ١٥
النظر للإشراف على مقاصد السور» سر تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم
لأبى^٤ رضى الله عنه بقراءة هذه السورة عليه بخصوصها ، وحاصله
(١ - ١) من ظ و م ، وفى الأصل : اقلب وقلقه (٢) من ظ و م ، وفى
الأصل : ذهباً (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : الجلائيات - كذا (٤) فى
ظ : هذه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بتنصيف (٦) من م ، وفى الأصل
و ظ : لأبى بكر .

أن سبب تخصيصه بذلك أنه وجد اثنين من الصحابة رضى الله عنهم قد خالفاه في القراءة فرفعهما^٢ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهما فعرضا عليه فحسن لهما، قال: فسقط في نفسى من التكذيب أشد بما [كان -^١] في الجاهلية، فضرب صلى الله عليه وسلم في صدرى فقضت عرقا، وكأنا أنظر إلى الله فرقا، ثم قص على^٣ خبر التخفيف^٤ بالسبعة الأحرف^٥، وكانت السورة التى وقع فيها الخلاف النحل وفيها أن الله يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم يوم البعث شهيدا، وأنه نزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة، وأنه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا، وأن اليهود اختلفوا في السبت، / وسورة "لم يكن" على قصرها حاوية ١٠ إجمالا لكل ما في النحل على طولها بزيادة، وفيها التحذير من الشك بعد البيان، وتقييح حال من فعل ذلك، وأن حاله يكون كحال الكفرة من أهل الكتاب في العناد، فيكون شر البرية، فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم [عليه -^٢] رضى الله عنه تذكيرا له بذلك كله على وجه أبلغ وأخصر ليكون أوسع له تصورا فيكون أرسخ في النفس وأثبت ١٥ في القلب وأعشق^٦ للطبع، فاخصه الله بالثبوت وأراد له الثبات، فكان من المرادين المرادين لما وصل إليه قلبه ببركة ضرب النبي صلى الله عليه وسلم صدره من كشفه الحجب ونفى الشياطين والنظر إلى سبجات القدس

(١) من ظ و م ، وفي الأصل ؛ في رفعهما (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، وفي الأصل : بالأحرف السبعة (٤) من ظ و م ، وفي الأصل ؛ اعتقده

وشهود^١ تلك الحضرة الشفاء، و صيرورته إلى أن يكون أصنى
 الصحابة رضى الله عنهم مراقبه لتلاوة النبی صلى الله عليه وسلم بما يتذكر
 من الامر الشريف بتخصيصه بذلك، فيصير كلما قرأ هذه السورة الجامعة
 غائبا عن تلاوة نفسه مصغيا بأذنى قلبه إلى روح النبوة يتلو عليه ذلك
 فيدوم له حال الشهود الذى وصل إليه بسر تلك الضربة. ولشوته في ه
 هذا المقام قال صلى الله عليه وسلم: أقرؤكم^٢ أبى - رواه أحمد والترمذى^٣
 وابن ماجه^٤ عن أنس رضى الله تعالى عنه وهو صحيح، ورواه بعضهم
 مرسلًا، وما فيه ولم أذكره^٥ في المصاعد سنة التواضع حتى لا يمنع
 أحدا^٦ ما يراه من علوه من القراءة على من هو دونه فإنه ما منع
 أكثر أهل الكتاب من الإسلام إلا رؤية ما كانوا عليه من العلم^٧
 بكتب الله وسنن الرسل عليهم الصلاة والسلام و جهل العرب بذلك،
 فظفروا إلى ما كان ولم ينظروا إلى الحالة الراهنة^٨ الآن، فخلق الحسد
 أديانهم وسلبهم إيمانهم، وصاروا أشقى الناس - كما نبه عليه أول السورة -
 نسأل الله العفو والعافية^٩ في الدين والدنيا والآخرة - آمين^{١٠}.

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : الشهود الى (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
 اقرؤكم (٣) راجع مواقيت الصلاة (٤) راجع ص ١٤ (٥) من ظ و م ، وفي
 الأصل : لم اذكر (٦-٦) من ظ و م ، وفي الأصل : ما احد (٧) من ظ و م ،
 وفي الأصل : الراهنة (٨-٨) في ظ : واقه أعلم .

سورة الزلزلة

مقصودها انكشاف الأمور ، و ظهور المقدور أم^٢ ظهور ، وانقسام
الناس في الجزاء في دار البقاء إلى سعادة و شقاء^٢ ، و على ذلك دل اسمها
بتأمل الظرف و مظهره ، و ما أفاد من بديع القدر و صروفه ﴿ بسم الله ﴾
المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ الرحمن ﴾ الذي عم الخلق بنعمته الظاهرة
قسما ﴿ الرحيم ﴾ الذي أمّ النعمة على خواصه حقيقة و اسما ، عينا و رسما .
لما ختم تلك بجزاء الصالح و الطالح في دار البقاء على ما أسلفوه في
مواطن الفناء ، ذكر في هذه أول مبادئ تلك الدار^٢ و أوائل غاياتها ،
و ذكر في القارعة ثواني مبادئها و آخر غاياتها ، و أبلغ في التحذير
١٠ / ٨٢٩ بالإخبار باظهار ما يكون عليه الجزاء ، فقال معبرا بأداة التحقق / لأن الأمر
حتم لا بد من كونه^٢ : ﴿ اذا ﴾ .

و لما كان الخوف الزلزلة و لو لم يعلم فاعلمها ، و كان البناء للفعول يدل
على سهولة الفعل و يسره جدا ، بنى للفعول قوله : ﴿ زلزلت الارض ﴾
أي حركت واضطربت زلزلة البعث بعد النفخة الثانية بحيث يعمها ذلك

(١) التاسعة و التسعون من - و القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آياتها ٨ (٢) من
ظ و م ، و في الأصل : ام (٣) من ظ و م ، و في الأصل : شقاوة (٤) من ظ
و م ، و في الأصل : البقاء (٥) من ظ و م ، و في الأصل : الداية (٦) زيد في
الأصل : قل ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

لا كما كان يتفق قبل ذلك من زلزلة^١ بعضها دون بعض و على وجه
دون ذلك، وعظم هذا الزلزال و هوّله بابهامه لتذهب النفس فيه كل
مذهب، فقال كاسرا الزام^٢ لانه^٣ مصدر، و لو فتحها لكان اسما
للحركة، قال البيضاوى^٤: و ليس إلا فى المضاعف. (زلزالهالا) أى
تحركها واضطرابها الذى يحق لها فى مناسبتها اعظمة جرم الارض وعظمة
ذلك اليوم، و لو شرح بما يليق به لطال الشرح، و ذلك كما تقول:
أكرم التقي لإكرامة وأمن الفاسق [الشقى - ٥] إهانة، أى على حسب
ما يليق به .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: وردت عقب سورة البرية
ليبين بها^٥ حصول جزاء الفريقين و مآل الصنفين المذكورين فى قوله تعالى ١٠
”ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين - إلى قوله: اولئك شر
البرية“ وقوله ”ان الذين امنوا“ - إلى آخر^٦ السورة . ولما كان حاصل
ذلك افتراقهم على صنفين و لم يقع تعريف بتباين^٧ أحوالهم، أعقب ذلك
بمآل الصنفين واستيفاء جزاء^٨ الفريقين المجمل ذكرهم فقال تعالى ”يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم“ إلى آخر السورة - انتهى . ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: زات (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: لانها .
(٣) راجع الأنوار ص: ٨٠٧ (٤) من ظ و م ، وفى الأصل: كعظمة (٥) زيد
من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل: به (٧) فى ظ: خاتمة (٨) من ظ
و م ، وفى الأصل: تباين (٩) من ظ و م ، وفى الأصل: خبر .

ولما كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخنى فى المضطرب^١
 قال: ((واخرجت)) وأظهر ولم يضمن تحقيقا للعموم فقال: ((الارض))
 أى كلها ((اثقالها)) أى مما هو مدفون فيها كالأموات^٢ والكنوز^٣
 التى^٤ كان أمرها ثقيلا على الناس، وهو جمع ثقل - بالكسر، وذلك
 حين يكون^٥ البعث والقيام متأثرا ذلك الإخراج عن ذلك الزلزال،
 كما يتأثر عن زلزال البساط بالنفض لإخراج ما فى بطنه وطيه وغضونه
 من وسخ ورازب وغيره، وما كان على ظهرها فهو ثقل عليها
 لأنها يعطيها الله قوة لإخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة^٦ أن تخرج^٧
 النبات الصغير اللطيف الطرى الذى هو أنعم من الحرير فيشق الارض
 الصلبة التى تكل عنها المعاول^٨ والحديد، ويشق النواة مع ما لها من
 الصلابة التى تستعصى بها على الحديد فيفلق نصفين وينبت منها ما يريد
 سبحانه وتعالى، ويفلق قشر الجوز واللوز ونوى^٩ الخوخ وغيره مما^{١٠}
 هو فى غاية الصلابة كما نشاهده، ويخرج منه الشجر يشق الارض
 على ضعفه ولينه وصلابتها / وبكونه على ظهرها حتى يصير أغلظ شئ.
 ١٥ وأشدّه، وكذا الحب سواء، فالذى قدر على ذلك هو سبحانه وتعالى

/ ٨٣٠

(١) من ظ وم، وفى الأصل: المضطر (٢) فى م: من الأموات (٣) من ظ وم،
 وفى الأصل: الذى (٤-٥) من ظ وم، وفى الأصل: يكون حين (٥-٥) من
 ظ وم، وفى الأصل: إخراج (٦) من ظ وم، وفى الأصل: المعاويل
 (٧) من ظ وم، وفى الأصل: ثقا (٨) من ظ وم، وفى الأصل: ما.

٨٣٠ /

قادر على تكوين الموتى في بطن الأرض وإعادتهم على ما كانوا عليه
كما يكون الجنين في البطن ويشق / جميع منافذه على التحذير من السمع
و البصر والشم وغير ذلك من [غير-٢] أن يدخل [إلى-٢] هناك
بيكار ولا منتشر، ثم يخرج من البطن، فكذا إخراج الموتى من غير فرق،
كل عليه حين - سبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه .

و لما كان الإنسان إذا رأى هذا عجب له ولم يدرك سببه لأنه
أمر عظيم فظيع يهر عقله ويضيق عنه ذرعه، عبر [عنه-٥] بقوله:
(و قال الانسان) أي هذا النوع الصادق بالقليل والكثير لما له
من النسيان لما تأكد عنده من أمر البعث بما له من الانس بنفسه
والنظر في عطفه، على سبيل التعجب والدهش أو الحيرة، ويجوز أن
يكون القائل الكافر كما يقول "من بعثنا من مرقدنا" فيقول له المؤمن
"هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون": (ما لها) أي أي شيء.
للأرض في هذا الأمر الذي لم يعهد مثله .

و لما طال الكلام وأريد التهويل، أبدل من "إذا" قوله معرفا
للإنسان ما سأل عنه: (يومئذ) [أي-٢] إذ كان ما ذكر من الزلزال ١٥

-
- (١) زيد في الأصل و ظ : من غير فرق ، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها .
(٢) زيد في الأصل : على ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م .
(٤) زيد في الأصل : شنيع ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) زيد
من ظ و م (٦) زيد في الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

و ما لزم عنه و نصبه و كذا ما أبدل منه بقوله: ﴿تحدث﴾ أى الأرض
 بلسان الحال باخراج ما فى بطنها من الموتى و السكنوز و غيرها على وجه
 يعلم الإنسان به لم زلزلت و لم أخرجت ، و أن الإنذار بذلك كان حقاً ،
 و قال ابن مسعود رضى الله عنه: ' تحدث بلسان المقال . ﴿اخبارها لا﴾
 ٥ أى^٢ التى زلزلت و أخرجت ما أخرجت لأجلها ، و كل شئ عمل عليها
 شهادة^٣ منها على العاملين^٤ فتقول: عمل فلان كذا و كذا - تعدد حتى
 يود المجرم أنه يساق إلى النار لينقطع عنه تعداد^٥ ذلك الذى يلزم منه
 العار، و تشهد للأومن بما عمل حتى يسره ذلك ، فيشهد للأوذن كل ما امتد
 إليه صوته من رطب و يابس .

١٠ و لما كان من المقرر أنه لا يكون شئ إلا بأذنه تعالى ، و كان قد
 بنى الأفعال لما لم يسم فاعله ، فكان الجاهل ربما خفى عليه فاعل ذلك قال:
 ﴿بان﴾ أى تحدث بسبب أن ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك باحقاق الحق
 و إزهاق الباطل لإعلاء شأنك ﴿اوحى﴾ و عدل عن حرف النهاية
 لإيداننا بالإسراع فى الإيحاء فقال: ﴿لها ثم﴾ أى بالإذن فى التحديث المذكور
 ١٥ بالحال أو المقال .

و لما أخبر تعالى باخراج الأتقال التى منها الأموات ، اشتد التشوف

(١) راجع تفسير الطبرى ٣٠ / ١٤٧ (٢) زيد فى الأصل: الأرض ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل: شهادته (٤) من م
 و فى الأصل و ظ: العالمين (٥) من ظ و م ، و فى الأصل: تعدد .

إلى هيئة ذلك الإخراج وما يتأثر عنه ، فقال مكررا ذكر^١ اليوم زيادة
 في التهويل : ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ كان ما تقدم وهو حين^٢ يقوم الناس
 من القبور ﴿ يصدر ﴾ أى يرجع رجوعا هو فى غاية السرعة والاهتداء
 إلى الموضع الذى ينادون منه لا يغلط أحد منهم فيه ولا يضل
 [عنه - ٣] ﴿ الناس ﴾ من قبورهم ' إلى ربهم ' الذى كان لهم بالمرصاد
 ليفصل بينهم ﴿ اشتانالا ﴾ أى متفرقين بحسب مراتبهم فى الذوات
 والأحوال من مؤمن وكافر ، وآمن وخائف ، ومطيع وعاص .
 ولما ذكر ذلك ، أتبعه علته فقال بانبا للفعول على طريقة كلام

القادرين : ﴿ ايروا ﴾ أى / يرى الله المحسن منهم والمسيء بواسطة من
 ٨٣١ / يشاء من جنوده أو بغير واسطة حين يكلم سبحانه وتعالى كل أحد ١٠
 من غير ترجمان ولا واسطة كما أخبر بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم
 ﴿ اعمالمهم ﴾ فيعملوا جزاءها أو صادرين عن الموقف كل إلى داره ليرى
 جزاء عمله ، ثم سبب عن ذلك قوله مفصلا الجملة التى قبله : ﴿ فن يعمل ﴾
 من محسن أو مسيء مسلم أو كافر ﴿ منقال ﴾ أى مقدار^٤ وزن
 ﴿ ذرة خيرا ﴾ أى من جهة الخير ﴿ يره ﴾ أى حاضرا لا يغيب عنه ١٥
 شئ منه لأن المحاسب له الإحاطة علما وقدره ، فالكافر يوقف على

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ذا كرا (٢) زيد فى الأصل : يوم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : اتى كانت لهم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الذات (٦) زيد فى
 الأصل و ظ و او ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها .

أنه جوزى به في الدنيا أو أنه أحبط لبنائه على غير أساس الإيمان، فهو صورة بلا معنى ليشته ندمه ويقوى حزنه وأسفه، والمؤمن يراه ليشته سروره به .

و لما ذكر الخير، أتبعه ضده فقال : ﴿ ومن يعمل ﴾ أى كائنا من كان ﴿ مثقال ذرة شرا ﴾ أى من جهة الشر ' ﴿ يره ﴾ ٤ فافوقه ، فالمؤمن يراه و يعلم أنه قد غفرله ليشته فرحه ، والكافر يراه فيشتهد حزنه و ترحه ، و الذرة التلة الصغيرة أو الهباءة التى ترى [طائرة - ٥] فى الشعاع الداخلى من الكوة ، و قد رجع آخرها على أو لها بتحديث الاخبار و إظهار الأسرار^٢ ، و قد ورد فى حديث الأعرابي أن هذه السورة جامعة ١٠ لهذه الآية الأخيرة ، و قال ابن مسعود رضى الله عنه : ' لأنها أحكم آية فى القرآن ، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [يسميها - ٥] الفاظة الجامعة ، و من فقه ذلك لم يحقر ذنبا و إن دق لأنه يجتمع إلى أمثاله فيصير كبيرا^٦ كما^٧ قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها^٨ : إياك و محقرات الذنوب ، فان لها من الله طالبا ، و روى كما ذكرته فى ١٥ كتابي^٩ «مساعد النظر فى الإشراف على مقاصد السور» فى حديث

(١) زيد فى الأصل و ظ : فانه ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفها (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل : انها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) راجع العالم ٢٣٤/٧ (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كثيرا (٧) - نقط من ظ و م (٨) راجع مسند الإمام أحمد ٧٠/٦ (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : كتاب .

[انها تعدل نصف القرآن، وفي حديث - ١] آخر أنها تعدل ربع القرآن،^١ ولا تعارض^٢، فالأول نظر إليها من جهة أن الأحكام تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وهذه السورة اشتملت على أحكام الآخرة إجمالاً، وزادت على^٣ القارعة بأخراج الأتقال^٤ وأن كل أحد يرى كل ما عمل، والثاني نظر إليها باعتبار ما تضمنته الحديث الذي رواه الترمذي^٥ عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثى بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر^٦. [فاقتضى - ١] هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذي قرره هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذي دل عليه القرآن، وأيضاً فأمر الدين أربعة أجزاء: أمر المعبود، وأمر العبيد^٧، وأمر العبادة، [وأمر - ١] الجزء^٨، فهذه السورة تكفلت بأمر الجزء، وسورة الكافرون ربع لأنها في أمر العبادة على وجه الخصوص والخفاء وإن كانت على وجه التمام والوفاء، وسورة النصر ربع لأنها لأمر العبادة على وجه العموم والجلاء والظهور والعلا -^٩ والله الهادي للصواب وإليه المآب^{١٠}.

١٥

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل: فلا معارض (٣-٣) من ظ وم، وفي الأصل: الآخرة باتقال الاحمال (٤) راجع الجامع - انقدر (٥) من ظ وم، وفي الأصل: السه - كذا (٦) من ظ وم، وفي الأصل: العبد. (٧) من ظ وم، وفي الأصل: بالجزء (٨-٨) في ظ: واقه أعلم بالصواب، وما بين الرقين ساقط من م.

سورة العاديات

مقصودها الإعلام بأن أكثر الخلق يوم الزلزلة هالك لإيثار الفاني من العز [و المال -^٢] على الباقي عند ذى^٢ الجلال، المدلول عليه بالقسم وهو العاديات و المقسم عليه و ما عطف عليه، و قد علم أن اسمها أدل شئ. على ذلك / لما هدى إليه^١ القسم و المقسم عليه : ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الأمر كله فلا يستل عما يفعل ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم^٢ نعمته إيجاده و بيانه فنعمته أتم نعمة و أشمل ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص خلص عباده بتوفيقه فأنم نعمته عليهم و أكل .

لما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال^٣ الشريوم الفصل ، افتتح هذه بيان ١٠ ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع ، و ما ينجر^٤ إليه ذلك الطبع مما يتخيله من النفع ، موجها من^٥ لا يستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام^٦ من تلك الأعمال ، معنفا^٧ من أثر دنياه على أخراه ، مقسما بما لا يكون إلا عند أهل النعم الكبار الموجبة للشكر ، فمن غلب عليه الروح شكر . و من غلب

(١) المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ١١ (٢) زيد من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ذوى (٤) من م ، وفى الأصل وظ : عليه .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عما (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : على الأعمال من (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يجر (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لمن .
(٩) من م ، وفى الأصل وظ : التام (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : مشبها .

عليه الطبع - وهم الأكثر - كفر فقال: ﴿والغديت﴾ أى الدواب التى من شأنها أن تجرى بغاية السرعة، وهى الخيل التى ظهورها^١ عز و بطونها كنز، وهى لرجل وزر و لرجل أجر، فمن فاخر بها و نادى بها أهل الإسلام و أبطره عزها حتى قطع الطريق و أخاف الرفيق كانت له شرا، ومن جعلها فى سبيل الله كانت له أجرا، ومن حمل^٢ عليها و لم ينس^٣ حق الله فى رقابها و ظهورها كانت له ستر^٤، و إنما أقسم بها ليتأمل ما فيها من الأسرار الكبار التى باينت به أمثالها من الدواب كالثور مثلا و الحمار ليعلم أن الذى خصها بذلك فاعل 'مختار واحد' قهار، فالقسم فى الحقيقة به سبحانه .

ولما كانت دالة على الضابحات بالالتزام، قال ناصبا به أو بد «تضبح» ١٠ مقدرًا: ﴿ضبحًا﴾ [و الضبح -^٥] صوت جهير يخرج من أفواهها عند العدو الشديد، ليس بصهيل و لاحتمة و لارغاء و هو من النفس، و ليس شيء من الدواب يضبح^٦ غير الفرس و الكلب و الثعلب، و أصله للثعلب و استعير للخيل، و حكاه ابن عباس رضى الله عنهما فقال: أح أح، أو الضبح عدو دون التقريب .

١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل: بطونها (٢) من ظ، وفى الأصل و م: عمل (٣) من ظ و م، وفى الأصل: سيرا (٤ - ٤) من م، وفى الأصل و ظ: واحد مختار (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: سفخ - كذا .

ولما ذكر عدوها، أتبعه ما ينشأ عنه، فقال عاطفا بأداة التعقيب
لأن العدو بحيث يتسبب عنه و يتعقبه الإبراء: ﴿فالموريت﴾ أى المخرجات
لنار بما يصطك من نعالها بالأحجار، لا سيما عند سلوك الأوعار .
ولما كان الإبراء أثر القدح قال: ﴿قدحاً﴾ أى تقدح ضرباً بعنف
ه كضرب الزند ليورى النار، ونسب الإبراء إليها لإيجادها صورته وإن
لم يكن لها قصد إليه .

ولما ذكر العدو وما يتأثر عنه، ذكر نتيجه و غايته فقال:
﴿فالمغيرت﴾ أى باغرة أهلها عليها / على [العدو و -] الإغارة
والركض الشديد لإرادة القتل والنهب . ولما كانت الإغارة الكائن
١٠ عنها الثبور والويل أروع ما تكون فى أعقاب الليل قال: ﴿صبحاً﴾
أى ذات دخول فى الصباح .

/ ٨٣٣

ولما كان الأعداء^١ حال الإغارة يكون مختلفاً تارة يميناً [وتارة -]
شمالاً و تارة أماماً و تارة وراء بحسب الكسر والفر فى المصاولة
والمحاولة تارة أثر الهارب، وأخرى فى مصاولة المقبل المحارب، فينشأ
١٥ عنها الغبار الكثير لإثارة الهواء له واصطدام بعضه ببعض لتعاكسه بقوة
الدفع من قوائمه و ما تحركه منه، وكان المقسم به منظوراً فيه إلى ذاته
ونتيجة القسم منظوراً فيها إلى الفعل بادئ بدء مع قطع النظر بالأصالة
عن^٢ الذات، عطف على اسم الفاعل بعد حله إلى أن وصلتها فقال:

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: أعداء (م) من ظ وم،
وفى الأصل: على .

{ فائرن به } [أى - ١] بفعل ٢ الإغارة و مكانها و زمانها من شدة العدو { نقعلا } أى غبارا مع الاعتناق و الصباح و الزجر بالنعق حتى صار ذلك الغبار منجبكا و منعقدا عليها .

و لما كان المغير يتوسط الجمع عند اختلال حالهم فيفرق شملهم لأنهم متى افرقوا حصل فيهم الخلل ، و متى اختلفوا تخلصهم العدو ففرق شملهم ه قال : { فوسطن به } أى بذلك النقع أو الفعل و الوقت و الموضع { جمعا لا } أى و هو المقصود بالإغارة ، فدخلت في وسط ذلك الجمع لشباعتها و قوتها و طواعيتها و شجاعة فرسانها .

و لما أقسم بالخيال التى هى أشرف الحيوان ٤ كما أن الإنسان المقسم لأجله أشرف ما اتصف ٥ منه بالبيان ، و تجرى به أفكاره كحيل الرهان ، و تقدح ١٠ المعانى تارة مقترنة ٦ بأشرف المعان ، و أخرى ٧ بأخس ما يقع به الاقتران ٨ ، من الزور و البهتان ، و الإلحاد و الطغيان ، و تغير ٩ منه ثواقب ١٠ الأذهان ، تارة على شبه الخصوم بالبرهان . و أخرى بما يغير به من الشبه الملتبسة فى وجوه المعانى الحسان ، و يثّر تارة المعانى الصحيحة على أهل الطغيان ،

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ : فعل (م) العبارة من هنا الى « أولى الإيمان و ه ص ٢١٤ س ٢ و م ساقطة من ظ (٤) من م ، و فى الأصل : الحيوانات . (٥) من م ، و فى الأصل : اتصل (٦) من م ، و فى الأصل : مقترنة (٧) من م ، و فى الأصل : آخر (٨) من م ، و فى الأصل : الاقتران (٩) من م ، و فى الأصل : يعز (١٠) من م ، و فى الأصل : مواقبة .

من ذوى البدع^١ والكفران، وأخرى^٢ الفاسدة على حزب
الملك الديان، وتوسط تارة جمع أولى الطرفين، وأخرى جمع أولى
الإيمان، وكانت الإغارة فى الغالب لأجل قهر المغار عليهم على أموالهم
عدوانا إن كان ذلك فى غير الجهاد، وإن كانت فى الجهاد فقل من
يخلص فى ذلك الحال، فيكون عمله ليس إلا الله كما أشار إليه الحديث

٥. القدسي^٣ "إن عبدى كل عبدى للذى يذكرنى عند لقاء قرنه" قال
جيبا للقسم بذكر المقسم عليه حاكما على النوع باعتبار عد المخلص لقلته
عدما، مؤكدا لما لهم من تكذيب ذلك فإن كل أحد يتبرأ من مثل
هذا الحال: (إن الانسان) أى هذا النوع بما له من الأنس بنفسه
والنسيان لما ينفعه (لربه) أى المحسن إليه بابتدائه ثم إبقائه وتديره
وترتيبه^٤ (لكنود) أى كفور نكد لسوء المعاملة حيث يقدم بما
أحسن به الله إليه من الصافنات الجياد وبما آناه من قوة الجنان
والأركان على ما نهاه عنه، ومصدره الكنود بالضم وهو كفران

النعمة، فالمراد هنا - بالتعبير [عنه -] بهذه الصيغة التى هى للبالغة / -

/ ٨٣٤

١٥ من يزدرى^٥ القليل ولا يشكر الكثير، وينسى كثير النعمة بقليل المحنة،
ويلوم ربه فى أيسر^٦ نقمة، وقال الفضيل بن عياض: هو من أنسته

(١) قوم؛ أو (٢) من م، وفى الأصل: آخر (٣) راجع الترمذى - الدعوات.
(٤) من ظ و م، وفى الأصل: ترتيبه (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ
و م، وفى الأصل: دورى (٧) من ظ و م، وفى الأصل: السى - كذا .

الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان^١،
والشكور ضده .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : أقسم^٢ سبحانه على [حال-^٣]
الإنسان بما هو فقال " ان الانسان لربه لكنود " أى لكفور ، ييغل بما لديه
من المال كأنه لا^٤ يجازى ولا يحاسب على قليل ذلك وكثيره من أين
اكتسبه وفيما أنفقه ، وكأنه ما سمع بقوله تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " " وانه لحب الخير "
أى المال " لشديد " لبخيل ، " وانه على ذلك لشهيد " فان الله على ذلك
لمطلع فلا نظر فى أمره وعاقبة مآله " إذا بعثر ما فى القبور وحصل
ما فى الصدور " أى ميز ما فيها من الخير والشر ليقع الجزاء عليه " إن ١٠
ربهم بهم يومئذ لخبير " لا يخفى عليه شئ من أمرهم " فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " - انتهى .

و لما كان لإقدام الإنسان على الظلم عجا ، فاذا كان يشهد على نفسه
بالظلم كان أعجب ، قال مؤكدا لما لاكثر الخلق قبل البعث والمحافاة^٥
من إنكار كفرانه : (وانه) أى الإنسان (على ذلك) أى الكنود ١٥
العظيم حيث أقدم على مخالفة الملك الأعظم المحسن مع الكفر لإحسانه

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : الانسان (٢) زيد فى الأصل : بالله ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى
الأصل : الاحسان (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : لا (٦) من ظ و م ، وفى
الأصل : كان (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : المحافاة .

(لشهادة) لأنه مقر إذا حوق بأن جميع ما هو فيه من إحسان ربه وبأن ربه نهاه عن المخالفة، أو أنه لا أمر عنده [منه-١] بما فعل، وأنه لا ينبغي لعاقل أن يتحرك بحركة يمكن أن يكرهها الملك الذي هو في خدمته ولا شيء له إلا منه بغير إذنه، وأنه إن تحرك بغير ذلك كان كافرا لإحسانه مستحقا لعقابه، لا يقدر على إنكار شيء منه .

و لما كان من العجائب أن يكفر أحد إحسان المنعم، و هو شاهد على نفسه، ذكر الحامل له على ذلك حتى هان عليه فقال: (وانه) أى الإنسان من حيث هو مع شهادته على نفسه بالكفر الذى يقتضى سلب النعم (لحب) أى لأجل حب (الخير) أى المال الذى لا يعد غيره ١٠ لجهله خيرا (لشديد) أى بخيل بالمال ضابط له بمسك عليه، أو بليغ القوة فى حبه لأن منفعة فى الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بأن أقل ما فيه أنه^١ يشغله عن حسن الخدمة لربه و هو معرض عن الدين حيث كانت منفعة آجلة غائبة مع علمه بأن المعروف بما يرضى من خدمة ربه الحاث^٢ عليها الداعى إليها فهو لحب عبادة الله^٣ ١٥ ضعيف متعاس، و كان حبه الخير يقتضى عنه الشكر الذى يتقاضى الزيادة، ولا يتخيل أن شديدا عامل فى الحب لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها، وإنما ذلك المتقدم دليل على المعمول المحذوف.

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: إن (٣) من ظ و م، وفى الأصل: الحادث (٤) من ظ و م، وفى الأصل: ربه (٥) من م، وفى الأصل و ظ: ان .

و لما كان المال فايما لا ينبغي لعاقل ان يعلق أمله به فضلا عن
أن يؤثره على الباقي، نبهه على ذلك بتهديد بليغ. فقال مسيبا عن ذلك
معجبا، موقفا له على ما يؤول إليه أمره: ﴿ افلا يعلم ﴾ أى هذا الإنسان
الذى / أنساه أنه بنفسه .

٨٣٥ /

و لما كان الحب أمرا قليلا ، لا يطلع عليه إلا عالم الغيب ، و كان ه
[البعث من عالم الغيب ، و كان - '] أمرا لا بد منه ، و كان المخوف مطلق
كونه ، لم يحتاج إلى تعيين العاقل ، فبنى للمفعول قوله مهيدا مؤذنا بأنه شديد
القدرة على إثارة الخفايا ، معلقا بما يقدره ما يؤول إليه أمره من أن الله
يحاسبه^٢ و يجازيه على أعماله ، و أنه لا ينفعه مال و لا غيره ، و لا ينجي
إلا ما كان من أعماله موافقا لأمر ربه مبنيا على أساس الإيمان واقعا ١٠
بالإخلاص^٣ : ﴿ اذا بعث ﴾ أى أثير بغاية السهولة و أخرج و فرق
و نظر و قش بغاية السهولة . و لما كان الميت قبل البعث جمادا ، عبر عنه
بأداة ما لا يعقل فقال^٤ : ﴿ ما فى القبور لا ﴾ أى أخرج ما فيها من الموق
الذين تشكر العرب بعثهم^٥ فنشروا للحساب ، أو من عظامهم و لحومهم
و أعصابهم و جلودهم و جميع أجسامهم . و قلب بعضه على بعض حتى أعيد ١٥
كل شئ منه على ما كان عليه ، ثم أعيدت إليه الروح ، فكان كل أحد
على ما مات عليه .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : امر (م) من ظ و م ،
وفى الأصل : يحاسب (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بعد الاخلاص .
(٥) فم : فقبل (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : بعثهم .

و لما كان الخوف إنما هو ما يتأثر عن البعث من الجزاء على الاعمال
 الفاسدة قال: ﴿ وحصل ﴾ اى أخرج و ميز و جمع فعرف أنه معلوم
 كله بغاية السهولة كما أشار البناء للفعول^١ ﴿ ما فى الصدور ﴾ اى من
 خير أو شر بما يظن مضمرة أنه لا يعلمه أحد أصلا، و ظهر مكتوبا فى
 ه صحائف الاعمال، و هذا يدل على [ان -^٢] النيات يحاسب بها كما يحاسب
 على ما يظهر من آثارها .

ولما كان علم ما فى الصدور أمرا باهرا للعقل، قال جاءها نظرا
 إلى المعنى لما عبر عنه بالإفراد بالنظر إلى اللفظ، لأن العلم بالكل يلزمه
 العلم ببعض بخلاف العكس مؤندا إشارة إلى أنه بما لا يكاد يصدق،
 ١٠ معللا للجملة المحذوفة الدالة على الحساب: ﴿ ان ربهم ﴾ اى المحسن
 إليهم بخلقهم و رزقهم و تربيتهم و جعلهم أقوياء سويين ﴿ بهم ﴾ قدم
 هذا الجار أو المجرور لا للاحتصاص، بل للإشارة إلى ° نهاية الخبر .
 و لما كانت الخبرة للاحاطة بالشئ ظاهرا و باطنا، و كان يلزم من الخبرة
 بالشئ بعد كونه بمدد طوال الخبرة به حال كونه من باب الأولى قال:
 ١٥ ﴿ يومئذ ﴾ اى إذا كانت [هذه -^٢] الأمور و هو يوم القيامة ﴿ لخير ﴾
 اى يحيط بهم من^٣ جميع الجهات عالم غاية العلم ببواطن أمورهم، فكيف

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الى المفعول (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من
 ظ و م ، و فى الأصل : للنعى (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) زيد فى الأصل :
 انها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) زيد فى الأصل : يكون ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فى °
 بظواهرها

بظواهرها جواهر و أعراضا، أقولا و أفعالا، خفية كانت أو ظاهرة،
 سرا كانت أو علانية، خيرا كانت أو شرا، و من المعلوم أن فيها الظلم
 و غيره، و منهم المحسن و غيره، فلاجل علمه سبحانه بذلك غاية العلم
 يحاسبهم لئلا يقع ما ينافي الحكمة و هو أن تستوى الحسنة و السيئة،
 فالقصد بالقيود و تقديم الظرف الإبلاغ في التعريف بأنه سبحانه و تعالى ٥
 يحيط العلم بذلك كما إذا قيل / لك : تعرف فلانا ؟ فقلت : و لا أعرف ٨٣٦/
 إلا هو، فان قصدك بذلك أن معرفتك به في غاية الإتقان، لا تنفي
 معرفة غيره، و فيه إشعار بأن كل أحد يعرف غاية المعرفة في ذلك
 اليوم أنه سبحانه و تعالى [عالم - ١] بأحواله لا ذهول له عن شيء من
 ذلك كما يقع في هذه الدار من أن الإنسان يعمل أشياء كثيرة و هو ١٠
 غافل عن أن ربه سبحانه مطلع عليه فيها، و لو نبه العلم، فلاحاطته سبحانه
 و تعالى بجميع أحوالهم كان عالما^٢ بأن الإنسان^٢ لربه لكنود، و قد رجع
 آخرها إلى أولها، و تكفل مفصلها بشرح مجملها - والله^٢ الهادي للصواب^٢.

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) من م، و في الأصل وظ : بالانسان ان (٣-٣) في
 ظ : أعلم بالصواب .

سورة القارعة^١

مقصودها إيضاح يوم الدين بتصوير ثوانى أحواله في مبدئه^٢ ومآله،
 وتقسيم الناس فيه إلى ناج وهالك، واسمها القارعة واضح في ذلك^٣
 ﴿بسم الله﴾ الملك الأعلى ﴿الرحمن﴾ الذى عمت نعمة إيجاده وبيانه
 ٥ جميع الورى ﴿الرحيم﴾ الذى خص أهل حربه بالتوفيق لما يحب ويرضى .
 لما ختم^٤ العاديات بالبعث، ذكر صيحته فقال : ﴿القارعة ٥﴾ أى^٥
 الصيحة أو القيامة، سميت بها لأنها تفرع أسماع الناس وتدهقها دقا شديدا
 [عظيما -^٦] مزعجا بالافزاع، والأجرام السكيفة بالنشقق والانفطار،
 والأشياء الثابتة بالانتثار^٧ .

١٠ ولما كانت تفوق الوصف في عظم شأنها [و -^٨] جليل سلطانها،
 عبر عن ذلك وزاده عظما بالإلهام والإظهار في موضع الإضمار مشيرا
 بالاستفهام إلى أنها مما يستحق^٩ السؤال عنه على وجه التعجيب
 والاستعظام فقال : ﴿ما القارعة ٤﴾ وأكد تعظيمها [إعلاما -^٦]

(١) الحادية والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ١١ .
 (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : مبابه (م) زيد فى الأصل : والله أعلم به
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : ختمت .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : أو (٦) زيد من ظ و م (٧) من م ، وفى
 الأصل و ظ : بالانتشار (٨) فى ظ و م : يحق (٩) فى ظ و م : أو .

بأنه [مهما - '] خطر يبالك^٢ من عظمها فهي أعظم منه^٣ فقال :
 ﴿ وما أدراك ﴾ أى و أى شئ أعلمك وإن بالغت فى التعرف ،
 وأظهر موضع الإضمار لذلك فقال : ﴿ ما القارعة^٤ ﴾ أى أنك لا تعرفها
 لأنك لم تعهد مثله .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما قال الله سبحانه و تعالى ه
 ” أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور “ كان ذلك
 مظنة لأن يسأل : متى ذلك ؟ فقيل : يوم القيامة الهائل الأسر ، الفظيع
 الحال ، الشديد البأس ، و القيامة هى القارعة ، ه كررت تنظيها لأمورها كما
 ورد فى قوله تعالى ” الحاقة ما الحاقة “ و [فى - '] قوله سبحانه
 ” فغشيهم من اليم ما غشيهم “ ثم زاد عظيم^٥ هولها إيضاحا بقوله تعالى ١٠
 ” يوم يكون الناس كالفراش المبثوث “ و الفراش ما تهافت فى النار
 من البعوض^٦ ، و المبثوث : المنتشر ” و تكون الجبال كالعهن المنفوش “
 و العهن : الصوف المصبوغ ، و خص لإعدادة للغزل إذ لا يصبغ لغيره
 / بخلاف الأبيض [فانه - '] لا يلزم فيه ذلك ، ثم ذكر حال الخلق فى
 وزن الأعمال و صيرورة كل فريق إلى ما كتب له و قدر - انتهى . ١٥

٨٣٧ /

و لما أتى السامع جميع فكره إلى تعرف أحوالها ، قال ما تقديره :
 تكون ﴿ يوم يكون ﴾ أى كونا كأنه جبلة ﴿ الناس ﴾ أى الذين^٧ حالهم
 (١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ : مالك (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منها .
 (٤) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (ه) من ظ
 و م ، و فى الأصل : البقوم (٦) فى ظ و م : الذى .

النوس على كثرتهم و اختلاف ذواتهم و أحوالهم و مراتبهم و مقاديرهم
 و انتشارهم بعد بعثرة القبور و تحصيل ما في الصدور ﴿ كالفراش ﴾
 أى صغار الجراد لأنها تتفرش و تنهافت على النار، أو 'هو طير' غير
 ذلك لا دم له، يتساقط في النار و ليس يبعوض و لا ذباب، ^٢ و قال ' حمزة
 ٥ السكرمانى: شبههم بالفراش التى تطير من هنا و من هنا و لا تجرى على
 سميت واحد و هى همج يحتلبها السراج، و قال غيره: وجه الشبه الكثرة
 و الانتشار و الضعف و الذلة و التطار إلى الداعى من كل جانب كما
 تتطير الفراش، و كثرة التهافت في النار و ركوب بعضهم [بعضا - ^٢]
 و موج بعضهم في بعض من شدة الهول كما قال تعالى " كانهم جراد
 ١٠ منشتر " : ﴿ المبثوث ^٣ ﴾ أى المنتشر المتفرق .

' و لما كانت الجبال أشد ما تكون، عظم الرهبة بالإخبار بما يفعل
 بها' فقال تعالى: ﴿ و تكون الجبال ﴾ على ما هى عليه من الشدة و الصلابة
 و أنها صخور راسخة ﴿ كاهن ﴾ أى الصوف المصبغ ^٤ لأنها ملونة كما
 قال تعالى " و من الجبال جدد بيض و حر " ^٥ أى و ^٦ غير ذلك ﴿ المنفوش ^٥ ﴾
 ١٥ أى المنذوف المفرق الأجزاء الذى ليس هو بمتلبد شيء منه على غيره،

-
- (١-١) من ظ و م، و فى الأصل: هطه (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل:
 على (٣) زيد من م (٤) العبارة من هنا إلى 'بها' فقال تعالى: ساقطة من ظ.
 (٥) من م، و فى الأصل: فيها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المصبوغ.
 (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: الى .

فقرأها لذلك متطيرة في الجو كالهباء المنثور حتى تعود الأرض كلها
لأعوج فيها ولا أمتا .

ولما كان اليوم إنما يوصف لأجل ما يقع فيه ، سبب عن ذلك
قوله مفصلا لهم : ﴿ فاما من ثقلت ﴾ أى بالرجحان . ولما كانت الموزونات
كثيرة الأنواع جدا ، جمع الميزان باعتبارها فقال : ﴿ موازينه ﴾ أى مقادير هـ
أنواع حسناته باتباع [الحق - '] لأنه ثقیل في الدنيا واجتناب الباطل ،
والموزون الأعمال أنفسها تجسدا وصحائفها ﴿ فهو ﴾ بسبب رجحان
حسناته ﴿ في عيشة ﴾ أى حياة تنقلب فيها ، ولعله ألحقها الهاء الدالة على
الوحدة - والمراد العيش - ليفهم أنها على حالة [واحدة - '] في الصفاء
واللذة وليست ذات ألوان كحياة الدنيا ﴿ راضية ﴾ أى ذات رضى ١٠
أو مرضية [لأن أمه - '] جنة عالية ﴿ واما من خفت ﴾ أى
طاشت ﴿ موازينه ﴾ أى بأن غلبت سيئاته أو لم تكن له حسنة
لاتباعه الباطل وخفته عليه في الدنيا ﴿ فامه ﴾ أى التى تؤويه وتضمه
إليها كما يقال للأرض : أم - لأنها تقصد لذلك ، ويسكن إليها كما يسكن
إلى الأم ، وكذا المسكن ، وهو يفهم أنه مخلوق منها غلب عليه طبع ١٥
الشیطان لكون العنصر النارى أكثر أجزائه ، وعظمها بالتنكير والتعبير
بالوصف الملم بأنه لا قرار لها فقال : ﴿ هاوية ﴾ أى نار نازلة سافلة
جدا ، فهو بحيث لا يزال يهوى / فيها نازلا وهو فى عيشة ساخطة ،
فآلية من الاحتباك ، ذكر العيشة أولا دليلا على حذفها ثانيا ، وذكر

٨٣٨ /

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : مخلوط .

الأم^١ ثانيا دليلا على حذفها أولا .

ولما كانت مما يفوت الوصف بعظيم أهوالها وشديد زلزالها، جمع الأمر فيها فقال منكرا أن يكون مخلوق يعرف وصفها^٢ : «وما أدراك» أي و أي شيء أعلمك وإن اشتد^٣ تكلفك «ماهي^٤» أي الهاوية . لأنه لم يعد أحد مثلها ليقسها عليه ، وهاء السكت إشارة إلى أن ذكرها مما يكرب القلب حتى لا يقدر على الاسترسال في الكلام ، أو [إلى -^٥] أنها مما ينبغي للسامع أن يقرع بهذا الاستفهام عنها سمعه فيسكت لسماع الجواب وفهمه غاية السكوت ويصغى غاية الإصغاء .

ولما هوّلها بما ذكر ، أتبعها ما^٦ يمكن البشر معرفته من وصفها ١٠ فقال «نار حامية^٧» أي قد انتهت حرها ، هذا ما تتعارفونه بينكم ، وأما التفاصيل فأمر لا يعلمه إلا الله تعالى ، وهذا نهاية القارعة ، فتلاؤم^٨ الأول للآخر واضح جدا و ظاهر - والله أعلم .

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : الامام (٣) زيد في الأصل و ظ : فقال ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٣) زيد في الأصل : منك ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بما (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : فتلاؤم .

سورة التكاثر^١

مقصودها التصريح بما أشارت إليه العاديات من أن سبب الهلاك يوم
الجمع - الذى^٢ صورته القارعة - الجمع للال ، والإحلال إلى دار الزوال ،
واسمها واضح الدلالة على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ ذى الجلال والإكرام
﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بالإنعام ، [بالبيان - ٢] بعد الانبهاهم ، والإيجاد ه
بعد الإعدام ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص أهل وده بدوام نعمتهم بالإتمام .
لما أثبت فى القارعة أمر الساعة ، وقسم الناس فيها إلى شقي وسعيد ،
وختم بالشقي ، اقتتح هذه بحلة الشقاوة ومبدأ الحشر لينزجر السامع عن
هذا السبب ليكون من القسم الأول ، فقال ما حاصله : انقسمتم فكان
قسم منكم هالكا لأنه ﴿ الهنكم ﴾ أى أغفلكم إلا النادر منكم غفلة عظيمة ١٠
عن الموت الذى هو وحده كاف فى البعث على الزهد فكيف بما بعده
﴿ التكاثر لا ﴾ وهو المباهاة والمفاخرة بكثرة الأعراض الفانية من متاع
الدنيا : المال والجاه والبنين ونحوها مما هو شاغل عن الله ، فكان ذلك
موجبا لصرف الهمة كلها إلى الجمع ، فصرفكم ذلك إلى اللهو ، فأغفلكم
(١) الثانية والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ٨ (٢) زيد فى
الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م .
(٤) زيد فى الأصل : بتمام ، مع يسير بياض بعده ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
فحذفناها (هـ) من م ، وفى الأصل و ظ : بمن .

عما أمامكم 'من الآخرة' و الدين الحق و عن ذكر ربكم و عن كل ما ينجيكم من سخطه ، أو عن المنافسة في الأعمال الموصلة إلى أعلى الدرجات بكثرة الطاعات ، و ذلك كله لأنكم لا تسلمون بما^٢ غلب عليكم من الجهل الذى سببه شهوة النفس وحب الراحة تخفت^٣ موازينكم ، و حذف هذا الشئ الملهو عنه لتعظيمه و الدلالة على أنه ايسر غيره بما يؤسف على اللهو عنه .

/ ٨٣٩

ولما كانوا ينكرون البعث ، و يعتقدون / [دوام -^٤] الإقامة في القبور ، عبر بالزيارة إشارة إلى أن البعث لا بد منه و لا مرية فيه ، و أن اللبث في البرخ و إن طال قائما هو كلبث الزائر عند مزوره في جنب الإقامة ١٠ بعد البعث في دار النعيم أو غار الجحيم ، و أن الإقامة [فيه -^٥] محبوبة للعلم بما بعده من الآمال و الشدائد و الأوجال ، فقال : ﴿ حتى ﴾ أى استمرت مباهايتكم و مفاخرتكم إلى أن ﴿ زرتم المقابر ﴾ أى بالموت و الدفن ، فكنتم فيها عرضة للبعث لا تتمكنون من عمل ما ينجيكم لأن دار العمل فانت كما أن الزائر ليس بصدده العمل عند المزور ، لا يمكنون ١٥ بها^٦ إلا ريثما يتكلم المجموعون بالموت كما أن الزائر معرض للرجوع^٧

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ما .

(٣) من م ، و في الأصل و ظ : تخففت (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ،

و في الأصل : بعدد (٦) من م ، و في الأصل و ظ : فيها (٧) من ظ و م ، و في

الأصل : الرجوع .

إلى داره و محل قراره ، فلم يكن لكم وازع^١ عن الإقبال^٢ على الدنيا إلا الموت لكان كافيا فكيف و الامر أعظم من ذلك ؟ فان الموت مقدمة من مقدمات العرض ، قال أبو حيان^٣ : سمع بعض الأعراب الآية فقال : بعث القوم للقيامة ورب الكعبة ، فان الزائر منصرف لا مقيم ، و روى ابن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه قرأها ثم قال : ما ه [أرى - ^٤] المقابر إلا زيارة ، ولا بد لمن زار أن يرجع إلى بيته ، إما إلى الجنة أو إلى النار .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم ذكر القارعة و عظيم^٥ أهوالها ، أعقب بذكر ما شغل و صد^٦ عن الاستعداد لها و ألهى عن ذكرها ، وهو التكاثر بالعدد و القرابات و الأهلين فقال : ” أهاكم التكاثر “ وهو ١٠ في معرض التهديد و التقريع و قد أعقب بما يعضد ذلك و هو قوله ” كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون “ ثم قال ” كلا لو تعلمون علم اليقين “ و حذف جواب ” لو “ و التقدير : لو تعلمون علم اليقين ” لما شغلكم^٧ التكاثر ، قال صلى الله عليه و سلم : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا - الحديث ، و قوله تعالى ” اترون الجحيم “ جواب ١٥ لقسم مقدر أى و الله اترون الجحيم ، و تأكد بها التهديد و كذا ما بعد

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : رادع (٢) زيد فى الأصل : عن الدنيا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) راجع البحر المحيط ٥٠٧/٨ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عظم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : صدر (٧-٧) من م ، و فى الأصل و ظ : لشغلكم .

إلى آخر السورة - انتهى .

و لما كان الاشتغال بالتكاثر في غاية الدلالة على السفه لأن^١ من
المعلوم قطعاً أن هذا الكون على هذا النظام لا يكون إلا بصانع حكيم ،
و كان العقلاء المتفكرون بالكون في غاية النظام ، و كان الحكيم لا يرضى
٥ أصلاً أن يكون عبده^٢ يظلم بعضهم بعضاً ثم لا يحكم بينهم و لا ينظر
في مصالحهم علم قطعاً أنه يبعثهم ليحكم بينهم لأنه كما قدر على إبدائهم
يقدر على إعادتهم ، و قد وعد بذلك و أرسل به رسله و أنزل به كتبه ،
فثبت ذلك ثبوتاً لا مرية فيه و لا مزيد عليه ، و كان الحال مقتضياً لأن
يردع غاية الردع من أعرض عما يعنيه و أقبل على ما لا يعنيه ، فقال
١٠ سبحانه معبراً بأم الروادع ، و جامعة الزواجر و الصوادع : (كلا) أى
ارتدعوا أتم ردع و انزجروا / أعظم زجر عن الاشتغال بما لا يجدى ،
/ ٨٤٠
فانه ليس الأمر كما تظنون من أن الفخر في المكاثرة بالأعراض^٣ الدنيوية
و لم تخلقوا لذلك ، إنما خلقتكم لأمر عظيم ، فهو الذى يهكم [فاشتغلت عنه بما
لا يهكم -^٤] فكنتم لاهين كمن كان يكفيه كل يوم درهم^٥ فاشتغل بتحصيل
١٥ أكثر ، و كذا من ترك المهم من التفسير و اشتغل بالآفوال الشاذة أو ترك
المهم من الفقه و اشتغل^٦ بنوادير الفروع و علل النحو و غيرها^٧ و ترك

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عبده .
(٣) من م ، و فى الأصل وظ : فى الأعراض (٤) زيد من ظ و م (هـ) من ظ
و م ، و فى الأصل : درهما (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : استعمل (٧) فى
م : نحوها .

ما هو أهم منه مما لا عيش له إلا به .

و لما كان الردع لا يكون إلا عن ضار يجر وبالا وحسرة ، دل على ذلك بقوله استئنافا : ﴿ سوف ﴾ أى بعد مهلة طويلة يتذكر فيها من تذكر ﴿ تعلمون لا ﴾ أى يتجدد لكم العلم بوعده لا خلف فيه بما أنتم عليه من الخطأ عند معاينة ما يكشفه الموت و يجر حزنه القوت من عاقبة هـ ذلك و وباله .

و لما كان من الأمور ما لو شرح شأنه على ما هو عليه اطلال و أدى إلى الملال ، دل على أن ^٢ شرح هذا ^٢ الوعيد مهول بقوله مؤكدا مع التعبير بأداة التراخي الدالة على علو الرتبة : ﴿ ثم كلا ﴾ أى ارتدعوا ارتدعا أكبر من ذلك لأنه ﴿ سوف تعلمون ^٣ ﴾ أى يأتىكم العلم من ١٠ غير شك وإن تأخر زمنه يسيرا بالبعث .

و لما كان هذا أمرا صادعا ^٢ ، أشار إلى أنه يكفى هذه الأمة المرحومة التأكيد بمرة ، فقال مرددا للأمر بين تأكيد الردع ثالثا بالأداة الصالحة له و لأن تكون [لمعنى - ^٢] حقا كما يقوله أئمة القراءة : ﴿ كلا ﴾ [أى - ^٤] ليشتد ارتداعكم عن التكاثر فإنه أساس كل بلاء فانكم ١٥ ﴿ لو تعلمون ﴾ أيها المتكاثرون . و لما كان العلم قد يطلق على الظن رفع مجازه بقوله : ﴿ علم اليقين ^٥ ﴾ أى لواقع لكم علم [على - ^٥] وجه اليقين

(١) فى م : بوعيد (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا شرح (م) من ظ و م ، وفى الأصل : صادقا (٤) زيد من م (ه) زيد من ظ و م .

مرة من الدهر لعلتم ما بين أيديكم، فلم يلهكم التكاثر و لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا، و لخرجتم إلى الصعدات تجأرون^١ - لحذف هذا الجواب بعد حذف المفعول للتفخيم فهو إشارة إلى أنه لا يقين غيره، و المعنى أن أعمالكم أعمال من لا يتيقنه، قال الرازي : و اليقين مركب ^٥ الأخذ في هذا الطريق، و هو غاية درجات العامة، و أول خطوة الخاصة، قال عليه الصلاة و السلام^٢ : خير ما ألقى في القلب اليقين . و علم قبول ما ظهر من الحق و قبول ما غاب للحق^٣ و الوقوف على ما قام بالحق، و الآية من الاختباك : ذكر الإلهاء أولا و حذف سببه و هو الجهل لدلالة الثاني [عليه -^٤]، و ذكر ثانيا العلم الذي هو الثمرة^٥ و حذف ما يتسبب عنه من عدم اللهو الذي هو ضد الأول، و زاد في التفخيم لهذا الوعيد بإيضاح التوعد به بعد إبهامه^٦ مع قسم^٧ دل عليه بلامه، فقال : ﴿لبرون﴾ أى بالمكاشفة و عزتنا، و لا يصح أن يكون هذا جوابا لما قبله لأنه محقق ﴿الجحيم﴾ أى النار التى تلقى المعذبين بها بكرهه و تغيظ و عتو^٨ و -^٩ شديد^{١٠} توقد، فالؤمن يراها و ينجو منها سواء خالطها ^{١٥ / ٨٤٦} أم لا و الكافر / يخلد فيها .

ولما كان هذا توعدا^١ على التكاثر لأنه يقتضى الإعراض عن الآخرة

(٦) من م، و فى الأصل و ظ : تجاورون (٢) راجع الكثر ٢/ ٩٠ (٣) من ظ و م، و فى الأصل : للخلق (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : العمرة (٦-٧) من ظ و م، و فى الأصل : بقسم (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : وشدة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٩) من ظ و م، و فى الأصل : توعد .

فيوقع في غمرات البلايا السكبار، أكد فقال مفضله بحرف التراخي :
 (ثم لترونها) وعزة الله، و رقى العلم عن رتبة الأول فقط فقال تعالى :
 (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين، وذلك هو المعاينة بغاية
 ما يكون من صفاء العلم 'الكونه لاربية' فيه فان المشاهدة أعلى انواع العلم،
 قال الرازى : [و-٢] هو ٢ المعنى بالاستدراك ٢ عن الاستدلال، وعن الخبر ه
 بالبيان، و خرق الشهود ٢ حجاب - العلم - انتهى . و يجوز أن يكون
 هذا الثانى بالملامسة والدخول، فالمؤمن وارد و الكافر خالد .

ولما كان من أهول ٢ الخطاب التهديد برؤية العذاب، زاد في
 التخويف بأنه لأجل أن يكون ما يعذب به العاصى عتيذا، فاذا أوجب
 السؤال النكال كان حاضرا لا مانع من إيقاعه في الحال، ولو [لم-٢] ١٠
 يكن حاضرا كان لمن ٢ استحقه في مدة إحضاره محال، فقال مفضلا بأداة
 التراخي : (ثم) أى بعد أمور طويلة عظيمة مهولة جدا ٢ (لتستلن)
 وعزتنا (يومئذ) أى [إذ-٨] ترون الجحيم (عن النعيم) أى
 الذى ٢ أدام التكاثر إليه ٢ حتى عن الماء البارد فى الصيف و الحار فى

(١-١) من م، و فى الأصل و ظ : لا كونه لارتبة (٢) زيد من م .
 (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل : المغير المستدرك (٤) زيدت الواو فى الأصل
 ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (ه) من ظ و م، و فى الأصل : اهل (٦) زيد
 فى ظ : فاز (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد من ظ و م (٩-٩) فى الأصل
 بياض ملأناه من ظ و م .

الشتاء هل كان استمتاعكم به على وجه السرف^١ لإرادة الترف أو كان لإرادة القوة للنشأة إلى الخير فلم يخرج عن السرف، فالؤمن المطيع يسأل سؤال تشریف، والعاصي يسأل سؤال توبيخ وتأفیف، ولأم النعيم قد تكون لمطلق الجنس وإليه يشير حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذی^٢ وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم ضاف أبا الهيثم ابن التيهان مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأطعمهم بسرا و رطباً وسقاهم ماء بارداً وبسط^٣ لهم بساطاً في ظل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا من النعيم الذي تسألون عنه: ظل بارد و رطب طيب و ماء بارد. [و-^١] قد يكون للكمال فيكون من أعلام النبوة كما في ١٠ حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه عند أحمد^٤ من وجه حسن إن شاء الله أنهم قالوا عند نزولها: أي نعيم وإنا هما الاسودان: التمر والماء، وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر، قال: إن ذلك سيكون. له شاهد عند الطبراني عن ابن الزبير رضي الله عنهما، وعند الطبراني^٥ أيضاً عن الحسن البصري مرسلاً، فقد التحم آخرها بأولها على وجه [هو-^١] ١٥ من أطف الخطاب، وأدق المسالك في النهي عما يجر إلى العذاب، لأن العاقل^٦ إذا علم أن بين يديه سؤالاً عن كل ما يتلذذ به علم أنه يعوقه

(١) من م، وفي الأصل و ظ: الشرف (٢) راجع الجامع/الزهد (٣) في ظ: بسر (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع المسند ٤٢٩/ (٦) من ظ و م، وفي الأصل: عن (٧) راجع مجمع الزوائد ٧/ ١٤٢ (٨) من ظ و م، وفي الأصل: العامل.

ذلك في زمن السؤال عن لذاذات الجنة العوال الغوال ، فكان
 خوفه / من مطلق السؤال مانعا له عن^١ التعم بالمباح^٢ فكيف بالمكروه
 فكيف ثم كيف بالمحرم ؟ فكيف إذا كان السؤال من ملك تذوب
 لهيته الجبال ؟ فكيف إذا كان السؤال على وجه العتاب ؟ فكيف إذا
 جرى إلى العذاب ؟ فتأمل كلام خالقك ما ألطف إشاراته و أجل عباراته ، ه
 في نذاراته و وبشاراته - ^٣ والله أرحم^٤ .

(١) من م ، وفي الأصل وظ : من (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بالبحال .

(٣-٢) في ظ : والله أعلم ، وما بين الرقین ساقط من م .

سورة العصر^١

قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : إنها سورة لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم ، وهو معنى^٢ قول غيره^٣ : إنها اشتملت جميع علوم^٤ القرآن ، مقصودها تفضيل نوع الإنسان المخلوق من علق ، و بيان خلاصته و عصارته و هم الحزب الناجي يوم السؤال عن زكاه الأعمال بعد الإشارة إلى أضعافهم ، و الإعلام بما ينبغي من الأعمال و الأحوال بترك الفاني و الإقبال على الباقي لأنه خلاصة الـكون و لباب الوجود . و اسمها العصر واضح في ذلك فإن^٥ العصر يخلص روح المعصور و يميز صفاوته ، و لذلك كان وقت هذا النبي^٦ الخاتم الذي هو خلاصة الخلق وقت العصر ، و كانت صلاة العصر أفضل الصلوات ، و بيان اشتغالها على علوم القرآن^٧ تنزيل جملتها على [ما - ^٨] قال الغزالي : إن القرآن كالبحر الذي فيه جزائر

(١) الثالثة و المائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها ٣ .

(٢-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : قوله (٣-٣) من ظ و م ، وفي الأصل :

اشتملت على جميع (٤) زيد في الأصل و ظ : كل من هذا صنعته ، ولم تكن

الزيادة في م لحذفناها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : كان (٦) زيد في الأصل :

الفتح ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٧) العبارة من هنا إلى

« بها معادن » ص ٢٣٥ س ١ ساقطة من ظ (٨) زيد من م .

بها معادن ستة، منها أربعة مهمة: مهمان منها هما ياقوت أغر فأحره للعلم بالله، وأخضره لصفاته، وأزرقه لأفعاله، وزمرد أخضر^١ هو العلم باليوم الآخر وما فيه، ومهمان أولهما در أنضر وهو العلم بالعبادات المقربة إليه سبحانه وتعالى، وثانيهما مسك أذفر، وهو العلم بالعبادات التي بها تهيأ العبادات، ومتمان^٢ وهما درباق أكبر وهو العلم بازاحة الشكوك^٣ والشبه والارهام لأنها^٤ سموم ومهلكة للدين، وعبر أشهب وهو الاعتبار بمن هلك باجتنب ما كان سبب هلاكه، والافتقاء بمن نجا باتباع ما كان سبب نجاته، فالجملة الأولى للنبر لأن فيها شم روائح الهالك وضده الناجي، وبدئ بها لأن دره المقاسد مقدم على جلب المصالح، والجملة الثانية للياقوت بصفاته الثلاث والزمرد، والثالثة للدر والمسك،^٥ وهما عبادات مقصودة، وعادات وسيلة إليها ممدودة، والرابعة للدرياق لأن الشبه والشكوك إنما هي من أوهام عاطلة وخيالات باطلة، والخامسة وسيلة إليها ومتعة لها لأن معرفة ذلك واجتنابه لا يكون إلا بيزل الجهد في الصبر (بسم الله) الذي كل شيء هالك إلا وجهه (الرحمن) الذي عم بالنعمة البر والفاجر فليس شيء شبهه (الرحيم) الذي^٦ الذي [خص^٧] بآتمام النعمة أوليائه، فكانوا للدهر غرة ولأمله جبهة.

(١-٢) من ظ و م، وفي الأصل: زمرد أخضر (٢) من ظ و م، وفي الأصل: مما (٣) من ظ و م، وفي الأصل: ثانيها (٤) من ظ و م، وفي الأصل: بالعبادات (٥) من ظ و م، وفي الأصل: مهمان (٦) من ظ و م، وفي الأصل: لأنهم (٧) من ظ و م، وفي الأصل: متممة (٨) زيد من ظ و م.

لما كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة التمتع بما فيها من المتاع، وكان
 الإنسان مسؤولاً بما شهد به، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعداً برؤية
 الجحيم، فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر، / فكان نعيمه في غاية
 الكدر، قال دالا على ذلك بأن أكثر الناس هالك، مؤكداً بالقسم
 ٥ و الأداة لما^١ للاغلب من التكذيب لذلك إما بالقال أو بالحال :
 ﴿والعصر﴾ أي الزمان الذي خلق فيه أصله^٢ آدم عليه الصلاة والسلام
 و هو في عصر يوم الجمعة كما ورد في الحديث الصحيح في مسلم^٣،
 أو الصلاة الوسطى أو وقتها الذي هو زمان صاحب هذا الشرع الذي
 مقداره فيما مضى من الزمان بمقدار وقت العصر من النهار أو بعضه،
 ١٠ أو زمان كل أحد الذي هو الخلاصة بالنسبة إليه تنبئها له على نفاسته
 إشارة إلى اغتنام إنفاقه في الخير لإشفاقاً من الحشر^٤، أو وقت الاصيل
 لأنه أفضل بما يحويه من الفراغ من الاشغال^٥ و استقبال الراحة
 والحصول على فائدة^٦ ما أنفق فيه ذلك النهار، [و-^٧] بما دل عليه من
 طول الساعة ورجح من كان له فيها بضاعة باختتام الأعمال و تقوض النهار،
 ١٥ و الدال على البعث، أو جميع الدهر الذي أوجد فيه سبحانه و تعالى المخلوقات
 و قدر فيه المقدورات بما ظهر [فيه -^٨] من العجائب الدالة على ما لله

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : بما (٢) زيد في الأصل : و هو ، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م لمخالفاتها (٣) راجع ٢٨٢/١ (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 الشرح (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الشرا - كذا (٦) من ظ و م ، وفي
 الأصل : الاشتغال (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : الفائدة (٨) زيد من م -

تعالى من العز والمظمة الداعى إلى صرف الهمة إليه و قصرها عليه :
 ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى هو أشرف الأنواع لكونه فى
 أحسن تقويم كما أن العصر خلاصة الزمان ، والعصر يكون لاستخراج
 خلاصات الاشياء ﴿ لنى خسر ﴾ أى نقص بحسب مساعيهم فى أهوائهم
 و صرف أعصارهم فى أغراضهم لما لهم بالطبع من الميل إلى الحاضر ٥
 و الإعراض عن الغائب و الاغترار بالقانى أعم من أن يكون الخسر
 قليلا أو جليلا بحسب تنوع الناس إلى أكياس و أرجاس ، فن كان
 كافرا كان فى كفران ، ومن كان مؤمنا عاصيا كان فى خسران^١ إن كان
 بالغا فى المعصية وإلا كان فى مطلق الخسر ، وهو مدلول المصدر المجرد ،
 وفى هذا إشارة إلى العلم بالاحتياج إلى إرسال الرسل لبيان المرضى ١٠
 [لله -^٢] من الاعتقادات و العبادات و العادات إيمانا و إسلاما و لإدامة
 لذلك ليكون فاعله من قبضة اليمين و تاركة آمن أصحاب^٣ الشمال .
 و قال الاستاذ أبو جعفر ابن الزبير : لما قال تعالى ” الهاكم التكاثر “
 و تضمن ذلك الإشارة إلى قصور نظر الإنسان و حصر إدراكه فى العاجل
 دون الآجل الذى فيه فوزه و فلاحه^٤ و ذلك لبعده عن العلم بموجب الطبع ١٥
 ” إنه كان ظلوما جهولا “ أخبر سبحانه أن ذلك شأن^٥ الإنسان بما

(١) فى ظ و م : خسارة (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل :
 فى قبضة (٤) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفها .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : صلاحه (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 شأن ذلك .

هو إنسان فقال " والعصر ان الإنسان لني خسر " فالقصور شأنه، والظلم طبعه، والجهل جلته، فيحق أن يلهيه التكاثر، ولا يدخل الله عليه /روح الإيمان " إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات " إلى آخرها، فهؤلاء الذين " لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله " - انتهى .

٥. ولما كان الحكم على الجنس حكما على الكل لأنهم ليس لهم من ذواتهم إلا ذلك، وكان فيهم من خلصه الله سبحانه وتعالى بما طبع عليه الإنسان بجعله في أحسن تقويم، وحفظه عن الميل مع ما فيه من النقائص، اشتد سخطه سبحانه وتعالى لأنهم قليل جدا بالنسبة إلى أهل الخسر فقال دالا بالاشتناء على أن النفوس داعية إلى الشر^٢ مخلدة إلى البطالة واللهو، ١٠ فالملخص واحد من ألف كما في الحديث الصحيح^٣ ﴿ إلا الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا الإيمان وهو التصديق بما علم بالضرورة بحجى النبى صلى الله عليه وسلم به من توحيد سبجانه وتعالى والتصديق بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولعل حكمة التعبير بالماضى الحث على الدخول فى الدين ولو على أدنى الدرجات، والبشارة لمن فعل ذلك بشرطه بالنجاة^٤ ١٥ من الخسر .

(١) من ظ و م . وفى الأصل : الممران (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الشره (٣) زيد فى الأصل : قال تعالى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها . (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : التصديق باليوم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بالتجارة .

و لما كان الإنسان حيوانا ناطقا، و كان كمال حيوانيته في القوة
العملية للحركة بالإرادة لا بمقتضى الشهوة القاسرة البهيمية قال تعالى :
(و عملوا) أى تصديقا بما أقروا به من الإيمان^١ (الصلحت) أى
هذا الجنس ، و هو اتباع الأوامر و اجتناب النواهي في العبادات كالصلاة
و العادات كالبيع فكانوا بهذا مسلمين بعد أن كانوا مؤمنين فاشترؤا
الآخرة بالدنيا فلم يلهمهم التكاثر ، ففازوا بالحياة الأبدية و السعادة السرمدية
فلم يلهمهم شئ من الخسر .

[و لما كان الإنسان بعد كماله في نفسه بالأعمال لا ينتفى عنه مطلق
الخسر -^٢] إلا بتكميل غيره ، و حيثئذ يكون وارثا لأن الأنبياء عليهم
الصلاة و السلام بعثوا للتكميل ، و كان الدين لا يقوم ، و إذا قام لا يتم^٣
إلا بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الناشئ عن نور القلب ،
و لا يتأتى ذلك إلا بالاجتماع . قال مخصا لما دخل في الأعمال الصالحة
تنبيها على عظمه : (و تواصلوا) أى أوصى^٤ بعضهم بعضا بلسان الحال
أو المقال : (بالحق لا) أى الأمر الثابت ، و هو كل ما حكم الشرع
بصحته فلا يصح بوجه تفيه من قول أو عمل أو اعتقاد أو غيره من^٥
فعل أو ترك ، فكانوا محسنين ، و التكميل^٦ في القوة العملية باجتلاب^٧
الخير .

(١) زيد في الأصل : باق و حده الأعمال ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : يوصى (٤ - ٤) من ظ

و م ، و في الأصل : بالقوة (٥) من م ، و في الأصل و ظ : باجتلاب .

و لما كان [الإنسان - '] ميالا إلى النقصان ، فكان فاعل ذلك

الإحسان معرضا للشئان من أهل العدوان ، وهم الأغلب في كل زمان ،

قال تعالى : ﴿ وتواصوا ﴾ ^١ لأن الإنسان ينشط بالوعظ وينفعه اللحظ

و اللفظ ﴿ بالصبر ﴾ أى الناشئ عن زكاة النفس على العمل بطاعة الله

من إحقاق / الحق و ^٢ إبطال الباطل ^٢ و النقي له و الحق و على ما يحصل ٥ / ٨٤٥

بسبب ذلك من الأذى باجتئاب الشرور إلى المهمات الذى هو سبب موصل

إلى دار السلام ^٣ ، فكانوا مكملين للقوة العملية حافظين لما قبلها من العلية ،

و ذلك هو حكمة العبادات فان حكمة الشئ هى الغاية و الفائدة المقصودة

منه ، و هى هنا أمران : خارج عن العامل و هو الجنة ، و داخل قائم

١٠ به و هو النور المقرب من ^٤ الحق سبحانه و تعالى ، و اختيار التعبير

بالوصية إشارة إلى الرفق فى الأمر ^٥ بالمعروف و النهى عن المنكر ،

و استعمال اللين بغاية الجهد ، و الصبر هو خلاصة الإنسان و سره و صفاته

و زبدته و عصارته ، الذى لا يوصل إليه إلا بضغط الإنسان لنفسه و قسرها

على أفعال الطاعة و قهرها على لزوم السنة و الجماعة حتى يصير الصبر لها

١٥ بالتدريب عادة و صناعة ، فقد عانى آخرها أولها ، و واصل ^٦ مفصلها موصلها ^٦ ،

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : اء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م

لحذفناها (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : البطل (٤) من ظ و م ، و فى

الأصل : الاسلام (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٦ - ٦) من ظ و م ،

و فى الأصل : بالامر (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : موصلها مفصلها .

و هي أربع عشرة كلمة تشير إلى أن في السنة الرابعة عشرة من النبوة يكون الإذن في الجهاد الذي هو رأس الأمر بالمعروف بالفعل لإظهار الحق وهي سنة الهجرة التي تم فيها بدره، وعم نوره و قدره، و جم عزه و نصره، فإذا ضمنت إليها أربع كلمات البسمة كانت موازية في العدد لسنة خمس من الهجرة، و كان فيها غزوة بدر الموعود و غزوة ه الأحزاب، و قد وقع فيها أتم الصبر من النبي صلى الله عليه و سلم ثم من واقفه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لإظهار^٢ الحق و الصواب، فانهم في بدر خذلوا من ركب عبد القيس أو من نعيم بن مسعود و موافقة المنافقين و خوفوا حتى كاد يعمهم الرعب و الفشل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله لأخرجن و لو لم يخرج معي أحد، و أنزل الله فيها^٣ الذين ١٠ قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم^٤ فزادهم إيماناً و قالوا^٥: والآيات، و في الأحزاب زاعت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و أسفرت عاقبة الصبر فيها عما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذهابهم: 'الآن نفزؤهم' و لا يفزؤنا. فإذا ضمنت إليها الضمائر الأربعة أشارت إلى سنة تسع، و قد كانت فيها غزوة تبوك و هي غزوة العسرة لما [كان-ه] ١٥

(١) من ظ و م، و في الأصل « و » (٢) زيدت الواو في الأصل و ظ و لم تكن في م فحذفناها (٣-٢) -قط ما بين الرقین من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و في الأصل: الا ان نفزؤهم (٥) زيد من ظ و م.

ففيها من الشدة التي أسفرت عاقبة الصبر فيها^١ عن إقبال الوفود، بفخامة
العز والجدود وتواتر السعود، بلطف الرحيم الودود، وبذلك كان نور
الوجود، وتواتر الفضل والجود^٢ من الإله المعبود = ^٣ و صلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه خيار الوجود^٣ .

(١) وقع في الأصل بعد «أسفرت» والترتيب من ظ و م (٢) من ظ و م ،
وفي الأصل : الوجود (٣-٣) سقط ما بين الرقبن من م .

سورة الهمزة^١

مقصودها بيان الحزب الأكبر الخاسر الذي ألماه التكاثر، فبانت خسارته^٢
 يوم القارعة الخافضة الرافعة، واسمها الهمزة / ظاهر الدلالة على ذلك
 ٨٤٦ / ﴿بسم الله﴾ الذي له تمام العز وهو الحكم العدل ﴿الرحمن﴾ الذي
 عم ظاهر نعمته أهل البخل وأولى البذل ﴿الرحيم﴾ الذي آتم نعمته
 على من شاء من عباده فخصهم بالفضل .

لما بين الناجين من قسمي الإنسان في العصر، وختم بالصبر، حصل
 تمام التشوف^٣ إلى أوصاف الهالكين، فقال مينا لأضلهم وأشقاهم الذي
 الصبر على أذاه في غاية الشدة ليكون ما أعد له من العذاب مسلاة
 للصابر^٤ : ﴿ويل﴾ أي هلاك عظيم جدا ﴿لكل همزة﴾ أي الذي ١٠
 صار له الهمز عادة لأنه خلق ثابت في جبلته وكذا ﴿لمزة﴾ والهمز
 الكسر كالهزم ، واللز الطعن - هذا أصلهما، ثم خصا بالكسر من أعراض
 الناس و الطعن فيهم ، و قال ابن هشام في تهذيب السيرة^٥ : الهمزة
 الذي^٦ يشتم الرجل علانية، ويكسر^٧ عينه عليه ويهمز به ، والمزة الذي

(١) الرابعة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٩ .

(٢) من ظ و م ، وفي الأصل : التكاثر (م) من ظ و م ، وفي الأصل :

التصوف (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : المصابر (هـ-و) من ظ و م ، وفي

الأصل : الذين صار لهم الممز (٦) راجع السيرة ١/ ١٢٤ (٧) من السيرة، وفي

الأصول : التي (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : كسر .

يعيب الناس سرا - انتهى . وقال البغوي^١: وأصل الهمز الكسر والعض
 على الشيء^٢ بالحنف، والذي دل على الاعتياد صيغة فعل بضم و فتح
 كما يقال ضحكك للذي يفعل الضحك كثيرا حتى صار عادة له و ضرى
 به، والفعل بالسكون للفعل و هو الذي يهمزه^٣ الناس ويلزونه، و قرئ
 بها و كأنه إشارة إلى من يعتمد أن يأتي بما يهمز به ويلز به فيصير
 مسخرة يضحك منه - والله أعلم .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال سبحانه وتعالى "ان
 الانسان لني خسر" أتبعه بمثال [من ذكر نقصه و قصوره و اغتراره،
 و ظنه الكمال لنفسه حتى يعيب غيره، و اعتماده على ما جمعه من المال
 ١٠ ظنا أنه يخلده و ينجي، و هذا كله هو عين النقص، الذي هو شأن
 الإنسان، و هو المذكور في السورة قبل، فقال تعالى "ويل لكل همزة
 لمزة، فافتحت السورة - "] بذكر^٤ ما أعد له من العذاب جزاء له
 [على - "] همزه^٥ و لمزه الذي أتم^٦ حسده، و الهمزة العياب الطعان
 و اللزة مثله، ثم ذكر تعالى ماله و مستقره بقوله "لينبذن في الحطمة"
 ١٥ أي ليطرحن في النار جزاء له^٧ على اغتراره و طعنه - انتهى .

ولما كان الذي يفعل النقيصة من غير حاجة تحوجه إليها أقبح حالا

(١) راجع العالم ٢٤٠/٧ (٢-٣) من ظ و م، وفي الأصل: عليه (م) من ظ
 و م، وفي الأصل: يميزه (٤) زيد في الأصل: ان، ولم تكن الزيادة في ظ
 و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفي الأصل: ما ذكره
 (٧) زيد من م (٨-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٩) سقط من م .

و كان المتمول^١ عندهم هو الرابع ، و هم يتفاخرون بالربح و يعدون
 الفائز به من ذوى المعالي ، قال مقيدا له كل ، بالوصف مبينا الخاسر كل
 الخسارة : ﴿ الذى جمع ﴾ و لما كان مطلق الجمع يدل على الكثرة جاء
 التشديد فى فعله لآبى جعفر و ابن عامر و حمزة و الكسائى ، و خلت
 تصريحها بما علم تلويحا و دلالة على أن المقصود به من جعل الدنيا أكبر هـ
 همه ، و التخفيف لمن عدا^٢ اكتفاء بأصل مدلوله بخلاف عدد ، فان
 مجردة يكون لما قل ، ولهذا أجمعوا على التضعيف فيه : ﴿ مالا ﴾ أى
 عظيما^٣ ، و أكد مراد الكثرة بقوله : ﴿ وعدده لا ﴾ أى جعله بحيث إذا
 أريد عدده طال الزمان فيه و كثر / التعداد ، أو ادخره و أمسكه إعدادا
 ٨٤٧ / لما ينبو^٤ فى هذه الدنيا المنقضية ، و زاده قيدا آخر فى بيان حاله فقال : ١٠
 ﴿ يحسب ﴾ لقلة عقله ﴿ ان ماله ﴾ أى ذلك الذى عدده ﴿ اخلده ﴾
 أى أوصله إلى رتبة الخلد فى الدنيا ، فأحب ذلك المال كما يحب الخلود ،
 و يجوز أن يكون ذلك كناية عن أنه عمل^٥ - بانهماكه فى المعاصى
 و الإعراض عن الله عز وجل و الإقبال على التوسع فى الشهوات
 و الأعراض الزائلات - عمل من يظن أنه لا يموت ، و يجوز أن يكون ١٥
 استثناء ، و فيه تعريض^٦ بأنه لا يفيد الخلد إلا الأعمال الصالحة المسعدة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : المشهور (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 عادام (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : عظيمة (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : « و » (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عمله (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل : تعرض .

في الدار الآخرة .

و لما كان هذا الحسبان لشدة وهمه و بيان ضعفه لا يحتاج إلى إقامة دليل على فسادہ ، اكتفى فيه بأداة الردع الجامعة لكل زجر فقال :
(كلا) أى لا يكون ما حسبه لأنه لا يكون له ما لا يكون لغيره من
• أمثاله بل يموت كما مات كل حي مخلوق .

و لما كان كأنه قيل : فما الذى يفعل به بعد الموت ؟ قال مقسما
[دالا - ٢] باللام الداخلة على الفعل على القسم : (لينبذن) أى ليطرحن
بعد موته طرحاً ما هو خفيف هين جدا على كل طارح كما دل عليه
التعير بالتبذ و بالبناء للفعل (في الحطمة ذيل) أى الطبقة من النار التى
١٠ من شأنها أن تحطم أى تكسر و تهشم بشدة و عنف كل ما طرح
فيها فيكون أخسر الخاسرين ، و عبر بها في مقابلة الاستعداد بالمال الحامل
على الاستهانة بالخلق ، قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى : فلعنى ما يختص
بالحكم يسمى تعالى باسم من أسمائها من نحو جهنم فيما يكون مواجهة
و من نحو الحطمة فيما يكون جزاء لقوة قهر و استعداد بعدد ، و نحو
١٥ ذلك فى سائر أسمائها ، و عظم شأنها سبحانه و تعالى بقوله : (و ما أدراك)

أى و أى شيء أعلمك و لو بمحاولة منك للعلم و اجتهاد فى التعرف مع

(١) زيد فى الأصل : لأداة الزجر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يموت (م) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ،

و فى الأصل : صرح (ه) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون .

كونك

كونك أعلم^١ الخلق ﴿ ما الحطمة ٥ ﴾ أى ما الدركة النارية التى سميت
هذا الاسم^٢ لهذه الخاصة^٣ فانه ليس فى الوجود الذى شاهدتموه ما
يقاربها ليكون مثالا لها ، ثم فسرنا بقوله : ﴿ نار الله ﴾ أى الملك
الاعظم الذى عدل المشركون عنه إلى شركائهم ، فعظمة هذه النار من
عظمته ، و انتقامه من نقمته^٤ ﴿ الموقدة ٥ ﴾ أى التى وجد و تحم لإيقادها ه
بايقاده ، و من الذى يطبق محاولة ما أوقده ؟ فهى لا يزال لها هذا
الاسم ثابتا .

ولما وصف الهامز الهازم^٥ ، وصف الحاطم فقال تعالى : ﴿ التى ﴾
ولما كان لا يطلع على أحوال الشيء إلا من قبله علما قال : ﴿ تطلع ﴾
اطلاعا شديدا ﴿ على الاقنعة ٥ ﴾ جمع فؤاد و هو القلب الذى يسكاد^٦ ١٠
يحترق من شدة ذكائه ، فكان ينبغى أن يجعل ذكائه فى أسباب^٧ الخلاص ،
/ واطلاعا عليه بأن تعلو وسطه و تشتمل عليه اشتمالا بليغا ، سمي
بذلك لشدة توقده ، و خص بالذكر لانه أطف ما فى البدن و أشده
تألما بأذى شيء من الأذى ، و لانه^٨ منشأ العقائد الفاسدة و معدن حب
المال الذى هو منشأ الفساد و الضلال ، و عنه تصدر الأفعال القبيحة . ١٥

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : اغرو (٢ - ٣) من ظ و م ، وفى الأصل :
الخاصية (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : نقمه (٤) من م ، وفى الأصل و ظ :
الهازم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فقال (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
سكاد (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الاسباب (٨) من ظ و م ، وفى
الأصل : كانه .

ولما كان الاطلاع على القواد مظنة الموت، وفي الموت راحة من العذاب، أشار إلى خلودهم فيها وأنهم لا يموتون ولا ينقطع عنهم العذاب، فقال مؤكدا لأنهم يكذبون [بها - ']: ﴿انها﴾ وأشار إلى قهرهم وغلبتهم فقال: ﴿عليهم﴾ و آذن بسهولة التصرف في تعذيبهم ٥ و انقطاع الرجاء من خلاصهم بقوله معبرا باسم المفعول: ﴿مؤصدة لا﴾ أى مطبقة بغاية الضيق، من أوصدت الباب - إذا أطبقته .

ولما كانت^٢ عادتهم في المنع من التصرف أن يضموها خذبة عظيمة تسمى المقطرة^٣ فيها حلق توثق فيها الرجل، فلا يقدر صاحبها بعد ذلك على حراك^٤، قال مصورا لعذابهم بحال من ضمير عليهم: ﴿في﴾ [أى - ']
١٠ حال كونهم موثقين في ﴿عمد﴾ بفتحيتين و بضميتين جمع عمود ﴿ممددة﴾ أى معترضة كأنها موضوعة على الأرض، فهي في غاية المكنة فلا يستطيع الموثق بها على نوع حيلة في^٥ أمرها فهو تأكيد ليأسهم من الخروج بالإيثاق بعد الإيصاد، وهذا^٦ أعظم الويل وأشد النكال، فقد رجع آخرها إلى^٧ أولها، و كان لفصلها [أشد - '] التحام بموصلها -
١٥ و الله الموفق للصواب، و إليه المرجع و المآب^٨ .

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: كان (٣) من ظ و م، وفي الأصل: المسطرة (٤) من م، وفي الأصل وظ: السترك (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفي الأصل: من (٧) من ظ و م، وفي الأصل: هو. (٨) من ظ و م، وفي الأصل: على (٩) زيد من ظ (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

سورة الفيل

مقصودها الدلالة على آخر الهمة من إهلاك المبكرين في دار التعاضد
والتناصر بالأسباب، فعند^٢ انقطاعها أولى لاختصاصه سبحانه وتعالى بتام
القدرة دون التمكن بالمال والرجال، واسمها الفيل ظاهر الدلالة على
ذاك بتأمل سورته، وما حصل في سيرة جيشه وصورته ﴿بسم الله﴾ هـ
الذى له الإحاطة بقدرته في كل شيء عاملة ﴿الرحمن﴾ الذى له النعمة
الشاملة ﴿الرحيم﴾ الذى يختص أهل الاصطفاء بالنعمة الكاملة.

لما قدم في الهمة أن كثرة الأموال المسبية بالقوة بالرجال^٢ ربما
أعقبت الوبال، دل عليه^٤ في هذه بدليل شهوى وصل في تحريقه وتغلغله^٥
في الأجسام وتجريفه إلى القلوب في العذاب الأدنى كما ذكر فيما قبلها ١٠
للعذاب الأكبر الأخفى، محذرا^٦ من الوجاهة^٧ في الدنيا وعلو الرتبة، مشيرا
إلى أنها كلما عظمت زاد ضررها بما^٨ يكسبه من الطغيان حتى ينازع
صاحبها الملك الأعلى، ومع كونه شهوديا فللعرب^٩ ولاسيما^٩ قريش به
الخبرة^٩ انتامة، فقال مقررا منكرا على من يخطر له خلاف ذلك:

- (١) الخامسة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها هـ (٢) من
ظ و م، وفى الأصل: فقد - كذا (٣) من ظ و م، وفى الأصل: للرجال.
(٤) من م، وفى الأصل و ظ: عليها (هـ) من ظ و م، وفى الأصل: تغلغله.
(٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: للوجاهة (٧) من ظ و م، وفى الأصل: بما.
(٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: فلاسيما (٩) من ظ و م، وفى الأصل: الخلو.

(الم تر) أى تعلم علما [هو - ١] فى تحققة كالحاضر / المحسوس بالبصر،
و ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم و إن لم يشهد تلك الوقعة فإنه شاهد
آثارها، و سمع بالتواتر مع إعلام الله له أخبارها، و خصه صلى الله
عليه وسلم بإعلاما بأن ذلك لا يعلمه و يعمل به إلا هو صلى الله عليه
و سلم و من وفقه الله لحسن اتباعه، لما^٢ الانسان من علائق النقصان،
و علائق الحفظ و النسيان، و قرئ "تر" باسكان الراء، قالوا جدا فى
إظهار أثر الجازم، و كان السر فى هذه القراءة الإشارة إلى الحث فى
الإسراع بالرؤية إيماء إلى أن أمرهم على كثرتهم كان كالمح البصر، من
لم يعتن به و يسارع إلى تعمله لا يدركه حق إدراكه .

١٠ و لما كان للناظر فى الكيفية من التدقيق والوقوف على التحقيق
فى وجوه الدلالات على كمال علم الله و قدرته و إعزاز نبيه بالإرهاص
لنبوته و التمكين لرسائله لتعظيم بلده و تشریف قومه ما ليس للناظر إلى
مطلق الفعل قال: ﴿ كيف ﴾ دون أن يقول: ما ﴿ فعل ﴾ أى فعل
من له أتم داعية إلى ذلك الفعل، و فعل الرؤية معلق عن^٦ "كيف" لما
١٥ فيه من معنى الاستفهام فلا يتقدم عامله عليه، بل^٧ ناصبه فعل^٨، و جملة
الاستفهام فى موضع نصب بالفعل المعلق ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: ما (٣) من ظ و م،
وفى الأصل: وجوده (٤) من ظ و م، وفى الأصل: تمكين (٥) زيد فى ظ:
أى (٦) من ظ و م، وفى الأصل: على (٧) من ظ و م، وفى الأصل: فعله.

و من إحسانه [إحسانه - ١] إلى قومك بك و بهذه الواقعة الخارقة
 للعادة إرهابا لبوتك [كما - ١] هو معلوم من أخبار الأنبياء المتقدمين
 فيما^٢ يقع بين أيدي نبوتهم من مثل ذلك ليسكون مؤيدا لادعائهم
 النبوة بعد ذلك ، و في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالخطاب و التعبير
 بالرب مع التشريف له و الإشارة^٣ بذكره . التعريض^٤ بحقارة الأصنام التي
 سموها أربابا لهم ، يعلم ذلك منهم علم اليقين من آمن ، و من استمر على
 كفره فسيعلم ذلك حق اليقين عند ما يسلط الله عليهم رسوله صلى الله
 عليه وسلم بالبلد الحرام ، و يعلها له على أعلى حال و مرام ﴿ باصحب القيل^٥ ﴾
 أى الذين قصدوا انتهاك حرمت الله سبحانه و تعالى فيخربوا^٦ بيته و يمزقوا
 جيرانه بما أوصلهم إلى^٧ البطر^٨ من الأموال و القوة التي من^٩ عليهم ١٠
 سبحانه و تعالى بها ، فحسبوا أنها تخلد لهم فإن أنها توردهم المهالك ضد ما
 حسبه . و هم الحبشة الذين كانوا غلبوا على بلاد اليمن ، بنى أميرهم وهو
 أبويكسوم أبرهة بن الصباح الأشرم بيعة بصنعاء و سماها القليس وزن
 قيط ، و أراد أن يصرف إليها - فيما زعم - حج العرب ، فخرج رجل
 من كنانة فقعدها فيها ليلا - يعنى تغوط و لطمها به ، فأغضب ذلك الأشرم ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : كما (٣-٢) في ظ و م :
 التحقير (٤) في ظ : يخربوا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : من (٦-٦) من
 ظ و م ، و في الأصل : و القوة و الأموال (٧) زيد في الأصل : الله ، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م لحذفها .

فسأل ققيل له : زى الفاعل من أهل البيت الذى بمكة^١ - خلف : ليهدم
الكعبة ، و من عجائب صنع الله أنه ألهمه سبحانه و تعالى تسميتها هذا
الاسم الذى هو مشتق / من القاس الذى^٢ أحد معانيه أنه ماء خرج / ٨٥٠

من الحلق ملء الفم ، فهو مبدأ القيء الذى هو أخو الغائط الذى آل
ه أمرها إليه ، فكان سبب هلاكها^٣ بهلاك بابنها ، و ذلك أنه غضب من

ذلك فخرج بجيشه لهدم بيت الله الكعبة و معه أفيال كثيرة منها فيل
عظيم اسمه محمود ، فقاتله بعض العرب فهزمهم و قتل منهم ، فلما دؤخهم
دانوا له^٤ ، فلما وصل إلى المغمس خرج إليه^٥ عبد المطالب جد النبي صلى الله
عليه و سلم ، فعرض عليه ثلث اموال تهامة على أن يرجع عنهم ، و قيل :
١٠ بل كانت طلائعه أخذت له مائتى بعير فطلبها منه فقال : قد كنت أعجبني

حين رأيتك ، فزهدت فيك حين تكلمنى فى مائتى بعير ، و ترك كلامى
فى بيت هو دينكم^٦ و فيه عزم ؟ فقال : أنا رب الإبل ، و أما البيت فله
رب يمنعه^٧ ، فقال : ما كان يمنعه منى ، فقال^٨ : أنت و ذاك ، فرد عليه
إبله فسادها و عصى ، و أمر قريشا أن يتفرقوا فى الشعاب و يتحرزوا فى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مكة (٢) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : هلاكها (٤) زيد
فى الأصل : فقتله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : إليه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : إليهم (٧) من ظ و م ،
و فى الأصل : دونكم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يمنع عنه (٩) زيدت
الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م لحذفها .

الجبّال، و أتى عبد المطلب الكعبة فأخذ بحلقة الباب و جعل يقول :
[يا رب لا أرجو لهم سواك فامنهم أن يقربوا^٢ قراكا - ٢]
و قال :

لا م إن المرء يـ نع رحله فامنح حلاك
لا يغابن صليهم ومحالم عدوا محالك
جروا جميع تلامد في الفيل كي يسوا عيالك ٥
عمدوا حماك بكيدهم جهلا و ما رقبوا جلاك
إن كنت تاركهم وكـ بيتنا فأمر ما بدا لك
ثم ترك الحلقة و توجه [في - ٢] بعض تلك الوجوه فلما أصبح
أرهبته تهيأ للدخول إلى الحرم و عبأ جيشه و قدم الفيل فبرك فمالجوه
فلم تغد فيه حيلة، فوجهوه إلى غير الحرم فقام يهرول فوجهوه إلى ١٥
الحرم فبرك، و كان هذا دأبه في ذلك اليوم فييناهم كذلك إذ أرسل
الله تعالى عليهم طيرا أبابيل، كل طائر منها في مقاره حجر، و في
رجليه حجران، الحجر منها أكبر من العدسة و أصغر من الحصاة،
فرمتهم بها، فكان الحجر منها يقع في رأس الرجل فيخرج من دبره
فهلكوا جميعا، و أهل مكة و من حضر من العرب [في رؤس الجبال - ٢] ١٥
ينظرون إلى صنع الله تعالى بهم و إحسانه إليهم - أي أهل مكة -
و كان ذلك إرھاصا لنبو محمد صلى الله عليه و سلم، فان ذلك كان

(١) راجع للإبيات تاريخ الطبرى ١١٢ / ٢ وفيه بعض المغارقات (٢) في م :
يخربوا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل : توجه و، ولم تكن الزيادة
في ظ و م مخذفاها (٥) من ظ و م، و في الأصل : على .

عام مولده ، و قال حمزة الكرماني : [و في رواية - '] : يوم مولده ،
و كأنه كان سيبا اضعفهم حتى ذهب سيف بن ذي يزن إلى كسرى
و أتى منه بجيش فاستأصل^١ بقيتهم - كما هو مشهور في السير ، و مأثور في
الخير ، و وفدت قريش لتهنته بالنصرة عليهم ، و كان رئيسهم عبد المطلب
٥ جد النبي صلى الله عليه و سلم ، و بشره سيف بأنه يولد له ولد اسمه محمد
فأعلمه بأنه ولد و أن أباه توفي ، فأخبره سيف بأنه النبي المبعوث في
آخر الزمان ، و أن يثرب مهاجرة ، و أنه لو علم / أنه يعيش إلى زمن
بعثته لآتى يثرب و جعلها قراره حتى ينصر النبي صلى الله عليه و سلم
[بها - '] و يظهر نبوته^٢ .

/ ٨٥١

١٠ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت سورة الهمة ذكر
اغترار من فتن بماله حتى ظن أنه يخلده و ما أعقبه ذلك ، أتبع هذا
أصحاب الفيل الذين غرهم تكاثرهم ، و خدعهم امتدادهم في البلاد و استيلاؤهم
حتى هموا بهدم البيت المكرم ، فتمجّلوا النقمة ، و جعل الله كيدهم في
تضليل . و أرسل عليهم طيرا أبابيل ، أى جماعات متفرقة ، ترميهم
١٥ بحجارة من سجيل حتى استأصلتهم^٣ و قطعت^٤ دابرهم فجعلهم كعصف
مأكول ، و أثمر^٥ لهم ذلك^٦ اغترارهم بتوفر حظهم من الخسر

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و في الأصل و ظ : و استأصل (٣) من ظ
و م ، و في الأصل : انه (٤) سقط من ظ و م (٥) زيد في الأصل : انه ،
و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفنا (٦) من م ، و في الأصل و ظ : دينه .
(٧ - ٧) من ظ و م ، و في الأصل : فقطعت (٨ - ٨) من ظ و م ، و في
الأصل : ذلك لهم .

المتقدم - انتهى .

و لما قرره بالكيفية تنبيها على ما فيها من وجوه الدلالة^١ على
مقدمات الرسالة، أشار إلى تلك الوجوه مقدما عليها تقريراً آخر جامعاً
لنقيضتهم ومعللاً بغضتهم فقال: ﴿الم يحمل﴾ أى بما له من الإحسان
إلى العرب لا سيما قريش ﴿كيدهم﴾ [أى - ٢] فى تعطيل الكعبة بتخريبها^٥
وبصرف الحج إلى كنيسهم على زعمهم و [قد - ٢] كان كيدهم
عظيماً غلبوا به من ناوهم من العرب ﴿فى تضليل﴾ أى مظلوماً
لتضييع عما قصدوا له من نسخ الحج إلى الكعبة أولاً ومن هدمها
ثانياً وإبطال و بعد عن السداد وإهمال بحيث صار بكونه مظلوماً
لذلك معموراً به لا مخلص له منه، وهذا مشير^٦ إلى أن كل من تعرض^{١٠}
لشيء من حرمان^٦ الله كسيت من بيوته أو ولى من أوليائه أو عالم^٧
من علماء الدين وإن كان مقصراً نوع تقصير وقع فى مكروه، وعاد^٨
عليه وبال شره^٨ ومن عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب^٩، وإلى أن من
جاهر بالمعصية أسرع إليه الهلاك بخلاف من تستر، وإلى أن الله تعالى
يأتى من يريد عذابه من حيث لا يحتسب ليدوم الحذر منه ولا يؤمن^{١٥}

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الدلالات (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من
م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: تعظيماً (٥) من م، وفى الأصل: وظ :
مشيراً (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: لحرمان (٧) من ظ و م، وفى
الأصل: عالماً (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: إليه لما ورد (٩) من ظ
و م، وفى الأصل: فى محاربه .

مكره و لو كان الخضم أقل عباده، لم يخطر للجبهة ما وقع لهم أصلا
ولا خطر لاحد سواهم ان طيورا تقتل جيشا دوخ الأبطال وذات له
غلب الرجال، يقوده ملك جبار كنيته في السهل تمشى ورجله على
القاذفات في رؤس المناقب .

٥ و لما كان التقدير : فمنهم من الدخول إلى حرم إبراهيم عليه
الصلاة و السلام فضلا عن الوصول إلى بلدة^٢ الرسول صلى الله عليه
و سلم ، عطف عليه أو على و يجعل ، معبرا بالماضي لأنه بمعناه و هو
أصرح و التعبير به أقعد قوله : ﴿ و ارسل ﴾ و بين أنه إرسال عذاب
بقوله : ﴿ عليهم ﴾ أى خاصة من بين من كان^٣ هناك من كفار العرب ،
١٠ وأشار إلى تحقيرهم و تخسيسهم عن أن يعذبهم بشىء عظيم ليكونهم عظموا أنفسهم
و تجبرو على خالفهم بالقصد القبيح لبيته فقال تعالى معلما بأنه ساط عليهم
ما [لا - ٢] يقتل مثله في العادة^٤ : ﴿ طيرا ﴾ / و هو اسم جمع يذكر
على اللفظ ، و يؤنث على المعنى ، و قد يقع على الواحد ، و لذلك قال
مينا الكثرة ﴿ ابابيل ﴾ أى جماعات كثيرة جدا متفرقة^٥ يتبع بعضها
١٥ بعضا من نواحي شتى فوجا فوجا و زمرة زمرة ، أمام كل فرقة منها طير يقودها
أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق ، قال أبو عبيدة^٦ : يقال : جاءت

/ ٨٥٢

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بلد .
(٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل : و كان ذلك ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦-٦) من ظ و م . و فى الأصل : كثير
متفرقة جدا (٧) فى م : أبو عبيد .

الخيل أبابيل من هاهنا و' هاهنا، وهو جمع إبالة بالكسر والتشديد وهي'
الحزمة الكبيرة - شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها، وفي أمثالهم:
ضغت على إبالة، أى بلية على أخرى .

ولما تشوف السامع إلى فعل الطير بهم، قال مستأنفاً: (ترميمهم)
أى الطير (بمحجارة) أى عظيمة، فى الكثرة، والفعل . صغيرة فى هـ
المقدار والحجم، كان كل [واحد - °] منها فى نحو مقدار العدسة،
فى منقار كل طائر منها واحد وفى^١ كل رجل واحد .

ولما كان الشيء إذا كان مصنوعاً للعذاب كان أشد فعلاً فيه قال:
(من سجيل مولا) أى طين متحجر مصنوع للعذاب فى موضع هو فى غاية
العلو كما بين فى سورة هود عليه الصلاة والسلام، قال ' حمزة الكرمانى: ١٠
قال أبو صالح: رأيت تلك الحجارة مخططة بالحرمة . ولما تسبب عن
هذا المرمى هلاكهم، وكان ذلك بفعل الله^٢ سبحانه وتعالى القادر
على ما أراد^٣ لأنه الذى خلق الأثر قطعاً لأن مثله لا ينشأ عنه^٤ ما نشأ
من الهلاك، قال: (لجعلهم) أى ربك المحسن إليك بإحسانه إلى

(١) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من ظ
وم، وفى الأصل: هو (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: كان قائل قال.
(٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: كثيرة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى
الأصل و ظ: رجليه، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٧) زيد فى الأصل:
الشيخ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨-٨) سقط ما بين الرقين
من ظ و م (٩) من ظ و م، وفى الأصل: منه .

قومك لأجلك بذلك ﴿ كمصف ما كول ﴾ أى ورق زرع وقع
فيه الأكال وهو أن يأكله الدود و يحوفه لأن الحجر كان يأتى فى
الرأس فيحرق^١ بما له من الحرارة و شدة الوقع كل ما مر به حتى
يخرج من الدبر و يصير موضع تجويفه أسود لما له من النارية، أو أكل
حبه فبقى^٢ صفرا منه أو كتبتن أكلته الدواب و رائته، و لكنه جاء على
ما عليه آداب القرآن كقوله تعالى : ” كانا ياكلان الطعام “ و هذا
الإهلاك فى إعجابه هو^٣ من معانى^٤ الاستفهام التقريرى فى أولها، فقد
تعانق طرفاها، و التفت أخراها بأولها - والله أعلم بمراده .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فينخرق (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
وبقى (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فى معنى (٤-٤) سقط ما بين الرقنين
من ظ و م .

سورة قريش

مقصودها الدلالة على [ضد - ٢] ما دلت عليه^٢ الفيل بأن إهلاك
 الجاحدين المعاندين لإصلاح المقرين^٣ العابدين، و هو بشارة عظيمة لقريش
 خاصة باظهار^٤ شرفهم في الدارين، واسمها قريش ظاهر الدلالة على ذلك،
 والتعبير بقريش دون قومك أو الحمس مثلاً ونحوه دال على أنهم يغلبون
 الناس اجمع بقوة كما يدل عليه الاسم، وبغير قوة^٥ كما دل عليه ما فعل
 لاجلهم من قصة الفيل : ﴿ بسم الله ﴾ ذى السجحات والحمد لله جميع الكمال
 ﴿ الرحمن ﴾ ذى النعم العامة بالإيجاد والبيان فهو ذو الأفضال ﴿ الرحيم ﴾
 ذى الانتقام بالإبعاد والاختصاص / بمن يشاء بالإسعاد بالتقريب
 ٨٥٣ / و الإجلال .

١٠

لما^٦ كان ما فعله سبحانه - من منع هذا الجيش العظيم - الذى من قوته
 طاعة أكبر ما خلق الله من الحيوان البرى فيما نعلمه له - من دخول الحرم
 الذى هو مظهر قدرته ومحل عظمتة الباهرة وعزته والمذكر بخليته عليه

(١) السادسة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها (٢) زيد من
 ظ و م (٣) زيد في الأصل : سورة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحدفائها .
 (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : المقرين (٥) من م ، وفي الأصل و ظ :
 لاظهار (٦ - ٦) من ظ و م ، وفي الأصل : يعرفوه (٧) من ظ و م ، وفي
 الأصل : و لا .

الصلاة والسلام وما كان من الوفاء بعظيم خلقه - كرامة لقريش عظيمة
 ظاهرة عاجلة حماية لهم عن أن تستباح ديارهم وتسبى ذراريهم لكونهم
 أولاد خليله وخدام بيته وقطان^١ حرمه ومتعززين به و منقطعين إليه ،
 وعن أن يخرب موطن^٢ عزم و محل أمنهم و عيشهم و حرزم ، ذكرهم
 ٥ سبحانه و تعالى ما فيه من النعمة الآجلة إكراما ثانيا بالنظر في العاقبة ،
 فقال مشيرا إلى أن من تعاضم عليه قصمه ، ومن ذل له و خدمه أكرمه
 وعظمه : (لا يلف قريش) أي لهذا الأمر لا غيره^٣ فعلنا ذلك وهو
 إيقاعهم الإيلاف وهو ألفهم للدم الذي ينشأ عنه طمأننتهم و هبة
 الناس لهم ، وذلك ملزوم لألفهم أولا في أنفسهم ، فإذا كان لهم
 ١٠ الألف بحرمهم بما حصل لهم من العز و المكنة به بما دافع عنهم فيه
 مع ماله من بعد الآفات عنه ، وكان لهم الألف بينهم ، فكان بعضهم
 يألف بعضا ، قوى أمرهم فآلفوا غيرهم أي جعلوه يألف ما ألفوه إياه أي
 سنوه له و أمروه به ، أو يكون اللام متعلقا بفعل العبادة بدلالة
 "فليعبدوا" أي ليعبدونا لأجل ما أوقفنا من^٤ ألفهم و إيلافهم ، وعلى
 ١٥ التقديرين الألف علة للعبادة أو لما يوجب الشكر بالعبادة . وفي هذا إشارة
 إلى تمام قدرته سبحانه و تعالى وأنه إذا أراد شيئا يسره سببه لأن

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : خطان (٢) من م ، وفي الأصل و ظ :
 مواطن (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لغيرة (٤) من ظ و م ، وفي
 الأصل : يسوه (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بذلك لاله (٦) من ظ و م ،
 وفي الأصل : عن .

التدبير كله له يخفض من يشاء وإن عز، ويرفع^١ من يشاء وإن ذل،
 ليشمر اعتقاد ذلك حبه والانتقطاع لعبادته والاعتماد عليه في [كل - ٢]
 نفع و دفع، و قريش ولد النضر بن كنانة واسمهم واسم قبيلتهم مشتق
 من القرش [و التقرش - ٢] وهو التكسب والجمع، يقال: فلان
 يقرش لعياله ويقترش أى يكتسب، وقال البغوى^٢: وقال [أبو - ٢] ه
 ربحانة: سأل معاوية ابن عباس رضى الله عنهما: لم سموا بهذا؟ فقال:
 لدابة تكون في البحر [هى - ٢] أعظم دوابه، يقال لها القرش،
 لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته، وهى تأكل ولا تؤكل وتعلو
 ولا تعلى، قال: و هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم،
 وأنشد للجمحي:

وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
 سلطت بالعلو فى لجة البحر على سائر الجيوش جيوشا
 وقال^٣ الزخشرى: هى دابة عظيمة تعبت بالسفن ولا تطاق إلا بالنار،
 والتصغير للتعظيم - انتهى، وقيل: سموا بذلك لتجمعهم إلى الحرم بعد
 تفرقهم، فان القرش - كما تقدم - الجمع، وكان المجمع لهم قصيا، والقرش^٤ ١٥
 أيضا^٥ الشديد، وقيل: هو من تقرش الرجل - إذا تنزه عن مدانيس

(١) من ظ و م، وفى الأصل: رفع (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م .
 (٤) راجع للمعالم ٧ / ٢٤٧ (٥) زيد فى الأصل: أبو القاسم، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م لحذفها (٦) راجع البحر ٨ / ١٣٠ (٧) من ظ و م، وفى الأصل:
 القريش (٨) من ظ و م، وفى الأصل: إبا - كذا .

الأمور، ومن تقارشت الرياح / في الحرب - إذا دخل بعضها في
[بعض - '].

و المادة كلها للشدة والاختلاط، و التعبير بهذا الاسم لمدحهم.
و كما أجرى سبحانه و تعالى مدحهم على الألسنة جعلهم موضعاً للمدح،
٥ قال النبي صلى الله عليهم عليه وسلم^٢: إن الله اصطفى كنانة من
بنى إسماعيل و اصطفى قريشا من كنانة و اصطفى بنى هاشم من قريش
و اصطفاني من بنى هاشم، و قال صلى الله عليه وسلم^٢: الأئمة من قريش، قال
العلماء: و ذلك أن طيب العنصر يؤدي إلى محاسن الأخلاق، و محاسن الأخلاق
تؤدي إلى صفاء القلب، و صفاء القلب عون على إدراك العلوم، و بادراك
١٠ العلوم تنال الدرجات العلى في [الدنيا و -] الآخرة، و صرف الاسم
هنا على معنى الخى ليكون الاسم بمادته دالا على الجمع، و بصرفه دالا على
الحياة إشارة إلى كمال حياتهم ظاهرا و باطنا، قال سيويوه في معد
و قريش و ثقيف: صرف هذه الأحياء أكثر، و إن جعلتها اسما للقبائل
- يعنى فمنعتها - فجائز حسن، و الذى يدل على تعلق اللام بفعل دلت عليه
١٥ الفيل أن السورتين في مصحف أبى^٣ رضى الله عنه سورة واحدة من غير

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع المعالم ٢٤٧/ ٧ (٣) راجع مسند أحمد ١٢٩/ ٣
(٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: يودى الى (٥) زيد فى الأصل: معنى،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: أبى بكر.

فضل، وأن عبد الرزاق^١ وابن أبي شيبة^٢ روايا عن أبي إسحاق عن عمرو ابن ميمون قال: صلى بنا عمر رضى الله عنه المغرب فقرأ في الأولى بالتين والزيتون، وفي الثانية ألم زكيف وثلثلاف قريش.

وقال [الإمام - ٢] أبو جعفر ابن الزبير: لا خفاء في اتصالهما أي أنه سبحانه وتعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل ومنعهم عن بيته وحرمة ه لا تنظام شمل قريش، وهم سكان الحرم وقطان بيت الله الحرام، وليؤلفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة وتأمين ساحتهم - انتهى .

ولما علل بالإيلاف^٣ وكان لازما ومتعديا، تقول: آلفت المكان أولفه إيلافا فأنا مؤلف^٤ وآلفت فلانا هذا الشيء أي جعلته آلفا له، وكان الإتيان بالشيء محتملا لشيئين^٥ ثم إبدال^٦ أحدهما منه أضخم لشأنه^٧ وأعلى لأمره، أبدل منه قوله: (الفهم) أي إيلافا إياهم (رحلة الشتاء) التي يرحلون فيها في زمنه إلى اليمن لأنها بلاد حارة ينالون بها متاجر الجنوب (والصيف^٨) التي يرحلون فيها في زمنه إلى الشام لأنها بلاد باردة ينالون فيها منافع^٩ الشمال، وهم آمنون من سائر العرب لأجل عزمهم بالحرم

(١) راجع مصنفه ١٠٩/٢ (٢) راجع مصنفه - كتاب الصلاة (٣) زيد من ظ .

(٤-٥) في م: باتصالها (ه) من ظ وم، وفي الأصل: تو من (٦) من ظ

وم، وفي الأصل: يلاف (٧) من ظ وم، وفي الأصل: يولف (٨) في ظ :

للشيئين (٩) من ظ وم، وفي الأصل: ابدا (١٠) من ظ وم، وفي

الأصل: منع .

المكرم المعظم ببيت الله و الناس يتخطفون من حولهم^١، ففعل الله تعالى
 بأصحاب الغيل ما فعل ليزداد العرب لهم^٢ هيبة و تعظيما فتزيد في
 إكرامهم لما رأت من إكرام الله تعالى لهم فيكون لهم غاية التمكن في
 رحلتهم، و الرحلة بالكسر هيئة الرحيل، و قرئ بالضم و هي الجهة التي
 ٥ يرحل إليها، و كانوا معذورين لذلك لأن بلدهم لازرع به^٣ [ولا ضرع -^٤]
 فكانوا إذا ضربوا في الأرض قالوا: نحن سكان حرم الله^٥ و ولاية يثبه^٦،
 فلا يعرض أحد بسوء، فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة، ولولا الأمن
 بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، و أول من سن لهم الرحلة هاشم
 ابن عبد مناف، و كان يقسمون ربحهم بين الغنى و الفقير^٧ حتى كان^٨
 ١٠ فقيرهم كغنيهم، و في ذلك يقول^٩ الشاعر:

قل للذي طلب الساحة و الندى هلا مررت بآل عبد مناف
 الرائشين و ليس يوجد رائش و القائلين هلم للضياف
 و الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكاف
 القائلين بكل وعد صادق و الراحلين برحلة الإيلاف
 ١٥ عمرو العلاء هشم الثريد لقومه و رجال مكة مستنون^{١٠} عجاف

(١) في ظ: حواه (٢) من ظ و م، و في الأصل: عنده (٣) من ظ و م،
 و في الأصل: بها (٤) زيد من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م، و في الأصل:
 الحرم (٦) من ظ و م، و في الأصل: بيت الله (٧ - ٧) من ظ و م، و في
 الأصل: فكان (٨) من ظ و م، و في الأصل: قد قال - و راجع العالم ٧/ ٢٤٨
 للأبيات (٩) من ظ و م، و في الأصل: منون.

سفرين سنهما له و لقومه سفر الشتاء ورحلة الاضياف
و تبع هاشما على ذلك إخوته ، فكان هاشم يؤلف^١ إلى الشام و عبد شمس
إلى الحبشة ، و المطلب إلى اليمن ، و نوفل إلى فارس ، و كان تجار قريش
يختلفون إلى هذه الأمصار بجمال هذه الإخوة - أى عهودهم - التى أخذوها
بالأمان^٢ لهم من ملك كل ناحية [من هذه النواحي -^٣] ، و أفرد الرحلة^٤
فى موضع التثنية لتشمل كل رحلة - كما هو شأن المصادر و أسماء
الأجناس ، إشارة [لهم -^٥] بالبخارة بأنهم يتمكنون عن قريب من الرحلة
' إلى أى بلد أرادوا لشمول^٦ الأمن لهم و بهم جميع الأرض بما نشره
الله سبحانه و تعالى من الخير فى قلوب عباده فى سائر الأرض بواسطة
هذا النبى الكريم الذى هو أشرفهم و أعظمهم و أجلهم و أكرمهم . ١٠
ولما كان هذا التدبير لهم من الله كافيا^٧ لهمومهم الظاهرة بالنعى
و الباطنة بالأمن ، و كان شكر المنعم واجبا ، فاذا أنعم بما يفرغ المنعم
عليه للشكر كان^٨ وجوبه عليه أعظم ، 'سبب عن^٩ الإنعام عليهم بذلك
قوله^{١٠} : (فليعبدوا) أى قريش على سبيل الوجوب شكرا على هذه
النعمة خاصة إن لم يشكروه على جميع نعمه التى لا تحصى لأنهم يدعون ١٥

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : يائف (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فالأمان .
(٣) زيد من ظ و م (٤-٥) من م ، وفى الأصل : أى إلى أى بلاد أرادوا
لشموم ، وفى ظ : إلى أى بلاد أراد و الشموم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
كأينا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فإن (٧-٨) من ظ و م ، وفى الأصل :
بسبب (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : قال تعالى .

أنهم أشكر الناس للاحسان و أبعدهم عن الكفران^١ (رب هذا البيت^٢)
 أى الموجد له و المحسن إلى أهله بتربيتهم به و بحفظه من كل طاغ،
 و تأثيره لأجل حرمة في كل باغ، و بإذلال الجبارة له ليكمل إحسانه
 إليهم و عطفه عليهم بأكمال إعزازه لهم في الدنيا و الآخرة و جعل ما
 داموا عابدين له موصولا بعز الآخرة، فتم النعمة و تكمل الرحمة،^٣ و المراد^٤
 به السكبة، عبر عنها بالإشارة تعظيما لإشارة إلى أن ما تقدم في السورة
 الماضية من المدافعة عنهم معروف أنه بسببه لا يحتاج إلى تصريح، و أن^٥ ذلك
 جملة متصورا في^٦ كل ذهن^٧ حاضرا مشاهدا لكل مخاطب، و في هذا
 التلويح من التعظيم ما ليس للتصريح، ثم وصف نفسه الأقدس بما هو
 ١٠ / ٨٥٦ ثمرة الرحلتين / ومظهر لزيادة شرف البيت فقال تعالى : (الذى أطعمهم)
 أى قريشا بحمل الميرة إلى مكة بالرحلتين آمنين من أن يهاجوا،
 و باهلاك الذين أرادوا إخراج البيت الذى به نظامهم، إطعاما مبتدئا
 (من جوع لا) أى عظيم فيه غيرهم من العرب، أو كانوا هم فيه قبل
 ذلك لأن بلدهم مهيا لذلك لأنه ليس بنى زرع، فهم عرضة للفقر^٨
 ١٥ الذى ينشأ عنه^٩ الجوع، فكفاهم ذلك وحده ولم يشركه أحد في كفايتهم،
 فليس من الشكر إشراكهم في عبادته و لا من البر بأبيهم إبراهيم عليه

(١) من ظ و م، وفي الأصل : الكفر قال (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل :
 فالمراد (م) من ظ و م، وفي الأصل : الى (٤-٤) من ظ و م، وفي
 الأصل : ذهن كل احد (٥) من م، وفي الأصل و ظ : للمقراء (٦) من ظ
 و م، وفي الأصل : عنهم .

الصلاة والسلام الذى دعا لهم بالرزق ونهى أشد النهى عن عبادة الأصنام، ولم [يقول: أشبعهم -^١] لأنه ليس كلهم كان يشبع، ولأن من كان يشبع منهم طالب لاكثر مما [هو -^١] عنده، ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب، .

ولما ذكر السبب فى إقامة الظاهر، ذكر السبب فى إقامة العيش ٥
 بنعمة الباطن فقال: (وأمنهم) أى تخصيصا لهم (من خوف ع) أى
 شديد جدا من أصحاب القيل وما ينال من حولهم من^٢ التخطف بالقتل
 والنهب والغارات و^٣ بالأمن من^٢ الجذام بدعوة إبراهيم عليه الصلاة
 والسلام، [و من الطاعون والدجال بتأمين النبي صلى الله عليه وسلم -^١]،
 وعن ذلك تسبب الاتحاف بما خصهم به من الإيلاف، فلم [أن -^١] ١٠
 آخرها علة لأولها، ويجوز أن يكون لفهم للبلد وقع أولا فحماه الله لهم
 بما ذكر، فيكون ذلك مسياعا عن الإلف فيكون أولها علة لآخرها، فقد
 التقى الطرفان^٥، والتأم البحران المغترقان، وكما التقى آخر كل سورة
 مع أولها فكذلك التقى آخر القرآن العظيم بأوله بالنسبة إلى تسع سور
 هذه أولها إذا عُدت من الآخر إليها، فإن حاصلها المن على قريش ١٥
 بالإعانة على المتجر إيلافا لهم بالرحلة فيه والضرب^٦ فى الأرض بسية

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: عن (٣-٣) من ظ و م،
 وفى الأصل: من الأمن (٤) من ظ و م، وفى الأصل: لآخرها .
 (٥) من ظ و م، وفى الأصل: الطرف (٦) من ظ و م، وفى الأصل:
 الصرف .

واختصاصهم بالامر بعبادة الذى منّ عليهم بالبيت الحرام و جلب لهم
به الارزاق والامان، ومن أعظم مقاصد التوبة - المناظرة لهذه بكونها
التاسعة من الاول - البراءة من كل مارق، وأن فعل ذلك يكون سببا
للالفة بعد ما ظن أنه سبب الفرقة . وذكر مناقب البيت ومن يصلح
لخدمته ، والفوز بأمانه و نعمته ، والبشارة بالغنى على وجه أعظم من
تحصيله بالمتجر وأبهى وأبهر، وأوفى وأوفر، 'وأزهى' وأزهر، وأجل
أنحر، بقوله تعالى " ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله ^٢ شاهدين على
أنفسهم " - الآيات ، وقوله تعالى "وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله" فلم بهذا علما جليا أنه شرع سبحانه في رد المقطع على المطلع من سورة
١٠ قريش الذين أكرمهم الله بانزال القرآن بلسانهم وأرسل ^٢ به النبي صلى الله عليه
وسلم إليهم كما أكرمهم ببناء البيت في شأنهم ، وتعظيمه لغناهم وأمانهم ،
ومن أعظم المناسبات في ذلك كون أول السورة التي أخذ فيها في
رد المقطع على المطلع شديد المشابهة للسورة المناظرة لها حتى أن في
كل منهما مع ' التي قبلها كالسورة الواحدة فان' براءة مع الانتقال كذلك
١٥ حتى قال عثمان رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ^٢ توفي

(١-١) تكرر ما بين الرقيين في الأصل فقط (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من
ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : أرسله (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
شانه (٥) زيد في الأصل و ظ : السورة ، ولم تكن الزيادة في م لحذفناها .
(٦) زيد في الأصل : مع ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٧) زيد في
الأصل : ومات ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها .

ولم يبين أمرها، فلم يتحرر له أنها مستقلة عنها، ولذلك لم يكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، وكانت هذه التي من الآخر مقطوعاً بأنها مستقلة مع ما ورد من كونها مع التي قبلها سورة واحدة في مصحف أبي^١ رضى الله تعالى عنه، وقراءة عمر رضى الله تعالى عنه [لها -^١] على وجه يشعر بذلك كما مضى إشارة إلى أن الآخر يكون أوضح من الأول، ومن أغرب ذلك أن السورتين اللتين قبل سورتي المناظرة بين أمريهما طباق، فالأولى في الآخر وهي الفيل أكرم الله فيها قريشاً باهلاك [أهل -^٢] الإنجيل، والأولى في الأول وهي الانتقال أكرمهم الله فيها بنصر أهل القرآن عليهم باهلاك جبارتهم، فكان ذلك سبباً لكسر شوكتهم وسقوط نخوتهم المفضي^٣ إلى سعادتهم^٤، وعلم أن البراءة^{١٠} وغيرها إنما عمل لإكرامهم لأنهم المقصودون بالذات وبالقصد الأول بالإرسال والناس لهم تبع كما أن جميع الرسل تبع للرسول^{١١} الفاتح الخاتم الذي شرفوا بإرساله إليهم صلى الله عليه وسلم، وكان عدد التسع مشيراً إلى أن قريشاً أهل لأن يتصلوا بعروج الأسرار في الملكوت إلى [الفلك -^٢] التاسع، وهو العرش الذي هو مقلوب الشرع، فهم^{١٥} يصعدون بأسرار الشرع - التي من أعظمها الصلاة - من الأسفل إلى الأعلى

(١) من ظ و م، وفي الأصل: أبي بكر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: سورة (٤) من ظ و م، وفي الأصل: المقتضى (٥) في ظ: شقاوتهم (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الرسول .

من الطرفين معا كما أنه ينزل عليهم بالبركات من الجانبين ، وإذا ضمنت التسع الأولى إلى الأخرى كانت ثمان عشرة ، فكانت مشيرة إلى ركعات الصلوات مضموما إليها الوتر ، وإلى ظهور الدين ظهورا كاملا [على - '] غالب أقطار الأرض كما كان في سنة ثمان وعشرين ، وهي الثامنة عشرة هـ من موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك في أثناء خلافة عثمان رضي الله عنه فانه كان فيها قد تمزق ملك كسرى و ضعف جدا ، وكذا ملك الروم مع ما كان من زوال أمر القبط بالسكينة ، ومن بديع الإشارات أيضا أنك إذا نظرت إلى نزول براءة وجدته سنة تسع من الهجرة في غزوة تبوك وعقب الرجوع منها ، فكان كونها ناسعة ونزولها ١٠ في السنة التاسعة مشير^٢ا إلى كون الدين يظهر على كل مخالف بعد تسع سنين ، وهي السنة الثامنة من موت النبي صلى الله عليه وسلم في وسط خلافة الفاروق حين ظهر المسلمون على الفرس والروم ، فقتلوا رجالهم ، وانتلوا أموالهم ، كما كان قد ظهر عند نزولها على عباد الأوثان من / العرب ، ومن الغريب أن قصة الفيل كانت سنة مولد النبي صلى الله عليه / ٨٥٨

١٥ وسلم ، فهي قبل النبوة بأربعين سنة بعدد كلمات السورتين : [الفيل - '] وقريش ، فان الفيل ثلاث وعشرون وقريش سبع عشرة ، وذلك - والله أعلم - إشارة إلى أن ابتداء الأمن - باهلاكهم والإشباع بنهب ما كان معهم من أموالهم ومتاعهم - كان لمولده صلى الله عليه وسلم

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : ملك (٣) في ظ و م :

مشير (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : حتى .

و تشريف الوجود بوجوده، ويكون ذلك ظاهرا كما كان السبب - الذى هو وجوده صلى الله عليه وسلم - ظاهرا، و إلى أن وسطه يكون بنبوته صلى الله عليه وسلم، و يكون ذلك باطنا كما أن السبب - و هو الوحي باطن، ثم كان أمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى السنة الثامنة الموازية لعدد كلمات البسملة على يد النجاشى ملك الحبشة الذين كان الأمن هـ أولا بأعلاهم، و إذا ضمنت إليها أحد عشر ضميرا - سبعة فى القيل و أربعة فى قريش - كانت^١ تسعا و خمسين توازيها إذا حسبت من المولد^٢ سنة [ست - ٢] من الهجرة، و فيها كانت عمرة الحديبية و هى الفتح السبى [الحنى - ٢]، و إلى ذلك أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فى برك ناقته الشريفة حين بركت فقالت الصحابة رضى الله تعالى عنهم: خلا^٣ ١٠ القصوى - أى حُرنت: ما خلا^٤ و لكن حبسها حابس القيل، و فيها نزلت سورة الفتح، فكان^٥ سبب الأمن العظيم والغنى، و عقبها فى سنتها كان البعث إلى ملوك الأمصار، و فتح خيبر و [انبساط - ٧] ذكر الإسلام^٦ فى جميع الأقطار، و كذا كان عقبها قبل عمرة القضية لإسلام عمرو بن العاص على يد النجاشى^٧ لما سأله أن يعطيه عمرو بن أمية الضميرى رضى الله ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الولد.
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: محلات - كذا (هـ) من ظ و م، و فى الأصل: لكنهما (٦) من م، و فى الأصل و ظ: فكانت (٧) زيد من م (٨) من م، و فى الأصل و ظ: ملوك الأمصار (٩) من ظ و م، و فى الأصل: النائى .

عنه ليقتله، و ذلك حين أرسله النبي صلى الله عليه و سلم إلى النجاشي
رضي الله عنهما يدعوه إلى الإسلام فأنكر النجاشي ذلك على ابن
العاص و شهد للنبي صلى الله عليه و سلم بالرسالة و أمره بأن يؤمن به،
ففعل فكان ملك الحبشة بدعاء النبي صلى الله عليه و سلم ناجيا هاديا،
٥ [و-٢] إلى النبي صلى الله عليه [داعيا، عكس ما كان للملك الحبشة بمولده

صلى الله عليه و سلم -٢] من أنه كان هالكا، و إلى الجحيم هاويا، و إن حسب
من سنة بنيان الكعبة في الخامسة و العشرين من مولده صلى الله عليه
و سلم كانت السنة التاسعة و الخمسون هي الحادية و الثلاثون بعد الهجرة،
و هي سنة استئصال ملك الفرس بقتل آخر ملوكهم يزدجرد، و الفرس هم
١٠ الذين أزالوا الحبشة عن بلاد اليمن و طهروا منهم أرض العرب، و لعل
قسمة السورتين إلى ثلاث و عشرين و سبع عشرة إشارة إلى [أن-٢]

هذا المولد الشريف الذي حرسه الكعبة بمولده صلى الله عليه و سلم
و حصل الأمن و العز ببركته تبنى الكعبة و تجدد بعد بضع و عشرين
سنة من مولده، قالوا: كان بنيانها [و-٢] منه خمس و عشرون

١٥ [سنة-٢]، فلعلة كان في آخر الرابعة و العشرين^٢، و لعل قصة الفيل كانت
وله نحو سنة من حين الولادة، و به حين البنيان ألف الله بين قريش
بعد أن كانوا تنافروا أشد المنافسة و تعاقدوا على الحرب في أمر الحجر

(١) من ظ و م، و في الأصل: ان (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و في

الأصل: عشرين.

الاسود من يضعه في موضعه حتى أصلح الله بينهم به صلى الله عليه وسلم
فوضعه بيده الشريفة في ثوب ، وأمرهم فأمسكت جميع القبائل بأطرافه ،
ثم رفعوه حتى وازوا به موضعه فأخذه [هو -] صلى الله عليه وسلم
فوضعه في مكانه ، فكان الشرف له خاصة في الإصلاح و البنيان ،
و تشير مع ذلك إلى أنه يبق في النبوة ثلاثا وعشرين سنة ، ثم يتوفاه ه
الله سبحانه و تعالى بعد أن جعل الله كيد جميع الكفرة في تضليل من
عباد الأوثان و الفرس و الروم و غيرهم بما فتح الله عليه من جزيرة
العرب التي آلف الله بها بين كلتهم حتى انسابوا على غيرهم فما وافقهم
أحد ناوشوه القتال و ساءموه النضال و النزال ، و لعل الإشارة بكون
قريش سبع عشرة كلمة إلى أنه صلى الله عليه وسلم بعد سبع عشرة سنة ١٠
من بنيان البيت يبعث الله سبحانه و تعالى لأمر قريش بالعبادة التي أجلها^٢
الصلاة التي أعظمها الفرائض التي هي سبع عشرة ركعة شكرا لنعمة من
آمنهم من خوف و أطعهم من جوع بأعظم العبادات ، و إلى أن ابتداء
ألف قريش بالقوة القريبة من الفعل بعد الشتات العظيم الظاهر و جعل
كيد الكفار في تضليل يكون في السنة السابعة عشرة من النبوة ، ١٥
و ذلك سنة أربع من الهجرة فان فيها كان إجلال بني النضير من اليهود

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٣) زيد في الأصل : واعظمها ،
و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : بنعمة .
(هـ-ه) من ظ و م ، وفي الأصل : يكون في تضليل (٦) من ظ و م ، وفي
الأصل : السابعة عشر .

من المدينة الشريفة وإخلاف قريش [الموعد - ١] في بدر الموعد وهنا
منهم عن لقاء جيش النبي صلى الله عليه وسلم^٢، وكانت بعد يسير غزوة
الاحزاب، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافهم: الآن
نغزوهم ولا يغزونا - يعنى أن نخوة الشيطان منهم وحية الجاهلية أخذت
ه في الاضمحلال لانتهاه قوتهم في الباطل الذى كان سبب عزم الظاهرى
الذى هو الذل في الباطن. وكان ذلك ابتداء عزم في الباطن الذى هو
ذلهم لأهل الإسلام في الظاهر، وفي أثر الاحزاب كانت غزوة بني
قريظة، فاذا ضمنت إلى الكلمات الضمائر الأربعة كانت إحدى وعشرين
توازيها سنة ثمان من الهجرة وهي سنة الفتح الأعظم الذى وقعت به^٣
١٠. الألفة العظمى بين قريش وأمنهم و غنائم الذى وعدم [الله - ١] به
في السورة المناظرة لها - وهي براءة - باثتلاف جميع العرب وانبعاثهم
لاجتماع كلمتهم إلى جهاد الفرس / و الروم والقبط و أخذهم لبلادهم،
و انتشالهم لكنوزهم و تحكمهم في نساءهم وأولادهم، فسبحان من هذا
كلامه، و تعالى شأنه وعز مرامه^٤.

/ ٨٦٠

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد في الأصل : بعد انصرافهم الآن، و لم تكن
الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من م، و في الأصل و ظ : فيه (٤) زيد في
الأصل : ولا اله غيره، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

سورة الدين و تسمى أرأيت و التكذيب و الماعون^١

مقصودها التنبيه على ان التكذيب بالبحث لأجل الجزاء أبو الخبائث ، فانه يجرى المكذب على مساوئى الاخلاق و منكرات الاعمال حتى تكون الاستهانة بالعظام خلقا له فيصير ممن ليس له خلق ، و كل من أسماها الأربعة^٢ فى غاية الظهور فى الدلالة على ذلك بتأمل السورة نعرف هذه^٣ الأشياء المذكورة^٤ ، فهى باهية عن المنكرات بتصريخها ، داعية إلى المعالى بافهامها و تلويحها ﴿ بسم الله ﴾ الذى تعالت عظمتة عن كل شائبة نقص فكان له كل كمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمته^٥ المحسن و المسىء فغمر الكل بالنوال ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أوليائه بتمام النعمة فخباه بنعيم الاتصال .

١٠

لما أخبر سبحانه و تعالى عن فعله^٦ معهم من الانتقام ممن تعدى حدوده فيهم ، و من الرفق بهم بما هو غاية فى^٧ الحكمة ، فكان معرفا بأن فاعله لا يترك الناس سدى من غير جزاء ، و أمرهم آخر قريش بشكر^٨ نعمته بافراده بالعبادة ، عرفهم أول هذه أن ذلك لا يتهيا إلا بالتصديق

(١) السابعة و المائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها ٧ (٢) سقط من ظ و م (٣) من م ، وفى الأصل و ظ ؛ المذكورات (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : نعمة (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فعلهم (٦-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : فى غاية (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يشير .

بالجزاء الحامل على معالى الأخلاق الناهى عن مساوئها، وعجب من يكذب بالجزاء مع وضوح الدلالة^١ عليه بحكمة الحكيم، و وصف المكذب [به-^٢] بأوصاف هم منها فى غاية النفرة. و صورته بأشنع صورة بعث لهم على التصديق وزجرا عن التكذيب، فقال خاصا بالخطاب رأس الأمة ٥ إشارة إلى أنه لا يفهم هذا الأمر حق فهمه غيره: ﴿ارهيت﴾ أى أخبرنى يا أكمل الخلق ﴿الذى يكذب﴾ أى يوقع التكذيب لمن يخبره كائنا من كان ﴿بالدين^٣﴾ أى الجزائى الذى يكون يوم البعث الذى هو محط الحكمة وهو غاية الدين التكليفى الأمر بمعالى الأخلاق الناهى عن سيئها، ومن كذب بأحدهما كذب بالآخر^٤. ولما كان فعل الرؤية بمعنى ١٠ أخبرنى، المتعدى إلى مفعولين، كان تقدير المفعول الثانى: أليس جديرا بالانتقام منه .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تضمنت السور^٥ المقدمة من الوعيد لمن انطوى على ما ذكر فيها مما هو جارٍ على حكم الجهل و الظلم الكائنين فى^٦ جبلة الإنسان ما تضمنت كقوله "ان الإنسان لربه ١٥ لكنود" "ان الانسان لنى خسر" "يحسب ان ماله اخذه" و انجر أثناء ذلك مما تثيره هذه الصفات الأولية^٧ ما ذكر فيها أيضا كالشغل

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الأدلة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: عن الآخر (٤) من ظ و م، وفى الأصل: السورة . (٥) من ظ و م، وفى الأصل: على (٦) بهامش م: أى الكلم بها فى الأزل أو الأولية بمعنى أنها فى الفطرة الأولى .

٨٦١ /

بالتكاثر، والطعن على الناس ولمزهم والاعتزاز المهلك أصحاب الفيل
أتبع ذلك / بذكر صفات قد توجد في المنتمين إلى الإسلام أو^٢ يوجد
بعضها أو أعمال من يتصف بها وإن لم يكن من أهلها كدع اليتيم، وهو
دفعه عن حقه و عدم الرفق به، و عدم الحض على طعام المسكين،
و التغافل عن الصلاة و السهو عنها، و الرياء بالأعمال و الزكاة و الحاجات
التي يضطر فيها الناس بعضهم إلى بعض، و يمكن أن يتضمن إبهام الماعون
هذا كله، و لا شك أن هذه الصفات توجد في المتسمين بالإسلام، فأخبر
سبحانه و تعالى أنه [من-^٣] صفات من يكذب يوم الدين و لا ينتظر
الجزاء و الحساب، أى إن هؤلاء هم أهلها، و من هذا القبيل قوله عليه
الصلاة و السلام «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا» و قوله عليه
الصلاة و السلام «لا يزنى الزانى حين يزنى و هو مؤمن» و هذا الباب
كثير فى الكتاب و السنة، و قد بسطته فى كتاب «إيضاح السبيل من
حديث سؤال جبريل» فن هذا القبيل عندى - و الله أعلم - قوله
تعالى "أرايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم" أى أن
هذه الصفات من دفع اليتيم و بعد الشفقة عليه، و عدم الحض على
إطعامه^٤ و السهو عن الصلاة و المراعاة بالأعمال و منع الحاجات إن
(١) من ظ و م، و فى الأصل: لأصحاب (٢) من ظ و م، و فى الأصل: أى.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (هـ) من ظ و م، و فى
الأصل: طعامه.

هذه كلها من شأن المكذب بالحساب والجزاء لأن نفخ البعد عنها
إنما يكون إذذاك، فمن صدق به جرى في هذه الخصال على السنن
المشكور والسعي المبرور، ومن كذب به لم يبال بها وتأبط جميعها.
فتزهوا أيها المؤمنون عنها. فليست من صفاتكم في أصل إيمانكم الذي
٥ إبتعث عليه. فمن تشبه بقوم فهو منهم، فاحذروا هذه الرذائل فإن دع
اليتيم من الكبر الذي أهلك أصحاب الفيل، وعدم الحض على إطعامه
فإنما هو فعل الخيل الذي يحسب أن ماله أخذه. والسهو عن الصلوات
من ثمرات إلهام التكائر، والشغل بالأموال والأولاد، فنهى عباده
عن هذه الرذائل التي يشرها ما تقدم والتحمت السور - انتهى .

١٠ ولما كان المراد بهذا الجنس، وكان من المكذبين من يخفى
تكذبيه، عرفهم بأمارات تنشأ من عمود الكفر الذي صدر به وينفرع
منه تفضحهم، وتدل عليهم وإن اجتهدوا في الإخفاء وتوضحهم،
فقال مسيباً عن التكذيب ما هو دال عليه: ﴿ فذلك ﴾ أي البغيض
البعيد من كل خير ﴿ الذي يدع ﴾ أي يدفع دفعا عنيفا بغاية القسوة
١٥ ﴿ اليتيم ﴾ ويظلمه ولا يبحث على إكرامه لأن الله تعالى نزع الرحمة من

(١) من ظ و م، وفي الأصل: النفع (٢) من ظ و م، وفي الأصل:
تأبعت (٣) من م، وفي الأصل و ظ: الهاكم (٤) من ظ و م، وفي الأصل:
ثمرتها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: السورة (٦) من م، وفي الأصل
و ظ: عليه (٧) زيد في الأصل: انقوة و، ولم تكن الزيادة في ظ و م
فحذفناها .

قلبه، ولا ينزعها إلا من شق لأنه لا حامل على الإحسان^١ إليه إلا الخوف
من الله^٢ سبحانه و تعالى، فكان التكذيب بجزائه سببا للغلظة
[عليه - ٣] .

ولما كانت رحمة الضعفاء علامة على الخير، و لذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم : اللهم إني أسألك فعل الخيرات، و ترك المنكرات، و حب
المساكين، كانت القسوة عليهم / علامة على الشر، و كان من بخل
باللين في قاله أتد ' بخلا بالبذل ' من ماله، قال معرfa لأن المكذب
ينزله تكذيبه إلى أسفل الدرجات، و أسوأ الصفات الحامل على شر
الحركات: ﴿ ولا يحض ﴾ أى بحث نفسه و اهله و لا غيرهم حثا عظيما
يحمى فيبعث^٤ على المراد ﴿ على طعام المسكين^٥ ﴾ أى بذله له و إطعامه ١٠
لما به بل يحمته و لا يكرمه و لا يرحمه، و تعبيره ' عن الإطعام ' - الذى هو
المقصود - بالطعام الذى هو الاصل و إضافة إلى المسكين للدلالة على
أنه يشارك الغنى فى ماله بقدر ما فرض الله من كفايته، و قد تضمن
هذا أن علامة التكذيب [بالبعث - ٢] إيذاء الضعيف و التهاون
بالمعروف، و الآية من الاحتباك^٦: الدع فى الأول يدل على المقت فى ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الانسان ان يحسن (٢) من ظ و م، و فى
الأصل: الاله (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: بخلاف
البذل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فينبعث (٦-٦) من ظ و م، و فى
الأصل: بالطعام (٧) زيد فى الأصل: ذكر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
فقدناها .

الثاني، والحضر في الثاني يدل على مثله [في الأول - '] .

و لما كان هذا حاله مع الخلائق ، أتبعه حاله مع الخالق إعلاما
بأن كلا منهما دال على خراب القلب و موجب لمقت الرب ، وأعظم
الإهانة والكره ، وأن المعاصي شؤم مهلك ، تنفيرا عنها وتحذيرا [منها-'] ،
هـ فسب عنه قوله معبرا بأعظم ما يدل على الإهانة : ﴿ فويل ﴾ و لما
كان الأصل : له - بالإضمار والإفراد ، وكان المراد به ، الذي ، الجنس الصالح
للوحد وما فوقه و كان من يستهين بالضعيف لضعفه يعرض عما لا يراه
و لا يحسه لغيته ، وكان من أضاع الصلاة كان لما سواها أضيع ، وكان
من باشرها ربما ظن النجاة و لو كانت مباشرة لها على وجه الرياء
١٠ أو غيره من الأمور المحبطة للعمل ، عبر بالوصف تعميما و تعليقاً للحكم
به و شق من الصلاة تحذيرا من الغرور ، و إشارة إلى أن الذي أثمر له
تلك الحساسة هو ما تقدم من الجرى مع الطبع الردئى ، و آتى بصيغة
الجمع تنبيها على أن الكثرة ليست لها عنده عزة لأن إهانة الجمع مستلزمة
لإهانة الأفراد من غير عكس فقال : ﴿ للصالحين ﴾ و لما كان الحكم إنما
١٥ هو [على ذات الموضوع من غير اعتبار لوصفه بالفعل علم أن المقصود
إنما هو - '] من كان مكلفا بالصلاة لأن من كان متلبسا بها مثل قوله

(١) زيد من ظ و م (٢) في ظ و م : حال (٣) زيدت الواو في الأصل
و لم تكن في ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ، و في الأصل : على (٥) من ظ
و م ، و في الأصل : اشار (٦) من ظ و م ، و في الأصل : لأن .

صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار ، فذلك وصفهم بقوله : ﴿ الذين هم ﴾ أى بضائرهم و خالص سرائرهم . ولما كان المراد تضييعهم قال : ﴿ عن ﴾ دون " فى " ﴿ صلاتهم ﴾ أى هى جديرة بأن تضاف إليهم لوجوبها عليهم و إيجابها لأجل مصالحهم و منافعهم بالتركية وغيرها ﴿ سامون لا ﴾ أى عريقون فى الغفلة عنها و تضييعها و عدم المبالاة بها . و قلة الالتفات إليها ، و يوضح ذلك أن ابن مسعود رضى الله عنه قرأ " لاهون " و فائدة التعبير بالوصف الدلالة على ثبوته لهم ثبوتا يوجب أن لا يذكروها من ذات أنفسهم أصلا ، و لذلك كشفه بما بعده ، روى البغوى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الآية فقال : هو إضاعة الوقت^٢ ، / و عن ابن عباس رضى الله عنها أنه قال : هم المنافقون يتركون ١٠ / ٨٦٣ الصلاة إذا غابرا و يصلونها إذا حضروا مع الناس .

و لما كان من كان بهذه الصفة لا نظر له لغير الحاضر كالبهايم ، قال دالا^٢ على أن المراد^٢ بالسهو ههنا تضييعها عند الانفراد بالترك حسا و معنى وعند الاجتماع بالإفساد فى المعنى : ﴿ الذين هم ﴾ أى بجملة سرائرهم ﴿ يراؤون لا ﴾ أى بصلاتهم و غيرها يرون^١ الناس أنهم يفعلون ١٥ الخير ليراهم الناس فيروهم الثناء عليهم و الإحسان إليهم ولو بكف ما هم

(١) راجع للعالم ٧ / ١٤٩ (٢) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عنها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : عنها (٥) زيد فى الأصل : الاجتهاد و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يورون .

يستحقونه^١ من السيف عنهم، لا لرجاء الثواب ولا لمخوف العقاب من^٢
الله سبحانه و تعالى، ولذلك يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس .

و لما كان من كان بهذه الصفة ربما فعل قليل الخير دون جليله
رياء^٣، بين أنهم غلب عليهم الشح حتى أنهم مع كثرة الرياء منهم لم يقدرُوا
ه على أن يراؤا بهذا الشيء التافه، فانسلخوا من جميع خلال المكارم،
فقال إبلاغا في ذمهم إشعارا بأن أحب الخلق إلى الله انفعهم لعياله :

(و يمتنعون) أى على تحديد الأوقات، و حذف المفعول الأول تعميما
حتى يشمل كل أحد وإن جل و عظمت منزلته و لطف محله من قلوبهم^٤
تعريفا بأنهم بلغوا من الرذالة دركة^٥ ليس وراءها للحسد^٦ موضع
١٠ (الماعون ع) أى حقوق الأموال و الشيء اليسير من المنافع مثل إعاره
التافه من متاع البيت التى جرت عادة الناس أن يتعاوروه بينهم،
و يمتنعون أهل الحاجة ما أوجب الله لهم فى أموالهم من الحقوق،
و الحاصل أنه ينبغى حل ذلك على منع ما يجب بذله مثل فضل^٧ الكلاء
و الماء و الزكاة و نحوه ليكون موجبا للويل، و على الزكاة حمله على ابن
١٥ عمر رضى الله عنهما و الحسن و قتادة، قال العلماء : هو مأخوذ من المعن،

(١) من ظ و م، و فى الأصل : فيه مستحقون (٢) من ظ و م، فى الأصل :
عن (٣) إزيد فى الأصل : لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) - فقط
من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : قولهم (٦) من ظ و م، و فى
الأصل : درجة (٧) فى ظ : للحسن (٨) من ظ و م، و فى الأصل : فضلا .

و هو في اللغة الشيء اليسير، و لذلك فسرهم بعضهم [بالماء - '] و بعضهم بما يعار من المتاع نحو القدر و الفأس. و الدلو. و بعضهم بالزكاة لانه [لا - '] يؤخذ من المال على وجه الزكاة إلا شيء^١ يسير جدا بالنسبة إليه، و قيل : هو كل عطية أو منفعة، و قال قطرب : هو فاعول من المعن، و المعن : المعروف، و قال أبو عبيدة : الماعون في الجاهلية العطاء و المنفعة ه و في الإسلام الزكاة، و قال الهروي : قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو العارية - ذكر هذا الأستاذ عبد الحق الإشبيلي في كتابه الواعى، و قال ابن جرير^٢ : و أصل الماعون من كل شيء منفعة. فدل ذلك على أنهم بلغوا نهاية التكذيب باستهانتهم بأعظم^٣ دعائم الدين و استعظامهم لأدنى أمور الدنيا^٤، و هذا الآخر كما ترى هو الأول لأن الذى جر إليه هو ١٠ التكذيب. و من منع هذه الأشياء التافهة كان جديرا بأن يمنع ورود الكوثر في يوم المحشر، و كما التقى آخرها بأولها^٥ التقت^٦ السورة / كلها^٧ مع مناظرتها في العدد من أول القرآن، و ذلك انه قد علم أن حاصل هذه السورة الإبعاد عن سفساف الأخلاق و رديها و ذنبها من التكذيب

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل : بشيء (٣) من ظ و م، و في الأصل : ذلك (٤) في م : الإمام (٥) راجع جامع البيان ١٧٥/٣٠ (٦) من ظ و م، و في الأصل : بما عظم (٧) من م، و في الأصل و ظ : الدين (٨) زيدت الواو في الأصل و ظ، و لم تكن في م لحذفها (٩ - ٩) من ظ و م، و في الأصل : السوان بالمعصم كله .

بالجزاء الذى هو حكمة الوجود^١ المثمر للاعراض عن الوفاء بحق الخلائق
و طاعة الخالق، و الانجذاب مع النقائص إلى الاستهانة [بالضعيف-^٢]
الذى لا يستهين به إلا أنذل الناس و أردلهم، و الرياء الذى لا يلم به إلا من
كان فى غاية الدناءة، فكان ذلك موجبا لليل إلى أعظم الويل، و [فى-^٣]
ذلك أعظم مرغب فى معالى الأخلاق التى هى أضداد ما ذكر فى السورة،

و كلا الأمرين موجود فى الانفصال المناظرة لها فى رد المقطع على المطلع
على أتم وجه، ليسكون ذلك إشارة إلى أنها شارحة لهذا فقيه الإيماء إلى
ملاحظتها عند قراءتها، انظر إلى قوله تعالى "الذين يقيمون الصلاة" و بما
رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا" الآية^٤ "و إذ قالوا اللهم ان
١٠ كان هذا هو الحق من عندك" الآية "و ما كان صلاتهم عند البيت
الامكاه و تصدية" "و الذين كفروا إلى جهنم يحشرون" [الآية-^٥] "فان لله
خمسه و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل"
الآية "الم ترالى الذين خرجوا من ديارهم بطرا و رياء الناس" الآية،
و لقد انطبقت السورة بمعانيها و تراكيبها العظيمة و نظومها و مبانيها
١٥ على الآراذل الأدنياء الأسافل، و أحاطت برؤسهم بعد كلماتها مفردة
قبل حروفها، و أدارت عليهم كؤوس حنوفها من نوافذ الرماح بأيدى.

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الوجود (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى
الأصل و ظ: و يؤتون الزكاة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٤) من
ظ و م، وفى الأصل: الآيات (٥) من ظ و م، وفى الأصل: خروجها.

جنودها ومواضى سيوفها، و ذلك أن عدة كلماتها خمس وعشرون كلمة،
 فاذا اعتبرتها من أول سقى [النبوة وازت السنة الثانية عشرة من -١]
 الهجرة، و ذلك أو آخر^٢ خلافة الصديق رضى الله عنه، و فيها لم يبق
 على يده^٣ أحد من المصلين الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله
 عليه و سلم أو منعوا الزكاة، فبين أنهم ما كانوا يصلون في حياته صلى الله
 عليه و سلم ويزكون لإلراياء الناس فعل الأدنياء الانحاس حتى حل بهم
 الويل بأيدي جنود الصديق الذين جاؤهم بالرجل و الخيل فزقوم عن
 آخرهم، و لم تمض تلك السنة إلا وقد فرغ منهم بالفراغ من بنى حنيفة
 بالهامة و أطراف بلاد اليمن من أهل النجير ببلاد كندة و الأسود العنسى
 من صنعاء، و ما مضت سنة ست عشرة الموازية لعدد 'الكلمات بالبسلة' ١٠
 - و ذلك فى أوائل خلافة الفاروق - حتى زالوا من [جميع -١] جزيرة
 العرب و هم مشركو العرب و متصروهم و متمجسوم الذين كانوا بنواحي
 العراق و الشام و البحرين فأسلم أكثرهم، و ذهب الباقيون إلى بلاد الروم،
 فخل الويل بالمرائين من أهل الصلاة فاهم الذين أتى إليهم نبيهم صلى الله
 عليه و سلم [بالصلاة -٢] فاعرضوا عنها^٤ و الناس لهم تبع، و لم يصح ١٥
 فى هذه السورة اعتبار الضمائر لأن الدين فى هذا الحد كان قد ظهر على

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : اول (٣) من م، و فى
 الأصل : يد، و الكلمة ساقطة من ظ (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل :
 كلمات البسلة (٥) زيد من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ : عنه .

كل ظاهر، إلى حد لا إضمار [فيه-'] بوجه ولا عائق له ولا سائر، وكما
 أنه لا حاجة إلى الرمز بالضاهر، لما دقت له في الحافقين من البشائر، على
 رؤس المنابر / والمنائر، فكذلك لم يناسب بعد الوصول إلى هذا الحال
 المكشوف، الإيحاء بالدلالة بأعداد الحروف -^٢ والله أعلم بالصواب، وإليه
 المرجع والمآب^٢ .

/ ٨٦٥

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م .

سورة الكوثر^١ وتسمى النحر^٢

مقصودها المنحة بكل خير يمكن أن يكون ، واسمها الكوثر واضح في ذلك ، وكذا النحر لأنه معروف في نحر الإبل^٣ ، وذلك غاية الكرم عند العرب ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الجواد الأكرم [الذى - ^٤] لا حد لغائض فضله ﴿ الرحمن ﴾ الذى شمل الخلاق بجوده^٥ وفات بينهم^٥ في صوب وبله ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص حزبه بالاهتداء بهديه والاعتصام بحبله .

لما كانت سورة الدين بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق ، كانت بإفهامها^٦ داعية إلى معالى الشيم^٧ ، فجاءت الكوثر^٨ لذلك ، وكانت الدين قد ختمت بأجل البخل والخلا ، وأدنى الخلاق : المنع تنفيرا من البخل ومماجره^٩ . من التكذيب ، فابتدئت الكوثر بأجود الجود . العطاء لأشرف الخلاق رغبيا فيه وندبا إليه ، فكان كأنه قيل : أنت يا خير الخلق غير متلبس بشئ مما نهت^٩ عنه تلك المختمة بمنع الماعون : ﴿ أنا ﴾ بما لنا من العظمة ،

- (١) الثامنة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ٣ (٢-٢) سقط بين الرقين من ظ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الاب (٤) زيد من ظ و م . (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بوجوده (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : ولا (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بإفهامها (٨-٨) من ظ و م ، وفي الأصل : فكانت بمجيئها (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : غيت - كذا .

و أكد لأجل تكذيبهم^١ : ﴿ اعطيناك ﴾ أى خولناك مع التمكين^٢ العظيم ،
ولم يقل : آتيناك ، لأن الإيتاء أصله الإحضار وإن اشتهر فى معنى^٣ الإعطاء .
﴿ الكوثره ﴾ الذى هو من جملة الجود على المصدقين يوم الدين .

و لما كان كثير الرئيس أكثر من كثير غيره ، فكيف بالملك فكيف
بملك الملوك ، فكيف إذا أخرجه^٤ فى صيغة^٥ مبالغة فكيف إذا كان فى
مظهر العظمه ، فكيف إذا بنيت الصيغة على الوار الذى له العلو والغلبة
فكيف إذا أتت أثر الفتحه التى لها من ذلك [مثل ذلك -^٦] بل أعظم ،
كان المعنى : أفضنا عليك وأبجناك من كل شئ من الأعيان و المعانى
من العلم و العمل و غيرهما من معادن الدارين و معاونهما الخير الذى
١٠ لا غاية له ، فلا يدخل تحت الوصف ، فأغنياك عن أن تؤثر بذلك
أو توفر مالك بجلب نفع أو دفع ضرر ، ومنه النهر^٧ الذى فى الجنة ويسقى
المؤمنين من الحوض الممدود [منه -^٨] فى المحشر الذى مثاله فى الدنيا
شريعته صلى الله عليه و سلم التى عراها و أسبابها عدد النجوم الذين هم
علماء أمتهم [المقتدى بهم ، فقد اجتمع لك الغبطتان : أشرف العطاء
١٥ من أكرم المعطين -^٩] وأعظمهم .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما نهى عباده عما يلتذ به من

(١) زيد فى الأصل و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م لفظاتها (٢) من
ظ و م ، وفى الأصل : التمكن (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : منع .
(٤-٥) م م ، وفى الأصل : بصفة ، وفى ظ : بصفة (٥) زيد من م (٦) من
ظ و م ، وفى الأصل : النهى (٧) زيد من ظ و م .

أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتعزز بالمال والجاه وطلب الدنيا، أتبع ذلك بما منح بنيه مما هو خير مما يجمعون، وهو الكوثر وهو الخير الكثير، ومنه ' الحوض الذي رده أمته في القيامة، لا يظلم من شرب منه /، ومنه مقامه المحمود الذي يحمده^٢ فيه الأولون والآخرون ٨٦٦ / عند شفاعته العامة للخلق^٣ وإراحتهم من هول الموقف، ومن هذا الخير ه ما قدم له في دنياه من 'تحليل الغنائم' والنصر بالرعب و الخلق العظيم إلى ما لا يحصى من خيري^٤ الدنيا والآخرة مما ببض ذلك خير من الدنيا وما فيها إذ لا تعدل الدنيا وما فيها واحدة من هذه العطايا "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" و من الكوثر والخير الذي أعطاه الله كتابه المبين، الجامع لعقل الأولين والآخرين، ١٠ والشفاء [لما - ٦] في الصدور .

ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا يأتي عليه حصر مما لا يناسب أدناه نعيم الدنيا بجملتها، قال مينا [له - ٦] منها على عظيم ما أعطاه "لا تمدن عينيك إلى ما متعنا" إلى قوله "ورزق ربك خير وابقى" فقد اضمحل في جانب نعمة الكوثر الذي أوتي كل ما ذكره الله تعالى ١٥ في الكتاب من نعيم أهل الدنيا وتمكن^٥ من تمكن منهم، وهذا أحد

(١) من م، وفي الأصل وظ : هو (٢) من ظ و م، وفي الأصل : يحمد .
(٣) من م، وفي الأصل وظ : الحق (٤ - ٤) من ظ و م، وفي الأصل :
جليل الغناء (٥) في ظ و م : خير (٦) زيد من ظ و م (٧) زيدت الواو في
الأصل وظ ولم تكن في م فحذفناها (٨) من ظ و م، وفي الأصل : تمكين .

موجبات تأخير هذه السورة، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا ولا ذكر أحد من المتنعمين بها لانقضاء هذا الغرض وتمامه، وسورة الدين آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك كما تقدم من تمهيد إشاراتها، وتبين بهذا وجه^١ تعقيبها بها - والله تعالى أعلم - انتهى .

٥ ولما أعطاه ما فرغه^٢ به للعبادة^٣ وأكسبه غنى لا حاجة معه، سبب عنه قوله آمرا بما هو جامع لمجامع الشكر: ﴿فصل﴾ أى بقطع العلائق من^٤ الخلائق بالوقوف بين يدي^٥ الله فى حضرة المراقبة شكرا لإحسان^٦ المنعم خلافا للساهى عنها والمرأى فيها .

و [٦-] أتى بمظهر العظمة لتكثير العطاء فتسبب عنه الأمر بما ١٠ للملك من العلو، وكان أمره صلى الله عليه وسلم تكوينيا لا إباء معه، وقع الالتفات إلى صفة الإحسان المقتضى للترغيب، والإقبال لما يفيد من التحبيب، مع التصريح بالتوحيد، وإفادة أن العبادة لا تقع إلا شكرا^٧ فقال تعالى: ﴿لربك﴾ أى المحسن إليك بذلك سرا و علنا مراغما من شئت فلا سبيل لأحد عليك ﴿وانحره﴾ أى أنفق له السكوثر من المال ١٥ على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنعهم الماعون لأن النحر أفضل نفقات

(١) من م، وفى الأصل و ظ : الوجه (٢ - ٢) من م، وفى الأصل : منه للعباد، وفى ظ : للعبادة (٣) من ظ و م، وفى الأصل : عن (٤) زيد فى الأصل و ظ : حضرة، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) من ظ و م، وفى الأصل : لانعام (٦) زيد من م (٧) من م، وفى الأصل و ظ : شكر .

العرب لأن الجزور الواحد يغني مائة مسكين، وإذا أطلق العرب المال انصرف إلى الإبل، ولذا^١ عبر عن هذا المراد بالنحر ليفهم الزجر عما كانوا يفعلونه من الذبح للأوثان، ومن معناه أيضا أظهر الذل والمسكنة والخشوع في الصلاة بوضع اليمنى على اليسرى تحت النحر هيئة الدليل الخاضع، وقد^٢ قابل في هذا أربعا / من سورة الدين بأربع، وهي البخل ٥ / ٨٦٧ / بالإعطاء، وإضاعة الصلاة بالأمر بها، والرياء بالتخصيص بالرب، ومنع الزكاة بالنحر.

ولما أمره باستغراق الزمان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلائق بأعلى الخلاق، علله بما حاصله أنه لا شاغل له ولا حاجة أصلا تلم به فقال: {ان شئتكم} أي مبغضكم والمتبرئ منكم والمستهين ١٠ بك مع ما أوتيت من الجمال، والنخصال الفاضلة والكمال {هو} أي خاصة {الابتدع} أي المقطوع من أصله والمقطوع النسل والمعدم والمقطع الخير والبركة والذكر، لا يعقبه من يقوم بأمره ويذكر به وإن جمع المال، وفرغ بدنه لكل جمال، وأنت الموصول الأمر، النابه الذكر، المرفوع القدر، فلا تلتفت إليهم بوجه من الوجوه، فانهم أقل ١٥ من أن يبالى بهم من يفرغ نفسه للفوز بالمثل في حضراتنا الشريفة،

(١) في ظ: لعله (٢) زيد في الأصل: قال، ولم تكن الزيادة في ظ وم
 لحذفناها (٣) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها
 (٤-٥) من ظ وم، وفي الأصل: في المثل (٥) زيد في الأصل: والانتعاز،
 ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها.

و الافتخار بالعكوف في أبوابنا العالية المنيفة ، لك ما أنت عليه ، ولهم
 ما هم فيه ، فالآية الأخيرة^١ النتيجة لأن من الكوثر علو أمره وأمر
 محبه وأتباعه في ملكوت السماء والأرض ونهر الجنة وسفول شأن
 عدوه فيها ، فقد التف^٢ كما ترى مفصلها بموصلها ، وعرف آخرها من
 أولها ، وعلم أن وسطها كالحدود الوسطى معانقة للأولى بكونها من ثمارها ،
 ومتصلة بالآخرى لأنها من غايات مضمارها ، وقد صدق الله ومن
 أصدق من الله قولا^٣ ، لم يبق لأحد من مبغضيه ذكر بولد ولا تابع ،
 ولا يوجد [لهم -^٤] شاكر ولا ممدح ولا رافع ، وأما هو صلى الله عليه
 وسلم فقد ملأت ذريته من فاطمة الزهراء الأرض ، وهم الإشراف
 ١٠ مع مبالغة الملوك في قتلهم ، وإخلاء الأرض من نسلهم ، خوفا من شرفهم
 العالي على شرفهم ، ورفعتهم بالتواضع [الغالب -^٥] لصلفهم ، وإذا
 راجعت آية " ما كان محمد أباحد من رجالكم ولكن رسول الله "
 من الأحزاب علمت أن توفي بنو عليهم السلام قبله من إعلاء قدره
 ومزيد تشريفه بتوحيد ذكره ، وأما أتباعه فقد استولوا على أكثر
 ١٥ الأرض وهم أولو الفرقان ، والعلم الباهر والعرفان ، ويؤخذ منها أن
 من فرغ نفسه لربه أهلك عدوه وكفاه كل واحد منهم ، وقد علم

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : الآخرة (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :

التفت (٣) زيد في الأصل : ومن أصدق من الله حديثا ، ولم تكن الزيادة في

ظ و م لحذفها (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، وفي الأصل وظ : مدح .

(٦) سقط من ظ و م .

أن حاصل هذه السورة المن عليه صلى الله عليه وسلم بالخير العظيم الذى من جلته النهر المادّ من الجنة فى المحشر المورد لمن اتبعه، المنوع من تأبى عنه و قطعه، و أمره بالصلاة و النحر للتوسعة على المحايج، و البشارة بقطع دابر أعدائه و نصر جماعة أوليائه. كما أن من مقاصد الأعراف المناظرة لها فى رد المقطع على المطلع^٢ تهديد الظالمين^٣ بالإهلاك ه فى قوله "و كم من قرية أهلكناها" - الآية. و تصوير ذلك بذكر مصارع^٤ الماضين لمخالفتهم الرسل عليهم الصلاة و السلام و الأمر بالصلاة و ستر العورة و ما يقصد بالنحر بقوله "خذوا زينتكم عند كل مسجد و كلوا و اشربوا" الآيات، و ذكر من يمنح ماء / الجنة و من يمنعه بقوله تعالى "و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله" - الآيات، و قوله تعالى "ورحمى وسعت كل شيء فسا كتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة و الذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يمدونه مكتوبا عندهم" الآيات^٥ - هذا ما يتعلق بتفسير تراكيبها و جملها، و "تأويل تفاصيلها" و مجملها، و كذا نظيرتها فى مبادئ أمرها و مكملها، ثم إن هذه السورة عشر كلمات فى الكتابة^٦ ١٥ إشارة إلى أن [تمام - '] بتر شائه يكون مع تمام السنة العاشرة من

(١) من ظ و م، وفى الاصل: اتبع (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: تهديدا للظالمين (٣) من ظ و م، وفى الأصل: مصادع (٤) فى ظ و م: الآية. (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل: تفاصيل تأويلها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الكتاب (٧) زيد من ظ و م.

الهجرة، وكذا كان، لم تمض السنة الحادية عشرة من الهجرة و في جزيرة العرب إلا من يرى أشرف أحواله بذل نفسه و ماله في حبه، وإذا أضفنا إليها الضميرين المستترين كانت^١ اثنتا عشرة، وفي السنة الثانية عشرة من النبوة بايعه صلى الله عليه وسلم الأنصار [على مباينة الكفار، وإذا أضيف إلى العشرة الضمائر البارزة الخمسة كانت خمس عشرة، فتكون إشارة • إلى أنه صلى الله عليه وسلم -^٢] عند تمام السنة الخامسة عشرة من نبوته ييسر يده العالية لبر أعدائه و^٣ كذا كان^٤ في رقعة بدر الرفيعة القدر، ففي ضمائر الاستتار كانت البيعة و هي مستترة، وفي الضمائر البارزة كانت بدر و هي مشتهرة، وإذا أضيف إلى ذلك الضميران المستتران ١٠ كانت سبع عشرة، وفي السنة السابعة عشرة من نبوته كانت غزوة بدر الموعد، وفي [فيها -^٥] النبي صلى الله عليه وسلم بالوعد^٦ في الإتيان^٧ إلى بدر للقاء قريش للقتال و مقارعة الأبطال، فأذنهم الله فلم يأتوا، وإنما اعتبر ما بعد الهجرة من أحوال النبوة [عند ما عدت الكلمات الخطية العشر لكونها أقوى أحوال النبوة -^٨] كما^٩ أن الكلمات الخطية ١٥ أقوى من الضمائر وإن اشترك الكل في اسم الكلمات، فلذلك أخذ تمام البتر للشأن^{١٠} وهو ما كان في السنة الحادية عشرة من هلاك^{١١} أهل الردة وثبات العرب في صفة الإسلام. ولما ضمت الضمائر البارزة

(١) من ظ و م، وفي الأصل: كانتا (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من م، وفي الأصل و ظ: كان كذلك (٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: إلى إتيان. (٥) زيد في الأصل: ترى، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: إهلاك.

الخسة - التي هي أقرب من المسترة - إلى الكلمات الخطية [و أضعف من الكلمات الخطية - ^١] اعتبر من أول السورة لمناسبة ما كان من ضعف الحال فيما كان ^٢ قبل الهجرة، فوازي ذلك السنة الثانية من الهجرة التي كانت ^٣ فيها غزوة بدر الكبرى، وهي وإن كانت من العظم على أمر بالغ جدا لكنها كانت على وجه مخالف للقياس، فإن حال الصحابة هـ رضى الله عنهم كان [فيها - ^١] في غاية الضعف، ولكونها أول ما وقع فيه ^٤ النصر من الغزوات لم تكن نفوس المخالفين مدعنة لأن ما بعدها يكون مثلها، فاذا ضم ^٥ إلى ذلك الضميران المستتران - وهما أضعف [من - ^١] البارز - انطبق العدد على سنة غزوة بدر الموعد في سنة أربع، وهي وإن كانت قوية لكون قريش ضعفوا عن اللقاء ١٠ لكن [كان - ^١] حالها أضعف من بدر التي وقع فيها القتال وأستر، وكون كلماتها الخطية و الاصطلاحية التي هي أبعاض الكلمات الخطية سبع عشرة مؤذن بأن الأمر في "فصل" مصوب بالذات و بالقصد الأول إلى الصلوات الخمس التي / هي ^٦ سبع عشرة [ركعة - ^١]، وأن من ثابر عليها [كان - ^١] مصليا خارجا من عهدة الأمر، فاذا قصدت ١٥ [في - ^٢] السفر بما اقتضته صفة الترية ^٧ بالإحسان نقصت بقدر عدة

- (١) زيد من ظ وم (٢) سقط من ظ وم (٣) من م، وفي الأصل وظ : كان.
 (٤) من م، وفي الأصل وظ : فيها (٥) من ظ وم، وفي الأصل : انضم .
 (٦) زيد في الأصل : سنة، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها (٧) زيد من م (٨) من ظ وم، وفي الأصل : الربوية .

الضماير سوى الذى 'وفى الامر' بها لان الامر الناشئ عن مظهر العظمة لا يليق فيه التخفيف بنفس كلمة الامر، وإذا أضفنا إليها كلمات البسمة الأربع كان لها أسرار كبرى من جهة أخرى، وذلك أن الكلمات الخطية تكون أربع عشرة إشارة إلى أن ابتداء البتر للاضداد يكون بالقوة القريبة من الفعل^٢ بالتهيين له^٢ فى السنة الرابعة عشرة من النبوة، وذلك عام الهجرة، فاذا أضفنا إليها^٣ الضماير البارزة التى هى أقرب إلى الكلمات الخطية وهى خمسة كانت تسع عشرة، وفى السنة التاسعة [عشرة -^٤] من النبوة وهى السادسة من الهجرة كان الفتح المبين على الشائتين الذى أنزل الله فيه^٥ سورة الفتح، فاذا أضفنا إليها الضميرين المستترين كانت^٦ ١٠ إحدى وعشرين وهى سنة ثمان من الهجرة سنة الفتح الأكبر الذى عم العلم فيه بأن الشافى^٧ هو الأبر، وإذا اعتبرت حروفها المتلفظ بها كانت أربعة وأربعين حرفاً، فاذا ناظرناها بالسنين من أول حين النبوة كان آخرها سنة إحدى وثلاثين من الهجرة. وهى سنة البتر الأعظم لشافيه الأكبر الذى مزق كتابه، وكان^٨ مالكا لبلاد اليمن، وهو قدر كبير ١٥ من بلاد العرب وكذا لغيرهم مما قارب بلاده. وكانت قريش تجعله من عدادهم كما مضى بيانه فى سورة الروم وهو كسرى^٩ ملك الفرس،

(١-١) من ظ و م، وفى الأصل: بالامر (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: بالتهويل (٣) من ظ و م، وفى الأصل: اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: فيها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: كانتا (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من ظ و م، وفى الأصل: كسر.

ففيها كان انقراض ملكهم بقتل آخر ملوكهم يزدجرد ، كما أنك إذا
اعتبرت كلماتها الخطية مع الضمائر البارزة التي هي كلمات اصطلاحية
دون ما استتر - فان وجوب استتاره منع [من - '] عده - كانت تسع عشرة
كلمة ، فاذا اعتبرت بها ما بعد الهجرة وازت وقت موت قيصر طاغية
الروم في سنة تسع عشرة من الهجرة أهلكه الله ، وقد تجهز إلى قتال
العرب بالإسكندرية بنفسه ، وأمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم
فكسر الله بموته شوكة الروم ، واستأسدت العرب عند ذلك ، فكانت
الأحرف مشيرة إلى بئر الشاني من الفرس ، و [الكلمات مشيرة إلى
بئر الشاني من الروم ، [و الفرس - '] أولى بإشارة الأحرف لأنهم ليسوا
بذوي علم ، و الروم بالكلمات لأنهم أهل علم ، و الكلمات أقرب إلى
العلم ، و إذا اعتبرت أحرف البسملة اللفظية كانت ثمانية عشر حرفاً ، فاذا
جعلتها سنين^١ من أول النبوة كان آخرها سنة خمس من الهجرة ، وفيها
كانت غزوة الأحزاب ، قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافهم منها
« الآن نفزوم و لا يفزونا ، فهو أول أخذ الشاني في الابتداء^٢ ، و إذا
اعتبرت الأحرف بحسب الرسم كانت تسعة / عشر آخرها سنة ست ، ١٥ / ٨٧٠
و هي عمرة الحديبية سنة الفتح السبي و هو الصلح الذي نزلت فيه سورة
الفتح و سماه الله فتحاً ، و قال النبي صلى الله عليه وسلم : لأنه أعظم الفتح
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : سبعين (٣) من ظ
و م ، و في الأصل : الابتداء .

فكان سبب الفتح الأعظم بخاططة الكفار لأهل الإسلام بالصلح، فأسرعوا
إلى الإسلام بالدخول فيه لما رأوا من محاسن الدين و إعجاز القرآن،
فكانوا يوم الفتح عشرة آلاف بعد أن كانوا قبل ذلك بستين يوم
الحديبية ألفاً وأربعمائة - والله الموفق، هذا يسير من أسرار هذه السورة
٥ و قد علم منه من إعجازها ما يشرح الخواطر و يبهج النواظر، لأنه يفوق
حسنا على الرياض النواضر، و علم أيضا جنون الخبيث المسخرة مسيلة
الكذاب - عليه اللعنة والتباب، وله سوء المنقلب والمآب، حيث
قال في معارضتها: انا أعطيناك الجماهر، فصل لربك و هاجر، إنا كفييناك
المكار أو الجماهر، لأنه كلام، مع أنه قصير المدى، ركيك اللحمية و السدى،
١٠ غريق الساحة و الفنا في الهلك و الفنا، ليس فيه غنى، بل كله نصب
و عنا، هلهل النسيج^٣ رث القوى، متفصم العرى، متخلخل الأرجا، فاسد المعنى
و البنا، سافل الالفاظ مر الجنا، لأن العلل منافية للعلولات، و الشوامل
منافرة للشمولات، ثم رأيت في دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر
الجرجاني أن الوسطى من قال: العاهر و جاهر فان كان بالدين لم يمنع
١٥ الصدح بالباطل، و ذلك لا يرضاه عاقل، و إن كان بالحرب كان على
النصف لكل من تدبر فعرف، و لانص فيه على الغلب بمطلوبه، و لا طلب

(١) زيد في الأصل: من، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من م،
و في الأصل و ظ: ان (٣) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و م
لحذفها (٤) في الأصل بياض مائة من ظ و م (٥) من م، و في الأصل
و ظ: في الدين .

مع نقص الجود على كل تقدير، الذى هو المقصود للفقير، والمأمور
والأمير، هذا مع الإغارة على الأسلوب والحذر على المعهود غير محاذ
"فى القصاص حياة" فى إسقاط "القتل أننى للقتل" بالرشاقة مع
الوجازة، و العذوبة مع البلاغة، فى إصابة حاق المعنى بما يقود إلى
السماح^١ بالنفس، و يحمل على المبادرة إلى امثال الأمر، و الأولى من هـ
سحيق عقل الخسيف، و أكله؟ إلى الخلق مع نقصان المعنى السار للأسرار
والأخرى مهمة^٢ لذوى الشبه^٣ والستر مع ما فاتها من قصر الخسار
و خصوص التبار إلى ما حوت من بيان الكذب البتار للأعمار المخرب
للديار تصديقا للنبي صلى الله عليه وسلم البار بأيدي صحابته الأخيار^٤، إن
فى ذلك لبرة لأولى الأبصار - فسبحان من علا فعلا كلامه كل كلام، ١٠
والسلام^٥ والحمد لله على كل حال^٥ .

(١) من م، وفى الأصل و ظ : الساحة (٢ - ٢) من م، وفى الأصل
و ظ : لذى الشبهة (٣) من م، وفى الأصل و ظ : الخيار (٤ - ٤) سقط إما
بين الرئين من ظ و م .

سورة الكافرون^١ وتسمى الإخلاص والمقشقة

/ ٨٧١

/ مقصودها إثبات مقصود الكوثر بالدليل^٢ الشهودى على منزلها كامل العلم شامل القدرة لأنه المنفرد بالوحدانية، فلذلك لا يقاوى من كان معه، ولذلك لما نزلت قرأها صلى الله عليه وسلم [عليهم -^٣] فى المسجد أجمع ما كانوا، وهذا المراد بكل^٤ من أسمائها. أما الكافرون فن وجهين، ناظر إلى إثبات، وناظر إلى نفي، أما المثبت فن حيث أنه إشارة إلى^٥ تأمل جميع السورة من إطلاق البعض على الكل، وأما النافي فن جهة أنهم^٦ إنما كفروا^٧ بانكار ما هو مقصودها إما صريحا كالوحدانية وتمام القدرة، وإما لزوماً وهو العلم فانه يلزم من نقص القدرة نقصه، وأما الإخلاص ١٠ فلائن من اعتقد ذلك كان [مؤمناً -^٨] مخلصاً بريئاً من كل شرك و^٩ كل كفر، وأما المقشقة فلائها أبرأت من كل نفاق وكفر، من قولهم: تقشقت قروحه - إذا تقشرت للبرء، وعندى أنه من الجمع أخذاً من القش الذى هو تطلب المأكول من ههنا و ههنا فانهما جمعت

(١) التاسعة و المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٢ (٢) من ظ وم، وفى الأصل: بابل (٣) زيد من م (٤) من م، وفى الأصل وظ: من كل (٥) زيد فى الأصل: انه، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فخذناها. (٦-٦) من ظ وم، وفى الأصل: ما كانوا (٧) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فخذناها.

جميع أصول الدين ، فاثبتتها على آتم وجه ، فلزم من ذلك أنها جمعت
جميع أنواع الكفر لحذفها ونقتها ، وقد تقدم تمام توجيه ذلك في
براءة ، فأمرهما دائر على الإخلاص ، و من المعلوم أن من أخلص لله
كان من اهل ولايته حقا ، فحق له ما يفعل الولي مع وليه ، ولذلك
- والله أعلم - سنت قراءتها مع " قل هو الله أحد " في ركعتي الفجر
ليحوز 'فاعل ذلك' بالبراءة من الشرك و الاتصاف بالتوحيد أول النهار ٥
ثمرة ما ورد أن من صلى الصبح كان في ذمة الله ، و من كان كذلك
كان جديرا بأن ينال ما أشارت إليه السورتان اللتان بين سورتي
الإخلاص من الفتح له و النصر و الخيبة لعدوه و الخسر و الحسرة :
(بسم الله) المحيط علما و قدرة ، فهو الواحد الذي لا يستطيع أحد أن
يقدر قدره (الرحمن) الذي عم برحمته^٢ البيان من أوجب عليهم شكره ١٥
(الرحيم) الذي خص أهل وده فالتزموا^٣ نهيه و أمره^٤ .
لما أخبره في الكوثر^٥ أن العريق في شتائه^٦ عدم ، و جب أن يعرض
[عنه - ٧] و يقبل بكليته على من أنعم عليه بذلك ، فقال معلما له ما
يقول و يفعل : (قل) و لما كان شائه أعرق الخلق في الضلال و البعد
من الخير ، قال مناديا له بأداة البعد و إن كان حاضرا معبرا بالوصف ١٥

- (١) زيد في الأصل : جميع ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢ - ٣) من
ظ و م ، وفي الأصل : فاعلها (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : برحمته .
(٤ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : امره ونهيه (٥ - ٥) من ظ و م ، وفي
الأصل : أخبر بالكوثر (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : شائه (٧) زيد من ظ و م .

المؤذن بالرسوخ : ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ أي الذين قد حكم بثباتهم على الكفر، فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لو جردوها من أدناس الحظ، وهم كفرة مخصوصون وهم من حكم بموته على الكفر بما طابقه من الواقع، وبما دلت عليه التعبير بالوصف^١ دون الفعل، واستغرقت اللام كل من كان على هذا / الوصف في كل مكان و كل زمان، وإنما عبر بالجمع الذي هو أصل في القلة وقد يستعار للكثرة إشارة إلى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى حقارة الكافر وذلة وإن كان كثيرا - كما يشير إليه جعل كل كلمة منها بحرف من ١٠ الكوثر كما سيأتي^٢، وفي مناداتهم بهذا الوصف الذي يستردلون في بلدتهم ومحل عزهم^٣ وحيثهم إيدان بأنه محروس منهم علما من أعلام النبوة.

وقال [الإمام -^٤] أبو جعفر ابن الزبير : لما انقضى ذكر الفريقين المتردد ذكرهما في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره على اختلاف أحوال ١٥ كل فريق وشتى درجاتهم، وأعنى بالفريقين من أشير إليه في قوله سبحانه وتعالى "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" فهذا طريق أحد الفريقين، وفي قوله "غير المعضوب عليهم ولا الضالين"

(١) من م، وفي الأصل و ظ : من الوصف (٢) في ظ : يأتي (٣) من ظ وم، وفي الأصل : عزتهم (٤) زيد من ظ وم .

إشارة إلى طريق من كان في الطرف^١ الآخر من حال أولئك الفريق
 إذ ليس إلا طريق السلامة أو طريق الهلاك "فريق في الجنة وفريق في
 السعير"، "فمنكم كافر ومنكم مؤمن" والسالكون^٢ طريق السلامة فأعلى درجاتهم
 مقامات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم يليهم أتباعهم من
 صالحى العباد وعلماؤهم العاملين وعبادهم وأهل الخصوص منهم والقرب^٥
 من أحوال من تنسك منهم، ورتبتهم مختلفة وإن جمعهم جامع
 وهو قوله "فريق في الجنة"، وأما أهل التشكك عن هذا^٢ الطريق وهم
 الهالكون فعلى طبقات أيضا، [و-^٤] يضم جميعهم طريق واحد فكيفما
 تشعبت الطرق فإلى ما ذكر من الطريقين [مرجعها -^٤]، وباختلاف
 "سبل الجميع" عرفت [آى-^٤] الكتاب وفصلت، ذكر كله تفصيلا^{١٠}
 لا يبق معه ارتياب لمن وفق، فلما انتهى ذلك كله بما يتعلق به، وتداولت
 بيانه الآى من لدن قوله بعد أم القرآن "هدى للتقين" إلى قوله
 "إن شئتكم هو الأبر" أتبع ذلك بالتفاصيل والتسجيل فقال تعالى "قل
 يا أيها الكافرون"، فبين سبحانه أن من قضى عليه بالكفر والوفاة^٨
 عليه لا سبيل له إلى خروجه عن ذلك، ولا يقع منه الإيمان أبدا "ولو^{١٥}
 أتانا زلزال إليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا

(١) من ظ و م، وفي الأصل: طرف (٢) من ظ و م، وفي الأصل: كون.
 (٣) من ظ، وفي الأصل و م: هذه (٤) زيد من ظ و م (هـ-ه) من ظ و م،
 وفي الأصل: سبيل الجمع (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: وقف (٧) من
 ظ و م، وفي الأصل: لما (٨) من ظ، وفي الأصل و م: الموافاة.

ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله“ و لو أنهم بعد عذاب الآخرة ومماينة
 'العذاب و' البحث وعظيم تلك الالهوال وسؤالهم الرجوع إلى الدنيا
 وقولهم "ربنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل" فلو^٢ أجيوا
 إلى هذا و^٣ رجعوا لعادوا إلى حالهم الاول "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه"
 تصديقا لكلمة الله وإحكاما / لسابق قدره "افن حق عليه كلمة العذاب افانت
 تنقذ من فى النار" فقال لهم "لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما
 اعبد" إلى آخرها، فبان أمر^٤ الفريقين وارتفع الإشكال، واستمر كل
 [على - °] طريقه "فلا تذهب نفسك عليم حشرات" [إن - °] عليك
 الا البلاغ" فتأمل موقع هذه^٥ السورة وأنها الخاتمة لما قصد فى الكتاب
 ١٠ يلح لك وجه تأخيرها - والله أعلم - انتهى .

و لما كان القصد لإعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه، و أنه لا يبالى
 بهم بوجه لأنه محفوظ منهم، قال مؤذنا بصدق خبره تعالى آخر الكوثر
 من حيث أنه مع الجزم بالمنازمة لا يستطيعون له نوع مكابدة نافذة^٦،
 بادئا بالبراءة من جهة لأنها الاعم: (لَا اعبد) اى الآن ولا فى مستقبل
 ١٥ الزمان لأن "لا" للمستقبل و"ما" للحال، كذا قالوا، و ظاهر عبارة سيويه
 فى قوله: "لن" ننى لقوله "سيفعل" "ولا" لقوله "يفعل"، ولم يقع:

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: فلم.
 (٣) زيد فى الأصل: لو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) فى الأصل
 بياض ملأناه من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، وفى الأصل و ظ :
 هذا (٧) من م، وفى الأصل و ظ : نافذ (٨) من ظ و م، وفى الأصل: قوله .

أنها تقع للمضارع الذي لم يقع سواء كان في غاية القرب من الحال أم لا، كما نقلته عنه في أول^٢ البقرة عند "ولن تفعلوا" على أن نطقنا بهذا الكلام لا يكاد يتحقق حتى يمضى زمن فيصير [مستقبلا -^٢]، فلذا عبر بـ"لا، دون [دما -^٢] بشارة بأنه سبحانه يثبت^٢ على الصراط المستقيم، ولا يظفرهم^٤ به - علما من أعلام النبوة .

ولما كان في معبوداتهم ما لا يعقل، وكان المقصود تحقير كل ما عبده سوى الله، عبر بـ"دما، فقال: ﴿ما تعبدون﴾ أي الآن وفي آتى الزمان من دون الله عن المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه^٥ العبادة في^٦ سر ولا أعلن لأنه [لا -^٢] يصلح للعبادة بوجه .

ولما بدأ بما هو الآحق بالبداة^٧ وهو البراءة من الشرك، والظاهرة^{١٠} من وضر الإفك، لأنه من دره^٨ المفاسد، فأبلغ في ذلك بما هو الحقيق بحاله صلى الله عليه وسلم، وكانوا هم يعبدون الله تعالى على وجه الإشراك، وكانت العبادة مع الشرك غير معتد بها بوجه، نفي عبادتهم له في الجملة الاسمىة الدالة على الثبات لا في الفعلية الدالة على^٩ نفي كل قليل وكثير من حيث [أن -^٢] الفعل نكرة في سياق النفي فقال: ﴿ولا أنتم تعبدون﴾^{١٥} أي عبادة معتدا بها بحيث يكون أهلا لأن تكون وصفا ثابتا .

(١) من ظ و م، وفي الأصل: سورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، وفي الأصل و ظ: ثبته (٤) من ظ و م، وفي الأصل: لا يظفر (٥) من م، وفي الأصل و ظ: الوجوه (٦) من م، وفي الأصل و ظ: لامن (٧) من ظ و م، وفي الأصل: بالبراءة (٨) من م، وفي الأصل و ظ: وراء .

ولما كانوا لا نزاع لهم في أن معبوده عالم، وكانت "ما" سالحة
 اللاطلاق عليه سبحانه وتعالى، عبر فيه أيضا بها لأن ذلك - مع أنه
 لا ضرر فيه - أقرب إلى الإنصاف، فهو أدعى إلى عدم المراءاة أو الخلاف،
 فقال^٢: ﴿ مَا أَعْبُدُ ﴾ أى الآن و ما بعده لأن معبودى^١ - [وله -] العلم
 ٥ التام و القدرة الشاملة - أبعدكم عنه فلا مطمع في الوفاق بيننا .

و لما كان ما نقي عن النبي صلى الله عليه وسلم [لا يدخل فيه الماضى،
 و كان عدم المشاركة بوجه من الوجوه في زمن من الأزمان أدل على
 البراءة و أقعد في دوام الاستهانة، و كانوا يعدون سكوته صلى الله عليه
 وسلم عنهم -] ° فيما قبل النبوة عبادة، و كانوا / غير مقتصرين^٣ على
 ١٠ عبادة أصنامهم التى^٤ اتخذوها ، بل إذا خرجوا من الحرم فنزلوا منزلا
 نظروا لهم حجرا ليستحسنوه فيعبودونه، فان لم يروا^٥ حجرا جمعوا شيئا من
 تراب و حلبوا^٦ عليه شيئا من لبن و عبودوه ما داموا في ذلك المنزل،
 و كان ذلك من أشد^٧ ما يعاب به من جهة عدم الشباب و أنه " لا معبود

-
- (١) زيد في الأصل و ظ : عدم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
 (٢) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) من م ، و في الأصل و ظ : قال .
 (٤) من ظ و م ، و في الأصل : معبدى (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ،
 و في الأصل : مسقصرين ، و في ظ : مختصرين (٧) من ظ و م ، و في الأصل :
 الذين (٨) من م ، و في الأصل و ظ : لم يجدوا (٩) من ظ و م ، و في
 الأصل : حلوا (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : ابتداء (١١) من م ، و في
 الأصل و ظ : انهم .

لهم معين، قال منبها على ذلك كاه: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ أى متصف بعبادة
﴿ما عبدتم﴾ أى فيما سلف، لم يصح وصنى قط بعبادة ذلك من أول
زمانكم إلى ساعاتنا هذه، فكيف ترجون ذلك منى وأنا لم أفعله ولا قبل
النبوة ولا كان من شأنى قط .

ولما كان هو صلى الله عليه وسلم ثابتا على إله واحد لم يعبد غيره ٥
ولم يلتفت يوما لفت سواه . وكان قد اتقى عنه بالجملة هذه الماضية
والتي أول السورة أن يعبد باطلهم حالا أو مآلا، وأن يكون عبده
قبل ذلك، وكان ربما ظن ظان أن النفى عنهم إنما هو لعبادة معبوده
فى الحال، نفى ذلك فى الاستقبال أيضا علما من أعلام النبوة مع تأكيد
ما أفادته الجملة الماضية جريا على مناهج^٢ العرب فى التأكيد قطعا لآمالهم ١٠
منه على أنهم وجه وآكده لأنه على وجه لا يقدر أن عليه لما تفيد كل
جملة مع^٣ التأكيد من فائدة جديدة مهمة، فقال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾
أى عبادة هى لكم وصف معتد به فى الحال أو الاستقبال .

ولما لم يكن قبل البعث مشهورا عندهم بعبادة الله سبحانه وتعالى،
عبر بما لا يتوجه [لهم ٦] إليه إنكار، وهو المضارع الذى ظاهره ١٥

(١) زيد فى الأصل: قد، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ
وم، وفى الأصل: مناهج (٣) من ظ و م، وفى الأصل: من (٤) من م،
وفى الأصل وظ و و (٥) من ظ و م، وفى الأصل: لم (٦) زيد
من ظ و م .

الحال أو الاستقبال^٦ مراداً به ما^٦ يشمل الماضي لما ذكر أبو حيان وغيره في سورة الحج عند "ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله" من أنه يطلق المضارع مراداً به مجرد إيقاع الفعل من غير نظر إلى زمان معين، فقال: ﴿مَا اعْبُدْهُ﴾ أى وجدت منى عبادته واتصفت بها الآن ٥ وفي ماضى الزمان^٦ ومستقبله اتصافاً يعتد به .

ولما كان ذلك كله^٦، وبدأ النفي في الجمل^٦ السابقة بالنسب إليه صلى الله عليه وسلم إيداناً بالاقتمام ببراهته منهم، أنتج قطعاً قوله مقدماً لما يتعلق بهم على وجه اختصاصهم به تأكيداً لما صرح به ما مضى من براهته منهم: ﴿لَكُمْ﴾ أى خاصة ﴿دينكم﴾ أى الذى تعلمون أنه لا أصل له يثبت عليه، ولا دليل يرجع بوجه إليه، لا أشارككم فيه بوجه ولا ترجعون عنه بوجه بل تموتون عليه موتاً لبعضكم حتف الآثف و لآخرين قتلاً على يدي بالسيف ﴿ولى﴾ أى خاصة ﴿دين﴾ من واسع روضة الإسلام إلى [أعلى - ١] مقام: [مقام - ٢] الإيقان والإحسان، وأنتم تعلمون - لو جردتم^٦ / عقولكم عن الهوى وأخلصتم أفكاركم من ٨٧٥ / الحية والإبابة - أنه كله دليل وفرقان ونور وحجة وبرهان، لا تشاركونى فيه بوجه، ولا تقدرُونَ على ردِّى عنه أصلاً، فكانت هذه علماً

(١ - ١) من ظ و م، وفي الأصل: مریداً لما (٢) من ظ و م، وفي الأصل: الازمان (٣) من ظ و م، وفي الأصل: كلمة (٤) من ظ و م، وفي الأصل: الجملة (٥) من ظ و م، وفي الأصل: ايكم (٦) زيد من ظ - (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، وفي الأصل: جردتكم .

من أعلام النبوة من حيث أنه مات منهم ناس كثير بعد ذلك على الكفر وآثم الله له هذا الدين، فصدق سبحانه فيما قال، وثبت مضمون الكوثر بأكل استدلال، وأما من آمن بعد ذلك فليس^٢ مراداً لأنه لم يكن عريقاً في وصف الكفران، ولا راسخاً في الضلال والطغيان، فأُسعده وصف الإسلام والإيمان، وساق الجمل كلها غير مؤكد إشارة إلى أنها هـ من الوضوح في حد لا خفاء به أصلاً. ولا شك أن آخرها الذي هو اختصاص كل بدينه هو أولها الذي أفاد أنه لا يعبد معبودهم ولا يعبدون معبوده فصار آخرها أولها. ومفصلها موصولها - هذا هو الذي دل عليه السياق، وليس فيه إذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليجتاج إلى نسخ، ومن أعظم دلائل إعجازها وجمعها للاماني في إشارتها^{١٠} وإيجازها أن حاصلها قطع رجاء أهل الكفران من أن يقاربهم النبي صلى الله عليه وسلم في أن يعدل بربه^{١١} أحداً في زمن من الأزمان، وذلك من أعظم مقاصد المناظرة لها في رد الآخر على [أول - ٧] الانعام لأنها^{١٢} السادسة في العد من الأول، كما أن هذه السادسة في العد من الآخر "اغفر الله اتخذ ولياً" "اغفر الله أتبنى حكماً" الآية، "اغفر الله أبغى ربا وهو ١٥

(١) من ظ و م، وفي الأصل: يعبد (٢) ف م: هو (٣) من ظ و م، وفي الأصل: فلم يكن (٤) من م، وفي الأصل و ظ: واهلها (هـ) من ظ و م، وفي الأصل: اثباتها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: به (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، وفي الأصل: كانها.

رب كل شيء - إلى غير ذلك من الآيات، و الفواصل و الغايات، هذا ما يتعلق بمعاني رآكيها و نظومها على [ما - '] هي عليه و زاتيها و سياقاتها^٢ و أساليها، و كلماتها الخطية سبع و عشرون إلى أربع كلمات البسمة لإحدى و ثلاثون إلى أربعة^٣ ضمائر مستترة خمس^٤ و ثلاثون إلى تسعة بارزة، فذلك أربع^٥ و أربعون كلمة الضمائر منها ثلاثة عشر هي مدة^٦ الإقامة بمكة المشرفة قبل الهجرة لأنها في الحفاء كالضمائر في خزائن السرائر، و لا سيما الأربع الأول منها الموازية لضمائر الاستتار و غير الضمائر إحدى و ثلاثون المناظر لها من السنين سنة إحدى و ثلاثين، و هي سنة قتل يزيد جرد ملك الفرس أكفر^٧ الكفرة من أهل ذلك الزمان و أعتامهم، و موافقة كلماتها في العدة لأحرف الكوثر مشيرة إلى أن اليسير من أتباعه صلى الله عليه و سلم أكثر و أكبر من كثير شائبه و أضداده و حاسديه، و قد دل على ذلك شاهد الوجود في يوم الفتح و المسلمون عشرة آلاف، و الكفار^٨ من قريش / و ممن حولهم لا يحصون كثرة، و قد كان فعلهم في ذلك اليوم ما شهد به اعتذار حماس الذي كان يعد امرأته أن يخدمها بعض المسلمين في قوله و قد فر هارباً و لم يستطع أن يغلق دراهه، بل قال

/ ٨٧٦

(١) زيد من م (٢) من م، و في الأصل و ظ : سياقتها (٣) من م، و في الأصل و ظ : أربع (٤) زيد في الأصل : وتسعون، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) من ظ، و في الأصل و م : أربعة (٦) من ظ و م، و في الأصل : عدة (٧) من م، و في الأصل و ظ : المشركون .

[لها - '] : أغلق بابي ، فقالت [له - '] : أين ما كنت تعدنى به ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخدمه إذ فرصفوان و فر عكرمه

و استقبلتهم بالسيوف المسله يقطعن كل ساعد و جمعه

ضربا فلا يسمع إلا غمغه بهم تهب^١ خلفنا و مهمه

لم تنطق باللوم^٢ أدنى كلمه

•

هذا مع [أن - '] النبي صلى الله عليه و سلم كان^٣ أوصاهم ألا يقاتلوا

إلا من بدأم بالقتال . وهذا مع ما كان من أهل الإسلام حين قصدتم

الكفار يوم الخندق و المشركون [فى - '] عشرة آلاف و هم لا يلبغون

ربهم و لا مدد لهم ممن حولهم و لا ناصر إلا الله ، بل جاءتهم الأعداء -

كما قال الله تعالى - من فوقهم^٤ و من أسفل منهم^٥ و ما زادهم^٦ إلا إيمانا ١٠

و تسليما ، و إلى هذا أيضا^٧ أشار بلوغ عدد^٨ كلمات النصر خطيها

و اصطلاحها ظاهرها و مسترها إلى عدد كلمات الكافرون الخطية ، فذلك

رمز إلى أن أضعف أهل الإسلام^٩ لا يضعف عن مقاومة أقوى أهل

الكفر و أرسخهم فى كل صفة يريدونها^{١٠} - و الله هو الموفق .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تهمت - كذا (٣) من

ظ و م ، و فى الأصل : باليوم (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل : من ،

و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) فى ظ : فوقكم (٧) فى ظ : منكم ،

و الكلمة ساقطة من م (٨) زيد فى ظ و م : ذلك (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل :

الإشارة بلوغ (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : الانسان (١١) زيد فى الأصل :

الله تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

سورة النصر^١ و تسمى التوديع

مقصودها الإعلام بتمام الدين اللازم عن 'مدلول اسمها' النصر، اللازم عنه موت النبي صلى الله عليه وسلم، اللازم عنه العلم بأنه ما برز إلى عالم الكون والفساد إلا لإعلاء كلمة الله تعالى وإدحاض كلمة الشيطان^٢ .

٥ - 'لعنة الله تعالى عليه' - اللازم عنه أنه 'صلى الله عليه وسلم خلاصة الوجود' ، وأعظم عبد للولى الودود، وعلى ذلك أيضا دل اسمها التوديع وحال نزولها وهو أيام التشريق [من - ٦] سنة حجة الوداع ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الأمر كله . فهو العليم الحكيم ﴿ الرحمن ﴾ الذى أرسلك رحمة للعالمين ، فعمهم بعد نعمة الإيجاد بأن بين لهم إقامة لمعاشهم ١٠ ومعادهم بك طريق النجاة غاية البيان ، بما أنزل عليك من معجز القرآن الذى من سمعه فكأنما سمعه من العلى العظيم ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من أراد به بالإقبال به إلى حربه وجعله من أهل قربه بلزوم انصراف المستقيم^٣ .

(١) اعاشرة والمائة من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها ٢ (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : مدلولها (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : الله (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ وم (٥) وقع فى الأصل قبل « خلاصة الوجود » والترتيب من ظ وم (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : معجزات . (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم نخذتها .

٨٧٧ /

/ لما دلت التي قبلها على أن الكفار قد صاروا إلى حال لا عبرة بهم
 فيه ولا التفات ولا خوف بوجه منهم ما دام الحال على الماركة، كان
 كأنه قيل: فهل يحصل نصر عليهم وظهر بهم بالمعاركة، فأجاب بهذه
 السورة بشارة [للمؤمنين - ١] ونذارة للكافرين، ولكنه لما لم يكن هذا
 بالفعل إلا عام حجة الوداع بعد فتح مكة يستبين كان كأنه لم يستقر
 [الفتح - ٢] إلا حينئذ، فلم ينزل سبحانه وتعالى هذه السورة إلا في
 ذلك الوقت وقبل منصرفه من غزوة حنين، فقال تعالى تحقيقاً لأنه
 ينصر المظلوم ويعلي دينه ويمهل ولا يهمل، فانه لا يعجزه شيء، حثاً
 على التفويض له والاكتفاء به، مقدماً معمول «سبح» تعجيلاً للشارة:
 (إذا) .

١٠

ولما كانت المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها،
 يسوقها إليها سائق القدرة، فتقرب منها شيئاً فشيئاً، كانت كأنها آتية إليها،
 فلذلك حصل التجوز بالمجئى عن الحصول فقال: (جاء) أى استقر
 وثبت في المستقبل بمجيء وقته المضروب له في الأزل، وزاد في
 تعظيمه بالإضافة ثم بكونها اسم الذات فقال: (نصر الله) أى الملك
 الأعظم الذى لا مثل له ولا أمر لاحد معه على جميع الناس فى ١٥
 [كل - ١] أمر يريده .

ولما كان للنصر درجات، وكان قد أشار سبحانه بمطلق الإضافة

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، وفى الأصل؛
 فان لك .

إليه ثم بكونها إلى الاسم الأعظم إلى أن المراد أعلاها، صرح به فقال:
 ﴿وَالْفَتْحُ ١﴾ أي المطلق الصالح لكل فتح الذي نزلت فيه سورته بالحديبية
 مبشرة له بغلبة حزيه الذين أنت قاتدهم و هاديههم و مرشدهم، لاسيما
 على مكة التي بها بيته و منها ظهر دينه، و بها كان أصله، و فيها استقر
 ٥ عموده، و عز جنوده، فذل بذلك جميع العرب، و قالوا: لا طاقة لنا
 بمن أظفره الله بأهل الحرم، فعزوا بهذا الذل حتى كان ببعضهم تمام^٢
 هذا الفتح، و يكون بهم كلهم فتح جميع البلاد، و الإشارة إلى العلبة
 على جميع الأمم ساقه تعالى في أسلوب الشرط، و لتحقيقها عبر عنه
 بـ "إذا" إعلاما بأنه لا يخلف الوعد و لا ينقص ما قدره و إن توهمت العقول
 ١٠ أنه فات وقته، و إيذاناً بأن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ليحصل
 لمن علم ذلك الإخلاص و الخوف و الرجاء، فأشعرت العبارة بأن الوقت
 قد قرب، فكان المعنى: فكان متربحاً لوروده و مستعداً لشكره .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما كل دينه و اتضحت شريعته
 ٨٧٨ / و استقر أمره / صلى الله عليه وسلم و أدى أمانة^٣ رسالته حق أدائها عرف
 ١٥ عليه الصلاة و السلام نفاذ عمره و انقضاء أجله، و جعلت له على ذلك

- (١) من م، وفي الأصل و ظ: الذي (٢) من ظ و م، وفي الأصل: فعدوا.
 (٣) زيد في الأصل و ظ: عام، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها.
 (٤) من ظ و م، وفي الأصل: إلى (٥) من ظ و م، وفي الأصل: عنها.
 (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الأمانة .

علامة دخول الناس في دين الله جماعات بعد التوقف و التبطط "حكمة بالغة ولو شاء الله لجمعهم على الهدى" و أمر بالإكثار من الاستغفار المشروع في أعقاب المجالس و في أطراف النهار و خواتم المآخذ بما عسى أن يتخلل من لغو أو فتور، فشرع سبحانه و تعالى الاستغفار ليعزز لعباده من حفظ أحوالهم ورعى أوقاتهم ما^١ بقى بعلی أجورهم كما وعدمهم^٥ "و تمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته" و قد بسطت ما أشارت إليه هذه السورة العظيمة - و كل كلام ربنا عظيم - فيما قيدته في غير هذا، و أن أبا بكر رضى الله عنه عرف منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعت إليه^٢ نفسه السكرينة على ربه و عرف بدنو أجله، و قد أشار إلى هذا الغرض أيضا بأبعد من الواقع في هذه السورة قوله تعالى ١٠ "اليوم أكملت لكم دينكم و آتمت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا" و سورة براءة و أفعاله عليه الصلاة و السلام في حجة الوداع لكن لم يلقنا استشعار أحد من الصحابة رضى الله عنهم تعين الأمر إلا من هذه السورة . و قد عرفت بأشارة براءة و آية المائدة تعريفا شافيا، و استشعر الناس عام حجة الوداع و عند نزول^٣ براءة ذلك لكن لم يستيقنوه و غلبوا ١٥ رجاءهم في حياته صلى الله عليه وسلم، و منهم من توفى، فلما نزلت "إذا جاء نصر الله و الفتح" استيقن أبو بكر رضى الله عنه [ذلك - °]

(١) في ظ : الساجد (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٣) من م ، وفي الأصل : له ، وفي ظ : عليه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : نزل (٥) زيد من ظ و م .

استيقانا حملة على البكاء لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتهى .
 ولما عبر عن المعنى بالمجىء، عبر عن المرتى بالرؤية فقال:
 ﴿ورأيت﴾ أى بعينيك^١ ﴿الناس﴾ أى العرب الذين كانوا حقيرين عند
 جميع الأمم، فصاروا بك هم^٢ الناس - كما دلت عليه لام الكمال، وصار
 ٥ سائر أهل الأرض لهم أتباعا، وبالنسبة إليهم رعايا، حال كونهم ﴿يدخلون﴾
 شيئا فشيئا متجددا دخولهم مستمرا ﴿فى دين الله﴾ أى شرع من
 لم تزل كلمته هى العليا فى حال إباء الخلق - بقهره لهم على المكفر الذى
 لا يرضاه لنفسه عاقل - ترك الحظوظ، وفى حال طواعيتهم بقسره لهم على
 الطاعة، و عبر عنه بالدين الذى معناه الجزاء لأن العرب كانوا لا يعتقدون
 ١٠ القيامة التى لا يتم ظهور الجزاء إلا بها ﴿افواجا﴾ أى قبائل قبائل وزمرا
 زمرا و جماعات كشفت كالقبيلة بأسرها أمة بعد أمة كأهل مكة والطائف
 ١٥ و هوازن و همدان و سائر القبائل من [غير -^٣] قال فى خفة وسرعة
 و مفاجأة و لين بعد دخولهم واحدا واحدا ونحو ذلك لأنهم قالوا:
 أما إذا ظفر بأهل الحرم و قد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل الذين
 لم يقدر أحد على ردهم فليس لنا بهم يدان . فبين أن هذا القياس المنتج
 هذه النتيجة البديهة بقصة أصحاب الفيل ما رتبته الله إلا لإرهاصا لنبوته
 و تأسيسا لدعوته فآلقوا بأيديهم، و أسلوا قيادهم حاضرم و باديهم .

/ ٨٧٩

(١) فى م: أى نفسك (٢) من م، وفى الأصل: أهم، وفى ظ: اندهم -

كذا (٣) زيد من ظ .

و لما كان التقدير: فقد سبح الله نفسه بالحمد بإبعاد نجس^١ الشرك
عن جزيرة العرب بالفعل، قال لإيذانا بأنه منزه عن النقائص التي منها
إخلاف الوعد، وأن له مع ذلك الجلال والجمال، معبرا بما يفيد
التعجب لزيادة التعظيم للتعجب منه ليشر ذلك الإجلال والتعظيم والتذلل
والتقبل لجميع^٢ الأوامر. ويفهم أمره تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم^٥
بالاشتغال [بخاصة نفسه بدنو أجله، وأن اشتغاله -^٣] بالناس قد
انتهى، لأن الدين قد كل فلم يبق له صلى الله عليه وسلم شغل في دار
الكدر: ﴿فسبح﴾ أي نزه أنت بقولك^٤ وفعلك بالصلاة وغيرها
موافقة لمولاك فيما فعل، وزد في جميع أنواع العبادة، تسيحا متلبسا
﴿بحمد﴾ أي بكمال وإجلال وتعظيم^٦ ﴿ربك﴾ أي الذي أنجزاك^{١٠}
الوعد بإكمال الدين وقمع المعتدين، المحسن إليك بجميع ذلك، لأنه
كله لكرامتك، وإلا فهو عزيز حميد على كل حال، تعجبا لتيسير الله من
هذا الفتح مما لم يخطر بالبال، وشكرا لما أنعم به سبحانه وتعالى [عليه -^٣]
من أنه أراه^٧ تمام ما أرسل لأجله، ولأن كل حسنة يعملها أتباعه
له مثلها.

١٥

و لما أمره صلى الله عليه وسلم بتنزيهه عن كل نقص، ووصفه تنزلا

- (١) في ظ: جيش (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل: ليقبل بجميع (٣) زيد
من ظ و م (٤) زيد في الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها.
(٥) من ظ و م، وفي الأصل: بقوله (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ
و م (٧) من ظ و م، وفي الأصل: اراده.

عن غيب الغيب إلى الغيب بكل كمال مضافا إلى الرب تدليا إلى مشاهدة
الافعال، وصل إلى نهاية التنزل من الخالق إلى المخلوق مخاطبا لأعلى
الخلائق كلهم^١ فأمره بما يفهم العجز عن الوفاء بحقه لما^٢ له من العظمة
المشار إليها بذكره مرتين بالاسم الأعظم الذي له من الدلائل على العظم
و العلو إلى محل الغيب الذي لا مطمع في تركه ما تنقطع الاعناق دونه
ليفهم عجز غيره من باب الأولى، فقال معلما بأن^٣ من كماله أن يأخذ
بالذنب إن شاء ويغفر إن شاء وإن عظم الذنب، ليحث ذلك على
المبادرة إلى التوبة و تكثير الحسنات و حسن الرجاء: ﴿واستغفره^٤﴾
أى اطلب غفرانه إنه كان غفارا إيذانا بأنه لا يقدر أحد أن يقدره حق
قدره كما أشار / إلى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التي هي أعظم العبادات
ليقتدى بك أمتك في المواظبة على الأمان الثاني لهم، فان الأمان الأول
- الذى هو وجودك^٥ بين أظهرهم قد دنا رجوعه إلى معدنه فى الرفيق الأعلى
و المحل الأقدس الأولى، وكذا فعل صلى الله عليه وسلم - كان يقول
«سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» و دخل يوم
١٥ الفتح مكة مطاطئا رأسه حتى أنه ليكاد يمس واسطة الرحل تواضعا لله
سبحانه و تعالى إعلاما لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين^٦ أن ما وقع^٧

(١) سقط من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : بما (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : بأنه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : وجدك (٥-هـ) من ظ و م ،
وفى الأصل : و الذى فتح .

إنما هو بحول الله ، لا بكثرة من معه من الجمع ، وإنما جعلهم^١ سببا
 لطما منه بهم^٢ ، و لذلك نه من ظن منهم أو هجس في خاطره أن للجمع
 مدخلا بما وقع من الهزيمة في حنين أولا ، وما وقع بعد من النصرة
 بمن بثت مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم لا يبلغون ثلاثين^٣ نفسا
 ثانيا ، فالتسبيح الذي هو تنزيه عن النقص إشارة إلى إكمال الدين تحقيقا^٤
 لما [كان -]^٥ تقدم به وعده^٦ الشريف . : الاستغفار إشارة إلى أن عبادته
 صلى الله عليه وسلم التي هي أعظم العبادات قد شارفت الانقضاء .
 ولا يكون ذلك إلا بالموت ، فلذلك أمر بالاستغفار لأنه يكون في خاتمة
 المجالس و الأعمال [جبرا -]^٧ لما اعله وقع فيها على نوع من الوهن
 و اعترافا^٨ ببدل العبودية^٩ و العجز .

١٠

ولما امر بذلك فأرشد السياق إلى أن التقدير : و تب إليه^{١٠} ، علله
 مؤكدا لأجل استبعاد من يستبعد مضمون ذلك من رجوع الناس في
 الردة و من غيره بقوله : (انه) أى المحسن إليك^{١١} غاية الإحسان^{١٢}
 بخلاقته لك في أمتك ، و يجوز أن يكون التأكيذ لأجل دلالة ما تقدم
 من ذكر الجلالة مرتين على غاية العظمة و القوت عن الإدراك^{١٣}

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : جعله (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : به .
 (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : ثلاثون (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد في
 الأصل : صلى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٦ - ٦) من ظ و م ،
 وفي الأصل : بالربوبية (٧) من ظ ، وفي الأصل و م : عليه (٨ - ٨) سقط ما
 بين الرقمين من ظ و م .

بالاحتجاب بارادته الكبرياء والعز والتجبر والقهر مع أن المألوف أن
 من كان على شيء من ذلك كان بحيث لا يقبل عذرا ولا يقبل نادما
 ﴿كان﴾ أى لم يزل 'على التجدد والاستمرار' ﴿توابع﴾ أى رجاءا
 بمن ذهب به^٢ الشيطان من أهل رحمته فهو، الذى رجع بأنصارك عما كانوا
 عليه من الاجتماع على الكفر^٣ والاختلاف والعداوات^٤ فأيدك بدخولهم
 فى الدين شيئا فشيئا حتى أسرع بهم بعد سورة الفتح إلى أن دخلت
 مكة فى عشرة آلاف، وهو أيضا يرجع بك إلى الحال التى يزداد بها
 ظهور رفعتك فى الرفيق الأعلى و يرجع عن تخلخل من أمتك فى دينه
 ردة أو معصية دون ذلك إلى ما كان عليه من الخير، ويسير بهم
 ١٠ أحسن سير، فقد رجع^٥ آخر السورة إلى^٦ أولها بأنه لولا^٧ تحقق وصفه
 بالتوبة لما وجد الناصر الذى وجد به الفتح^٨ والتحم مقطعا أى/التحام
 بمطلعها، وعلم أن كل جملة منها مسية عما قبلها، فتوبة الله^٩ على عبده^{١٠}
 نتيجة توبته^{١١} باستغفاره الذى [هو - ١٢] طلب المغفرة بشروطه، وذلك
 ثمرة اعتقاده الكمال فى ربه، وذلك ما دل عليه إعلانه لدينه، وقصره
 ١٥ للداخلين فيه على الدخول مع [أنهم - ١٣] أشد الناس شكائهم وأعلام

/ ٨٨١

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: إليه .
 (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: العداوات والاختلاف (٤) من م، وفى
 الأصل و ظ: ترجع (٥) من ظ و م، وفى الأصل: على (٦) من ظ و م، وفى
 الأصل: لو (٧) زيد فى الأصل: الأعظم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
 (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: بعبده (٩) من م، وفى الأصل: بتوبته،
 وفى ظ: توبة عبد (١٠) زيد من ظ (١١) زيد من ظ و م .

هما' و عزائم. وقد كانوا في غاية الإباء له و المغالبة للقائم به، وذلك هو فائدة الفتح الذي هو آية النصر، وقد علم أن الآية الأخيرة من الاحتباك: دل بالامر بالاستغفار [على الامر بالتوبة، وبتعليل الامر بالتوبة على تعليل الامر بالاستغفار-^١]، و علم أن السورة أشارت^٢ إلى وفاته^٣ صلى الله عليه وسلم بالحث على الاستغفار الذي هو الأمان الثاني، ومن شأنه أن تختتم به الأعمال و المجالس* بعد ما أشار إليه إعلامها بظهور الدين على الدين كله و نزولها في أوسط [أيام-^٤] التشريق من حجته عليه أفضل الصلاة و السلام سنة عشر كما ذكرته في كتابي «مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، و كتابي «الاطلاع على حجة الوداع، و ذلك بعد نزول آية المائدة - التي هي نظيرتها^٥ في رد المقطع على المطلع - في يوم عرفة^٦ "اليوم اكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا" و من المعلوم أنه لا يكون في هذه الدار كمال إلا بعده^٧ نقصان، و لذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع و خطب الناس فيها، فعلمهم^٨ أمور دينهم و أشهدهم على أنفسهم و أشهد الله عليهم

-
- (١) من، ظ و م، وفي الأصل: هماما (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: إشارة (٤) من ظ و م، وفي الأصل: انه (ه) من ظ و م، وفي الأصل: المحاسن (٦) زيد في الأصل: في عدد السور و، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) زيد في الأصل: قوله تعالى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨) من م، وفي الأصل و ظ: بعد (٩) من ظ و م، وفي الأصل: يعلمهم.

بأنه بلغهم، وودعهم^١ وقال: لا أدري لعل [لا - ٢] ألقاكم بعد عامي هذا، وأشار إلى ذلك أيضا بالتوبة وإلى وقوع الردة بعده صلى الله عليه وسلم ورجوع من ارتد إلى أحسن ما كانوا عليه من اعتقادهم في الدين^٢ وثباتهم عليه بقتل من كان مطبوعا على الكفر المشار إليهم بقوله تعالى "ولو أسمعهم - أي إسماع" قهر و غلبة و قسر - لتولوا وهم معرضون" فكان وجودهم ضررا صرفا من غير منفعة و قتلهم نفعاً لا ضرر فيه بوجه، و لأجل إفهامها حلول الأجل للإيمان بالتام بكى^٣ العباس رضى الله تعالى عنه - و في رواية: ولده عبد الله - عند نزولها فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: نعت إليك نفسك، فقال: إنه لكما تقول. كما بكى عمر رضى الله عنه عند نزول آية المائدة، و علل بهذا - والله الهادي، وقد ظهر بهذا^٤ أن حاصلها الإيذان بكال الدين و دنو الوفاة لخاتم النبيين، و النصر على جميع الظالمين "الطاغين الباغين"، و ذلك من أعظم مقاصد المائدة، المناظرة لهذه في التطبيق بين البائدة و العائدة، / كما أشار إليه [قوله تعالى - ١١] "اليوم أكملت لكم دينكم"

/ ٨٨٢

(١) من ظ و م، و في الأصل: وعدهم (٢) زيد من م (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: عليه (٤) من ظ و م، و في الأصل: أليه (٥) من م، و في الأصل و ظ: سماع (٦) من م، و في الأصل و ظ: نعم (٧) من ظ و م، و في الأصل: يبكي (٨) - قط من م (٩-٩) سقط ما بين الرقنين من ظ و م. (١) من ظ و م، و في الأصل: نظار (١١) زيد من ظ و م.

الآية ، و قوله تعالى ' "و من يتولى الله و رسوله و الذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون" و قوله تعالى ' "لله ملك السماوات و الأرض و ما فيهن و هو على كل شيء قدير" و من أعظم لطائف هذه السورة و دقيق بدائعها و لطيف منازعها أن كلماتها تسدل بأعدادها على أمور^١ جليلة و أسرار جميلة ، فانها تسع عشرة كلمة ، و قد كان في سنة^٢ تسع عشرة^٣ من الهجرة موت قيصر طاغية الروم ، و ذلك أن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما فتح الإسكندرية قال قيصر : لئن غلبونا على الإسكندرية لقد هلك الروم ، فتجهز ليياشر قتالهم بنفسه ، فعند ما فرغ من جهازه صرعه الله فمات و كفى الله المسلمين^٤ شره ، و ذل الروم بذلك ذلا كبيرا ، و استأسدت^٥ العرب ، و في هذه السنة أيضا فتح الله قيسارية من بلاد الشام فلم يبق بالشام^٦ أقصاها و أدناها عدو ، و فرح المسلمون بذلك فرحا شديدا ، و كان فيها أيضا فتح جلولا^٧ ، من بلاد فارس ، و كان فتحها يسمى فتح الفتوح ، لأن المرس^٨ لم يتجهزوا بعده^٩ ، هذا إن عددنا ما يوازي كلماتها من سنة الهجرة ، و إن عددنا من سنة نزول السورة في^{١٠} سنة عشر فقد فتحت سنة تسع و عشرين من الهجرة - و هي التاسعة عشرة من نزولها -

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و م ، و في الأصل : كلمات .
 (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : تسعة عشر (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : استأسدت (٥) من ظ و م ، و في الأصل : ما يوازي (٦) من ظ و م ، و في الأصل : من بلاد الشام (٧-٧) من ظ و م ، و في الأصل : لم يتجهزوا بعد (٨) من ظ و م ، و في الأصل : من .

مدينة اصطخر، و اشتد ضعف الفرس، و أمر ملكهم يزدجرد | و - [١]
اجتهاده في الهرب من العرب حتى قتل سنة إحدى و ثلاثين من الهجرة
بعد ذلك بستين^٢، و ذلك هو العد الموازي لعد كلماتها ظواهر و ضمائر
مع كلمات البسمة^٣، و إذا نظرت إلى ما هنا من هذا و طبقت بينه و بين
ما ذكر في سورة الفتح من مثله زاد عجبك من باهر هذه الآيات -
و الله موفق، ثم إنك إذا اعتبرت اعتبارا آخر وجدت هذه السورة
كما دلت بمحملتها على انقضاء زمن النبوة بموت النبي صلى الله عليه وسلم
دلت بمفردات كلماتها على انقضاء خلافة النبوة لتمام ثلاثين^٤ سنة كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود^٥ و الترمذي^٦ و النسائي
و ابن حبان في صحيحه عن سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم و رضى
عنه : خلافة النبوة ثلاثون، ثم يؤتى [الله - ١] الملك من يشاء . و ذلك
أنك إذا عددت كلماتها مع البسمة كانت باعتبار الرسم ثلاثا و عشرين
كلمة، و ذلك مشير إلى انقضاء الخلافة التي لم تكن قط خلافة مثلها،
و هي خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه باستشهاده في
ذى الحجة سنة ثلاث و عشرين من الهجرة، فإذا ضمنت إلى ذلك
الضمائر البارزة / و هي خمسة، و المستترة و هي ثلاثة، فكانت أحدا و ثلاثين،

/ ٨٨٣

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل : بستى (٣-٣) من ظ
و م، و في الأصل : ظواهرها و ضمائرهما مع كلماتها و البسمة (٤) من ظ
و م، و في الأصل : ثلاث (٥) راجع السنين - أبواب السنة (٦) راجع الجامع -
أبواب الفتن .

وحسبت من عین نزول السورة على النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة سنة عشر كان ذلك مشيراً إلى انقضاء خلافة النبوة كلها باصلاح أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وذلك عند مضي ثلاثين سنة من موت النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة لا تزيد شهراً ٥ ولا نقصه، وإن أخذت الضمائر وحدها بارزها ومستترها دلت على فتح مكة المشرفة بعينه، فانها - كما مضى - ثمانية وقد كان الفتح سنة ثمان من الهجرة، ومن لطائف الأسرار وبدائع الأنظار أنها تدل على السنين بحسب التفصيل، فالبارز يدل على سنة النصر والظهور على قريش لأنهم المقصودون بالذات لأن العرب لهم تبع، والمستتر يدل على ضد ذلك، ١٠ وشرح هذا أنه لما كانت قد خفقت [في -] السنة الأولى من الهجرة رأيات الإسلام في كل وجه، وانتشرت أسده في كل صوب، وانبثت سراياه في كل قطر، أشار إليها التاء في «ورأيت» التي هي ضميره صلى الله عليه وسلم إشارة إلى ما يختص بفهمه من البشارة - ولما كان في السنة الثانية بغزوة بدر من واضح الظفر وعظيم النصر ما هدّ قلوب الكفار، وشد ١٥ قلوب الانصار في سائر الأمصار، وأعلى لهم القدر، أشار إلى ذلك واو "يدخلون"، ولما حصل في السنة الثالثة ما لم يخف من المصيبة في غزوة أحد التي ربما أوهمت بعض من لم يرسخ نقصا، أشار إلى ذلك الضمير

(١) من ظ و م، وفي الأصل: الامطار (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: من (٤) في ظ: انتشر.

المستتر في "فسح"، ولما كان الخبر في الرابعة باجلاء بني النضير وإخلاف قريش للوعد في بدر جبا وعجزا حيث وفي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم شجاعة وقوة بحول الله وانقلبوا، منها بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء، أشار إلى ذلك الكاف في "ربك" ه ولما كان في الخامسة غزوة الأحزاب أشار إليها المستتر في "و استغفره"

[ولما كان في السادسة عمرة الحديبية التي سماها النبي صلى الله عليه وسلم فتحا، أنزل الله فيها سورة الفتح -^٢] لكونها كانت سببا للفتح، فكان ذلك علما من أعلام النبوة، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم فيها إلى الملوك يدعوهم إلى الله تعالى أشار إلى ذلك الضمير البارز في "و استغفره"

١٠ و أكد قوته [كونه -^٣] للرب تعالى، ولما كان في السابعة غزوة خيبر و عمرة القضاء أشار إليها الضمير الظاهر في "انه" ولما كان ضمير [كان، لله، و كان له سبحانه حضرتان : حضرة غيب و بطون، وحضرة شهادة و ظهور، و كانت حضرة -^٤] الغيب هي حضرة الجلال والكبرياء والعظمة والتعالى، و حضرة الشهادة حضرة التنزل بالأفعال، و الاستعطاف بالأقوال، كانت / الحضرتان للنصر، وكانت حضرة الغيب أعظمهما نصرا ١٥ / ٨٨٤

وأشدهما إزرا، فلذلك كان ضمير الاستتار دالا على الفتح الأكبر بالانتصار على السكان والديار بسطوة الواحد القهار، على أنا إذا نظرنا إليه من حيث كونه جازئ البروز كان البارز فله حكمة - فسبحان من شمل عليه، ودقت حكمته فيقذف حكمه.

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) زيد من ظ و م -

(٤) من ظ و م، وفي الأصل : في الأفعال (ه) من ظ و م، وفي الأصل : له -

سورة تبت^١

مقصودها البت والقطع الحتم بخسران الكافر ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين، اللازم عنه أن شارع الدين له من العظمة ما يقصر عنه الوصف، فهو يفعل ما يشاء لأنه لا كفو- له أصلاً، حثاً على التوحيد من سائر العبيد، ولذلك وقعت بين سورة^٢ الإخلاص المقرون بضمان النصر^٥ وكثرة الانصار، واسمها تبت واضح الدلالة على ذلك بتأمل السورة على هذه الصورة ﴿بسم الله﴾ الجبار المتكبر المضل الهاد ﴿الرحمن﴾ الذى عم الولي و العدو بنعمة البيان بعد^٣ الإكرام بالإيجاد^٢ ﴿الرحيم﴾ الذى خص بالتوفيق أهل الوداد .

لما قدم سبحانه وتعالى في سورة النصر القطع بتحقيق النصر لأهل ١٠ هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة^٤، والأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذى مر عليهم^٥ مع الذلة من^٥ القلة، وختمها بأنه التواب، وكان أبو لهب - من شدة العناد لهذا الدين و الأذى لإمامة النبي صلى الله عليه وسلم سيد العالمين مع قربه منه - بالحمل الذى لا يجهل، بل شاع واشتهر، وأحرق الأكباد

(١) في ظ : أبى لهب ، وهى الحادية عشرة والمائة من سور القرآن الكريم ،
مكية ، وعدد آياتها (٢) في ظ : سورتي (٣-٣) من ظ وم ، وفي الأصل : الإيجاد
والإكرام (٤) في ظ : الدلالة (٥-٥) من ظ وم وفي الأصل : من الذلة مع .

و صهر ، كان بحيث يسأل عن حاله إذ ذاك هل ثبت عليه أو يذل ، فشفى
 ع هذا السؤال ، وأزيل بما يكون [له - ٢] من النكال ، وليكون
 [ذلك - ٣] بعد وقوع الفتح ونزول الظفر والنصر ، والإظهار على
 الأعداء بالعز والقهر ، مذكرا له صلى الله عليه وسلم بما كان في أول
 ٥ الأمر من جبروتهم وأذاهم وقوتهم بالعدد والعدد ، وأنه لم يكن عنهم
 شيء من ذلك ، بل صدق الله وعده في قوله سبحانه وتعالى " قل للذين
 كفروا ستعذبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد " وكذبوا فيما كانوا
 فيه من التعاضد ، التناصر ، التحالف والتعاقد ، فذكر تعالى أعدائهم له
 وأقربهم إليه في النسب إشارة إلى أنه لا فرق في تكذيبه لهم بين
 ١٠ القريب والبعيد . وإلى أنه لم ينفعه قربهم له ليكون ذلك حاملا لأهل
 الدين على الاجتهاد في العمل من غير ركون إلى سبب أو نسب غير ما
 شرعه سبحانه ، فقال تعالى معبرا بالماضي دلالة على أن الأمر قد قضى
 بذلك وفرغ منه ، فلا بد من كونه ولا محيص / : (ثبت) أى حصل
 القطع الأعظم والحتم الأكمل ، فإنها خابت وخسرت غاية الخسارة ،
 ١٥ وهى المؤدية إلى الهلاك لأنه لا نجاة إلا نجاة الآخرة ، وجعل خطاب
 هذه السورة عن الله ولم يفتحها بـ و قل ، كأخواتها لأن هذا أكثر

/ ٨٨٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ثبتت (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
 (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : نزول (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : قد
 نزل (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لم يمنعهم (٧) زيد فى الأصل : والله
 اعلم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

أدبا و أدخل في باب العذر و أولى في ' مراعاة ذوى الرحم ، و لذلك لم يكرر ذكرها في القرآن ، و أشد في انتصار الله سبحانه و تعالى [له صلى الله عليه وسلم - ٢] و أقرب إلى التخويف و تجويز سرعة الوقوع .

و لما كانت اليد محل قدرة الإنسان ، فإذا اختلت اختل أمره ، ه فكيف إذا حصل^٢ الخلل في يديه جميعا ، قال مشيرا بالثنية إلى عموم هلاكه بأن قوته لم تغن عنه شيئا ، و لأن الثنية يعبر بها عن النفس ، و مشيرا بالكنية و إن كان يؤتى بها غالبا للتشريف إلى مطابقة^٣ اسمه لحاله ، و مجانسته الموجبة لعظيم نكاله : (بدأ ابى لهب) فلا قدرة له [على - ٠] إعطاء و لا منع ، و لا على جلب و لا دفع ، و إشارة إلى أن ١٠ حسن صورته لم تغن عنه شيئا من قبيح سيرته لقوله صلى الله عليه وسلم و إن الله لا ينظر إلى صوركم و لا أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم ، لأنه [إنما - ٠] كنى بهذا لإشراق وجهه و توقد وجتيه ، و لأنها أشهر ، فالبيان بها أقوى ، و أظهر ، و التعبير بها - مع كونه أوضح - أقعد في قول التى [هى - ٠] أحسن ، لأن اسمه عبد الازى و هو قبيح ١٥ موجب للعدل عنه غيرة^٤ على العبودية^٥ أن تضاف إلى غير مستحقها .

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حضر (٤) من ظ ، و فى الأصل : ما يطاقه ، و فى م : ما يطاقه .
(٥) زيد من ظ و م (٦-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للعبودية .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: هذه السورة وإن نزلت على
سبب خاص وفي قصة معلومة فهي مع ما تقدمها واتصل بها في قوة
أن لو قيل: قد انقضى عمر ك يا محمد، وانتهى ما قلده من عظيم أمانة
الرسالة أمرك، وأديت ما تحمّلتها وحان^٢ أجلك، وأما ذلك دخول
٥ الناس في دين الله أفواجا، واستجابتهم بعد تلكوهم، والويل لمن
عاندك وعدل عن متابعتك وإن كان أقرب الناس إليك، فقد فصلت
سورة "قل يا أيها الكافرون" بين أوليائك وأعدائك، وبأن بها حكم
من اتبعك ومن عاداك، ولهذا سماها عليه الصلاة والسلام المبرئة من
النفاق، وليعلم كفار قريش وغيرهم أنه لا اعتصام لأحد من النار
١٠ إلا بالإيمان، وأن القربات غير نافعة ولا مجدية^٣ شيئا إلا مع الإيمان "لكم
دينكم ولى دين" "أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون"، "والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض" وهذا انتهى أمر الكتاب بحملته - انتهى .
ولما كان ربما خص التباب بالهلاك، وحمل على هلاك اليمين
حقيقة، وكان الإنسان لا يزول جميع منفعته بفوات يديه وإن كان قد
١٥ يعبر بهما عن النفس، قال مصرحا بالمقصود^٤: (وتب) أى هو بحملته

/ بتمام "الهلاك والخسران، لحقق بهذا ما أريد من الإسناد إلى اليمين / ٨٨٦

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : افضل (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : آن .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : مجزية (٤) زيد في الأصل : وإشارة الى هذا
بقوله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) زيد في الأصل : قال تعالى ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦-٧) سقط ما بين الرقین من ظ .

من الكناية عن الهلاك الذى لا بقاء بعده، و الظاهر أن الأول دعاء
و الثانى خبر، و عرف بهذا أن الانتماء إلى الصالحين لا يغنى^١ إلا أن
وقع الاقتداء بهم فى أفعالهم لأنه عم النبي صلى الله عليه وسلم .

و مادة «تب، و دبّت» - الجامعة بجمع التاء و الباء للسيدى الأدنى الباطنى
و الأعلى الظاهرى - تدور على القطع المؤدى فى أغلب أحواله إلى الهلاك^٥ ،
لأن من انقطع إلى الأسباب معرضا عن مسيئها كان فى أعظم تباب،
و ربما كان القطع باستجماع الأسباب^٢، فحصل^٣ الفوز بالمقاصد و المحاب،
قال ابن مكتوم فى الجمع بين المحكم و العباب : التّب و التّباب : الخسار،
و تباله - على الدعاء، و تبا تبيها - على المبالغة، قال الإمام أبو عبد الله القزاز :

كأنك قلت : خسارنا له، و هو المصدر، نصب^٤ نصب سقيا^٥ له، قال ابن
دريد : و كأن التّب المصدر و التّباب الاسم، و [التّب و -] ^٤ [التّباب و -] ^٥ [التّيب :
الهلاك، [و التّيب -] ^٥ [النقص و الخسار، و كل هذا واضح فى القطع
عن الخير و الفوز، قال : [و -] ^٥ [التّاب : الكبير من^٦ الرجال، و الأنثى
تابة، و قال القزاز : إذا سألت الرجل عن المرأة قلت : أشابة هى أم
تابة، أى أم [هى -] ^٥ [محوز فانية، [و -] ^٧ [معلوم أن كبر السن مقرب
من القطع و الهلاك، و التّاب : الضعيف، و الجمع أتاب - هذلية، و حمار

(١) من ظ و م، و فى الأصل : لا يفتنى (٢) من ظ و م، و فى الأصل :
لفصر (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل : نفسا سيفا (٤) زيد من م (٥) زيد
من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل : هو (٧) زيد من ظ .

تاب الظهر - إذا دبر، وجل [تاب - ١] كذلك نادرة، ولا شك أن الدبر
والضعف ملاك في المعنى، و تب : قطع مثل بت ، أى بتقديم الموحدة،
و وقعوا في تبوب منكرة، وهو بته أى بحالة شديدة، والتبى - بالفتح
والسكر : ضرب من تمر البحرين، قيل : هورديء يأكله سقاط الناس،
ه وأتب الله قوته : أضعفها، و تيومم تتيباً : أهلكوم، و تبتب : شاخ،
و كل ذلك واضح في القطع بالهلاك والخسار، والتبوب - يعنى بالضم :
[ما - ١] انطوت عليه الاضلاع كالصدر والقلب، وهذا يحتمل^٢ الخير
و الشر، فان القلب إذا فسد فسد الجسد كله، وإذا صلح صلح الجسد
كله، فيكون حينئذ القطع بالفوز والنجاة، أو لأن انطواء الاضلاع
١٠ عليه قطعه عن الخارج، واستتب الأمر : تهيأ واستوى. وقال القزاز :
ويقال : هذه العلة لا تستتب في نظار هذا القول، أى لا تجري في نظاره،
كأنه من باب الإزالة إذ أن السين لما^٣ جامع حرفى السيين آذنت^٤
بالنجاح والفوز [والفلاح - ١]، فانها حرف تدل على الاستيفاء في
الإنباء عن الشيء والتتمة والآلة، وأحسن من هذا أنها إذا جرت
١٥ في النظائر أوضحتها وكشفت معانيها / ففصلناها وأباتها وقطعتها^٥ عن
غير النظائر^٦ بما أزلت من الإلباس^٧ بها، والذي يحقق معانى التبت ويظهر

/ ٨٨٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل : محتمل (٣) من ظ،
وفي الأصل و م : لا (٤) في م : آذنته (هـ) من ظ و م، وفي الأصل :
قطعها (٦) من ظ و م، وفي الأصل : النظار (٧) من ظ و م، وفي
الأصل : الالباب.

أنه يؤل إلى القطع مقلوبه، وهو البت - بتقديم الموحدة التي هي السبب
الظاهر الذي هو أقوى من حيث أنه لا يتحقق إلا بكال السبب الباطنى،
يقال : بت الشيء ببتة بتا، و آبتة : قطعه^١ قطعا مستأصلا، وبت هو يبت
و يبت بتا و آبت، و آله استوى فيه المجرد و المزيد فى التعدية دلالة
على أن ما حصل بالمجرد من القطع هو من الكمال بحيث لا مزيد عليه، ه
وكذا استوى القاصر مجردا و مطاوعا مع^٢ المتعدى فى أصل المعنى.
و صدقة بته : بتلة باينة من صاحبها. و طلقها ثلاثا بته و إبتاتا، أى قطعا
لا عود فيه، و لا أفعله البته - كأنه قطع فعله، قال سيويه : و قالوا : قد
البته - مصدر مؤكد، و لا يستعمل إلا بالآلف و اللام، و بت عليه القضاء
بتا و آبتة : قطعه، و سكران ما يبت كلاما و ما يبت / أى [ما - ٢] ١٠ / ٨٨٨
يقطعه، قال القزاز : يبت من آبت، و يبت من آبت^٣، و سكران بات :
منقطع عن العمل بالسكر، و آبت يمينه : أمضاها، أى قطعها عن الحدث،
و ببت هي : وجبت و حلت^٤ بتا و بته^٥ و بتاتا، و كل ذلك من القطع،
و آبت بغيره، أى قطعه بالسير^٦، و المنبت فى الحديث^٧ : [الذى - ٢] آتب
دأبه حتى^٨ أعطب ظهره^٩ فبقى منقطعا به، و قال القزاز : هو الذى آتب ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل : يقطعه (٢) زيد فى ظ : التقدير (٣) زيد من
ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل : بته وبتا (٥) من ظ و م، و فى
الأصل : من السير (٦) راجع تاج العروس - البت (٧-٧) من ظ و م،
و فى الأصل : أعطب دأبه .

دأته حتى قطع ظهرها فبقى منبأه، أى منقطعا به، وبت عليه الشهادة
و أبتها: قطع عليه بها و ألزمه إياها، وبت عليه [القضاء - '] و أبتة:
قطعه، و البات: المهزول الذى لا يقدر أن يقوم - كأنه قد انقطعت قوته،
و فى الحديث^١: لا صيام لمن لم يبت^٢ الصيام من الليل، فمناه: يوجه، أى
٥ يقطعه على نفسه قبل الفجر، من أبت عليه الحكم - إذا قطعه، و روى:
يبت، من بت - إذا قطع، و كلاهما بمعنى، و هما لغتان فصيحتان،
و روى فى حديث: من لم يبت^٣ - من البيات^٤، و أحق بات: شديد الحق -
كذا قاله الليث، و قال الأزهري: هو تاب - بتأخير الموحدة، و البت:
كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، و قيل: هو من وبر و صوف، و الجمع
١٠ بتوت، و البتات أى بالتخفيف: متاع البيت و الزاد، كأن ذلك يقطع
صاحبه عن الحاجة. و بتوه: زودوه^٥، أو أن ذلك من الإزالة لأنه صلة
لصاحبه ورفد لأن الاستقراء حاصل بأن^٦ كل مادة لها معنى غالب تدور
عليه و فيها شيء لإزالة ذلك المعنى، و فلان على بتات أمر - إذا
أشرف على فراغه، فانه ينقطع حينئذ، و تقول: طحنت بالرحى بتا - إذا
١٥ إبتدأت الإدارة عن يسارك، كأنه دال على القطع بتمام المزمة لأن
ذلك أقوى للطاحن و أمكن، و انبت الرجل: انقطع ماء ظهره، و يقال:
(١) زيد من ظ و م (٢) راجع تاج العروس - البت (٣) من ظ و م، و فى
الأصل: لم يبيت (٤-٤) -قط ما بين الرقيين من ظ (٥) من م، و فى الأصل:
لم يبيت، و فى ظ: لم يلبت (٦) فى ظ: البت (٧) من ظ و م، و فى الأصل:
يزودوه (٨) من م، و فى الأصل و ظ: فان .

هذا جبل بت - إذا كان طاقا واحدا، كأنه لما كان كذلك فكان سهل القطع أطلق عليه القطع مبالغة مثل عدل، وقد اثبت فلان عن فلان - إذا انقطع و انقبض .

ولما أوقع سبحانه الإخبار بهلاكه^١ على هذا الوجه المؤكد لما كان لصاحب القصة وغيره من الكفار من التكذيب بإسان حاله^٥ و^٢ قاله لما له من المال والولد، وما هو فيه من القوة بالعدد والعدد، زاد الأمر تحققا لإعلاما بأن الأحوال الدنيوية لا غناء لها فقال مخبرا، أو مستفهما منكرا: ﴿ مَا أَغْنَى ﴾ أى أجرى وناب وسد ﴿ عنه ﴾ أى عن أبى لهب الشقى الطريد المبعود عن الرحمة مع العذاب ﴿ ماله ﴾ أى الكثير الذى جرت العادة بأنه ينجى من الهلاك .

ولما كان الكسب أعم من المال، و كان المال قد يكسب منافع هى أعظم منه من الجاه وغيره، و كان الإنسان قد يكون فائزا ولا مال له بأمور أثلها بسمعه خارجة عن المال، قال مفيدا لذلك مينا أنه لا ينفع إلا ما أمر الله به: ﴿ وما كسب^٥ ﴾ أى وإن كان ذلك على وجه هائل من الولد والأصحاب والعز بعشيرته^٦ التى كان يرضيها باتباع^{١٥}

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: فكانه (٢) من ظ و م، وفى الأصل: بهلاك الأعداء (٣) من ظ و م، وفى الأصل: او (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: يكون، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٦) من ظ و م، وفى الأصل: لا يقع (٧) من ظ و م، وفى الأصل: بعشير .

النبي صلى الله عليه وسلم في المحافل يؤذيه ويكذبه وينهى الناس عن
تصديقه 'مع أنه كان قبل ذلك يناديه بالصادق الأمين'. وكان ابنه عتبة
شديد الأذى للنبي صلى الله عليه وسلم 'حتى قال' النبي صلى الله عليه
وسلم: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك، فكان أبو لهب يعرف أن هذه
الدعوة لابد أن تدركه، فلما حان الأمر وكان قد آن ما أراد صاحب
العز الشامخ، سبب له أن سافر^٢ إلى الشام فأرصى به أبوه الرفاق لينجوه
رغم من هذه الدعوة، فكانوا يحدقون به إذا نام ليكون وسطهم،
والحمول محيطة به وهم يحيطون بها والركاب محيطة بهم، فلم ينفعه ذلك
بل جاء الأسد فتشم^٣ الناس حتى وصل^٤ إليه فاقتلع رأسه ولم ينفع
١٠ أباه ذلك، بل استمر على ضلاله 'لما سبق في علم الله تعالى' حتى كانت
وقعة بدر فلم يخرج، فيها فلما جاء الفلاني^٥ كان منهم ابن أخيه أبو سفيان^٦
ابن الحارث فقال: ألم يا ابن أخي فعندك الخبر، فقال: نعم! فوالله ما
هو [إلا -^٧] أن لقيناهم فنحنأهم أكتافنا / يقتلوننا كيف شاءوا [وبأسرونا
كيف شاءوا -^٨]، ومع ذلك والله ملكت الناس لقينا رجالا أيضا
١٥ على خيل بلق بين السماء والأرض ما تليق شيئا - [أى -^٩] ما تبقى -

/٨٨٩

(١ - ١) سقط ما بين الرمين من ظ و م (٢ - ٢) في ظ و م : فقال (٣ - ٣) في ظ
و م : فسافر (٤) في ظ : فتشم (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : صل (٦) من
ظ و م ، وفي الأصل : الفلاني (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : ابني سفيان .
(٨) زيد من ظ و م (٩) زيد من م .

ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع غلام العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وكان جالسا^١ فى حجرة فى المسجد يرى نبلا، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وكنا نكتم إسلامنا، فاملكت نفسى أن قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة. قال: وثأورته فاحتلمنى^٢ فضرب بى^٣ الأرض^٤ ثم برك^٥ على^٦ يضربنى • وكنت رجلا ضعيفا، فقامت أم الفضل - يعنى سيدته - ابنة العباس رضى الله عنهما إلى عمود الحجرة -^٧ أى الخيمة^٨ - فضربت به -^٩ [ضربة فقلت فى رأسه شجة منكرة و قالت: استضعفته أى عدو الله ان غاب^{١٠} عنه سيده، فقام^{١١} موليا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال أو ستا حتى رماه الله بالعدسة فقتله وما نفعه إبعاده عن الخطر^{١٢} بتخلفه عن بدر، و العدسة بثرة^{١٣} تشبه ١٠ العدسة تخرج فى مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل^{١٤} غالبا، قال القزاز: كانت تعدى فى الجاهلية قلما يسلم منها أحد، تقول: عدس الرجل فهو معدوس، كما تقول: طعن فهو مطعون - إذا أصابه الطاعون - انتهى • ولأجل تشاؤم العرب بها ترك أبو لهب من غير دفن ثلاثا

- (١) من م، وفى الأصل و ظ: جالس (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: فضربى (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: فبرك (٤-٤) سقط ما بين الرقبتين من ظ (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: قام (٧) من ظ و م، وفى الأصل: فغاب (٨) من ظ و م، وفى الأصل: الخطوب (٩) من ظ و م، وفى الأصل: نثره - كذا (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: فقتل.

حتى أنن، ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه، و يقال: إنهم
 حفروا له حفرة بعيدة عنه من شدة ثقله ثم دفعوه بخشب طوالاً حتى
 رموه فيها و رجوه بالحجارة و التراب من بعيد حتى طموه، فكان ذلك
 سنة في رجه فهو يرجم إلى الآن، و ذلك من أول إجماع هذه الآيات
 ه أن كان سبة^٢ في العرب [دون أن - ٢] يغنى عنه شيء [مما يظن أنه
 يغنى عنه - ٢] .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بوقوع هذا التبار الأعظم به، و كان
 لأعذاب يداني عذاب الآخرة . بينه بقوله: ﴿ سيصلى ﴾ أى عن قرب
 بوعده لاخلف فيه ﴿ نارا ﴾ أى فيدس فيها و تعطف عليه
 ١٠ و تحيط به .

و لما كان المقصود شدة نكايته بأشد ما يكون من الحرارة كما أحرقت
 أكباد الأولياء، و كانت النار قد تكون جبراً ثم تنطفئ عن قرب قال:
 ﴿ ذات لهب ﴾ أى لا تسكن و لا تخمد أبداً لأن ذلك مدلول الصلابة
 المعبر عنها بـ « ذات »، و ذلك بعد موته، و ليس في السورة دليل قاطع على
 ١٥ أنه لا يؤمن لجواز أن يكون الصلى على الفسق، فلا دليل فيها لمن يقول:
 إن فيها التكليف بما علم أنه محال ليكون^٣ قد كلف بأن يؤمن و قد علم

(١) من ظ و م، و في الأصل: طول (٢) من م، و في الأصل و ظ: سنة -
 (٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من م (٥) من ظ و م، و في الأصل:
 انضيعة (٦) من ظ و م، و في الأصل: الجواز (٧) من م، و في الأصل
 و ظ: لأنه يكون .

٨٩٠ /

أنه حكم بأنه لا يؤمن، 'وإن كان الله قد حقق هذا الخبر بموته كافرا في الثانية' من الهجرة عقب / غزوة بدر وهي الخامسة عشرة من النبوة، لكن ما عرف تحتم كفره إلا بموته كافرا لا بشيء في هذه السورة ولا غيرها، ومن الغرائب أن الكلمات المتعلقة به في هذه السورة خمس عشرة كلمة، فكانت مشيرة إلى سنة موته بعد أن رأى تبايه في وقعة بدر وغيرها ه بعينه، فاذا ضمنا إليها كلمات البسملة الأربع وازت سنة ست من الهجرة، وهي سنة عمرة الحديبية سنة الفتح السبي التي تحقق^٢ فيها تبايه [وخساره - ٢] عند كل من عنده إيمان بالغيب ودفع للريب، فاذا ضمنت إليها الضميرين البارزين اللذين هما^٣ أقرب^٤ إلى الكلمات^٥ الاصطلاحية من المستترة وازت سنة ثمان من الهجرة التي كان فيها^٦ الفتح الحقيقي، فتحقق عند قريش كافة ما أنزل فيه في هذه السورة، فاذا ضمنت إليها الضمائر الثلاثة^٧ المستترة وازت سنة إحدى عشرة على أنك إذا بدأت بالضمائر المستترة حصلت المناسبة أيضا، وذلك أنها توازي سنة تسع وهي سنة الوفود التي دخل^٨ الناس فيها^٩ في الدين أفواجا وحج^{١٠} فيها بالناس^{١١} أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أميرا، ونودي^{١٢}

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في م : حقق (م) زيد من ظ و م .
 (٤) تكرر في الأصل نقط (ه - ه) من ظ و م ، وفي الأصل : للكلمات .
 (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : الثلاث (٧ - ٧) من ظ و م ، وفي الأصل :
 فيها الناس (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : وكان الحج (٩) زيد في الأصل
 و ظ : مع ، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها .

في الموسم ببراءة، وأن لا ينجح بعد العام مشرك، 'فحققت خيبة'
 أبي لهب عند^٢ كل من حضر الموسم لاسبابا من كان يعلم دورانه
 وراء النبي صلى الله عليه وسلم و تكذيبه له من مسلم وغيره، فإذا
 ضممنا إلى ذلك الضميرين البارزين وازت سنة إحدى عشرة أول سنة
 ٥ خلافة الصديق رضي الله عنه التي فتحت فيها [جميع -^١] جزيرة العرب
 بعد أن لعب الشيطان بكثير من أهلها، فرجعوا بعد أن قتل الله منهم
 من علم أنه مخلوق لجهم، و تحقق حينئذ ما لأبي لهب من الباب و النار
 ذات الالتهاب عند العرب كافة بإيمانهم عامة في السنة الحادية عشرة^٣
 من الهجرة بعد مضي ثلاث و عشرين سنة من النبوة، و استقر الأمر
 ١٠ حينئذ، و علم أن الدين قد رسخت أوتاده و ثبت^٤ عماده، و أن الذي
 كان يحبه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قد حماه^٥ بعده وهو سبحانه^٦
 حي لا يموت و قادر لا يعجزه شيء، و عدد دلكيات السورة ثلاث
 و عشرون و هي توازي سنة حجة الوداع سنة عشر، فانها السنة الثالثة
 و العشرون من المبعث و فيها كمل الدين و نزلت آية المائدة، و أخبر
 ١٥ النبي صلى الله عليه وسلم أن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرض العرب،

(١) من ظ و م، وفي الأصل: في هذا (٢ - ٢) من ظ و م، وفي الأصل:
 لحقق خيبته (٣) من ظ و م، وفي الأصل: عن (٤) زيد من ظ و م (٥) من
 م، وفي الأصل وظ: الحادية عشر (٦) من ظ و م، وفي الأصل: ثبت.
 (٧-٧) من ظ و م، وفي الأصل: سبحانه وهو.

٨٩١ /

/ فتحقق كل الناس لاسيما من حضر الموسم تباب أبي لهب الذي كان
يدور في تلك المشاهد وراه النبي صلى الله عليه وسلم يكذبه ويؤذيه
”إن في ذلك لعبرة“ .

ولما أخبر سبحانه وتعالى عنه بكال التباب الذي هو نهاية
الخسار، وكان أشق ما على الإنسان هتك ما يصونه من حريمه حتى ه
أنه ييذل نفسه دون ذلك لاسيما العرب، فانه لا يدانيهم في ذلك أحد،
زاده تحقيرا بذكر من يصونها^١ معبرا عنها بما صدرها بأزرا صورة
وأشنعها^٢، فقال مشيرا إلى أن^٣ خلطة الاشرار غاية الخسار، فان الطبع
وإن كان جيدا يسرق من الردى^٤، فكيف إذا كان رديئا وإن أرضى^٥
الناس بما يسخط الله أعظم الهلاك : ﴿وامراته﴾ أى أم جميل أخت ١٠
أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي مثل
زوجها في التباب والصلى من غير أن يغنى عنها شيء من مال ولا حسب
ولا نسب، وعدل عن ذكرها بكنيتها لان صفتها القباحة وهى ضد كنيته،
ومن هنا تؤخذ كراهة^٦ التلقيب بناصر الدين ونحوها لمن ليس متصفا
بما دل عليه لقبه، ثم وصفها بما أشار إليه ذنبها وأكمل قبيح صورتها ١٥
فقال : ﴿حالة الخطب﴾ أى الحاملة أقصى ما^٧ يمكن حمله من حطب

(١) من م، وفي الأصل و ظ : يصونه (٢) من م، وفي الأصل و ظ :
اشقها (٣) زيد في الأصل : في، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذلناها (٤) في
ظ : رضى (٥) من م، وفي الأصل و ظ : شيئا (٦) من ظ و م، وفي
الأصل : كراهية (٧) من م، وفي الأصل و ظ : من .

جهنم بما كانت تمشى به وتبالغ فيه من حمل حطب البهت و النيمة الذى
تحمل به على معاداة النبی صلى الله عليه وسلم وشدة أذاه وإيقاد نار الحرب
والخصومة عليه صلى الله عليه وسلم ، من قول الشاعر^١ :

من البيض لم تصطد على ظهر لامة^٢ ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب

٥ أراد النيمة، وعبر بالرطب للدلالة على زيادة الشر بما فيه من التدخين،
وشبهت النيمة بالحطب لأنها توقد الشر فتفرق بين الناس كما أن
الحطب يكون وقودا للنار فتفرقه، وكذا بما كانت تحمل من الشوك
وتنثره ليلا فى طريق النبی صلى الله عليه وسلم لتؤذيه، وكانت تفعله
بنفسها من شدة عداوتها وتباشره ليلا لتستخفى به لأنها كانت شريفة،
١٠ فلما نزلت السورة صورّتها بأقبح صورة فكان [ذلك - ٣] أعظم فاضح^٣

لها، وقراءة عاصم بالنصب للقطع على الشتم تؤيد أن امرأته مبتدأ
وأن الخبر (فى جيدها) أى عنفها وأجود ما فيها - هو حال على التقدير
الأول (جبل) كالحطابين تخسيسا^٤ لآمرها وتحقيرا لحالها (من مسدع)
أى ليف أوليف المقل^٥ أو من شيء قد قتل وأحكم قتله، من قولهم:

١٥ / ١٨٩٢ رجل مسود الخلق، أى مجذوله - وقد رجع آخرها على أولها، / فان
من كانت امرأته بصورة بصورة حطابة على ظهرها حزمة حطب معلق

(١) زيد فى الأصل : حيث قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
(٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لاته (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، وفى
الأصل و ظ : فاتح (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : تحمينها (٦) فى ظ : القتل .

حبلها^١ في جيدها فهو في غاية الحقارة، والتباب والخساسة والخسارة،
وحاصل هذه السورة أن أبا لهب قطع رحمه وجار^٢ عن قصد السبيل
واجتهد بعد ضلاله في إضلال غيره، وظلم الناصح له الرؤف به^٣ الذي
لم يأل جهدا في نصحه على ما تراه من أنه لم يأل [هو - ^٤] جهدا
في أذاه واعتمد على ماله وأكسابه فهلك وأهلك امرأته معه^٥ ومن ه
تبعه من أولاده، ومن^٦ أعظم مقاصد 'سورة النساء' المناظرة لها في
رد^٧ المقطع على المطلع^٨ التواصل والتقارب والإحسان لاسيما لذوى
الأرحام، والعدل في جميع الأقوال والأفعال، فكان شرح حال الناصح
الذى لا ينطق عن الهوى، [و حال الضال الذى إنما ينطق عن الهوى - ^٩]
قوله تعالى "يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم" الآيات، ١٠
وختمها إشارة إلى التحذير من مثل حاله، فكأنه قيل: يبين الله لكم أن
تضلوا فتكونوا كآبى لب في البوار، وصلى النار - كما تبين لكم، فتكونوا^{١٠}
على حذر من كل ما يشابه حاله وإن ظهر لكم خلاف ذلك، فأنا أعلم
منكم - والله بكل شيء عليم "والحمد لله رب العالمين".

- (١) من م، وفي الأصل وظ: حبل (٢) في ظ: جاء (٣) من ظ و م، وفي
الأصل: له (٤) زيد من م (٥) زيد في الأصل: خزايم الله جميعا، ولم تكن
الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، وفي
الأصل: هذه السورة النساء (٨) من ظ و م، وفي الأصل: رده (٩) من ظ
و م، وفي الأصل: انطبع (١٠) من م، وفي الأصل وظ: تكونوا.
(١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م.

سورة 'الإخلاص' وتسمى 'الأساس'

و المقشقشة و قل هو الله أحد

مقصودها بيان حقيقة الذات؛ الأقدس بيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى
 الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للإخلاص في التوحيد بآيات الكمال،
 ونفي شوائب النقص والاختلال، المشر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات
 اللجوء والاعتماد في جميع الأحوال، وعلى ذلك دل اسمها الإخلاص
 الموجب للخلاص، وكذا الأساس والمشقشة، قال في القاموس:
 المقشقشان* الكافرون والإخلاص أى المبرتان من النفاق والشرك كما
 يقشش الهناء الجرب، الهناء: القطران، وقال الإمام عبد الحق في كتابه
 ١٠ الواعى: كما يرى المريض من علته إذا برئ منها - انتهى. وهو مأخوذ
 من القش بمعنى الجمع، فسميتا بذلك لأنها تتبعتا النفاق بجميع أنواعه،
 وكذا الشرك والكفر، فجمعتاه ونفتاه عن قارئها حق القراءة، وقد
 تقدم الكلام على هذا الاسم مبسوطا في براءة، وكذا اسمها "قل هو
 الله أحد" دال على مقصودها / بتأمل جميع السورة وما دعت إليه من

/٨٩٣

- (١) الثانية عشرة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها .
 (٢) العبارة من هنا إلى «المشقشة و» ساقطة من ظ (٣) من م، وفي الأصل :
 الأس (٤) من ظ و م، وفي الأصل : ذات (٥) من م، وفي الأصل و ظ :
 المقشقشان (٦) من م، وفي الأصل و ظ : قسمها .

معاني التبرئة اليسيرة الكثيرة، وهذه السورة اعظم مفيد للتوحيد في القرآن، قال الرازي : والتوحيد مقام يضيق عنه نطاق النطق لأنك إذا أخبرت عن الحق فهناك مخبر عنه ومخبر^٢ به ومجموعهما، وذلك ثلاثة، فالعقل يعرفه ولكن النطق لا يصل إليه، سئل الجنيد عن التوحيد فقال : معنى تضمحل [فيه - ٢] الرسوم، وتشوش فيه العلوم، ويكون الله كما لم يزل. هـ وقال الجنيد أيضا : أشرف كلمة في التوحيد ما قاله الصديق رضى الله عنه : سبحان من لم يجعل خلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .

﴿ بسم الله ﴾ الذى له جميع الكمال بالجلال والجمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى أفاض من طوله على جميع الموجودات عموم الأفاضال ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل وداده من نور الإنعام بالإتمام والإكمال . ١٠

لما كانت الكوثر علة للنهى عما تضمنه^٣ التكذيب من مساوىء الأفعال، وعلم بها أنه صلى الله عليه وسلم محتص بالخير المستلزم لأن شائه هو الأبر، فكان موضع السؤال عما يفعل مع الشائتين من معاركة أو متاركة، جاءت الكافرون للمتاركة لقله أهل الدين إذذاك، [إشارة - ٤] إلى أن هذه الدار مبنية على الأسباب، فعلم بالكافرون ١٥ أن الشائ^٤ [عما - ٢] لا يعبأ به، فتحركت النفس إلى سؤال عن وقت الصلاحية

-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : مقام (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : مخبر .
 (٣) زيد من م (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : كلمته (هـ - هـ) من ظ و م ،
 وفي الأصل : بالتمام والكمال (٦) في م : تضمنته (٧) زيد من ظ و م .

للمعاركة بعد هذه المتاركة، و ما يترتب^١ على المعاركة من قهر الشان^٢ بالفعل،
فجاءت سورة النصر لذلك مع الإشارة إلى أنه [بما -^٣] لا يسأل عنه
بمى، لتغيير ذلك فى وجه الإحسان فى التسليم، وإما يسأل عما يفعل
عند وقوعه من الإحسان فى التعبد، معبرا بأداة التحقق^٤ إعلاما بأنه آت^٥،
هـ لا محالة، فالسؤال عن^٦ وقته ليس من دأب السائرين . و لما ظهرت
ذخائر هذه الكنوز بدقائق تلك الرموز، و ما انضم إليها من القرآن
الظاهرة، استحضرنا حال أبى لهب لما كان فيه مع قرابته القرية من
شدة العناد، و الاجتهاد العظيم فى كل ما يضاد أشرف العباد . [واشتد -^٧]
الشوف إلى انقلاب حاله إذ ذاك هل يكون بما ختمت به النصر من
١٠ التوبة أو بخذلانه و انقلابه بأعظم الحية و الحوبة ؟ فجاءت سورته
لذلك بيانا لأنه غلب عليه الشقاء فنزل به فى دركاته مانعا من معالى درج
الارتقاء، فلما بين سبحانه بذلك إهلاكه^٨ عدوه صلى الله عليه و سلم،
وختم بأعدى أعدائه فحكم بهلاكه و هلاك زوجه هلاكاً لا جبر له على
وجه مبين أنه فى أدنى دركات الحقارة، و أعظم أنواع الخسارة، فرقص
١٥ الفكر^٩ طربا من هذه الأمور، و سكر اللب من عجائب المقدور، و اهتز

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : يتركب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
و م ، وفى الأصل : استحقق (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الى (٥) من ظ
و م ، وفى الأصل : من (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الالتقاء (٧) من م ،
وفى الأصل و ظ : اهلاك (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : العقل .

٨٩٤ /

السامع / غاية الاهتزاز إلى وصف الفاعل ذلك الذى هو خارج عن طوق البشر، وخارق للعوائد، وهو إظهار شخص واحد على الناس كافة مع شدة عداوتهم له، جاءت الإخلاص كاشفة لما ثبت من العظمة لولى النبي صلى الله عليه وسلم سبحانه وتعالى الذى أمره بهذا الدين وفعل له هذه [الأمور - ١] العظيمة الموجبة لمن له قلب^٢ أو ألقى السمع وهو شهيد، لئلا يستبعد عليه سبحانه وتعالى شيئاً من ذلك ولا غيره، وإن تمثيل جميع ما يأمر^٣ به كائناً ما كان وكائناً فيه ما كان على أى وجه كان موافقة لأمره وطاعة له و منبئة للاعتقاد الحق الذى اوجب هذه النصرة،^٤ وورادة^٥ على جميع فرق الضلال، هذا - فى انعطاف الآخر على الأول بالنسبة إلى السور - من أعظم المناسبات فى ذلك بالنظر إلى ١٠ الآيات أنه سبحانه شرح بالفيصل وما بعدها^٦ من السور آيات^٧ الفاتحة كلها [ثم - ١] من أول البقرة إلى آية التوحيد، فأشار بالفيصل إلى استجماع الصفات الكمال بأن له الحمد بما حرس به بيته من الملوك وحماه من كيد الجبارة وأحسن الترية لقريش الذين هم أشرف العالمين وبصلاحهم صلاح بلدتهم أم القرى، وبصلاحها^٨ صلاحها، فدل ذلك على أنه يدين ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ، وفى الأصل و م : لب (٣) من م، وفى الأصل : يمر، وفى ظ : يومر (٤-٤) من م، وفى الأصل و ظ : واردة . (٥) من ظ و م، وفى الأصل : بعد (٦) من ظ و م، وفى الأصل : بأن . (٧) من م، وفى الأصل : بصلاحهم، والعبارة فى ظ ساقطة من « صلاح » إلى « صلاحها » .

العباد يوم التناد ، ولذلك أعطى رأس الهداة الدين الذى أفرد به بالعبادة
والاستعانة بالكوثر، وهداه إلى الصراط المستقيم ، وأعاده من^١ طريق
الكافرين المعاندين والضالين ، وأشار أول البقرة إلى دخول المتقين
- الذين الكتاب هدى لهم - فى الدين أفواجا وإن أغنى أهل الكفر^٢
هـ وأعتاهم سواء عليهم الإنذار وعدمه فى أنه لا يؤمن وهو أبو لهب
ومن سار بسيره من مجاهر ومسار ويعمهم الخسار، ويشملهم الهلاك
والتبار، بحكم الواحد القهار، المأمور بعبادته وتوحيده فى الآية الجامعة
لدعوات التوحيد ”يا أيها الناس اعبدوا ربكم“ المتصف بما فى سورة
الصمد التى لم ينزل^٣ فى وصفه مثلها، فتم الدين عند ذلك [بما له -^٤
١٠ سبحانه من كمال الأوصاف، وجلال النعوت^٥ بالجهوت والالطاف،
فلم يبق إلا تعويد أهل الدين من أن يدخل عليهم خلل، أو يلحقهم
نزغ أو زلل، ففتحهم بالمعوذتين لذلك، والله المسؤول فى الإنعام بعائد
السؤل لكل سالك .

ولما كان المقصود من القرآن دعوة العباد إلى المعبود، وكان
١٥ المدعو إلى شئ. أحوج ما يكون إلى معرفته، وكان التعريف تارة
للذات وتارة للصفات وتارة للأفعال، وكانت هذه [الآمة -^٦

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : عن (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : الكفرة .

(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : لم ثل - كذا (٤) زيد من ظ وم (هـ) من

ظ وم ، وفى الأصل : النعوات

أشرف الأمم لأن نبيها أعلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، و'كان هي' الختام، أشبع الكلام في تعريفه سبحانه في القرآن، وأنهى' البيان في ذلك إلى حد لا مزيد عليه ولم يقاربه في ذلك كتابا من الكتب / السالفة، ٨٩٥ / ولكنه لما كان الكبير إذا تناهى كبره عزت معرفة ذاته، و كان الله تعالى هو الأكبر مطلقا، وكانت معرفة ذاته - كما أشار إليه الغزالي في هـ الجواهر، والفخر الرازي في كتبه - أضيق ما يكون مجالا وأعسر^٢ مقالا، وأعصاه على الفكر^٣ مثلا، وأبعده عن قبول الذكر استرسالا، لأن' القرآن لا يشتمل من ذلك إلا على تلويحات وإشارات* أكثرها يرجع إلى ذكر التقديس المطلق كقوله تعالى "ليس كمثل شيء" وهو السميع البصير"، وإلى التعظيم المطلق كقوله "سبحانه وتعالى عما يصفون" ١٠ فكان القياس أن يقتصر على ذلك مع التعريف بالصفات والأفعال، لكن لما كانت هذه الأمة في الذروة من^٤ حسن الأفهام مع ما نالته من الشرف، حباها سبحانه وتعالى بسورة الإخلاص كاملة بيان لا يمكن أن تحتمل عقول البشر زيادة عليه، وذلك ببيان أنه ثابت ثباتا لا يشبهه ثبات على وجه لا يكون لغيره أصلا، وأنه سبحانه وتعالى منزّه عن الشبيه ١٥ والنظير والمكافئ^٥ والمثيل، فلا زوجة له ولا ولد، ولا حاجة بوجه

(١ - ١) من ظ و م، وفي الأصل: لما كان هو (٢) من ظ و م، وفي الأصل: اعنده (٣) من ظ و م، وفي الأصل: الكفر (٤) سقط من م. (٥) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: و (٧) من ظ و م، وفي الأصل: المكان.

إلى أحد، بل له الخلق و الأمر، فهو يهلك من اراد و يسعد من شاء،
 فقال أمرا لنبه صلى الله عليه و سلم ليكون أول كلمة فيها دالة على
 رسالته ردا على من كذبه في خاصة نفسه و على البراهمة القائلين: إن في
 العقل غنى عن الرسل. و يكون البيان جاريا على لسانه صلى الله عليه
 و سلم ليكون إلى فهم الخلق عنه لتلك الصفات العلى أقرب لما لهم به
 من المجانسة: ﴿قل﴾ أى يا أكرم الخلائق و من لا يفهم عن مرسله
 حق الفهم سواء، و إطلاق الأمر بعدم التقيد^٢ بمقول له^٢ يفهم عموم
 الرسالة، وأن^٣ المراد كل من يمكن القول له سواء كان سائلا عن ذلك^٤
 بالفعل أو بالقوة حثا على [استحضار-°] ما لرب هذا^٥ الذين- الذى حاطه
 ١٠ هذه الحياطة و رباه هذه التربية- من العظمة و الجلال، و الكبرياء و الكمال،
 ففى الإطلاق المشير إلى^٦ التعميم رد^٧ على من أقر بارساله صلى الله عليه
 و سلم إلى العرب خاصة، و يدل على أن مقول القول لا ضرر فيه على
 أحد فان ظواهره مفهومة لكل أحد لا فتنة فيها^٨ بوجه، و إنما تأتى الفتنة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يشاء (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل:
 بقوله (٣) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها.
 (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: عن ذلك سائلا (٥) زيد من ظ و م.
 (٦) من ظ و م، و فى الأصل: على (٧) زيد فى الأصل: هذه الصفات،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ردا.
 (٩) من ظ و م، و فى الأصل: فيه.

عند تعمق الضال إلى ما [لا - '] يحتمله عقله .

و لما كان أهم المقاصد الرد على المعطلة الذين هم ضرب ممن يقول
 " نموت ونحيا و ما يهلكنا الا الدهر " أثبت وجوده سبحانه على أم
 الوجوه و أعلاها و أوقاها و أجلاها بما معناه أن حقيقته ثابتة ثباتا لا يتوجه
 نحوه شك بوجه^٢ من الوجوه^٢، فقال مكاشفا للأسرار - فإنه لا يمكن هـ

٨٩٦ /

غيبته [عنها - ٢] أصلا - / [و - ٣] للوالهين ؛ (هو) فابتدأ بهذا الاسم
 الشريف الذى هو أبطن الأسماء إشارة إلى أنه غيب الغيب بالنظر
 إلى ذاته [كالألف ، و إلى أنه واجب الوجود لذاته - '] ، و أن هويته
 ليست مستفادة من شيء سواها و لا موقوفة على شيء سواها ، فإن كل
 ما^١ كانت هويته مستفادة من غيره أو^١ موقوفة عليه^٢ فتى لم يعتبر غيره ١٠
 فلم يكن هو هو ، و ما^١ كانت هويته لذاته فهو هو سواء اعتبر^٢ غيره
 أو لم يعتبر ، فإذا لا يستحق هذا الاسم غيره أصلا على أن الهاء بمفردها
 مشيرة - بكونها من أبطن - الخلق إلى أنه هو الأول و الباطن المبدع^٣ لما
 سواه ، و الواو - بكونها من [أظهر - '] حروف الشفة - إلى أنه الآخر
 و الظاهر ، و أن إليه المنتهى ، و ليس وراءه مرمى ، و أنه المبدئى المعيد ١٥
 - كما يشير إلى ذلك تكرير الواو فى اسمها ، و إلى أنه محيط بكل شيء لما

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرّتين من ظ و م (٣) زيد من م .
 (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٦-٦) من ظ و م ، و فى
 الأصل : هو موقوف (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتبره (٨) من ظ
 و م ، و فى الأصل : المبتدع .

فيها من الإحاطة .

ولما كان وجوده سبحانه لذاته ، ولم يكن مستفادا من غيره ،
فإن ما استفيد وجوده من غيره كان ممكنا ، [كان - ^١] لا يمكن شرح
اسمه الذي هو هو ، لا اسم الحقيقة غيره يقوم من جنس ولا نوع
٥ ولا فصل لأنه لا جنس له ولا نوع [له - ^٢] ولا سبب يعرف به ،
والذي لا سبب له لا يمكن معرفته إلا بلوازمه ، واللوازم منها سلبية
ومنها إضافية ، ومنها قرينة ومنها بعيدة ^٢ ، [والتعريف بالإضافة وبالقرينة
أتم من التعريف بالسلبية والبعيدة - ^٢] ، لأن البعيد كالضاحك الذي
هو بعد المتعجب بالنسبة إلى الإنسان لا يكون معلولا^١ شيء [بل - ^٢]
١٠ معلولا لمعلوله ، وبالجمع بين السلبية والإضافة أتم من الاختصار على
أحدهما ، فلذلك اختير اسم جامع^٢ للنوعين ليكون التعريف^٢ أتم ، وذلك^٢
هو كون تلك الهوية إلها ، فاختر لذلك اسم دال عليها وهو مختص
غير مشترك ، وهو أول مظاهر الضمير كما أن الهمزة أول مظاهر الألف ،
ولهذا قال بعضهم : الاسم الأعظم آخر الظواهر من الأسماء ، ولهذا
١٥ كانت كلها صفات له وهو أول البواطن ،^٤ فقال مكاشفا للأرواح^٤

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : بعيد .
(٤) من ظ و م ، وفي الأصل : معلوما (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الجامع .
(٦) زيد في الأصل : بذلك ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ
وم ، وفي الأصل : لذلك (٨-٨) في الأصول : نقيل مكاشفة الأرواح - كذا .
وللوحدين (٨٨) ٣٥٢

وللوحدين : (الله) أى الموجود الذى لا موجود فى الحقيقة سواه !
هو المسمى بهذا الاسم ، واختير هذا الاسم للاخبار عنه لدلالته على
جميع صفات الكمال : ' الجلال والجمال ' ولأنه اسم جامع لجميع [معاني - ٢]
الاسماء الحسنى ، وهو أقرب اللوازم للهوية لأنه [لا - ٢] لازم لها
أقرب من وجوب الوجود الذى هو مقتضى الذات على ما هى عليه من ه
الصفات ، لا بواسطة شيء آخر ، وبواسطة وجوب وجوده كان مقيضا
باختياره الإيجاد [على كل شيء أرادته ، و بمجموع الوجوب الذى هو
سلب وحده والإيجاد - ٢] الذى هو اختيار للوجود ' [بإضافة الوجود - ٢]
وإضافة للالهية ' التى جمعتها الجلالة ، وهى أقرب اللوازم إلى الذات
القدس ، ودل التعبير به على أنه [لا - ٢] مقوم للهوية من جنس ١٠
ولا غيره ولا سبب ' ، وإلا لكان العدول عنه إلى التعريف ' باللازم
قاصرا ، وعلى أن إلهيته ' على الإطلاق ' / لجميع الموجودات ، فكان
شرح تلك الهوية باللازم أبلغ البلاغة وأحكم الحكمة ، لأنه - مع كونه
هو الحق - مشير ' إلى ما ذكر من الدقائق .

ولما ذكر الذات [التى - ٢] لا سبب لها ولا مقوم من جنس ١٥

(١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢ - ٢) سقط ما
بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : للوجود (٥) زيد فى ظ :
هو الالهية (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ذات (٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : بسبب (٨) فى ظ : التعبير (٩ - ٩) من ظ و م ، وفى الأصل :
للاطلاق (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : مشيرا .

ونوع وغيره أصلاً بل هي بجمود وحده وتنزه عن تركب لا كثرة لها ولا اثنية بوجه، وعرفها باسم جامع 'الأنواع السلوب' والإضافات اللازمة لها هو أقرب اللوازم إليها، فأنشرح وجودها المخصوص على ما هو عليه، فكان [ذلك - ٢] تعريفاً كاملاً لأن تعريف ما لا تركب فيه باللوازم^٢ القريبة في الكمال كتعريف المركبات بمقوماتها، فان التعريف البالغ هو أن يحصل في النفس صورة مطابقة للعقول، وكانت الزيادة في الشرح مطلوبة لأنها أكل لاسيما في الأمور الباطنة الخفية، أتبع ذلك باسم سلبى إشارة إلى [أن - ٢] النظر في هذه الدار إلى جانب الجلال ينبغي كونه أعظم، وذلك الاسم قربه من الجلالة كقربتها ١٠ من الهوية، فانه دال على الوحدة الكاملة المجردة وهو منزل^٣ الجلالة كما أنها منزل الهوية، وهو كما أن الجلالة لم يقع فيها شركة^٤ أصلاً قد ضاهاها في أنه لا شركة لغيره تعالى فيه عند استعماله مفرداً بمعناه الحقيقي إلا [أن - ٢] في النفي إشارة إلى أن كل ما عداه سبحانه عدم، فقال مكاشفاً للقلوب و للعارفين مكذباً^٥ للنصارى القائلين بالآب والابن ١٥ و روح القدس، و لليهود القائلين بأنه جسم، و للجوس الذين يقولون (١ - ١) من ظ، وفي الأصل: نوع الاسلوب، وفي م: لنوع السلوب. (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: بالارم (٤) من ظ و م، وفي الأصل: تنزل - كذا (٥) من ظ و م، وفي الأصل: من شرك. (٦) من ظ و م، وفي الأصل: تكذيباً.

بأنه اثنان: نور يخلق الخير، وظلام يخلق الشر، وللصابغة الذين يعبدون
النجوم، وللشركين القائلين بالهية الاصنام، مخبرا 'خبرا آخر'، أو مبدلا
من الجلالة، أو مخبرا عن مبتدأ محذوف: (احد^٢) وهو لاجل كونه
خاصة^٢ في الإثبات حال الانفراد به تعالى معرفة غنى عن [وآل، -^٢]
المعرفة، وهو أعرق في الدلالة على صفات [الجلال كما أن الجلالة ه
أعرق في الدلالة على صفات -^٢] الكمال لأن الواحد الحقيقي ما يكون
منزه^٤ الذات عن أنحاء التركيب والتعدد [و-^٥] ما يستلزم أحدهما
كالجسمية والتحييز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة
الكاملة والحكمة النامة المقتضية للالوهية من غير لزوم دور و[لا-^٥]
تسلسل من جهة تركب أو غيره، و قرئ بإسقاط 'قل، هنا و في ١٠
المعوذتين مع الاتفاق^٦ على إثباتها^٦ في الكافرون ونفيها في تبت،
ولعل الحكمة أن الكافرون مخاطبة للكفار بما بين مشاققة ومشاركة^٧،
فناسب الحال أن يكون [ذلك-^٥] منه صلى الله عليه وسلم،^٨ وتبت
معاتبه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوينه فلا يناسب أن يكون
ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم،^٩ و الباقيات ما بين 'توحيد و' تعوذ، ١٥

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: أخرا (٢) في ظ: خاصا (٣) زيد من م.

(٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: بالذات عن إيجاد (ه) زيد من ظ و م.

(٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: في إثباتها (٧) من ظ و م، وفي الأصل:

تاركة (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩-٩) من ظ و م، وفي الأصل:

توحيد ه.

فناسب أن يؤمر بتبليغه و أن يدعو به ، و رتب الأحدية على الإلهية دون
العكس ، لأن الإلهية عبارة عن استغنائه عن الكل ، واحتياج الكل إليه ،
و كل ما كان كذلك كان واحدا مطلقا ، و إلا لكان محتاجا إلى أجزائه ،
[فالإلهية من حيث هي تقتضى الوحدة ، و الوحدة لا تقتضى الإلهية ، و عبر
به دون واحد ، لأن المراد الإبلاغ في الوصف بالوحدة إلى حد لا يكون
شيء أشد منه ، و الواحد - قال ابن سينا - مقول على ما تحته بالتشكيك ،
والذى لا ينقسم بوجه أصلا أولى بالواحدية مما ينقسم من بعض الوجوه ،
و الذى ينقسم انقساما عقليا أولى مما ينقسم بالحس ، و الذى ينقسم
بالحس و هو بالقوة أولى من المنقسم بالحس بالفعل ، و إذا ثبت أن
١٠ الوحدة قابلة للأشد و الأضعف ، و أن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك
كان الأكمل في الوحدة الذى لا يمكن أن يكون شيء آخر أقوى منه
فيها ، و إلا لم يكن بالغاً أقصى المرام ، و الواحد جامع لذلك دال على
الواحدية من جميع الوجوه ، و أنه لا كثرة هناك أصلا ، لا معنوية من
المقومات من الأجناس و الفصول و لا بالأجزاء العقلية^٢ كالمادة و الصورة ،
١٥ و لاحسية بقوة و لافعل كما في الأجسام ، و ذلك لكونه سبحانه منزها^٣
عن الجنس و الفصل و المادة و الصورة و الأعراض و الأبعاد و الأعضاء
و الأشكال و الألوان و سائر وجوه الثنية^٤ التى تلم الوحدة الكاملة الحقّة
(١) العبارة من هنا إلى ما سنبه عليه زيدت من ظ و م (٢) في ظ : الفعلية .
(٣) من ظ ، و في م : منزّه (٤) في ظ : استشبيه .

اللائقة بكرم وجهه وعز جلاله أن يشبهه شيء أو يساويه لأن كل ما كانت هويته إنما تحصل من اجتماع أجزاء كانت هويته موقوفة على حصول تلك الأجزاء، فلا يكون هو هو لذاته بل لغيره، فلذا كان منزها عن الكثرة بكل اعتبار، ومتصفا بالوحدة من كل الوجوه، فقد بلغ هذا النظم من البيان أعظم شأن، فسبحان من أنزل هذا الكلام ما ه أعظم شأنه وأقهر سلطانه، فهو منتهى الحاجات، ومن عنده نيل الطلبات، ولا يبلغ أدنى ما استأثره من الجلال و'العظم والبهج' أقصى نعوت الناعتين وأعظم وصف الواصفين، بل القدر الممكن منه الممتع أزيد منه هو الذي ذكره في كتابه العزيز، وأودعه وحيه المقدس الحكيم، وبالكلام على معناه ومعنى الواحد تحقق ما تقدم، قال الإمام ١٠ أبو العباس الاقلشئي^٢ في^٣ شرح الاسماء: فن أهل اللسان من ساوى بينهما جعلهما مترادفين، ففهم من قال: أصل أحد^٤ واحد سقطت منه الألف ثم أبدلت الهمزة من الواو المفتوحة، [ومنهم من قال: ليس أصله واحد وإن كانا بمعنى واحد، بل أصله وحد - من الوحدة - يحد فهو وحد -^٥] مثل حسن يحسن فهو حسن^٦ - من الحسن، أبدلت الواو همزة، وأما من فرق ١٥ بينهما ففهم من قال: أحد اسم على حياله لا إبدال فيه ولا تغيير، ومنهم من قال: أصله وحد، أبدلت الواو همزة - انتهى، وقد استخلصت

(١-١) في ظ: العظمة والبهجة (٢) راجع معجم المؤلفين ٢ / ١٨١ (٣) في

ظ: من (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ .

الكلام على الاسمين الشريفين من عدة شروح للأسماء الحسنی و غيرها
 منها شرح الفخر الرازی و الفخر الحرالی و غیرهما، قالوا: الواحد
 الذی لا کثرة فیہ بوجه لا بقسمة و لا بغيرها مع اتصافه بالعظمة لیخرج
 الجوهر الفرد و هو [أيضا - ٢] الذی لا یتثنى، أى لا ضد له و لا شیه،
 ٥ فهو سبحانه واحد بالمعنيين على الإطلاق لا بالنظر إلى حال و لا شیء،
 قال الإمام أبو العباس الاقلیشی فی شرح الأسماء: هذه حقيقة الوحدة عند
 المحققين، فلا یصح أن یوصف شیء مرکب بها إلا مجازا، كما تقول: رجل
 واحد، و درهم واحد، و إنما یوصف بها حقيقة ما لاجزء له كالجوهر
 الفرد عند الأشعرية غیر أنك إذا نظرت فوجدت وجوده من غیره
 ١٠ علمت أن استحقاقه لهذا الوصف ایس کاستحقاق موجد له، و هو أيضا
 إنما یوصف به لحقارته، و موجد سبحانه موصوف به مع الاتصاف
 بالعظمة، فاتصافه بالوحدة على الإطلاق، و اتصاف الجوهر بالنظر إلى
 عدم التركب من الجسم مع أن صحة اتصافه بأنه جزء یزیل عنه حقيقة
 ذلك، و الوحدة أيضا بالنظر إلى المعنى الثانی و هو ما لا نظیر له لا تصح
 ١٥ بالحقيقة إلا له سبحانه، و کل ما نوعيته فی شخصيته كالعرش و الكرسي
 و الشمس و القمر یصح أن یقدر لها نظائر، و له معنى ثالث و هو
 التوحد بالفعل و الإيجاد، فیفعل کل ما یرید من غیر توقف على شیء،
 و الفرق بین هذا الوجه و الذی قبله أن الاول ناظر إلى نفي إله ثان،
 و هذا ناف لمعين و وزیر، و كلاهما وصف ذاتی سلبي، و الحاصل أن

(١-١) فی ظ: الأسماء (٢) زید من ظ .

النظر الصحيح دل على 'أن لنا' موقدا واحدا بمعنى أنه لا يصح أن يلحقه
نقص القسمة بوجه من الوجوه و بمعنى أنه معدوم النظير بكل اعتبار،
و بمعنى أنه مستبد بالفعل مستقل بالإيجاد و متوحد^٢ بالصنع متفرد بالتدبير،
قضى بهذا شاهد العقل المعصوم من ظلمة الهوى و كثافة الطبع،
و ورد به قواطع النقل و نواطق السمع، و لهذا كان من أعظم الحق ٥
دعاؤه سبحانه لجميع الخلق، و كانت دعوة رسوله الخاتم صلى الله عليه
و سلم للخلق كافة، و قال الإمام - [حجة الإسلام أبو حامد الغزالي
في آخر شرحه للأسماء في بيان رد الأسماء الكثيرة إلى ذات واحدة
و سبع صفات : الأحد المسلوب عنه النظير، و قال في الشرح المذكور :
الواحد هو الذي لا يتجزى 'و لا يشئ'، أما الذي لا يتجزى 'فكالجوهر ١٠
الواحد الذي لا ينقسم فيقال : إنه واحد - بمعنى أنه لاجزء له، و لذلك النقطة
لاجزء لها، و الله تعالى واحد - بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته،
و أما الذي لا يشئ فهو الذي لا نظير له كالشمس مثلا فانها و إن كانت
قابلة للانقسام بالوهم متحيزة في ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهي لا نظير
لها إلا أنه يمكن أن يكون لها نظير، و ليس في الوجود موجود يتفرد ١٥
بخصوص وجوده تفردا لا يتصور أن يشاركه فيه غيره أصلا إلا الواحد
المطلق أزلا و أبدا، و العبد إنما يكون واحدا إذا لم يكن له في أبناء
جنسه نظير في خصلة من خصال الخير، و ذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) في ظ : موجد (٣) زيد من ظ .

وبالإضافة إلى الوقت إذ يمكن أن يكون في وقت آخر^١ مثله، وبالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع، فلا وحدة على الإطلاق إلا الله تعالى، وقال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتابه الملل والنحل: و اختلفوا في الواحد أهو من العدد أم هو مبدأ العدد وليس داخلا في العدد، وهذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراك^٢ لفظ الواحد، فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد، فان الاثنين لا معنى له إلا واحد، تكرر أول تكرير، وكذا الثلاثة والأربعة، و يطلق ويراد به ما يحصل منه العدد، أي هو علة^٣ ولا يدخل في العدد^٤ أي لا يتركب منه منه العدد، وقد تلازم الواحدية جميع الأعداد لا على أن العدد تركب منها بل وكل موجود فهو جنسه أو نوعه أو شخصه واحد يقال: إنسان واحد، وشخص واحد، وفي العدد - [٥] / كذلك فان الثلاثة في أنها ثلاثة واحدة، فالواحدة بالمعنى الأول داخلة في العدد، وبالمعنى الثاني علة العدد^٦، وبالمعنى الثالث ملازمة للعدد، وليس من الأقسام الثلاثة قسم يطلق على البارئ تعالى معناه: فهو واحد لا كالأحاد أي هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه^٧ القسمة - انتهى، وهو واحد^٨ أيضا بنفسه لا بالنسبة إلى ثان بوجه

/ ٨٩٨

(١ - ١) من ظ، وفي م: آخر (٢) من ظ، وفي م: اشتراط.
(٣) من ظ، وفي م: علة (٤) من ظ، وفي م: العدد (٥) وإلى هنا انتهت الزيادة من ظ وم واستأنف الأصل (٦) من ظ وم، وفي الأصل: للعدد.
(٧) من ظ وم، وفي الأصل: الوجوه (٨) من ظ وم، وفي الأصل: احد.

من الوجوه، و قال بعضهم: الواحد يدل على الأوليّة والأولية، لأن
الواحد في الاعداد ركنها وإظهار مبدئها، والواحد يدل على بينوته
من خلقه في جميع صفاته ونفى أبواب الشرك عنه، فالواحد بنى لنفى ما
يذكر معه من العدد، والواحد اسم لمفتتح العدد، وقال الإمام أبو حاتم
محمد^٢ [بن مهران -^٢] الرازي في كتابه الزينة، قال بعض الحكماء: إنما ه
قيل له سبحانه «واحد» لأنه عز وجل لم يرل قبل الخلاق متوحدا بالأزل
لاثنائي معه ولاخلق، ثم أبدع الخلق، فكان الخلق كله مع احتياجه إليه
سبحانه * محتاجا بعضه إلى بعض ممسكا بعضه بعضا متعاديا ومتضادا
ومتشاكلا ومزدوجا ومتصلا ومنفصلا، واستغنى عز وجل عن الخلاق
فلم يحتاج إلى شيء فيكون ذلك الشيء مقرونا به لحاجته إليه. ولاناواه ١٠
شيء فيكون ذلك الشيء أضدا له نصرا به، فيكون ذلك الضد والقرين
له ثانيا، بل توحيد الغنا عن جميع خلقه لأنه كان قبل كل شيء، والأولية
دلت على الوحدانية، فالواحد^٢ اسم يدل على نظام واحد يعلم باسمه أنه
واحد ليس قبله شيء:

و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد^٨ ١٥

-
- (١) من ظ و م، وفي الأصل: الله (٢) من معجم المؤلفين ١/٣٥، وفي الأصول:
أحمد (٣) زيد من ظ و م إلا أن فيهما «حمدان» والتصحيح من معجم المؤلفين.
(٤) من ظ و م، وفي الأصل: الحكمة (٥) زيد في الأصل: وكذا، ولم تكن
الزيادة في ظ و م لحذفناها (٦-٧) من ظ و م، وفي الأصل: ضلاله مقربا.
(٧) في ظ: فالوحدانية (٨) سقط البيت من ظ و م.

و الواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء، بل هو قبل كل عدد
و هو خارج عن العدد، و الواحد كيفما أدرته لم يزد فيه شيء و لم ينقص
منه شيء، تقول: واحد في واحد بواحد^١ - فلم يزد على الواحد شيء، فدل
على أنه لا شيء قبله، و إذا دل على أنه لا شيء قبله دل على أنه محدث
الشيء^٢، فإذا دل على أنه محدث الشيء^٣ دل على أنه معن الشيء، و إذا كان

معنى الشيء دل على أنه لا شيء بعده، فإذا لم يكن قبله شيء و لا بعده شيء
فهو المتوحد بالأزل، يعنى فهو الواحد الذى لا نظير له فهو الأحد، قال:

فلذلك قيل: هو واحد و^٢ أحد، / و قلنا: إن الأحد هو اسم أكمل
- أى أعم - من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد،

١٠ جاز في المعنى أن يقوم له اثنان أو ثلاثة فافوقها، و إذا قلت: فلان
لا يقوم له أحد، فقد جزمنا بأنه لا يقوم له واحد و لا اثنان و لا ما

فوقها، فصار الأحد أكمل من الواحد، و في الأحد خصوصية ليست
في الواحد، تقول: ليس في الدار واحد، يجوز أن يكون واحداً من

الدواب أو الطير أو^٦ الوحش أو الإنس، فكان الواحد يعم الناس و غير

١٥ الناس، و إذا قلت: ليس في الدار أحد، فهو مخصوص للآدميين دون

سائرهم، و الأحد ممتنع من الدخول في الضرب و في العدد و في القسمة

(١) سقط من ظ (٢-٢) تكرر ما بين الرقيين في ظ (٣) من ظ و م، و في

الأصل: فهو (٤) من ظ و م، و في الأصل: هم (٥) في ظ و م: أنه (٦) من

ظ و م، و في الأصل: واحد (٦) من ظ و م، و في الأصل «و».

و في شيء من الحساب ، و هو منفرد بالآحادية ، و الواحد منقاد للعدد
و القسمة و غيرها داخل في الحساب ، تقول : واحد و اثنان و ثلاثة ،
فهذا و إن لم يكن من العدد فهو علة العدد ، و داخل في العدد ، لأنك
إذا ضربت واحداً في واحد لم يزد ، و اثنان هو جذر الحساب ، و تقول :
واحد في اثنين أو في ثلاثة فما فوقها فهذا هو الضرب ، و تقول في ٥
القسمة : واحد بين اثنين أو ثلاثة ، لكل واحد من الاثنين نصف ، و من
الثلاثة ثلث ، فهذه القسمة ، و الأحاد تمتع من هذا ، لا يقال : أحد
و اثنان و لا أحد في أحد و لا أحد في واحد و لا في اثنين أو ثلاثة ،
و الواحد و إن لم يتجزأ من الواحد فهو يتجزأ من [الاثنين و - ٢]
الثلاثة فما فوقها ، تقول : جزؤ واحد من جزئين أو ثلاثة فما فوقها ، ١٠
و لا يجوز : جزأ أحد من جزأين فما فوقهما ، و قد سمي الله نفسه واحداً
أحداً و وصف نفسه بالوحدانية و الآحادية ، فالواحد نعت يلزمه على
الحقيقة لأنه كان قبل و لاثنان معه ، و الثاني خلاف الواحد ، فهو واحد
لاتحاده في القدم ، و الخلق اثنان لاقتراحه بالحدث * لأن الحدوث ثان
للقدم ، و به ظهرت الثنية ، فالواحد هو الأحاد في ذاته فهو لا شيء قبله ١٥
و لا من شيء و لا في شيء و لا على شيء و لا شيء و لا مع شيء ، فيكون
ذاك الشيء ثانياً معه بل هو الواحد من شيء و الأشياء كلها [له - ٣] ،

(١) من ظ و م ، و في الأصل : متعاد (٢) من م ، و في الأصل وظ : واحد
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : اثنين (٥) من ظ و م ،
و في الأصل : بالخلق (٦-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ .

وهو المتحد بذاته ممتنع من أن يكون له شيء ثانيا بوجه من الوجوه
والخلق كله له وإن كان يسمى بالواحد، أو كانت هذه الصفة قد لزمت
جميع الأشياء في وجه فأنها تزول عنها في وجه. كما قيل: إنسان واحد
وفرس واحد وبعير واحد. وكذلك يقال لسائر الأشياء، وهذه صفة
٥ تلزمها في اللفظ، والمسمى لا يخلو من معان كثيرة مجتمعة [فيه - ١]
كالجسم والعرض، وهو واحد^٢ بمجموع من أشياء متفرقة. وكل شيء
لا يخلو من ازدواج^٣ وتضاد وتشاكل وحد وعد. وهذه الصفات كلها
تنفي عنه معنى الأحادية والواحدية، / و [في - ١] الواحد عن العرب
لغات كثيرة، يقال: واحد وأحد ووحيد وحاد وأحاد
١٠ وموحد [وأوحد - ١] - وهذا كله راجع إلى معنى الواحد، وإن
كان^٤ في ذلك معان لطيفة ولم يجيء في صفة الله عز وجل إلا الواحد
والأحد، قلت: والوحيد على بعض الإعرابات في المدثر، قال: وكلها
مشتقة من الواحد، وكأن ذلك مأخوذ من الحد، كأن الأشياء كلها
إليه^٥ انتهأؤها وهي محدودة كلها غيره عز وجل وهو محدود، بل هو
١٥ غاية المحدودين وغاية الغايات لا غاية له، والأحد يجيء في الكلام
بمعنى الأول وبمعنى الواحد، فإذا جاء بمعنى الأول وبمعنى الواحد جاز

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: أحد (٣) من ظ و م،
وفي الأصل: ازواج (٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: فكان (٥) من ظ
و م، وفي الأصل: إليها.

ان يتكلم به في الخبر كقولك : هذا واحد أحد ، والعرب كانت تسمى
 [يوم - '] الأحد في الجاهلية أولا ، وقولك « يوم الأحد » دليل على
 أنه اليوم الأول ' من الأسبوع ' ، والاثنين دليل على أنه اليوم الثاني ،
 وفي التوراة أن الله عز وجل أول ما خلق إمن الأيام « يوم الأحد » قلت :
 يمكن [أن يكون - '] معنى يوم الأحد يوم الله ، أضيف إليه لكونه هـ
 أول مخلوقاته من الأيام ، فلما أوجد الثاني سمي يوم الاثنين ، لأنه
 ثاني يوم الأحد ، قال : وضد الواحد اثنان ، وضد الأحد الآخر ،
 قال الله تعالى " قال أحدهما اني أراى اعصر خيرا " [ثم قال في ضده - ']
 " وقال الآخر " فهذا دليل على [أن - '] معنى قولهم « يوم الأحد »
 اليوم الأول ' لانهم قالوا لما بعده اثنان ، ولم يقولوا : الآخر ، لأن ١٠
 الأحد إذا لم يكن بمعنى الأول فضده الآخر ، وإذا كان الأحد بمعنى
 الأول جاز الخبر والجحد ، وإذا لم يكن بمعنى الأول و كان بمعنى
 الواحد جاز في الخبر و جاز في الجحد ، قال الله تعالى : " فابعدوا احدكم بورقكم
 هذه " [فهذا - '] من الخبر ، فاذا لم يكن أحد بمعنى الأول و بمعنى
 الواحد لم يحز أن يتكلم به إلا في الجحد ، تقول : ما جاءني أحد ، ١٥
 ولا يحوز : جاءني أحد ، وكلني أحد ، قال الله تعالى في معنى
 الجحد " يحسب أن لن يقدر عليه أحد " [وأحد - '] يستوى

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل : أحد (٤) تكرور في الأصل فقط (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل :
 الحجة (٦) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من
 ظ و م ، وفي الأصل : لا تقول .

فيه^١ المذكر والمؤنث ، قال الله تعالى : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء “
 وواحد لا يستوى فيه المذكر والمؤنث حتى يدخل فيه^٢ الهاء فيقال
 “واحدة”^٣ لا يجوز دكو أحد من النساء . وأحد يكون بمعنى الجمع ، تقول
 العرب : يظل أحدنا الأيام لا يأكل ، بمعنى كلنا [لا -] يأكل ، فاحتمل معنى
 الواحد والجماعة - انتهى ، فالواحد من الأسماء الثبوتية الإضافية ، يكون
 في أصل اللغة بالنسبة إلى ثان هو نصفه ، وثالث هو ثلثه ، و [هكذا -]
 هو صفة الله تعالى بمعنى المتوحد في الاتصاف بالالوهية حتى لا يقبلها
 غيره بوجه ، فلا شريك [له -] ، والأحد من النعوت السلبية ، بل
 هو مجمعها ، هو أحد في نفسه لا يقبل العدد ولا التركيب بوجه لا بالقسمة
 ١٠ ولا بغيرها سواء نظر إليه بالنسبة إلى الغير أو لا ، فهو متمحض للسلب .
 فهو وصف راجع إلى نفس الذات بمعنى أنه كامل في ذاته لا يؤثر في
 مفهومه النظر إلى شيء أصلا ، والفرد ناظر إلى نفي العدد ، فافترقت الأوصاف
 الثلاثة وإن كانت متقاربة في المعنى .

وقال الإمام أبو الخير القزويني الشافعي في / كتابه ” العروة الوثقى / ٩٠١

١٥ في أصول الدين “ ناقلًا عن بعض من فرق بينه وبين الواحد : إن
 الأحد اسم لنفي ما يذكر معه ، وعن بعضهم أنه الذي لا يجوز له التبعض
 لا فعلا ولا وهما ، فهو أحد بذاته وأحد بصفاته ، وتوحيد الله تعالى

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : في ذلك (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : في .

(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : واحد (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد من م .

(٦) راجع معجم المؤلفين ١ / ١٦٧ .

نفسه عليه بأنه واحد، وإخباره بذلك و توحيد العبد له عليه بذلك مع إقراره به؛ وقال الإمام فخر الدين الرازى فى شرح الاسماء الحسنى: قاله سبحانه وتعالى أحد فى ذاته، أحد فى صفاته، أحد فى أفعاله، أحد لا عن أحد غير متجزئ ولا متبعض^١، أحد غير مركب ولا مؤلف، أحد لا يشبهه شيء ولا يشبه^٢ شيئاً، أحد غنى عن كل أحد - انتهى، ٥
وهذا معنى ما نقله العربون عن ثعلب أنه فرق بينهما بأن واحداً يدخله العدد، وأحد لا يدخله ذلك، يقال: الله أحد، ولا يقال: زيد أحد، لأن الواحد خصوصية الله تعالى، وزيد يكون منه حالات، ونقض عليه بالعدد المعدد^٣ المعطوف، يقال: أحد وعشرون وأثنان وعشرون، ورد بأن أحداً فيه بمعنى^٤ واحد، وقال الإمام فخر الدين فى شرح الاسماء: ١٠
لأنه اختص به البارئ سبحانه، أما الواحد فيحصل فيه المشاركة، ولهذا السبب أعزى من لام التعريف لأنه صار نعتاً لله عز وجل على الخصوص، فصار معرفة، وقال الأزهري: سئل أحمد بن يحيى عن الأحاد هل هى جمع [أحد، فقال: معاذ الله ليس للآحد جمع، ولا يبعد أن يقال أنه جمع - ٥] واحد كالإشهاد جمع شاهد - انتهى، وقال ١٥
الاقليشى فى شرح الاسماء: الآحد هو الذى ليس بمنقسم ولا متجزئ،

(١) من م، وفى الأصل و ظ: مبعوض (٢) من ظ و م، وفى الأصل؛
(٣) سقط من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: معنى (٥) زيد
من ظ و م.

فهو على هذا اسم لعين الذات، فيه سلب السكثرة عن ذاته، فتقدس بهذا الوصف عن صفات الأجسام القابلة للتجزى والانقسام، والنقطة والجوهر الفرد عند مثبتة - يعنى من المتكلمين، والجوهر البسيط^١ عند مدعيه - يعنى من الفلاسفة، وإن كانت هذه لا تتجزى ولا تنقسم وإنها مخالفة للبارئ ٥ تعالى فى أحديته، أما النقطة فعرض عند بعضهم إذ هى عبارة عن طرف الخط، وإذا كان الخط عرضا فالنقطة أولى بالعرضية^٢، وأما الجوهر الفرد فانه وإن كان لا ينقسم فهو^٣ مقدر بجزءه، وكل ما قدر بجزءه فلا يخلو من الأكوان وهو كيفما كان على رأى من أثبتته من المتكلمين وإن كانوا فى أوصافه متنازعين فلا يخلو من الاعراض، ١٠ وأما الجوهر البسيط عند من أثبتته فوجوده عندهم ليس عينه إذ اثبتته غير ماهيته، وما هو بهذا الوصف عندهم فقيه اثبتية، فقارق البارئ سبحانه وتعالى بأحديته هذه الموجودات كما فارق بذاته الأجسام، فوجوده عن^٤ ذاته^٥ وليست^٦ صفاته تعالى مغايرة^٧ لذاته، وأما الواحد فهو وصف لذاته، فيه سلب الشريك والنظير عنه، فافترقا - يعنى بأن الاحد ناظر ١٥ إلى نفس الذات، والواحد إلى أمر خارج عنها، وقال البيهقي فى كتاب الاسماء والصفات: الاحد فيما يدعوه^٨ المشركون إلها [من دونه لا يجوز

(١) من ظ و م، وفى الأصل: البسيطة (٢) من ظ، وفى الأصل و م؛
العرضية (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فانه (٤) من ظ و م، وفى الأصل:
فى (هـ) من ظ و م، وفى الأصل: فليست (٦) من ظ و م، وفى الأصل:
متغايرة (٧) من ظ و م، وفى الأصل: يدعيه .

- ٩٠٢ / أن يكون [لها -^١] إذ كانت امارات الحدث من التجزى / والتناهي قائمة فيه لازمة له ، والبارئ سبحانه و تعالى لا يتجزى ولا يتناهي ، فقد مر أن الاحد خاص بالله سبحانه و تعالى ، إنه لا فرق في إطلاقه عليه سبحانه و تعالى بين تعريفه و تنكيده لأنه معرفة في نفسه ، فطاح اعتراض من قال من الملاحدين : الجلالة معرفة و أحد نكرة لا ينعت به ، و على تقدير التسلم يجوز جعله بدلا كما تقدم و لا مانع من إبدال النكرة من المعرفة مثل لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة ، قال صاحب كتاب الزينة : و على هذه القراءة - أى قراءة التنكير - أجمعت الأمة ، و روى قوم عن أبي عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق أنه قرأ قل هو الله الاحد الله الواحد الاحد الصمد ، و قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى شرح الاسماء ١٠ [الحسنى -^٢] : الاحد اسم أعجز الله العقول عن إدراك آيته فى الخلق إثباتا فلم تستعمله العرب مفردا قط أى وهو بمعناه^٢ الحقيقى لا بمعنى واحد و لا بمعنى أول مثلا إلا فى النفي لما علموا أنه مفصح عن إحاطة جامعة لا يشذ عنها شئ ، و ذلك بما تدركه العقول و الحواس فى النفي و لا تدركه فى الإثبات فيقولون : ما فى الدار أحد - نفيا لكل ١٥ و لا يسوغ فى عقولهم أن يقولوا : فى الدار أو فى الوجود [أحد -^٢] ، إذ لا يعقل عندهم ذات إنسان هى جامعة لكل إنسان ، فلما ورد عن
-
- (١) زيد من ظ و م إلا أن الزيادة فى الأول متوقفة على « من دونه »
 (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : معناه .

الله اسمه في القرآن تلقاه المؤمنون بالإيمان وأجبت قلوبهم سورة ذكره
 بجمعها لما لا يحصى من ثناء الرحمن وهي أحد الأنوار الثلاثة في القرآن ،
 [القرآن - ١] نور "ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا"
 ونور نوره [سورة - ١] ذكر الأحـد في ختمه وآية الكرسي في
 ٥ ابتدائه وسورة يس التي هي قلبه في محلها منه واحد مبين عن اسم [الله
 الذي هو بكل شيء محيط ، لا يتطرق إليه شرك في حق ولا باطل ،
 وهو واحد مبين عن اسم - ١] الإله الذي لا يصح فيه الشرك حقا ،
 وقد يتطرق إليه باطلا " واتخذوا من دون الله آلهة " وذلك لأن
 الواحد يضائف^٢ الثاني ، وأحد جامع محيط لم يبق خارج عنه فيضايفه
 ١٠ يعنى أن مفهومه ناظر إلى كونه سبحانه وتعالى الآن كما كان في الأزـل
 وحده ، فإن الخلق فإن فهو في الحقيقة عدم ، وكأنه ما كان لإحاطته
 به و كونه في قبضته وطوع مشيئته ، فلا خارج يكون مضافا له لأنه
 لا يضاف^٢ الشيء إلا مناظر لمساواة أو مباراة بمعاندة أو غيرها ، فالكل
 بالنسبة إليه عدم " انك ميت و انهم ميتون " " كل من عليها فان "
 ١٥ كل شيء هالك الا وجهه ، [هذا مراده - ١] بدليل سابقه ولاحقه
 فلا شبهة فيه لأهل^٣ الوحدة - عليهم^٤ الحزى واللعة ، قال : والوحدة

- (١) زيد من ظ و م (٢) في ظ و م : التي (٣) من ظ و م ، وفي الأصل :
 يضاف (٤) زيد في الأصل و م : له ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : غيرهما (٦) زيد من ظ (٧) من إظ و م ،
 وفي الأصل : لاجل (٨) تكرر في الأصل و ظ .

٩٠٣/

من الواحد هي [حد - ١] النهاية، / و الغاية بما هي وحدته، وما دون
الوحدة التي هي الغاية ثانيه ودونه وجماع إحاطات^٢ كل ذلك أعلى
وأدنى هي الأحادية التي لا يشذ عنها شاذ ولا يخرج عنها خارج، فمن
الاسماء معلوم لخليفة^٣ من خليفته بما أتاهم منه كالرحيم والعليم، ومنها
ما يعجز عنه خلافتهم كالاسماء المتقدمة من اسمه المحصى، ولكن ينال مثلاً ٥
من قولهم^٤، ومنها ما لم ينله العلم ولا أدركت مثله العقول وهو اسمه
الأحد، فالله هو الأحد الذي لا أحد إلا هو - انتهى، وقال الإمام^٥
أبو الحكم بن برجان في شرح الاسماء الحسنى: وهو - أي الأحد - أصل
لباب الوحدة، يدل على محض الوحدة، ألا ترى أنه ناف لما يأتي معه،
إذا قلت: لم يأتني أحد، انتفى الاثنان، ولا تقول: جاني أحد ١٠
كما تقول: جاني واحد، لأن واحداً^٦ تزول عنه الواحدية بضم ثان إليه
بخلاف الأحادية فإنها لازمة الواحد لا يفارقه حكمها بعد ضم الثاني بل
لها منه جهة محفوظة عليها يظهر ذاك بالاشفَاع والاوتار، فانك تقول:
ما جاني أحد، فتنتفى الاشفَاع كما تنتفى الاوتار، وهذا دليل على زيادة
شرفه فان الاسم كلما غمضت دلالاته وتمدت معرفته عن الأفهام وعزب ١٥
عن العقول علمه كان ذلك دليلاً على قربهِ من الاسم الأعظم - انتهى،

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفي الأصل: ما (٣) من ظ وم، وفي
الأصل: إحاطت (٤) في ظ: بخليفته (٥) في ظ: عقولهم (٦) سقط من ظ
وم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: واحد.

و قال بعض العارفين في كشف معنى الأحد و رتبته : إن الذات الأعظم
 غيب محض [و الأحد أول تعييناتها ، و لذلك بدئ بالهمزة التي هي أول
 تعيينات الألف التي هي غيب محض - '] و ذلك سر مخالفتها للأحرف
 في أن كل حرف يدل على مسماه أول حروف اسمه [إلا - '] الألف
 ه لكونها غيبا ، فكان أول اسمها [الهمزة التي هي أول تعييناتها ، و الهمزة
 لكونها مرقى إلى غيب الألف كان أول اسمها - '] أيضا [غير - ']
 دال على مسماها ، ثم بعد التعيين بالاحدية الشاملة المستغرقة [يتنزل - '] إلى
 الإلهية ثم منها إلى الواحدية ، و لذلك ابتدئ الواحد بالواو التي هي
 وصلة إلى ما فيه من الألف الذي هو غيب ، فان الواحد مرقى إلى
 ١٠ فهم الإله ، و الإله مرقى إلى تعقل الأحد ، و الأحد مرقى إلى التعبد
 للذات الأقدس الأنزه . و من اعتقد أحديثه سبحانه و تعالى ، أتبع له
 ذلك حبه و تعظيمه ، و هو توحيد الألوهية لأن التفرد بذلك يقتضي
 الكمال و الجلال - و الله الموفق .

و قال الإمام [أبو - '] جعفر ابن الزبير : لما انقضى مقصود
 ١٥ الكتاب العزيز بحملته عاد الأمر إلى ما كان ، و أشعر العالم بحالهم من
 ترددهم بين ' عدمين ' " ثم الله ينشئ النشأة الآخرة " فوجودهم منه سبحانه
 و تعالى و بقاؤهم به و هم و جميع ما يصدر عنهم من أقوالهم و أفعالهم
 (١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : ذلك له (٣) من ظ
 و م ، و في الأصل : و لا (٤) من ظ و م ، و في الأصل : من .

٩٠٤/

كل ذلك خلقه واختراعه، وقد كان سبحانه وتعالى ولا عالم ولا زمان ولا مكان، / [وهو الآن على ما - ١] عليه كان، لا يفتقر إلى أحد^٢ ولا يحتاج إلى معين، ولا يتقيد بالزمان، ولا يتحيز بالمكان، فالحمد لله رب العالمين، أهل^٣ الحمد ومستحقه مطلقا، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه المصير^٤ "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" هو الموجود الحق، وكلامه الصدق، "وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب والدار الآخرة خير للذين يتقون" فطوبى لمن استوضح أى كتاب الله، وأتى الأمر من بابه وعرف نفسه ودينه، وأجاب داعى الله ولم يرفاعلا في الوجود حقيقة إلا هو سبحانه وتعالى^٥، والحمد لله رب العالمين^٦، ولما كمل مقصود الكتاب، واتضح عظيم رحمة الله^٧ به لمن تدبر واعتبر وأتاب، كان مظنة الاستعاذة واللجأ من شر الحاسد وكيد الأعداء فحتم بالمعوذتين من شر ما خلق وذرا وشر الثقلين - انتهى.

ولما تم البيان لهويته^٨ سبحانه وتعالى على هذا الوجه الذى أنهاء بالأحادية المعلية بالتنزه عن القسمة والنظير، وكان بيان القرآن بالغا أقصى نهايات البيان، وكان الأحاد من النعوت المتوغلة في السلب،^٩ وكانت الشركة تقع في التعبير به في النفي^{١٠} وهو بمعناه الحقيقي وتقع

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم . وفي الأصل : حد (٣) من ظ وم ، وفي الأصل : اهله (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ وم (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : لهو (٦) من ظ ، وفي الأصل وم بالاتزان (٧-٧) من ظ وم ، وفي الأصل : بانفى .

فيه بالإثبات^١ والسلب على حد سواء، أو دلالاته على الكمال والإضافة
أكمل، وبناءه على الاسم الأعظم الذي هو آخر الأسماء الظاهرة وأول
الأسماء الباطنة، ولم يقع فيه شركة بوجه دفعا لكل تعنت، وإشعارا
بأن من لم يسم به لم يتسحق الألوهية، وأخلى الجملة عن عاطف لأنها
كانت نتيجة الأولى^٢ والدليل عليها، فقال مكاشفا لنفوس المؤمنين والعلماء^٣

معيدا الاسم ولم يضر لثلا يظن تقيد بحيثية غيب أو غيرها: ﴿الله﴾ أى
الذى ثبتت إلهيته وأحديته، لا غيره ﴿الصمد﴾ الذى تنهى سؤدده
المطلق فى كل شيء [إلى حد تنقطع دونه الآمال، فكان بحيث لا يحتاج
إلى شيء - °] وكل شيء إليه محتاج، وتنزه عن الجوفية فلم تدن من
١٠ جنبه بفعل ولا قوة لأنه تنزه عن القسمة بكل اعتبار مع العظمة التى
لا يشبهها عظمة، فكان واحدا بكل اعتبار، وذلك هو مفهوم الأحدية
عبارة وإشارة، فكان مصمودا إليه فى الحوائج أى مقصودا لأجلها،
فهو الموصوف بهذا الاسم على الإطلاق، وبكل اعتبار، فكان موجدا
للعالم لأن العالم مركب بتلليل المشاهدة فكان ممكنا فكان محدثه واجبا
١٥ قديما، نقيما للدور والتسلسل المحالين، وخلق [له - °] بالقدرة والاختيار

(١) فظ: من الأنبات وهو بمعنى الواحد مثلا أبين أحديته وأنهى اكليته
بيانه إلى أنهى عناياته باسم جامع بين الإضافة (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
الأول (٣) من ظ و م، وفى الأصل: العلماء (٤) من ظ و م، وفى الأصل:
نحوها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: واحد.

٩٠٥ /

لأنه / لو كان بالطبع والإيجاب لكان وجوده مع وجوده لأن العلة لا تنفك
 عن المعلول، فيلزم من قدم البارئ عز وجل قدم العالم، ومن حدوث
 العالم حدوث البارئ جل وعز، وذلك جمع بين القيصين وهو محال،
 وقصر الصمدية عليه لأن اشتداد الألف حاجة الشيء إلى غيره ربما
 كان موجبا لحفاء اختصاصه به، ولم يقصر الأحادية إما للتنبيه على أن ه
 ذلك لشدة ظهوره غنى عن التأكيد. وإما استلذا لهم لئلا ينفروا
 قبل سماع تمام^٢ السورة^١ على أنه^٣ بظهور قصر الصمدية التي أحد معنيها^٤
 لازم الأحادية ظهر الاختصاص بالأحادية، قال العلماء رحمهم الله تعالى:
 والصمد من صمد^٥ إليه - إذا قصده، وهو كالأحد، بنى على هذا
 الوزن لأنه لا تلحقه المضارعة ولا تدن منه المشابهة لأنه اسم خاص ١٠
 فهو السيد المصمود إليه، وهو أيضا الذي لا جوف له ولا رخاوة بوجه
 فيه، لأن الأجواف^٦ وعاء، وكل وعاء محتاج إلى موعيه، يقال: شيء
 مصمد، أى صلب، وحجر صمد: أملتس لا يقبل الغبار ولا يدخل فيه
 شيء ولا يخرج منه شيء، قال ابن قتيبة: وهو على هذا الدال فيه^٧
 مبدله من التاء وهو المصمت، وهو أيضا العالى الذى تنهى علوه، تقول ١٥
 العرب لما أشرف من الأرض: صمد - باسكان الميم، وبناء صمد أى

(١) فى م: لأنه (٢) فى م: تأكيد (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: تمام
 سماع (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: لأن (٥) زيد فى الأصل: ظاهر،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الصمد.
 (٧) فى ظ: الأجوف (٨) من ظ و م، وفى الأصل: منه .

معلى^١، فهو على التفسير الأول من الصفات الإضافية بمعنى أنه سيد لكل موجود، والكل محتاجون إليه في ابتداء إيجادهم وفي تربيتهم، فهم يصمدون إليه في الحوائج ويقصدون إليه في جميع الرغائب، وهو غنى على^٢ الإطلاق، وذلك هو اتصافه بصفات الإلهية، قال [الافليشى -^٣]:

ه فعلى هذا - أى أنه الذى يلجأ إليه ويعتمد عليه لتناهى سؤدده - يتشعب من صفة الصمد صفات السؤدد كلها من الجود والحلم وغير ذلك، وإذا قلنا: إن الصمد العالى تشعبت منه صفات^٤ تعالى كلها من العزة والقهر والعلو ونحوها - انتهى، وقد روى البيهقي رحمه الله تعالى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله "الصمد" قال: هو^٥ السيد الذى

١٠ كمل فى سؤدده، واشريف الذى كمل فى شرفه، والعظيم الذى كمل فى عظمته، والحليم الذى [قد -^٦] كمل فى حلمه، والغنى الذى [قد -^٧] كمل فى غناه، والجبار الذى [قد -^٨] كمل فى جبروته، والعالم الذى قد كمل فى علمه، والحكم الذى قد كمل فى حكمه^٩، وهو الذى^{١٠} كمل فى أنواع الشرف والسؤدد وهو الله عز وجل، هذه صفته لا تنبغى إلا له،

(١) من ظ و م، وفى الأصل: مطلق (٢) من ظ و م، وفى الأصل: عن.
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: الحكم (ه) زيد فى الأصل: المعالى و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، وفى الأصل: حكمته (٨) زيد فى الأصل: قد، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها.

٩٠٦/

ليس له كفوء، وليس كمثل شيء، ف سبحان الله الواحد القهار، وقال
 أبو العباس ابن تيمية [الحنبلي - ٢] في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن
 وأولياء الشيطان»: أجمع سلف الأمة وأئمتها أن الرب سبحانه وتعالى
 / بائن من مخلوقاته، يوصف بما ووصف به نفسه وبما وصفه به رسوله
 صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ٥
 ولا تمثيل. 'يوصف من صفات الكمال [دون صفات النقص، ونعلم
 أنه ليس كمثل شيء. ولا كفوء له في شيء من صفات الكمال - ٥] كما قال
 الله تعالى "قل هو الله أحد الله الصمد" - إلى آخرها، قال ابن عباس
 رضى الله عنهما: الصمد - إلى آخر ما مضى عنه، وقال ابن مسعود
 رضى الله عنه وغيره: هو الذى لا جوف له، والاحد الذى لا نظير ١٠
 له. فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات السكال ونفى النقائص عنه،
 واسمه الاحد يتضمن أنه لا مثل له، وقال الحرالى: الصمد - يعنى
 بالسكون: - التوجه بالحاجات إلى ملى بقضائها لا يحتاج إلى سواه، فلذلك
 يكون [الصمد - ٧] سيدا لا يساد، السيد الله - انتهى، وعلى التفسير
 الثانى: هو من النعوت السلبية، فهو دال على نفي الماهية التى تعنت بها ١٥
 فرعون لا قضاؤها المقومات المستلزمة للحاجة إلى ما به التقويم، وعلى

(١) تكرور فى الأصل فقط (٢) زيد من ظ، و راجع ترجمته معجم المؤلفين ١/ ٢٦١.
 (٣) من ظ و م، وفى الأصل: ما (٤ - ٤) فى م: بصفات (٥) زيد من م.
 (٦) من ظ و م، وفى الأصل: ان (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م،
 وفى الأصل: نعت.

إثبات^١ الهوية المنزهة عن كل شائبة نقص، فإن كل ما له ماهية كان له جوف و باطن، و هو تلك الماهية، و هو ما لا باطن له، و هو موجود فلا جهة و لا اعتبار في ذاته إلا الوجود، فهو واجب الوجود غير قابل للعدم، و قد علم بهذا أنه جامع لما ذكر فيما قبله، فإن هذا التفسير الثاني ٥ يتشعب منه من الأسماء ما ينظر إلى نقي التركيب كالأحد [ونحوه -^٢] و هذان التفسيران الأول و الثاني جامعان لجميع ما فسر به و لما عسى أن يقال فيه سبحانه من صفات الكمال، و نعوت^٣ العظمة و الجلال، فأن كان^٤ مضمودا إليه في جميع الحاجات و متعاليا عن كل سمت^٥ حدث و شائبة نقص كان موجدا لكل ما يريد من نفع و ضر و نافع و ضار، ١٠ قادرا على حفظ ما يريد، و كان معلوما كالشمس أنه لا شريك له، وأنه هو وحده المستحق للعبادة لاحتياج الكل إليه الاحتياج المطلق، و غناه عنهم الغنى المطلق، و تفرده بصفات الكمال و الانقطاع عن قرين، و إلى الصمدانية^٦ ينتهي التوجه و هو الإقبال بالكلية، و هي ترد^٧ على الفلاسفة القائلين بتدبير العقول، و الصاية القائلين بتدبير النجوم، و على ١٥ غيرهم من [كل من -^٨] ادعى تدبرا لغير الله سبحانه و تعالى، و من اعتقد

(١) من ظ و م، و في الأصل: لثبات (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: ما (٤) من ظ و م، و في الأصل: نعوذ - كذا. (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: فكان (٦-٦) من ظ و م، و في الأصل: سمت كل (٧) من ظ و م، و في الأصل: المدانية (٨) من ظ و م، و في الأصل: يريد.

صمدية المقضية لكمال الذات والصفات وشمول التدبير، أتج له كمال
 التفويض والتوكل وهو توحيد الربوبية، وهذه الأسماء الأربعة مشيرة
 إلى مقامات السائرين ومرامات^١ الحائرين والجائرين، فالمقربون نظروا
 إلى الأشياء فوجدوا كل ما سواه سبحانه وتعالى معدوما بالذات، فكان
 ذكرهم وهو، [و- ٢] أصحاب اليمين نظروا إلى وجود الممكنات فعينوا هـ
 مرادهم وميزوا مذكورهم بالجلالة، وأصحاب الشمال جوزوا الكثرة
 في الإله فاحتاجوا / في تكبيرهم^٢ إلى الوصف بالأحادية والصمدية، وهي
 رادة^٣ على أهل الاتحاد أعظم رد، فانهم يقولون: إن الإله هو هذا
 العالم، وهو منقسم بالحس فضلا عما عداه [و- ٢] محتاج أشد
 احتياج^٤.

١٠

ولما انتهى بيان حقيقته سبحانه وتعالى، وأنه غير مركب أصلا،
 وبين سبحانه بصمدية المستلزمة لوحديته^٥ أن الكل مستند إليه ومحتاج
 إليه، وأنه المعطى لوجود جميع الموجوات، والمفيض للوجود على كل
 الماهيات. فلا يحانس شيئا ولا يحانسه شيء، ولا يكون له نظير في
 شيء من ذلك. وكان ربما تعلق بوم وام أن تولد غيره عنه يكون ١٥
 من تمام سؤدده المعبر به عن قدره، بين أن ذلك محال لاقتضائه الحاجة
 بما لا تعلق له بالقدرة لأن القدرة من شأنها أنها لا تتعلق بالمحال، وهذا

(١) من ظ وم، وفي الأصل: مرمرات (٢) زيد من ظ وم (٣) في ظ: تكبيرهم.
 (٤-٤) من ظ وم، وفي الأصل: هو راد (٥) من ظ وم، وفي
 الأصل: الاحتياج (٦) من ظ وم، وفي الأصل: الوحدانية.

محال، لأنه سبحانه صمد. فكان ذاك [يانا -'] للصمدية في كلى معنيها، فقال من غير عاطف دالا على انتفاء الجوف الذى هو أحد مدلولي^٢ صمد، مكاشفا^٣ للعقلاء شارحا لأنه لا يساويه شيء من نوع يتولد عنه ولا جنس يولد هو عنه، ولا غير ذلك يوازيه^٤ في وجود ولا غيره: ٥ (لم يلد^٥) أى يصح ولم ينبغ بوجه من الوجوه أن يقع تولد الغير عنه مرة من المرات، فكيف بما فوقها لأن ذلك مستلزم للجوف وهو صمد لا جوف له، لأن الجوف من صفات النفس المستلزم للحاجة وهو مستغن بدوامه في أبديته عن مخلقه أو يعينه^٦ لا تمتاع الحاجة و الفناء عليه، فهو رد على من قال: الملائكة بنات الله أو عزيز أو المسيح ١٠ أو غيره .

ولما بين أنه لا فصل له، ظهر أنه لا جنس له، فدل عليه بقوله: (ولم يولد^٧) لأنه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعتول، فهو قديم لا أول له بل هو الأول الذى لم يسبقه عدم، لأن الولادة لا تكون ولا تشخص إلا بواسطة المادة وعلاقتها، وكل ١٥ ما كان ماديا أو [كان -'] له علاقة بالمادة، كان متولدا عن غيره، فكان لا يصح أن يتولد عنه شيء لأنه لا يصح أن يكون هو متولدا^٨

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : مدارول (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : تكاشفا (٤) في ظ و م : بموازته (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : يعينه (٦) زيد في الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذلتها . (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : متولده .

عن غيره لأنه لا ماهية له ولا اعتبار لوجوده سوى أنه هو ، فهو به لذاته ،
 [ومن كانت هويته لذاته - ١] لم يصح بوجه أن يتولد عن غيره [لأنه
 لو تولد عن غيره - ١] لم يكن هو هو لذاته ، ولا يكون أحدا حقيقيا^٢
 ولا صمدا ، فينتفى من أصله ، ولا يكون له من ذاته إلا العدم ، فقد تبين
 أنه واجب الوجود ، فوضح كالشمس أنه ليس^٣ ماديا لأنه غير محتاج^٥
 بوجه ، فلا يصح أن يتولد عنه غيره ، لأنه لم يصح أن يتولد هو عن
 غيره ، ومن كان كذلك لم يكن له مثل ، فلا يصح بوجه أن يساويه^٦
 شيء . ليصح أن يقوم مقامه فيما بين ما انتفى في الأول والآخر ، فدل
 على ذلك / إتماما لشرح حقيقته المعبر عنها بهو^٧ بقوله : (ولم يكن) ٩٠٨ /
 أى لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولا بتقدير من التقادير^٨ (له) ١٠
 أى خاصة (كفوا) أى مثلا ومساويا (احدي) على الإطلاق ، أى^٩
 لا يساويه فى قوة الوجود لأنه لو ساواه فى ذلك لكانت مساواته باعتبار
 الجنس والفصل ، فيكون وجوده متولدا عن الازدواج الحاصل من الجنس
 الذى يكون كالآم ، والفصل^{١٠} الذى يكون كالآب ، وقد ثبت أنه
 لا يصح بوجه أن يكون فى شيء من الولادة ، لأن وجوب وجوده لذاته ، ١٥
 فانتفى أن يساويه شيء فى قوة وجوده ، فانتفى قطعا أن يساويه أحد فى

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : حقيقا (٣) زهد فى
 الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : يساوى (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : التقديرات .
 (٧ - ٧) تكرر ما بين الرقین فى الأصل فقط .

شئ من قوة أفعاله ، فعطفت هاتين الجملتين على الجملة التي قبلها لأنَّ الثلاث
 شرح الصمدية النافية لأقسام الأمثال ، فهي كالجمل الواحد ، و قدِم الظرف
 في الثالثة لأن المقصود الأعظم نفي المكافأة عن الذات الأعظم ، فكان
 أم "و كفوا" حال من أحد . ويجوز أن يكون "كان" ناقصة . ويكون
 ٥ "كفوا" خبرها ، و سوغ خبريته تخصيصه بـ "له" كما قالوا في "ان كانت
 لكم الدار الآخرة عند الله ، و قد وضع أن هذه السورة أعظم مبين
 للذات الاقدس بترتيب لا يتصور في العقل أن يكون شئ يساويه ،
 و كلمات لا تقع في الوم أن يكون شئ يساويها أو يساوي شيئاً منها ،
 فأثبت أولاً حقيقته المحضة وهويته بأنه هو ، لا اسم لتلك الحقيقة من
 ١٠ حيث هي إلا ذلك ، فلم أنه واجب الوجود لذاته لا شئ آخر أصلاً ،
 ثم عقب ذلك بيانا له بذكر الإلهية التي هي أقرب اللوازم لتلك الحقيقة
 وأشدّها تعريفاً .

و لما اقتضت الإلهية الوحدة لأنها عبارة عن الاستغناء المطلق واحتياج
 الغير^٢ إليه الاحتياج المطلق ، دل عليها بالأحد ، و دل على تحقيق معنى
 ١٥ الإلهية والوحدة معا بالصمدية لما لها من المعنيين : وجوب الوجود بعدم
 الجوف وجوداً^١ أو تقديراً ، و^٣ السيادة المفيضة لكل وجود على كل

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : لذلك (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بيان .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : غيره (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : تحقق .
 (٥) العبارة من هنا إلى « موجود وجوداً » - نقطة من ظ (٦) من م ، وفي
 الأصل : وجوباً (٧) من م ، وفي الأصل : أو .

موجود وجودا لا يشبه وجوده سبحانه :

« وأين الثريا من يد المتناول ، الأمر أعظم من مقالة قائل ، »

وبين المعنيين كليهما بعدم صحة التوليد منه وله وعدم المساوى ، فمن أول السورة إلى آخر الاسماء في بيان حقيقته سبحانه وتعالى ولوازمها الأقرب فالأقرب و وحدتها بكل اعتبار ، ومن ثم إلى آخرها في بيان أن لا مساوى له لانه ه لاجنس له ولا نوع حتى يكون هو متولدا عن شيء أو يكون متولدا عنه شيء ، أو يكون شيء موازيا له في الوجود ، وبهذا القدر حصل تمام معرفة ذاته ، وأنه لا يساويه شيء في قوة وجوده فلا يساويه في تمام

أفعاله / بدلالة شاهد الوجود الذى [كشف - '] عنه^٢ والشهود بنصر ٩٠٩ /

نبيه صلى الله عليه وسلم الذى كلن يدعو أباهب و جميع الكافرين ١٠ الشاتين وحده وهم مل^١ الأرض ويخبرهم مع تحاملهم كلهم عليه أنهم مغلوبون ، وأنه أنام^٢ بالذبح لأن لمن أرسله الإحاطة الكاملة^٣ بجميع الكمال ، وقد كان الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم ، فقد صدقت مقالاته ، فثبت إلى الخلق كافة رسالاته^٤ ، وثبت^٥ مضمون جميع السورة بما ثبت

(١) في ظ وم : موازاة (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد في الأصل : الوجود و ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : اذلم . (٥) سقط من ظ وم (٦) من ظ وم ، وفي الأصل : رسالته ، والعبارة من بعده إلى « المشهورة » ساقطة من ظ (٧) من م ، وفي الأصل : بينت .

من هذه الأدلة المشهورة، والبراهين القاطعة المنصورة^١، وقد ثبت^٢ أنه
 صمد بما دل على [أحد-^٣] معنيه الذى هو انتفاء الجوفية بعدم التولد،
 وعلى المعنى الآخر الذى هو بلوغ المنتهى^٤ من السيادة بعدم^٥ المكافئ،
 فإن أنه هو لذاته فلا إله غيره، فانطبق آخرها على أولها، والتعم
 ٥ أى التهام مفصلها بموصلها، فلم أنه هو [هو-^٦] لاغيره بزيادة أنه الأحد
 ولا أحد حقا غيره، ومن تحقق آخرها قبل بكميته إله سبحانه، فلم
 يلتفت إلى غيره لأن الكل فى قبضته، وقد نقلت فى كتابي مساعد
 النظر [عن الإحياء-^٧] للامام الغزالي رحمه الله تعالى عليه فى شيء من
 أمرار هذه السورة كلاما هو فى غاية النفاسة. وروى الترمذى^٨ عن
 ١٠ أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا
 ربك، فأنزل الله تعالى: ^٩قل هو الله أحد - إلى آخرها، قال: لأنه ليس
 شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله تعالى^{١٠}
 لا يموت ولا يورث، ولم يكن له كفوا أحد - انتهى. ومن كان كذلك
 فهو الجامع^{١١} للأسماء الحسنى والصفات العلى كلها، وعلم أن حاصلها تنزيه
 ١٥ المعبود عن أن يكون له مجانس، أو يكون له مكافئ، والرد على كل
 من يخالف فى شيء من ذلك، وأعظم مقاصد آل عمران المناظرة^{١٢} لها

(١) من ظ وم، وفى الأصل: البصورة (٢) من ظ وم، وفى الأصل: بينت.
 (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، وفى الأصل: النهاية (٥) من ظ وم، وفى
 الأصل: مع عدم (٦) راجع الجامع ١٧٢/٢ (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ.
 (٨) من ظ وم، وفى الأصل: جامع (٩) من ظ وم، وفى الأصل: الناظرة.
 (١٠) من ظ وم، وفى الأصل: جامع (١١) من ظ وم، وفى الأصل: الناظرة.

في رد المقطع على المطلع ، المفتحة بالحي القيوم ، المودعة أوضح الأدلة
على كفر من كفر بالله سبحانه و تعالى لاسيما^١ من ادعى أن عيسى عليه
الصلاة والسلام إله^٢ أو أنه ولد له سبحانه و تعالى وكذا غيره الدلالة^٣
على بطلان مذهب من ادعاه إلهها و على أن عيسى عليه الصلاة و السلام
عبد من عبده أوجده على ما أراد كما أوجد من^٤ هو أغرب^٥ حالاً منه^٥
و إبطال قول من ادعى فيه غير ذلك . ولما عرفت هذه السورة حقيقة
الذات أتم تعريف ، و كان الغرض الأقصى من طلب^٦ العلوم بأسرها
معرفة ذاته سبحانه و تعالى و صفاته و كيفية صدور [الأفعال -^٧] عنه ،
و كان القرآن العظيم كفيلاً بجميع هذه العلوم ، و كانت هذه السورة منه
قد تكفلت بجميع ما يتعلق بالبحث عن الذات على سبيل التعريض^{١٠}
و الإيمان ، كانت معادلة لثلاث القرآن^٨ و هي ثلاث أيضاً^٩ باعتبار آخر و هو أن
الدين اعتقاد ، و فعل لسانى يترجم عن الاعتقاد ، و فعل / يصحح ذلك ، هي^{٩١٠/}
وافية بأمر^{١٠} الاعتقاد بالوحدانية الذي هو رأس الاعتقاد ، و باعتبار
أن مقاصده كلها محصورة في بيان العقائد و الأحكام و القصص ، و هذه

(١) زيد في الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة في م لحذفها (٢) من ظ
و م ، و في الأصل : الها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : ما (٤ - ٤) من ظ
و م ، و في الأصل : منه حالا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : مغلوب -
كذا (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : هو (٨) من ظ
و م ، و في الأصل : آخر (٩ - ٩) من ظ و م ، و في الأصل : مانى من امر .

السورة على وجازتها قد اشتملت على جميع المعارف الإلهية، والرد على من ألد فيها، ولأجل أن هذا هو المقصود بالذات الذي يتبعه جميع المقاصد عدلت في بعض الأقوال بجميع القرآن، وحاصل شرح هذه السورة العظمى أنه سبحانه وتعالى دل على الذات الأقدس بالهوية، وعبر عنها بالضمير لإشارة إلى نفي الماهية التي غلط أو غلط^١ فيها الكفور الأعظم ٥ فرعون - لعنة الله عليه وعلى أتباعه أهل الإلحاد. وأنصاره وأشياعه من أهل الاتحاد، ودل على ذلك بالاسم الأعظم المجمع عليه ودل عليه بالوحدة الجامعة للنفى، النافية للكثرة^٢ الموجبة للحاجة. ودل عليها بالصمدية النافية للجوفية المثبتة للسيادة الخفية، ودل على أول معنيها بانتفاء الولادة منه ١٠ وله، الدالان على نفي الجنس للقوم والفصل المقسم، ودل على الثاني بعدم المكافئ. ودل على هذا العدم بأفعاله العظيمة المشاهدة التي أشار قطعاً ترتيب السور بما انتهى إليه وضع هذه السورة في هذا الموضع إلى استحضارها، وتأمل ما كان منها من تربية هذا الدين بنصر^٣ نبيه الذي أرسله صلى الله عليه وسلم لإقامته، وسلط الكافرين - وهم ملء الأرض - ١٥ على أذاه، وجعل أعظمهم له أذى أقربهم إليه نسبا عمه أبالهب الذي كان يتبعه في تلك المشاهد والقبائل، ويلزمه في تلك المواسم والمعاهد والمحافل، يصرح بتكذيبه كلها دعا الناس إلى الحق، ويواجه بما هو أشد الأشياء على النفس كراهه^٤ وأشق، فكانت تلك الشهرة عين الرفعة

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : غلط (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : لكثرة .

(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لنصر (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : كراهية .

و النصره ، لأن الشيء إذا خرج عن حده انقلب إلى ضده ، فانه إذا
تأهت شهرته ثم بان بطلانه أو صحته رجعت شهرته بكونه باطلا أو صحيحا
أعظم منها لولم يتقدمها شهرة بغير ذلك ، فانقلبت النصره ، و عظمت
الكثرة ، فجلت المعاونة ، وزالت المباينة ، و حصل الوفاق ، و زال الشقاق ،
فدل هذا الفعل الأعظم من صدق الرسول صلى الله عليه و سلم و هو ه
وحده ، 'و كذب' المعاندين و هم من لا يحصيهم إلا الله في كل ما قال ،
و جمع ما قالوا على عزته سبحانه و تعالى بكونه نصر عبده على ذلك
الوجه الخارق للعاده و على حكمته بما سلطهم به عليه حتى أسرع الشهرة
و عمت النصره ، فلم بتلك المشاهده^٢ أنه العزيز الحكيم كما دلت عليه

سورة التوحيد المناظرة لهذه في رد المقطع على المطمع ، و هي آل عمران ١٠

٩١١ / المناظرة لهذه في الدلالة على التوحيد و المحاجة لمن ادعى أن له صاحبة
و ولد^١ ، فلم قطعا أنه لا كفوء له ، فلم أنه لا يصح أصلا أن يلد و لا أن
يولد ، فطلت قطعا دعوى إلهية عيسى عليه الصلاة و السلام و غيره ممن ادعى
فيه الولدية بالأحادية لما تقتضيه الولادة^٢ من المادة^٣ المقتضية للكثرة ،

الموجبة للحاجة ، و عظم البيان بما دل عليه الاسم [الأعظم - °] من ١٥
الإجماع بما تقتضيه الإلهية ، و لا إجماع على غيره ، و جل الأمر و انقطع

(١-١) من ظ و م ، و في الأصل : فكذب (٢) من ظ و م ، و في الأصل :

المشاهد (٣) من ظ و م ، و في الأصل : ولد (٤) سقط ما بين الرقین من ظ .

(٥) زيد من ظ و م .

النزاع بما دل عليه الضمير من وجوب الوجود النافي لما سواه من كل موجود - والله الهادي، فلقد أبانت السورة على أعظم الوجوه أن مرسله صلى الله عليه وسلم أجل موجود وأشرف حقيقة وأنفس معلوم، وأعظم ذات، وذلك يستلزم نفي كل ما لا ينبغي، وحصول ٥ كل ما ينبغي استلزاما لا يقبل الانفكاك، كالفردية في الوتر، والزوجة في الشفع، وتفصيل ذلك بعشرة أشياء تبسط على كلمات السورة على الترتيب: الأول أنه تعالى له الوجود الذي ما مثله فليس [هو^١] كالممكنات المسبوقة بالعدم والمنقطعة بالانعدام، والمنصرمة في الدوام، بل هو أزلي^٢ لا أول له أبدى لا آخر له، قيوم لا انصرام له، الثاني أن ١٠ له السبوحية الآتية على نفع كل نقص وعيب، الثالث أن له القدوسية المشتمة على الاتصاف بكل كال، من جلال وجمال، وتعال، الرابع أن له العظمة والجلالة عن أن يكون عرضا أو كالأعراض، أو جوهرًا أو كالجواهر، أو جسما أو كالأجسام، الخامس أن له العلو عن أن يحل في شيء أو [يحل فيه شيء أو يتحد بشيء أو -^٣] يتحد به شيء، السادس ١٥ أنه تعالى له الغنى عن الموجد^٤ كالأرب والموجب كالآب والمفيد أى لشيء من الكمالات، السابع أنه تعالى له الوحدة التي ليس فيها شبه

(١) زيد في الأصل: حصول، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: أول (٤) زيد في الأصل: وكان، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: جوهر. (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الوجود والموجود.

أى فى صفاته، و لامثيل أى فى نوع و لانسب [أى - ١] كالقراءة،
 الثامن أنه تعالى له الفردانية^٢ التى لا يصح فيها شرك، لافى الملك - بكسر
 الميم، و لافى الملك - بضمها، و لافى التدبير، و لافى التأثير، التاسع أنه تعالى
 له الكبرياء المنافية لقوت كمال^٣ أو كمال كمال، العاشر أنه تعالى له العزة
 المنافية لأن يكون له ضد - و هو المفسد لما يفعله، أو ند - و هو الموجد لمثل ه
 ما يوجد^٤، و تنزيل هذه العشرة على السورة واضح لمن تأمل الكلام
 و تدبره، و ابتداء سبحانه السورة بالضمير قبل الظاهر بعد التصريح بالنصر
 و الفتح و خسارة أهل الكفر بخسارة أبى لهب الذى هو أعلام و أعزم
 [إشارة إلى [أن] من صحح باطنه باسم الله تعالى نصر^٥ و فتح له^٦ - كما يشير
 [إليه - ١] تعقيب الأمر فى آخر سورة البقرة بالرغبة إليه فى النصر على ١٠
 الكافرين بقوله "الله لا اله الا هو الحى القيوم" فانه ترجمة أول هذه
 السورة التالية للنصر و الكافرون سواء بالضمير و الاسم الأعظم [و التوحيد
 الأعظم - ١] المقرون^٧ بدليله و هو القيومية، فقد بين آخر السورة الذى
 هو نتيجتها و رد مقطعتها على مطلعها^٨ أنه أحد حاضر فى كل زمن^٩
 لا يغيب أصلاً، و لا أحد يكافئه أو يشابهه، لأنه لم يتولد عنه شئ. و لا تولد ١٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: القرانية - كذا (٣) من
 ظ و م، وفى الأصل: الكمال (٤) من ظ و م، وفى الأصل: يفعله (٥) من
 ظ و م، وفى الأصل: او (٦ - ٦) من ظ و م، وفى الأصل: اله وفتح .
 (٧) من ظ و م، وفى الأصل: المقرونة (٨) من ظ و م، وفى الأصل:
 موصالها (٩) فى ظ: ذهن .

هو عن شيء، لأنه صمد لا جوف له^١ مطلقا لا في ذاته بالفعل، ولا بحيث
يخوّزه الوم لأنه أحد محيط بكل شيء لأنه^٢ هو الله المحيط بجميع
صفات الكمال والجمال^٣، وهو غيب محض لأنه لا يقوى غيره على معرفته
إلا باللوازم من الصفات المعقولة تقريبا، والأفعال المشاهدة آثارها،
هـ وهو هو الذي [هو -^٣] - مع كونه غيب الغيب - مستحضر في كل أب، لا يظهر
بغيب عن^٤ أحد بما له من الآثار، التي^٥ ملائمة الأقطار، ولذلك استحق
التسمية به هو، ولم يستحقها غيره لحضوره^٦ لكل قلب وغية غيره بكل
اعتبار، لأنه ليس للغير من ذاته إلا الغيبة^٧ بالعدم، وأما هو^٨ فهو
الواجب^٩ وجوده، وهو الذي أوجد غيره، وركز في [كل -^٣]
١٠ فطرة ذكره^٩، لما له سبحانه من الكمال، ولغيره من شدة الحاجة إليه
والاختلال، فكان سبوحا قدوسا جامعا بين الوصفين لأنه ممدوح بالفضائل
والمحاسن، التقديس مضمّر في صريح التسييح، والتسييح مضمّر في صريح
التقديس، وقد جمع الله سبحانه وتعالى بينهما في هذه السورة بالأسماء
التي جلاها أولها، فهو صريح التقديس، ومن ثم إلى آخرها صريح التسييح،

(١) زيد في الأصل: أصلا، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢-٢) في ظ
و م: الذي هو جامع لصفات الكمال (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل:
كل، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٥) سقط من م (٦) في م:
بمحضوره (٧) من ظ و م، وفي الأصل: لغيبة (٨-٨) من ظ و م، وفي
الأصل: فالواجب (٩) من ظ و م، وفي الأصل: ذكر.

والامران راجعان إلى إفراده و توحيده و نفي التشريك و التشبيه عنه،
وذلك هو الجمع بين الإثبات و النفي على تهيج ما وقع في كلمة
الإخلاص ليعلم أن الإثبات^١ لا يكمل إلا بصيائمه عن كل ما يتضمن مخالفته،
لكن كلمة الإخلاص تركبت^٢ من نفي ثم إثبات، و سورة الإخلاص
من إثبات ثم نفي،^٣ فأولها إثبات^٢ و آخرها نفي، و آخر الإثبات ه
الصمد، [فهو -^٤] جامع بين الأمرين فإنه جمع كل صفة لا يتم الخلق إلا بها
لأن أحد مدلوليه^٥ في اللغة: السيد الذي يرجع إليه، فاقضى ذلك
إثبات صفات الكمال التي بها يتم اتساق الأفعال و نفي كل صفة ينزه عنها،
لأن ثاني مدلوليه في اللغة: الذي لا جوف له، و ذلك يتضمن نفي النهاية
و نفي الحد و الجهة و الجسم و الجوهر، لأن من اتصف بشيء من ذلك ١٠
لم يستحل اتصافه بالتركيب و وجود الجوف، فقررت هذه الكلمة وجوب^٦
المعرفة بالنفي و الإثبات ليميز بين الحق و الباطل، لأن من [لم -^٧]
يتحقق صفاء الباطل لم يتقرر له المعرفة بالحق، و لذلك كان الصحابة
رضى الله تعالى عنهم و أرضاهم أجمعين يسألون النبي صلى الله عليه وسلم
/ عن الحق لصحة الاعتقاد و المعرفة، و عن الباطل و الشر للتمكن من ١٥ / ٩١٣
مجانته حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه: كان [الناس -^٨] يسألون

(١) العبارة من هنا إلى « ثم اثبات » ساقطة من ظ (٢) من ظ و م، و في
الأصل تركيب (٣-٣) تكرر ما بين الرقيين في الأصل فقط (٤) زيد من ظ
و م (ه-ه) من ظ و م، و في الأصل: فاجل مدلوليته (٦) من ظ و م،
و في الأصل: وجوف .

النبي صلى الله عليه وسلم عن الخير ، و كنت أسأله عن الشر . و ذلك
لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه ، و أن ما خالفت كلمة الشهادة
في الترتيب لأن تلك أتت للدخال في الدين ، و الأليق بمن كان
خارجا أو ضعيفا فيه - و هم الأكثر - نفي الباطل أولا و محوه من لوح القلب
٥ ليأتي^١ لإثبات الحق فيه و هو فارغ^٢ فيقر فيه ، فلما^٣ نفت أولا كل غير
كان^٤ سببا للجانبية و البعد عن حضرات القدس ، ثم^٥ أثبتت الذات^٦
الأقدس و المسمى الأشرف الأنفس ، أكدت^٧ سورة الإخلاص لأنها
للكمل الذين تخلقوا بما قبلها من السور ، هذا الإثبات عند استحضاره ، و شهود
الجميل من آثاره ، ثم ختمت بنفي الأغيار ، ليكون بذلك تجلي ختام الأعمار^٨ ،
١٠ عند الرجوع إلى الآثار ، بالعرض على الواحد القهار ، و قد بين^٩ بهذه
السورة أنه طريق بين الخلق و الأمر ، فلما فتح الخلق بمتشابه خلق
آدم عليه الصلاة و السلام لأن^{١٠} المتشابه ما خرج^{١١} عن أشكاله ، و ختمت
أقسامه الأربعة بمتشابه خلق عيسى عليه الصلاة و السلام - كما تقدم^{١٢} عند

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : ليتأتى (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
فارق (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : ولا (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
كانت (٥-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : أثبت ذات (٦) من ظ و م ، وفي
الأصل : أكد (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الأعمال (٨) من ظ و م ، و تبين .
(٩-٩) من ظ و م ، وفي الأصل : الشبهة ما خرجت (١٠) زيد في الأصل :
في ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

”ان الله اصطفى“ في آل عمران المناظرة لهذه السورة، لذلك فتح الامر بعد أم الكتاب بمتشابه^١ الحروف المقطعة، و ختم دون المعوذتين اللتين هما في الحال المرتحل كالمقدمة، والافتتاح بالتعوذ لأم الكتاب بمتشابه هو سورة الإخلاص، وكان متشابه أوله متشابه^٢ من جميع وجوهه، لا يمكن أحدا أن يقول فيه قولاً مقطوعاً به أو مظنوناً ظناً راجحاً^٣، و متشابه آخره لا يقنع فيه بدون القطع في أوله فيما كلفنا أمره في هذه الدار وهو أصول الدين، و وراء ذلك [ما - °] لا يدركه أحد من الأبرار ولا المقربين، و هو الذات الأقدس، فن رجع متشابه الخلق فوق منزلته كفر، و من وضع متشابه الأمر عن رتبته العلية كفر، وجعل آخره أجلى من أوله من بعض الوجوه إشارة إلى ترقية الموفق في أمره، ١٠ و أنه في الآخرة يكون^٤ أجلى انكشافاً وأوضح معرفة، و تلاه بالتعوذ إشارة إلى سؤال الاعتصام في شأنه، و الحفظ التام في مضمار عرفانه، و كرر بالتثنية لأجل الإحاطة بأمرى^٥ الظاهر و الباطن^٦، و التأكيد تنبيهاً على صعوبة المرام، و خطر المقام .

ولما افتتح القرآن^٨ بسورة مشتملة على جميع معانيه، ختم بسورتين ١٥

- (١) من ظ و م، وفي الأصل : لمتشابه (٢) من ظ و م، وفي الأصل : متشابه (٣) من ظ و م، وفي الأصل : راجحاً (٤) من ظ و م، وفي الأصل : هذا (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل : يكون في الآخرة . (٧-٧) من ظ و م، وفي الأصل : الباطن والظاهر (٨) من ظ و م، وفي الأصل : المقام .

يدخل معناهما ، و هو التعوذ ، و يندب ذكره في جميع أجزائه و مبانيه ،
 و في ذلك لطيفة أخرى عظيمة جدا ، و هي أنه لما علم بالإخلاص تمام
 العلم و ظهور الدين / على هذا الوجه الأعظم ، لحصل بذلك غاية السرور ،
 و كان التمام في هذه الدار مؤذنا بالنقصان ، جاءت المعوذتان ' لدفع شر
 ذلك ، و قد انقضى الكلام على ما يسره الله تعالى من كنوز معاني سورة
 الإخلاص بحسب التركيب و النظم و الترتيب ، و بقى الكلام على ما فتح الله
 به من أسرارها في الدلالة على مقصود السورة بالنظر إلى كلماتها مفردة
 ظواهر و ضمائر ثم حروفها ، ففيها من الأسماء الحسنى و الصفات العلى^١ ،
 التي أسس عليها بانيها ، و انبت عليها أركانها ، خمسة هي العشر من كلمات
 ١٠ [آية - ٢] الكرسي كما أن الصلوات المكتوبات خمس و هي خمسون
 في أم الكتاب ، الحسنة بعشر أمثالها ، فن لطائف إشاراتها أنها كدعائم
 الدين الخمس ، فالضمير مشير^٢ إلى تصحيح ضمير القلب بالإيمان ، و صحة
 القصد و الإذعان ، حتى يقوم بناء العبادة ، و الاسم الأعظم إشارة^٣ إلى
 أن ذلك التصحيح لأجل التأله بالخضوع للآله الحق باستحضار اسمه الأعظم
 ١٥ كما أن الصلاة أعظم عبادات البدن ، هذا للهيئة في الدخول في العبادة ،
 ثم إن الدخول فيها شرطه أحدية التوجه تحقيقا للصدق في صحة العزم

(١) من ظ و م ، و في الأصل : المعوذات (٢) من ظ و م ، و في الأصل :
 العليا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : مشيرا (٥) من ظ
 و م ، و في الأصل : اشار (٦) من ظ و م ، و في الأصل : كان .

عليها كما أن الزكاة تكون مصدقة للإيمان، وذلك التوحيد في التوحيد
 يكون لأجل الصدق في التأله بما يشير^١ إليه إعادة الاسم الأعظم كما
 هو شأن الحاج الأشعث الأغبر المتجرد، ويكون ذلك التأله باستحضار
 افتقار العابد إلى المعبود و تداعيه إلى الهلاك بكل اعتبار لأنه أجوف^٢،
 و غنى المعبود على الإطلاق بما يشير إليه الاسم الإضافي الصمد كما هو ه
 شأن الصائم في عبادته، واستحضاره لحقارته و شدة حاجته، و جلالة
 مولاه، و تعاليه في غناه، فن صحت له هذه الدعائم الخمس كانت عبادته في
 الذروة العليا من القبول، وإلا كان لها اسم الحصول من غير كثير محصول -
 والله الموفق، و كونها خمس عشرة كلمة إشارة إلى أنهم في السنة الخامسة
 عشرة من النبوة يعلمون - بغلبة قهره و سطوة سلطانه و تاييده للمستضعفين ١٠
 من حزبه، و تقويته لهم في وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة - أن
 مرسله لا كفوء له بعلم شهودى لا يقدر أحد على تكذيبه و دفعه، فيقوم
 به دليل الإخلاص، و لات حين مناص، و إذا ضمنت إليها الضمير
 الواجب الاستتار في " قل " كانت^٣ ستة عشرة^٤ إشارة إلى أنه في السنة
 السادسة عشرة من النبوة و هى الثالثة من الهجرة في غزوة أحد يكون ١٥
 الظاهر فيها اسمه تعالى الباطن، فانه كان فيها من المصيبة ما هو مذكور في
 السير تفصيله من قتل سبعين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم منهم^٥

(١) من ظ و م، و في الأصل: كما (٢) من ظ و م، و في الأصل: احرف.

(٣-٢) من ظ و م، و في الأصل: ستة عشر (٤) من ظ و م، و في الأصل:

من (٥) من ظ و م، و في الأصل: فمنهم -

حمزة بن عبد المطلب / رضى الله تعالى عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أسد الله و أسد رسوله صلى الله عليه وسلم ، و ذلك بعد أن ظهر
فيها النبي صلى الله عليه وسلم في أول النهار ، ظهوراً بيناً حتى كانت هزيمة
الكفار ، لاشك فيها - كما قال الله تعالى " و لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
بأذنه حتى إذا فشلتم و تنازعتم " - الآيات ، ثم أخفى الله ذلك في إزالة
الكفار في أثناء النهار ، فهزم الصحابة رضى الله تعالى عنهم حتى لم يبق
مع النبي صلى الله عليه وسلم منهم إلا نفر يسير جداً أكثر ما ورد في
عددهم^١ أنهم يقاربون الأربعين و هو ثابت بهم - صلى الله عليه وسلم -
في نحر العدو و هم نحو من ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس يحاولهم
١٠ و يصارهم يشتملون عليه مرة و يفرقون عنه^٢ أخرى ليعلم أن الناصر
إنما هو الله سبحانه و تعالى وحده^٣ . و قد قال ابن عباس رضى الله عنهما :
ما نصر النبي صلى الله عليه وسلم في موطن من المواطن ما نصر في غزوة
أحد ، و قال أبو سفيان ابن حرب يوم إسلامه في عام الفتح للنبي صلى الله
عليه وسلم : ما قاتلتك^٤ من مرة إلا ظهرت على^٥ ، أظن لو كان مع الله غيره
١٥ لقد أغنى شيئاً . و لكن الذي ظهر منها ما كان في آخر النهار من ظهور
الكفار ، فأخفى الله تعالى نصره لئيه صلى الله عليه وسلم فيها باسمه الباطن
إلا على أرباب البصائر ، فاعلم ذلك [إلا - °] بوجه خفي جداً مناسبة

(١) من ظ و م ، و في الأصل : عدم (٢) من ظ و م ، و في الأصل : عليه .

(٣) من ظ و م ، و في الأصل : أحد (٤) من م ، و في الأصل و ظ : قاتلك .

(٥) زيد من ظ و م .

للضمير الباطن الواجب الاستتار، وإذا ضمنت إلى ذلك الضميرين المستترين الجائزى^١ الظهور، فكانت الكلمات بذلك ثمانى عشرة، كانت إشارة إلى أن فى السنة الثامنة عشرة^٢ من النبوة - وهى الخامسة من الهجرة - دلالة عظيمة على أنه لا كفوف له^٣ أيوجب الإخلاص على وجه هو^٤ أجلى مما كان فى غزوة أحد^٥ وإن كان فيه نوع خفاء، وذلك هـ فى غزوة الأحزاب وبنى قريظة حين رد الله الكفار بغیظهم لم ينالوا خيرا بعد أن كانوا فى عشرة آلاف مقاتل غير بنى قريظة، يقولون: إنه لا غالب لهم، وكفى الله المؤمنين القتال،^٦ وكان الله قويا عزيزا قاهرا لهم^٧ بريح وجنود لم يروها، وأمکن [من - ^٨] بنى قريظة، وكان الله قويا عزيزا، وذلك فى شوال وذى القعدة سنة خمس من الهجرة. فاذا ١٠ ضمنت إليها الضمير الآخر البارز^٩ بالفعل فى "له" فكانت تسع عشرة، كانت إشارة / إلى مثل ذلك على وجه [أجلى - ^{١٠}] فى^{١١} عمرة الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة، فانه كان فيها الفتح السبى الذى أنزل الله سبحانه وتعالى فيه سورة الفتح، وكان فيها من دلائل الوجدانية

٩١٦ /

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الجائزین (٢) من ظ و م، وفى الأصل: الثانية عشرة، ويريد بعده فى الأصل: كانت إشارة الى ان فى السنة الثمانية عشر، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: على وجه يوجب الاخلاص (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (ه-ه) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٦) زيد من ظ و م (٧) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م، وفى الأصل: من .

أمر كثيرة توجب الإخلاص، وإن كان في ذلك نوع خفاء مناسبة للضمير و إن كان بارزا بالفعل. فقد خفي على كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين حتى نبههم النبي صلى الله عليه وسلم، فاذا ضمنت إليها كلمات البسملة الأربع كانت ثلاثا وعشرين توازي السنة العاشرة من الهجرة، وهى الثالثة والعشرون من النبوة، وفيها كان استقرار الفتح الأكبر والإخلاص الأعظم بنفى الشرك وأهله من جزيرة العرب لحجة الوداع التى قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها: [إن الشيطان - ٢] قد آيس أن يعبد في أرض العرب. ولذلك توفى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عقبها بعد إظهار الدين وإذلال الكافرين وإتمام النعمة، ١٠. وقام سبحانه بنصر الأمة وحده بعد أن مهد أسباب النصر بنبيه صلى الله عليه وسلم حتى علم قطعا في الردة وأحوالها، وموج الفتنة وأحوالها، وغلبة رعبها على القلوب وزلزالها، في ذلك الاضطراب الشديد، أنه الإله وحده الذى لا كفوف له لحفظ الدين في حياة نبيه صلى الله عليه وسلم [و- ١] بعده، وكذا فيما بعد ذلك من فتوح البلاد، وإذلال ١٥ الملوك العتاة الشداد، مع ما لهم من الكثرة والقوة بالأموال والأجناد، والتمكن العظيم في البلاد، وجعل النصر عليهم بأهل الضعف والقلة

(١-١) من ظ وم، وفي الأصل: كان فيها (٢) زيد من ظ وم (٣-٣) من ظ وم، وفي الأصل: بنيه (٤) من ظ وم، وفي الأصل: الأحد (٥) زيد في الأصل: انعباد و. ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها.

آية في آية، و دلالة بالغة في ظهورها الغاية، و إذا سلكت طريقاً
 آخر في الترتيب في الكلمات الخطية و الاصطلاحية ذلك على مثل ذلك
 بطريق آخر، و ذلك أن تضم إلى الكلمات الخمس عشرة كلمات البسمة
 الأربع لتكون تسع عشرة فتوازي سنة ست من الهجرة، و ذلك سنة
 عمرة الحديبية التي سماها الله تعالى فتحاً، و أزل فيها سورة الفتح ه
 لكونها كانت سبب الفتح الذي هو عمود الإخلاص، فإذا ضمنت إليها
 الضمير المستتر كانت عشرين، فوازت سنة سبع التي كانت فيها عمرة
 القضاء، فأظهر الله فيها الإخلاص على عبده و رسوله صلى الله عليه
 وسلم بين أظهر المشركين في البلد الذي كان بعثه منه وفيه على وجه ظهر
 فيه أنه لا كفوء له، و لكن كان ذلك بوجه خفي، فإذا ضمنت إليها ١٠
 الضميرين المستترين الجائزي البروز / كانت اثنتين^١ و عشرين موازية
 لسنة تسع سنة الوفود [و - ٢] دخول الناس في دين الله أفواجا،
 فالإلهية من حيث هي تقتضي الوحدة، و الوحدة لا تقتضي الإلهية، و عبر
 به دون الواحد لأن المراد الإبلاغ في الوصف بالوحدة إلى حد لا يكون
 شيء أشد منه، و الواحد - قال ابن سينا - مقول على ما يحته من التشكيك، ١٥
 و الذي لا ينقسم بوجه أصلاً أولى بالواحدانية مما ينقسم من بعض الوجوه،

(١) من ظ و م . وفي الأصل : الأربعة (٢) من م ، وفي الأصل و ظ :
 اثنتين (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ ، وفي الأصل و م : الدين (٥) العبارة
 في م من هنا و في ظ من « وعبر به » ساقطة إلى ما تنبيه عليه، و حذفها أولى
 إلا أنا أبقيتها على وجه الاحتياط .

والذى ينقسم انقساماً عقلياً أولاً بما ينقسم بالحس، [و-^١] الذى ينقسم بالحس وهو بالقوة أولاً من المنقسم بالحس بالفعل، وإذا ثبت أن الوحدة قابلة للأشد والأضعف وأن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك (٩) كان الأكمل فى الفعل الذى لا يمكن أن يكون شئ آخر أقوى منه فيها ٥ وإلا لم يكن بالغاً أقصى المرام، والآخر جامع لذلك دال على الواحدية من جميع الوجوه، وأنه لا كثرة هناك أصلاً، لامعزوية من المقولات من الأجناس والفصول ولا بالأجزاء العقلية كالمادة والصورة، ولا حسية بقوة ولا فعل كما فى الأجسام، وذلك لكونه سبحانه وتعالى منزهاً عن الجنس والفصل والمادة والصورة والأعراض والأبغاض والأعضاء ١٠ والأشكال والألوان وسائر الوجوه وجوه التشبيه التى تشمل الوحدة الكاملة الحققة اللاتقية بكرم وجهه وعز جلاله أن يشبهه شئ أو يساويه شئ. لأن كل ما كانت هويته أن تحصل من اجتماع آخر كانت هويته موقوفة على تلك الأجزاء فلا يكون هو لذاته بل لغيره، فلذا كان منزهاً عن الكثرة بكل اعتبار ومتصفاً بالوحدة من كل الوجوه، فقد بلغ هذا ١٥ النظم من البيان أعظم شأن، فسبحان من أنزل هذا الكلام ما أعظم شأنه وأقهر سلطانه فهو منتهى الحاجات. ومن عنده نيل الطلبات، ولا يبلغ أدنى ما استأثره من الجلال والعظمة والبهجة أقصى نعوت الناعتين، وأعظم وصف الواسفين، بل القدر الممكن منه الممتع أزيد منه هو الذى ذكره فى كتابه العزيز، وأودعه وحيه المقدس الحكيم، وبالكلام على معناه ٢٠ والمعنى الواحد تحقق ما تقدم، قال الإمام أبو العباس الأفلحى فى شرح

(١) زيد ولا بد منه .

الأسماء الحسنى، فن أهل اللسان من ساوى بينهما جعلها مترادفين، ومنهم من قال: أصل «أحد» واحد، استقطت منه الألف، ثم أبدلت الهمزة من الواو المفتوحة مثل حسن يحسن فهو حسن - من الحسن، أبدلت الواو همزة، وأما من فرق بينهما فمنهم من قال: «أحد» على خياله، لا إبدال فيه ولا تغيير، ومنهم من قال: أصله وحد - أبدلت الواو همزة - انتهى. وقد استخلصت الكلام ٥ على الاسمين الشريفين من عدة شروح للأسماء الحسنى وغيرها، منها شرح الفخر الرازى والفخر الحزالى وغيرهما - قالوا: الواحد الذى لا كثرة فيه بوجه لا بقسمة ولا بغيرها مع اتصافه بالعظمة / ليخرج الجوهر الفرد وهو الذى لا يشئ^١، أى لا ضد له ولا شئيه، فهو سبحانه وتعالى واحد بالمعنيين على الإطلاق لا بالنظر إلى حال ولا شئيه، قال الإمام أبو العباس ١٠ الاقليشى فى شرح الأسماء الحسنى: هذه حقيقة الوحدة عند المحققين فلا يصح أن يوصف شئ مركب بها إلا مجازا كما نقول: رجل واحد ودرهم واحد، وإنما يوصف بها حقيقة ما حواله (٩) كالجوهر عند الأشعرية غير أنك إذا نظرت فوجدت وجوده من غيره علت أن استحقاقه لهذا الوصف ليس كاستحقاق موجد له، وهو أيضا إنما يوصف به لحقارته، ١٥ وموجد سبحانه وتعالى موصوف به مع اتصافه بالعظمة، فاتصافه بالوحدة على الإطلاق، والاتصاف بالجوهر بالنظر إلى عدم التركيب من الجسم مع صحة اتصافه بأنه جزء يزيل عنه حقيقة ذلك، والوحدة أيضا بالنظر إلى المعنى الثانى - وهو لا ينظر له - لا تصح بالحقيقة إلا له سبحانه

(١) فى الأصل: لا يكتنى .

و تعالى، وكل ما نوعيته في شخصيته كالعرش و الكرسي و الشمس و القمر
يصح أن يقدر لها نظائر، و لها معنى ثالث و هو التوحيد بالفعل و الإيجاد،
فيفعل كل ما يريد من غير توقف على شيء، و الفرق بين هذا الوجه
و الذي قبله أن الأول ناظر إلى نفي إله ثان، و هذا ناف لمعين و وزير،
٥ و كلاهما وصف ذاتي سلبى، و الحاصل أن النظر الصحيح دل على أن
لنا موجدا واحدا بمعنى أنه لا يصح أن يلحقه نقص لقسمته بوجه من
الوجوه، و بمعنى أنه معدوم النظير^١ بكل اعتبار، و معنى أنه مستبد بالفعل
مستقل بالإيجاد و متوحد بالصنع منفرد بالتدبير، قضى بهذا شاهد
العقل المعصوم من ظلمة الهوى و كثافة الطبع، و ورد به قواطع النقل
١٠ و نواطق السمع، و لهذا كان من أعظم الخلق دعاؤه سبحانه و تعالى
لجميع الخلق، و كانت دعوة رسوله الخاتم صلى الله عليه و سلم للخلق كافة،
و قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في آخر شرحه للأسماء الحسنى في
شرحه في بيان رد الأسماء الكثيرة إلى ذات: الواحد و سبع صفات
الاحد المسلوب عنه النظير، و قال في الشرح المذكور: الواحد هو الذى
١٥ لا يتجزى ولا يتثنى، أما الذى لا يتجزى فكالجوهر الذى لا ينقسم فيقال
عنه: إنه واحد - بمعنى أنه لا جزء له، و كذلك النقطة لا جزء لها، و الله تعالى
واحد بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام فى ذاته، و أما الذى لا يتثنى
فهو الذى لا نظير له كالشمس مثلا فانها - وإن كانت قابلة للانقسام بالوهم -
متحيزة فى ذاتها / لأنها من قبيل الأجسام فهى لا نظير لها إلا أنه يمكن
٢٠ لها نظير، و ليس فى الوجود موجود يتفرد بخصوص وجوده تفردا

(١) فى الأصل: النظر .

لا يتصور أن يشاركه فيه غيره أصلاً إلا الواحد المطلق أزلاً وأبداً، والعبد إنما يكون واحداً إذا لم يكن له في أبناء جنسه نظير في خصلة من خصال الخير، وذلك بالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع، فلا وحدة على الإطلاق إلا لله سبحانه وتعالى، وقال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتاب الملل والنحل: واختلفوا في الواحد أهو من العدم أم ه مبدأ العدد وليس داخلاً في العدد، وهذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراط لفظ الواحد أيضاً، فالواحد يطلق به ويراد به ما يتركب منه العدد، فإن الاثنين لا معنى له إلا الواحد تكرر أول تكرير وكذا الثلاثة والأربعة، ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد الذي هو علة، ولا يدخل في العدد الذي لا يتركب منه العدد، وقد يلزم الواحدية جميع الأعداد ١٠ لاعلى أن العدد يتركب بها بل وكل موجود فهو جنسه أو نوعه أو شخصه واحد، يقال: إنسان واحد. وفي العدد أنه لا كفوء له ولكن كان ذلك بوجه خفي، فاذا ضمنت إليها الضميرين المستترين الجائزى البروز كانت اثنين وعشرين موازية لسنة تسع سنة الوفود ودخول الناس في الدين أفواجا،^١ وحبّة أبي بكر رضى الله عنه وتطهير المسجد الحرام ١٥ من نجس الإشراك بالبراءة من المشركين وزجرهم عن^٢ أن يحج بعد ذلك العام مشرك، ونهيهم عن قربانهم المسجد الحرام لأنهم نجس، وانتشار الإخلاص في أغلب بلاد العرب، وذلك أجلى مما مضى مناسبة

(١) ومن هنا تستأنف العبارة في ظ و م (٢) في ظ: من (٣) من ظ و م،

وفي الأصل: في (٤-٥) في ظ و م، وفي الأصل: دار

لما دل عليه، وفيه نوع خفاء عند من كان بقي من المشركين، وإذا ضمنت
إليها الضمير الآخر البارز بالفعل كانت ثلاثا وعشرين^١ توازي سنة
حجة الوداع سنة عشر^٢، وهي التي تتم فيها الإخلاص ولم يحج بها مشرك،
و أيس الشيطان فيها أن يعبد في جزيرة العرب، و [في ٢ -] ذلك - لكون
ه الكلمة ضميرا - نوع يسير من الخفاء بما دل عليه بعد ذلك من الردة،
وكان ذلك أنسب الأشياء بالكلمة المتحملة لذلك الضمير وهي له،
هذا ما يسره الله من أسرار كلماتها بحسب الأعداد، و أما حروفها فن
الأسرار العظيمة أنها صفة الله، و أن حروفها مع البسمة بالنظر إليها
من حيث اللفظ وكذا من حيث الرسم ستة* وستون حرفا، وكذا
١٠ عدة حروف الجلالة المفوظة وكذا المرسومة بحسب الجمل، فكل ما دعت
إليه هو مدلول هذا الاسم الأعظم، وهذه العدة إذا أخذت من أول
مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان آخرها منطبقا على سنة موت صديقه
الأكبر الذي سبق غيره بما رقر في صدره / وهو أبو بكر رضي الله
/ ٩٢٠
تعالى عنه، و ذلك دلالة على أنه لا يوازيها أحد في الإخلاص، وأنهما
١٥ وصلا فيه إلى الرتبة العليا، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلى
الخلق فيه، وفي ذلك أيضا دلالة على أنه لا كفوء له لأنه نبي الإشراف
١) من ظ و م، وفي الأصل : عشر (٢) من ظ و م، وفي الأصل : عشرة.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل : انه (ه) من ظ و م،
وفي الأصل : ست (٦) في ظ : راءة .

بمخافيره من جميع جزيرة العرب بعد أن كانوا مطبقين عليه ، و أطلقهم^١
 سبحانه و تعالى على من يليهم من [ملوك -^٢] الامم حتى أظهر الله بهم
 الدين - وقد كانوا أذل الامم - على الدين كله ، ونفوا جبارة الملوك صغرة
 بعد أن^٣ كان عندهم أنه^٤ لا غالب لهم ، و حروفها الملفوظة هي بعدد
 [كلمات -^٥] آيات التوحيد ، و هي آية الكرسي أعظم آية في القرآن ، ه
 و ذلك خمسون حرفا إلا واحدا^٦ هو ألف "كفؤا" الذي هو مرسوم
 غير ملفوظ ، و هو الدال على الضمير الذي هو غيب الغيب ، [فهو غيب -^٧]
 من جهة عدم اللفظ به ، و وجود و ظهور من جهة شاهد الرسم و مسموع
 الاسم ، كما أن الذات غيب محض من جهة الحقيقة يدرك بمشاهدة الأفعال ،
 و مسموع الاسماء العوال - والله الهادي^٨ من الضلال^٩ .

١٠

(١) في ظ : اطلقه (٢) زيد من ظ و م (٣-٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 كانوا (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : واحد (٥) زيد من م (٦-٧) سقط ما
 بين الرقيين من ظ و م .

سورة الفلق^١

مقصودها الاعتصام من^٢ شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن،
واسمها ظاهر الدلالة على^٣ ذلك ﴿بسم الله﴾ الذى له جميع الحول ﴿الرحمن﴾
الذى استجمع كمال الطول ﴿الرحيم﴾ الذى آتم على أهل وداده جميل
النول بالسلام من على القول .

لما افتتح سبحانه وتعالى هذا الذكر الحكيم بالهداية فى قوله
تعالى "اهدنا الصراط المستقيم" وبالهداية والتقوى التى هى شعار التائب
فى قوله تعالى "هدى للتقين" وذلك أول منازل السائرين، وختم
بتقرير أمر التوحيد على وجه لا يتصور أن يكون أكمل منه، وتقرير الإخلاص
١٠ فيه كما يشعر به الأمر بـ "قل" وذلك هو نهاية المقامات عند العارفين،
فتم بذلك الدين، وانتهى سير السالكين، وختم الإخلاص المقررة لذلك
بأنه تعالى لا كفوء له، فتوفرت الدواعى على الانقطاع إليه والعكوف عليه
وألقت^٤ عصاها واطمأن بها النوى كما قرعنا بالإياب المسافر
أمر بالتعوذ برب هذا الدين، موافقة لإياك نعبد وإياك نستعين، من

- (١) الثالثة عشرة بعد المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها .
(٢) زيد فى الأصل و ظ : كل ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها (م) من ظ
وم ، وفى الأصل : فى (٤) سقط من ظ وم (ه) من ظ وم ، وفى الأصل :
ذكر (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : هذا (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : نفت .

شر ما يقدح فيه ضرر في الظاهر أو في الباطن^١ وهم الخلائق حتى على
الفناء في الغنا، وبدأ بما يعم شياطين الإنس والجن في الظاهر والباطن.
ثم اتبع بما يعم القبيلين^٢ ويخص الباطن الذي يستلزم صلاحه صلاح
الظاهر، إعلاما بشرف الباطن على وجه لا يخل بالظاهر، وفي ذلك إشارة

إلى الحث على معاودة القراءة^٣ من أول / القرآن كما يشير إليه قوله تعالى ٥ / ٩٢١
”فإذا قرأت القرآن - أى أردت قراءته - فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم“
فقال تعالى: ﴿ قل ﴾ أى لكل من يبلغه القول من جميع الخلائق تعلما
لهم وأمرأ، فانهم كلهم مربوبون مقهورون لانجاة لهم في شيء من
الضرر إلا بعصته سبحانه وتعالى، فعلى كل منهم أن يفزع أول ما تصيبه
المصيبة إلى مولاه القادر على كشفها تصحيحا لتوكله فانه يرتقى بذلك إلى ١٠
حال الرضا بمر القضاء، ولا يأخذ في الاعتماد على جلادته وتديره
بحوله وقوته فانه يشتد أسفه ولا يرد ذلك عنه شيئا: ﴿ اعوذ ﴾
[أى -] استجير والتجى وأعتصم وأحتز.

ولما كان هذا المعنى أليق شيء بصفة الربوبية لأن الإعانة من المضار
أعظم تربة قال: ﴿ رب الفلقه ﴾ أى الذى يريه وينشئ منه ما يريد، ١٥
وهو الشيء المفلوق بإيجاده ظلمة العدم كالعيون التى فلقته بها ظلمة

(١) من م، وفي الأصل وظ: باباطن (٢) من م، وفي الأصل وظ: القبلين.
(٣) من ظ وم، وفي الأصل: القرآن (٤-٤) من م، وفي الأصل وظ:
عند ذلك (٥) زيد من ظ وم (٦) زيد في الأصل: من، وفي ظ: عن،
ولم تكن التريادة في م لحذفها.

الأرض و الجبال، و كالأمطار التي فلقنت بها ظلمة الجو و السحاب،
و كالأنبات الذي فلقنت به ظلمة الصعيد، و كالأولاد التي فلقنت بها ظلمة
الاحشاء، و كالصبح الذي فلقنت به ظلمة الليل، و ما كان من الوحشة
إلى ما حصل من ذلك من الطمأنينة و السكون و الأمان و السرور إلى
غير ذلك من سائر المخلوقات، قال الملوى : و الفلق - بالسكون و الحركة :

كل شيء انشق عنه ظلمة العدم و أوجد من الكائنات جميعها^١ - انتهى،
و خص في العرف بالصبح فقيل : فلق الصبح، و منه قوله تعالى "فالق
الاصباح" لأنه ظاهر في تغير الحال و محاكاة يوم القيامة الذي هو أعظم
فلق يشق ظلمة الفناء و الهلاك بالبعث و الإحياء، فإن القادر على ما قبله
١٠ بما نشاهده قادر عليه، لأنه لا فرق، بل البعث أهون في عوائد الناس لأنه
إعادة، كذا سائر الممكنات، و من قدر على ذلك قدر على إعادة المستعبد
من كل ما يخافه و^٢ يخشاه .

ولما كانت الأشياء قسمين : عالم الخلق، و عالم الأمر، و كان
عالم الأمر خيرا كله . فكان الشر منحصرا في عالم الخلق خاصة بالاستعاذة
١٥ فقال تعالى معمما فيها : ﴿ من شر ما خلق ﴾ أي من كل شيء سوى الله
تعالى عز وجل و صفاته، و الشر تارة يكون اختياريا من العاقل^٣ الداخل
تحت مدلول "لا" و غيره من سائر الحيوان كالكفر و الظلم و نهش السباع

(١) من ظ و م، و في الأصل : جميعا (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م .

(٣) من ظ و م، و في الأصل : العقل .

ولدغ ذوات السموم ، و نارة طيعيا كاحراق النار و إهلاك السموم .
و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : قد أشير - أى فى الكلام على
ارتباط الإخلاص - إلى وجه ارتباطها آنفا ، و ذلك واضح إن شاء الله
تعالى - انتهى .

و لما كان عطف الخاص على العام يعرف بأن ذلك الخاص / ٥ / ٩٢٢ /
أولى 'أفراد العام' بما ذكر له من الحكم ، و كان شر الأشياء الظلام ،
فانه أصل كل فساد ، و كانت شرارته مع ذلك و شرارة السحر و الحسد
حفية . خصها بالذكر من بين ما عمه الخلق لأن الخفى يأتى من حيث
لا يحتسب الإنسان^٢ فيكون أضر . و لذا قيل : شر العداة المداجى ،
و كانت مادة "عسق" تدور على الظلام و الانصباب ، فالعسق - محركة : ١٠
ظلمة أول الليل ، و غسقت العين : أظلمت أو دمعت . و اللين : انصب
من الضرع ، و الليل : اشتدت ظلمته ، و العسقان - محركة : الانصباب ،
و الفاسق : القمر ، و كأنه سمي به لسرعة سيره و انصبابه فى البروج
و لأنه ليس له من نفسه إلا الإظلام ، و الثريا - إذا سقطت - ° و الله
أعلم ° ، قال فى القاموس : لسكثرة الطواعين و الأسقام عند سقوطها ، ١٥
و الذكر - إذا قام ، كما قاله جماعة و روى عن ابن عباس^٦ رضى الله

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : افراد العالم (٢) وقع فى الأصل بعد « يأتى »
و الترتيب من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كذا (٤) من ظ و م ،
و فى الأصل : محرك (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٦) راجع القاموس .

عنهما، وهو سبب للجهل الذي هو ظلام كله، قال تعالى: (ومن شر غاسق) أي مظلم بارد منصب ظلامه و برده سواء كان أصلا في الظلام حسيا أو معنويا أو كان حاملا عليه مثل الذكر إذا قام لما يجر إليه من الوسوس الرديئة لغلبة الشهوة واستحكام سلطان الهوى، و مثل القمر لما يحدث منه من الرطوبات المفسدة للأبدان و غير ذلك اذ سبابا له غاية القوة كانصباب ما يفيض عن امتلاء في انحدار، و نكره إشارة إلى أنه ليس كل غاسق مذموما - 'والله أعلم' .

و لما كان الشيء الذي ' اتصف بالظلام يكشف فيشتد انصبابه و أخذه في السقوط إلى أن يستقر و يستحكم فيما صوب إليه مجتمعا جدا ١٠ كاجتماع الشيء في الوقبة و هي النقرة في الصخرة، و كان الظلام لا يشتد أذاه إلا إذا ' استقر و ثبت'، قال معبرا بأداة التحقق: (إذا وقب!) أي اعتكر ظلامه و دخل في الأشياء بغاية القوة كدخول الثقل الكثيف المنصب في النقرة التي تكون كالبر في الصخرة الصماء المساء، و هذا إشارة إلى أنه يسهل علاجه و زواله قبل تمكنه، و في الحديث: لما رأى الشمس قد وقبت قال: هذا حين حلها - يعني صلاة المغرب، وفيه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م، و زيد أيضا بعده في الأصل: و قال بعضهم، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ و م، و في الأصل: إذا (٣) زيد في الأصل: انتصف و، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها. (٤) زيد في الأصل: ثم، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) راجع النهاية - وقب .

عند أبي يعلى^١ أنه قال لعائشة رضى الله تعالى عنها عن القمر: تعوذى بالله من شر هذا الغاسق إذا رقب. وأكثر الأقوال أنه الليل، خص بالاستعاذة لأن المضار فيه تكثر ويسر دفعها^٢، وأصل النسق الظلام، ويلزم منه الامتلاء، وقيل: إن الامتلاء هو الأصل، وأصل الوقوب / الدخول في وقبة أو^٣ ما هو كالوقبة و هى النقرة .

٥ / ٩٢٣

ولما كان السحر أعظم ما يكون من ظلام الشر المستحكم في العروق الداخلة في وقوبها. لما فيه من تفريق المرء من زوجه وأبيه وابنه، ونحو ذلك، وما فيه من ضنى الأجسام وقتل النفوس، عقب ذلك بقوله تعالى: ﴿ومن شر﴾ .

ولما كان كل ساحر شريرا بخلاف الغاسق والحاسد، وكان السحر ١٠
أضر من النسق والحسد من جهة أنه شر كله، ومن جهة أنه أخفى من غيره، وكان ما هو منه من النساء أعظم لأن مبنى صحته وقوة تأثيره قلة العقل والدين ورداءة الطبع وضعف اليقين وسرعة الاستحالة، ومن أعرق في كل من هذه الصفات وأرسخ، وكان ما وجد منه من جمع وعلى وجه المبالغة أعظم من غيره عرف وبالح و جمع وأنث ١٥
ليدخل فيه ما دونه من باب الأولى فقال تعالى: ﴿النفثت﴾ [أى النفوس - ^٢] الساحرة سواء كانت نفوس الرجال أو نفوس النساء أى

(١) راجع المعالم ٧ / ٢٦٩ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: نفثها (٣) من اظ و م ، وفى الأصل « و » (٤) زيد من ظ و م .

التي تبالغ في النفث وهو التفل وهو النفخ مع بعض الريق - هكذا
 في الكشف، وقال صاحب القاموس: وهو كالنفخ^١ وأقل من التفل،
 وقال: تفل: بزق، وفي التفسير عن الزجاج أنه التفل بلا ريق،
 ﴿في العقد﴾ [أى -^٢] تعقدهما للسحر في الخيوط وما أشبهها^٣، وسبب
 ٥ زول ذلك أن يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم فرض كما يأتي
 تخريجه، فإن السحر يؤثر باذن الله تعالى المرض ويصل إلى أن يقتل،
 فإذا أقر الساحر أنه قتل بسحره وهو بما يقتل غالبا قتل بذلك عند
 الشافعي، ولا ينافي قوله تعالى "والله يعصمك من الناس" كما مضى
 بيانه في المائدة، ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في وصفه صلى الله عليه
 ١٠ وسلم بأنه مسحور، فإنهم ما أرادوا إلا الجنون أو ما يشبهه من فساد
 العقل واختلاله، والمبالغة في أن كل ما يقوله لاحقيقه له كما ان ما
 ينشأ عن المسحور يكون محتلا لا تعرف حقيقته .
 ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد،
 وهو تمنى زوال نعمة المحسود:

١٥ "و داريت كل الناس إلا لحاسد" مداراته عزت و شق نواها
 وكيف يدارى المرء حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلا زوالها
 قال تعالى: ﴿ ومن شر حاسد ﴾ أى ثابت الاتصاف بالحسد معرق

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : النفخ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل : أشبهتها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٥) سقط اليتان
 من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : فقال .

فيه، و نكره لأنه ليس كل حاسد مذموما، و أعظم الحسدة الشيطان
الذى ليس له دأب إلا السعى فى إزالة نعم العبادات عن الإنسان
/ بالفقلا ت .

٩٢٤ /

و لما كان الضر من الحسد إنما هو ما أظهر و عمل بمقتضاه بالإصابة
بالعين أو غيرها قال مقيدا^١ له : (إذا حسد ع) أى حسد بالفعل بعينه ه
الحاسدة، و [أما - ٢] إذا لم يظهر الحسد فانه لا يتأذى به إلا الحاسد
لا غنامه بنعمة غيره، و فى إشعار الآية الدعاء بما يحسد عليه من نعم^٢
الدارين لأن خير الناس من عاش محسودا و مات محسودا، و من لم يلق
بالا للدعاء بذلك^٣ و يهّم بتحصيل ما يحسد عليه ضحك منه لميليس إذا
تلا هذه الآية لكونه ليس له فضيلة يحسد عليها، و لعله عبر بأداة التحقيق ١٠
إشعارا بأن من كان ثابت الحسد متمكنا من الاتصاف به بما أشعر به
التعبير بالوصف تحقق منه إظهاره، و لم يقدر على مدافعته فى الأغلب
إلا من عصم الله تعالى، و قد علم بكون الحسد علة السحر - الموقع فى القتل
الذى هو أعظم المعاصى بعد الشرك و فى الشرك، لأنه لا يصح غاية الصحة
الإلا مع الشرك^٤ - أن الحسد شر ما انقلب عنه ظلام العدم، و الشاهد لذلك ١٥
غلبته على الأمم السالفة و تحذير الأمة^٥ التى هى خير أمة أخرجت للناس

(١) من ظ و م، و فى الأصل : معيدا (٢) زيد من هامش م (٣) من م،
و فى الأصل و ظ : نعمة (٤-٤) من م، و فى الأصل : الا بالدعاء كذلك، و فى
ظ : بالا بالدعاء لذلك (٥) فى م : مشرك (٦) من م، و فى الأصل و ظ : لامته.

منه بشهادة هاديا صلى الله عليه وسلم ، أخرج الإمام أحمد^١ وأبو داود^٢
 الطيالسي عن الزبير بن العوام رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : دب^٣ إليكم داء^٤ الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، ألا والبغضاء هي
 الخالقة ، لا أقول : إنها تخلق الشعر و لكن تخلق الدين . وفي الباب^٥
 ٥ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما و ابن مسعود رضى الله عنه ، و أعظم
 أسباب^٦ الخالقة أو كلها الحسد ، فلم بهذا رجوع آخر السورة على أولها ،
 وانعطاف مفصلها على موصولها ، و من أعيد من هذه المذكورات انقلب (١)
 سماء قلبه عن شمس المعرفة بعد ظلام ليل الجهل ، فأشرقت^٧ أرجاؤه
 بأنوار الحكم ، إلى أن يضيق الوصف له عن بدائع الكشف :

١٠ هناك ترى ما يملأ العين قرة و يسلى عن الأوطان كل غريب
 فينقطع التعلق عما سوى الله بمحض الاتباع و البعد عن الابتداع بمقتضى
 ” قل إن كنتم^٨ تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله “ و قد بطل بالامر
 بالاستعاذة قول الجبرية : إنا كالألة لا فعل لنا أصلا ، و إنما نحن كالخبر
 لا يتحرك إلا بمحرك ، لأنه لو كان هو المحرك لنا بغير اختيار لم يكن اللامر
 ١٥ فائدة ، و قول القدرية : إنا نخلق أفعالنا ، و قول الفلاسفة : [إنه - ^٩]

(١) راجع المسند ١ / ١٦٧ (٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م
 فحذفناها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : رب (٤) من ظ و م ، و في الأصل :
 داء الحسد - كذا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : الباب (٦) من م ، و في
 الأصل و ظ : الأسباب (٧) زيد في الأصل : انواره و ، و لم تكن الزيادة
 في ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م .

٩٢٥ /

إذا وجد السبب والمسبب حصل التأثير من غير / احتياج إلى ربط لألهي
 كالنار والحطب، لأنه لو كان ذلك لكانت هذه الأفعال المسيبات [إذا
 وجدت من فاعليها الذين هم الأسباب، أو الأفعال التي هي الأسباب-^٢]
 والمسيبات التي هي الأبدان المراد تأثيرها أثرت ولم تنفع الاستعاذة،
 والشاهد خلافه، وثبت قول الأشاعرة أهل السنة والجماعة أنه إذا
 وجد السبب والمسبب توقف وجود الأثر على إيجاد الله تعالى، فإن أنفذ^٣
 السبب وجد الأثر، وإن لم ينفذه لم يوجد، و السورتان مملتان بأن البلياء
 كثيرة و هو قادر على دفعها. فهما حاملتان على الخوف والرجاء، وذلك
 هو لباب العبودية، وسبب نزول الموعودتين على ما نقل الواحدى عن
 المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين والبعوى^٤ عن ابن عباس وعائشة^٥
 رضى الله عنهم أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم
 فذبت^٦ إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة^٧ رأس النبي صلى الله
 عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه فأعطاهم اليهود فسحروه فيها، وتولى
 ذلك لبيد بن الأعصم اليهودى، فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وانتشر شعر رأسه، ويرى أنه يأتى النساء ولا يأتين، يذوب ولا يدري^٨
 ما عراه، فبينما هو نائم ذات يوم أتاه ملكان فقعدا أحدهما عند رأسه

(١) من ظ و م، وفي الأصل: لكان (٢) زيد من م (٣-٣) من ظ و م،
 وفي الأصل: فإذا نفذ (٤) من ظ و م، وفي الأصل: لم ينفذ (٥) راجع
 للعالم ٢٧٦ / ٧ (٦) في ظ: قدست (٧) من ظ و م، وفي الأصل:
 ما مشطة.

و الآخر عند رجله ، فقال الذى عند رجله للذى عند راسه : ما بال
الرجل ؟ قال : طب ، قال : وما طب ؟ قال : سحر ، قال : ومن سحره ؟
قال : لبيد بن الاعصم اليهودى ، قال : وبما طبه ؟ قال : بمشط ومشاطة^١ ،
قال : وأين هو ؟ قال : فى جف طلعة ذكر تحت راغوفة فى بئر ذروان -
٥ بئر^٢ فى [بنى - ٢] زريق . والجف : قشر الطلع ، و الراغوفة : حجر
فى أسفل البئر يقوم عليه المائح ، فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
« لعائشة رضى الله عنها : يا عائشة ! أما شعرت أن الله أخبرنى بدأى ! ثم
بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رضى الله عنهم فزحوا البئر كأنه^٣
نقاعة الحناء ، ثم نزعوا الصخرة [وأخرجوا الجف - ٢] فاذا فيه مشاطة^٤
١٠ رأسه وأسنان مشطه ، وإذا وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مفروزة
بالإبر ، فأنزل الله سبحانه وتعالى سورتي المعوذتين ، وهما^٥ إحدى
عشرة آية : الفلق خمس^٦ والناس ست ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ،
و وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حتى^٧ انحلت العقدة الأخيرة فقام
كأنما نشط من عقال ، وجعل جبرئيل عليه الصلاة والسلام يقول : بسم الله
١٥ أريقك من كل شيء يؤذيك ومن حاسد وعين والله يشفيك . فقالوا :

(١) من ظ ، وفى الأصل وم : ماشطة (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : بين .
(٣) زيد من ظ وم (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ وم (٥) من ظ
وم ، وفى الأصل : كأنها (٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل : احد عشر
(٧) من ظ وم ، وفى الأصل : خمسة (٨) من ظ وم ، وفى الأصل :

٩٣٦ /

يا رسول الله !^١ أفلا تأخذه فنقتله ؟ فقال : أما أنا فقد شفاني الله ، و أكره
 أن أثير على الناس شرا . و في رواية أنه^٢ صلى الله عليه و سلم أتى
 البئر بنفسه ثم رجع / إلى عائشة رضى الله عنها فقال : و الله لكأن^٣
 ماءها نقاعة الحناء ، لكأن نخلها رؤوس الشياطين ، هلت له : يا رسول الله !
 هلا أخرجته ؟ فقال : أما أنا فقد شفاني الله ، و كرهت أن أثير على
 الناس منه شرا . و يجمع بأنه أنها صلى الله عليه و سلم بنفسه الشريفة
 فلم يخرجها ثم إنه وجد بعض الالم فأرسل إليه ، فأخرجه فزال [الآلم -^٤]
 كله ، و روى البخارى^٥ و مسلم^٦ عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر
 النبي صلى الله عليه و سلم حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء و ما فعله
 حتى إذا كان ذات يوم و هو عندى دعا الله و دعاه ، ثم قال : أشعرت^٧
 يا عائشة أن الله تعالى [قد -^٨] أقتانى فيما استفتيته فيه ، قلت : و ما ذاك
 يا رسول الله ، [قال -^٩] : أتانى ملكان - فذكره ، و روى النسائى فى المحاربة^{١٠}
 من سننه و أبوبكر ابن أبى شيبة^{١١} و أحمد بن منيع و عبد بن حميد
 و أبو يعلى^{١٢} الموصلى فى مسانيدهم و البغوى فى تفسيره " كلهم عن زيد
 ابن أرقم رضى الله عنه قال : كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ان لا يأخذه فقتله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 ان النبى (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : كان (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع
 صحيحه - الطب (٦) راجع صحيحه - السلام (٧) زيد من م (٨) راجع بحرة
 أهل الكتاب (٩) راجع المصنف ٨ / ٢٩ (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل :
 أبى يعلى (١١) راجع المعالم ٧ / ٢٦٧ .

و سلم فأخذ له فسحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى
 لذلك أياما ، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال : إن رجلا من
 اليهود سحر ك ، عقد^١ لك عقدا في بئر كذا و كذا .^٢ أو قال : فطرحه^٣ في
 بئر رجل من الأنصار ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجوها
 ٥ فجئى بها فلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل كلما حل عقدة وجد
 لذلك خفة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال ،
 فما ذكر ذلك لذلك اليهودى ولا رآه في وجهه^٤ قط ، وفي رواية : فأتاه
 ملكان يعوذانه ففعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله فقال
 أحدهما : أتدرى ما وجمعه^٥ ؟ قال : كان الذى يدخل عليه عقد له وألقاه
 ١٠ في بئر ، فأرسل إليه رجلا ، وفي رواية : عليا رضى الله عنه ، فأخذ
 العقد فوجد الماء قد اصفر ، قال : فأخذ العقد فلها فبرا ، فكان الرجل
 بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيئا ولم يعاتبه فيه .
 وهذا^٦ الفضل لمنفعة^٦ المعوذتين كما منح الله به^٧ رسوله صلى الله عليه
 وسلم فكذا تفضل به على سائر أمته . وروى أبو داود و الترمذى
 ١٥ - وقال : حسن صحيح - والنسائي^٨ مسندا أو مرسل - قال النووى : بالأسانيد

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : فعد (٢-٣) تكرر ما بين الرقيين في الأصل
 فقط (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : وجه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 رجه (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : لم يذكر (٦-٧) من م ، وفي الأصل :
 الفعل بمنه ، وفي ظ : الفضل بمنه (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بنبيه و .
 (٨) راجع السنن - الاستعاذة .

الصحيحة - عن عبد الله بن خبيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمشي^١ وحين تصبح [ثلاث مرات -^٢] بكفيك^٣ كل شيء . . والآحاديث في فضل [هذه -^٤] ' السور الثلاث ' كثيرة جدا . وجعل التعويذ / في سورتين / ٩٢٧ / إشارة إلى استحباب تكريره ، وجعلنا إحدى عشرة آية ندبا إلى تكثيره . هـ في تكريره ، وقدمت الفلق التي خمس آيات مع ما مضى من المناسبات لأن اقترانها بسورة التوحيد أنسب ، وشفعها بسورة الناس التي هي ست آيات أنسب ، ليكون الشفع بالشفع ، والابتداء بالوتر بعد سورة الوتر ، وحاصل هذه السورة العظمى في معناها الأبداع الأسمى الاستعاذة بالله بذكر اسمه " الرب " المقتضى للاحسان والتربة بحلب النعم ودفع النقم . ١٠ من شر ما خلق ومن السحر والحسد ، كما كان أكثر البقرة^٥ المناظرة لها في رد المقطع على المطلع لكونها ثانية من الأول كما أن هذه ثانية من الآخر في ذكر أعداء النبي صلى الله عليه وسلم الحاسدين له على ما أوتى من النعم ، وفي تذكيرهم بما منحهم من النعم التي كفروها ، وأكثر ذلك في بني إسرائيل الذين كانوا^٦ أشد الناس حسدا له صلى الله عليه ١٥ وسلم ، وكان من أعظم ما ضلوا^٧ به السحر المشار إليه بقوله تعالى

(١) من ظ وم ، وفي الأصل : تمشي (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد في الأصل : آفه ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٤-٥) من م ، وفي الأصل : السورتين ، وفي ظ : السور (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : البقرة (٦) زيد في الأصل : الذين ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : قبلوا .

”و اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان“ حتى قال : ”فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه“ إلى أن قال ”ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم“ و كان السحر من أعظم ما أثر في النبي صلى الله عليه و سلم من كيدهم حتى أنزل^١ فيه المعوذتان ، و كان الساحر له منهم ، و قد انقضى ما يسر الله من الكلام على انتظام معانيها بحسب تركيب كلماتها ، و بقى^٢ الكلام على كلماتها من حيث العدد ، فيما تشير إليه من البركات والمدد^٣ ، هي ثلاث وعشرون كلمة إشارة إلى أنه صلى الله عليه و سلم في السنة^٤ الثالثة و العشرين من النبوة يأمن من أذى حاسديه ، و ذلك بالوفاة عند^٥ تمام الدين و يأمن الحاسدين من كل شيء من الأذى في الدين و الدنيا ، و خلاص النبي صلى الله عليه و سلم من كل كدر ، فاذا ضمنت إليها الضمائر و هي خمسة كانت ثمانى و عشرين ، و هي توازى سنة خمس عشرة من الهجرة ، و ذلك عند استحكام أمر عمر رضى الله عنه في السنة الثانية من خلافة^٦ بيت العساكر و إنفاذه إلى ملك الفرس و الروم و تغلغل هيته في قلوبهم ١٥ و تضعض الفرس بقلب العرب على رستم أكبر أمرائهم ، و الروم بقلبهم على ماهان أعظم رؤسائهم . فاضمحل أمر المناقين^٧ و الحاسدين^٨ ، و أيسوا

(١) من ظ و م ، و في الأصل اثر (٢) من ظ و م ، و في الأصل : نفى .
(٣) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، و في الأصل : عن (٦) من ظ و م ، و في الأصل : خلافة (٧-٧) تكرر ما بين الرقيين في الأصل نقط .

من [تأثير - ١] أدنى كيد من أحد من الكائدين ، فإذا ضم إليها أربع
 كلمات البسلة كانت / اثنتين و ثلاثين ، إذا حسبت^٢ من أول النبوة وازتها
 السنة التاسعة عشرة من الهجرة ، وفيها كان فتح قيسارية [الروم - ٢]
 من بلاد الشام ، و بفتحها كان فتح جميع بلاد الشام ، لم يبق بها بلد
 إلا وهي في أيدي المسلمين ، فزالت عنها دولة الروم ، وفيها أيضا كان ه
 فتح جلولا من بلاد فارس و كان فتحا عظيما جدا هـد أجنادهم و ملوكهم ،
 و لذلك سمي فتح الفتوح ، و حصل حينئذ أعظم الخزي^٣ للفرس و الروم
 الذين هم أحسد الحسدة ، لما كان لهم من العزة و القوة بالأموال و الرجال ،
 و إن حسبت من الهجرة وازتها سنة انقراض ملك أعظم الحسدة
 الأكاسرة الذين^٤ شقق ملكهم كتاب النبي صلى الله عليه و سلم ، و أرسل ١٠
 إلى عامله بأذان - الذي كان استخلفه^٥ على بلاد اليمن - يأمره أن يغزو النبي
 صلى الله عليه و سلم ، فأخبر الله نبيه صلى الله عليه و سلم بأنه يقتله سبحانه
 في ليلة سماها ، فلما أتت تلك الليلة أخبر النبي صلى الله عليه و سلم رسل
 بأذان بذلك ، فرجعوا إلى بأذان فأخبروه فقال : إن كان صادقا فسيأتي
 الخبر في يوم كذا ، فأتى الخبر^٦ في ذلك^٧ اليوم بصدقه صلى الله عليه ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : حسبتها (٣) زيد من ظ .

(٤) من م ، وفي الأصل و ظ : فتحها (٥) من م ، وفي الأصل : القرء ، وفي

ظ : المقرئ (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : الذي (٧) من ظ ، وفي الأصل

و م : استخلفهم (٨-٨) من ظ و م ، وفي الأصل : بذلك .

و سلم [فأسلم -^١] باذان و من معه من الأبناء الذين كانوا في بلاد اليمن
 لم يتخلف منهم أحد ، و أوفد منهم وفدا على النبي صلى الله عليه و سلم
 بذلك ، و تولى الله و رسوله صلى الله عليه و سلم - رضى الله عنهم
^٢ و الله أعلم •

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م •

سورة الناس^١

مقصودها الاعتصام بالإله^٢ الحق من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي، والناس مشتق من الأنس، فإن أصله أناس، وهو أيضا اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس، فطابق حيثئذ الاسم المسمى، ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعادة الشيطان ببراعة الختام^٣، وكذلك النظام^٤، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال، ورعاية^٥ الجلال والجمال^٦، فقد اتصل ١٠ الآخر بالآول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثل، والله المسؤول في تيسير السؤال، وتحقيق المأمول، فإنه الجواد ذو الطول، وبه يستعان وعليه التكلان^٧ : / ﴿ بسم الله ﴾ المحيط [علما - ٧] بكل

٩٢٩ /

- (١) آخر سورة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٦ (٢) من م، وفي الأصل وظ : باله (٣) من م، وفي الأصل وظ : النظام (٤) من م، وفي الأصل وظ : الختام (٥-٥) من ظ و م، وفي الأصل : الجمال والجلال . (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٧) زيد من ظ و م .

باطن كاحاطته بكل ظاهر ﴿الرحمن﴾ الذي عمت نعمته^١ كل باد وحاضر
 ﴿الرحيم﴾ الذي خص أوليائه بآتمام النعمة عليهم في جميع أمورهم
 الأول منها والائناء والآخر .

لما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار
 البدنية وغيرها العامة للإنسان وغيره^٢، وذلك هو جملة الشر الموجود
 في جميع الأكوان والأزمان، ثم وقع فيها التخصيص بشروط^٣ بأعيانها
 من الفاسق والساحر والحاسد، فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب
 الخارجة التي ترجع إلى ظلم الغير، والمعائب الداخلة التي ترجع إلى ظلم
 النفس، ولكنها في المصائب أظهر، وختمت بالحسد فلم أنه أضر المصائب،
 ١٠ وكان أصل ما بين 'الجن والإنس' من العداوة الحسد، جاءت سورة
 الناس متضمنة للاستعاذة من شر خاص، وهو الوسواس، وهو
 أخص من مطلق الحاسد، ويرجع إلى المعائب الداخلة اللاحقة للنفس
 البشرية التي أصلها كلها الوسوسة، وهي سبب الذنوب والمعاصي كلها،
 وهي من الجن أمكن وأضر، والشر كله يرجع إلى المصائب والمعائب،
 ١٥ فقد تضمنت السورة كالفلق استعاذة ومستعاذاته ومستعاذاته منه وأمرًا
 بإيجاده ذلك، فالأمر: ﴿قل﴾ والاستعاذة ﴿اعوذ﴾ والمستعاذ به هو

(١) زيد في الأصل: على، ولم تكن انزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) من ظ
 وم، وفي الأصل: غيرها (٣) من م، وفي الأصل و ظ: لشروط .
 (٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: الانس والجن (ه-ه) من ظ و م، وفي
 الأصل: يرجع كله (٦) من ظ و م، وفي الأصل: بإيجاب .

الله سبحانه وتعالى ، لكن لما كانت صفة الربوبية من صفات كماله سبحانه ألقى بالحماية^١ والإعانة والرعاية والخلق والتدبير والتربية والإصلاح ، المتضمن للقدرة التامة والرحمة الواسعة ، والإحسان الشامل والعلم الكامل ، قال تعالى : ﴿ رب الناس ﴾ [أى أعصم به - ٢] أى أسأله أن يكون عاصمًا من العدو أن يوقعنى في^٣ المهالك ، قال المولى : والرب من له^٤ ملك الرق وجلب الخيرات^٥ من السماء والأرض وإبقاؤها ، ودفع الشرور ورفعها ، والنقل من النقص إلى الكمال ، و^٦ التدبير العام العائد بالحفظ والتعيم على المربوب ، وخص الإضافة^٧ بالمرزولين المضطرين^٨ في الأبدان والأديان من الإنس والجان لخصوص المستعاذ منه ، وهو الأضرار^٩ التى تعرض^{١٠} للنفوس العاقلة وتخصها ، بخلاف ما فى الفلق فانه^{١٠} المضار البدنية التى تعم الإنسان وغيره .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : وجه تأخرها عن شقيقتها عموم

الأولى وخصوص الثانية ، ألا ترى عموم قوله " من شر ما خلق " وإيهام

-
- (١) من ظ وم ، وفى الأصل : بالجماعة (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : من (٤) زيد فى ظ : رقى التملك (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : الخير (٦) زيد فى الأصل وظ : جلب ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها . (٧-٧) من ظ وم ، وفى الأصل : بالمضطرين والمرزولين (٨-٨) من م ، وفى الأصل وظ : المتعرض (٩) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها .

”ما“، و تنكير ”غاسق“ و ”حاسد“، و العهد فيما استعيز من شره
 في سورة الناس و تعريفه و نعته، فبدأ بالعموم ثم أتبع بالخصوص ليكون
 أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه، و أوفى^١ بالمقصود، و نظير
 هذا في تقديم المعنى الأعم ثم لإتباعه بالأخص بتناول الدقائق و الجلائل / ٩٣٠
 ٥ قوله سبحانه و تعالى ”بسم الله الرحمن الرحيم“ في معنى الرحمن و معنى
 الرحيم واحد لا في عموم الصفة الأولى و كونها للبالغة، و قد تعرض لبيان
 ذلك المفسرون و لذلك نظائر - انتهى .

و لما كان الرب و الملك متقاربين في المفهوم، و كان الرب أقرب في
 المفهوم إلى اللطف و الترية، و كان الملك للقهر و الاستيلاء و إظهار العدل
 ١٠ أكرم، و كان الرب قد لا يكون ملوكاً فلا يكون كامل التصرف، اقتضت
 البلاغة تقديم الأول و إتباعه الثاني، فقال تعالى^٢: ﴿ملك الناس﴾^٣
 إشارة إلى أن^٤ له كمال التصرف و نفوذ القدرة و تمام السطاطن، و إليه
 المفزع و هو المستعان، و المستغاث و الملجأ و المعاد .

و لما كان الملك قد لا يكون إلهاً، و كانت الإلهية خاصة لا تقبل شركاً
 ١٥ أصلاً بخلاف غيرها، أنهى الأمر إليها و جعلت^٥ غاية البيان فقال :

(١) من ظ و م، و في الأصل : وافي (٢) من ظ و م، و في الأصل : آو.
 (٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) زيد في الأصل : اي، و لم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفهما (٥) من م، و في الأصل و ظ : انه (٦) من م، و في
 الأصل و ظ : جعل .

(إله الناس^١) إشارة إلى أنه كما انفرد ربوبيتهم وملكهم لم يشركه^٢ في ذلك أحد، فكذلك هو وحده إلههم لا يشركه في إلهيته أحد، وهذه دائما طريقة القرآن يحتاج عليهم باقرارهم بتوحيدهم له^٣ في الربوبية^٤ والملك على ما أنكره من توحيد الإلهية والعبادة، فمن كان ربهم وملكهم فهم جدرون بأن لا يتألهوا^٥ سواه ولا يستعبدوا بغيره. كما أن أحدهم إذا دهمه أمر استعاذ بوليّه من أبناء جنسه واستغاث به، والإله من ظهر بلطيف صنائعه التي أفادها مفهوم الرب والملك في قلوب العباد فأحبوه واستأنسوا به و لجأوا إليه في جميع أمورهم، [وبطن -^٦] احتجاجا بكبريائه عن أن يحاط به أو بصفة^٧ من صفاته أو شيء من أمره، فهابته العباد ودعاهم الحب إلى الوله شوقا إلى لقائه،^٨ و زجرتهم الهية فجزعوا خوفا من طرده لهم عن فئانه، وكرر الاسم^٩ الظاهر دون أن يضمر فيقول مثلا: «ملكهم»، «إلههم»، تحقيقا لهذا المعنى و تقوية له باعادة اسمهم الدال على شدة الاضطراب المقتضى للحاجة عند كل اسم من أسمائه الدال على الكمال المقتضى للغنى المطلق، ودلالة على أنه حقيق بالإعادة قادر عليها لبيان أنه المتصرف فيهم من جميع الجهات،^{١٠} و بيانا لشرف الإنسان و مزيد الاعتماد بمزيد اليان، و اثلا يطن أن شيئا من هذه الأسماء يتقيد بما أضيف إليه الذي قبله من ذلك الوجه،

(١) من م، وفي الأصل: لم يشاركهم، وفي ظ: لم يشركهم (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل: بالربوبية (٣) في ظ: لا يستألهوا (٤) زيد من ظ و م. (٥) من ظ و م، وفي الأصل: صفة (٦) من ظ و م، وفي الأصل: اسم.

/ ٩٣١

لأن الضمير إذا أعيد كان المراد به عين ما عاد إليه ، فاشير بالإظهار
 إلى أن كل صفة منها عامة غير مقيدة بشئ أصلاً ، و اندرج / في هذه
 الاستعاذة جميع وجوه الاستعاذات من جميع 'وجوه الترية' و جميع الوجوه
 المنسوبة إلى المستعيز من جهة أنه في قهر الملك بالضم ، و جميع
 ه الوجوه المنسوبة إلى الإلهية لثلا يقع خلل في وجه من تلك الوجوه تنزيلاً
 لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات إشعاراً بعظم الآفة المستعاذ
 منها ، و لم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة ، و المقصود الاستعاذة
 بمجموع هذه الصفات الواقعة على ذات واحدة حتى كأنها صفة واحدة ،
 و قدم الربوبية لعمومها و شمولها لكل مربوب على حد سواء ، فلا فعل
 ١٠ لأحد إلا و هو خلقه سبحانه و تعالى و هو الباعث عليه ، و آخر الإلهية
 لخصوصها لأن^٢ من لم يقيد^٣ بأوامره و نواهيه فقد أخرج^٤ نفسه من أن
 يجعله إله و إن كان في الحقيقة لا إله سواه ، و وسط صفة الملك لأن
 الملك هو المتصرف بالأمر و النهي ، و ملكه لهم تابع لخلقهم إياهم فملكه
 من كمال ربوبيته ، و كونه إلههم الحق من كمال ملكه ، فربوبيته تستلزم ملكه
 ١٥ و تقتضيه ، و ملكه يستلزم إلهيته و تقتضيها ، و قد اشتملت هذه الإضافات
 الثلاث^٥ على جميع قواعد الإيمان ، و تضمنت معاني أسمائه الحسنی ، فان

(١ - ١) من م ، و في الأصل و ظ : الوجوه القريبة (٢) من ظ و م ، و في
 الأصل لا (٣) في ظ و م ؛ لم يتعبده (٤) زيد في الأصل : أخرافه فقد ،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (هـ - هـ) في ظ : الأوصاف الثلاثة .

الرب هو القادر الخالق إلى غير ذلك مما يتوقف الإصلاح والرحمة والقدرة التي هي^١ معنى الربوبية عليه من أوصاف الجمال^٢، والملك هو الأمر الناهي المعز المذل - إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى العظمة والجلال، وأما الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت [الجلال-^٣]، فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى، فلتضمنها جميع معاني الأسماء كان المستعبد^٥ جديراً بأن يعوذ، وقد وقع ترتيبها على الوجه الأكمل الدال على الوحدانية، لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة، علم أن له مريباً، فاذا تغفل في العروج في درج معارفه سبحانه وتعالى علم أنه غنى عن الكل، والكل إليه محتاج^٦، وعن أمره تجري أمورهم، فيعلم أنه ملكهم، ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إبداعهم أنه المستحق للإلهية بلا مشارك [له -^٨] ١٠ فيها، فقد أجمع القراء في هذه السورة على إسقاط الالف من "ملك" بخلاف الفاتحة كما مضى لأن الملك إذا أضيف إلى "اليوم" أنهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض، وأنه لا أمر لأحد معه ولا مشاركة / في شيء من ذلك، وهو معنى الملك - بالضم، وأما إضافة المالك إلى

٩٣٢ /

الناس فإنها تستلزم أن يكون ملكهم، فلو قرئ به هنا لنقص المعنى، ١٥ و أطبقوا في آل عمران على إثبات الالف في المضاف وحذفها من المضاف

(١-١) في م: الذي هو (٢) من م، وفي الأصل و ظ: إجلال (م) زيد من ظ و م (٤) من م، وفي الأصل: فيضمها، وفي ظ: فليضمها (ه) من م، وفي الأصل و ظ: من (٦) من ظ و م، وفي الأصل: معانيه (٧) من ظ و م، وفي الأصل: محتاجون (٨) زيد من م.

إليه لأن المقصود بالسياق أنه سبحانه وتعالى يعطى الملك من يشاء ويمنعه من يشاء، والملك - بكسر الميم - أليق بهذا المعنى، وأسرار كلام الله سبحانه وتعالى أعظم من أن تحيط بها العقول^١، وإنما غاية أولى العلم الاستدلال بما ظهر منها على ما وراءه، وأن باديه إلى الخافى يشير.

٥ ولما اكمل الاستعاذة^٢ من جميع^٣ وجوهها التي مدارها الإحسان أو العظمة أو القهر أو الإذعان والتذلل، ذكر المستعاذ منه فقال: ((من شر الوسواس^٤) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلال بمعنى الزلزلة، والمراد الموسوس، سمي بفعله مبالغة لأنه صفته التي هو في غاية الضراوة عليها كما بولغ في العادل بتسميته بالعدل، والوسوسة الكلام الخفي: إلقاء المعاني إلى القلب في خفاء ١٠ وتكرير، كما أن الكلمة الدالة عليها دوس، مكررة، وأصلها صوت الحلي، وحديث النفس، وهمس الكلاب، ضوعف لفظه^٥ مناسبة لمعناه^٦ لأن الموسوس يكرر^٧ ما ينفثه^٨ في القلب [ويؤكد في خفاء-^٩] ليقبل، ومصدره بالكسر كالزلال كما قال تعالى "وزلزلوا زلزالا شديدا" وكل مضاعف من الزلزلة والرضضة معناه متكرر^{١٠}، والموسوس^{١١} من

(١) من ظ و م، وفي الأصل: الكلام (٢) من ظ و م، وفي الأصل: العقل (٣-٢) من م، وفي الأصل: مجموع، وفي ظ: بمجموعها (٤) من م، وفي الأصل وظ و (٥) من ظ و م، وفي الأصل: لعظمة (٦) من ظ و م، وفي الأصل: معناه (٧) من ظ و م، وفي الأصل: تكرير (٨) من ظ و م، وفي الأصل: ينفثه (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: متكررا (١١) زيد في الأصل: أي الوسوسة، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخصفها.

الجن يجرى من ابن آدم مجرى الدم - كما في الصحيح^١، فهو يوسوس بالذنب سرا ليكون أجلى، ولا يزال يزينه و يثير الشهوة الداعية إليه حتى يواقع الإنسان، فإذا واقع و سوس لغيره أن فلانا [فعل - ٢] كذا حتى يفضحه بذلك، فإذا افتضح ازداد جرأة على أمثال ذلك لأنه يقول: قد وقع ما كنت أخفرك من القالة، فلا يكون شيء غير^٢ الذى ه كان، و شره^٣ التحبيب إلى الإنسان بما يميل إليه طبعه حتى يشاكلة في رذيلة الطبع و ظلة النفس، فينشأ من ذلك شرور لازمة و متعددة أضرها الكبر و الإعجاب اللذان أهلكا الشيطان، فيوقع الإنسان بها فيما أوقع نفسه فيه، و ينشأ من الكبر الحقد و الحسد يترشح^٤ منه بطر^٥ الحق - وهو عدم قبوله، و منه الكفر و الفسوق و العصيان، و غمص الناس - ١٠ وهو احتقارهم المعلوم من قول الشيطان "أنا خير منه" و منه تنشأ الاستهانة بأولياء الله تعالى بترك احترامهم و منع حقوقهم و الاعتداء عليهم و الظلم لهم، و يترشح من الحقد الذى هو العداوة العظيمة إمساك الخير و الإحسان و بسط اللسان و اليد بكل سوء و إيذاء، و يترشح من الحسد / لإفساد ذات البين كما يشير إليه "ما نهاكا ربكنا عن هذه ١٥ / ٩٣٣ الشجرة" - الآية، و الكذب و المخادعة كما عرف به "و قاسمهما إني لكما لمن

(١) راجع كتاب الخلق و غيره (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و في الأصل وظ: غيره (٤) زيد في الأصل وظ: الى، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها. (٥) من ظ، و في الأصل: فيترشح، و في م: يترشح (٦) من ظ و م، و في الأصل: بطريق.

الناصحين فدلاهما بفرور“ و يترشح عن الإعجاب التسخط^١ للقضاء و القدر
 كما آذن به ”قال أاسجد لمن خلقت طينا“ و مقابلة^٢ الامر بالعلم بما
 أشعر به ”لم أكن لأسجد لبشر خلقت من صلصال“ و استعمال القياس
 في مقابلة النص بما هدى إليه ”أنا خير منه“ - الآية، و استعمال التحسين
 ٥ و التقييح بما أفهمه ”لم أكن لأسجد لبشر خلقت من صلصال من حماء
 مسنون“ و الإذلال و هو الجرأة على المخالفات فينشأ عن ذلك شرور
 متعدية، و هى السعى فى إفساد العقائد و الأخلاق و الأعمال و الأبدان
 و الأرزاق، ثم لا يزال يتحجب إلى الإنسان بما يميل إليه طبعه من هذه
 الخباثات و هو يوافقها فيها حتى تصير له أخلاقا راسخة، فيصير ردئ الطبع
 ١٠ فلا ينفع فيه العلاج، بل لا يزيد إلا خبثا كالبليس، و من كان أصله طيبا
 و اكتسب ما يخالفه بسبب عارض كان يمكن الإزالة كالعلاج كما وقع لآدم
 عليه الصلاة و السلام .

و لما كان الملك الأعظم سبحانه لم ينزل داء إلا أنزل له دواء،
 و كان قد جعل دواء^٢ الوسوسة ذكره سبحانه و تعالى، فانه يطرد الشيطان
 ١٥ و بنير القلب و يصفيه، و صف سبحانه و تعالى فعل الموسوس عند استعمال
 الدواء إعلاما بأنه شديد العداوة للإنسان ليشتب حذره منه و بعده عنه
 فقال : ﴿ الخناس ١ ﴾ أى الذى عادته أن يخنس أى يتوارى، و يتأخر

(١) من ظ و م، و فى الأصل : التسح - كذا (٢) من ظ و م، و فى الأصل :
 مقالة (٣) من م، و فى الأصل و ظ : داء (٤ - ٤) من م، و فى الأصل
 و ظ : فيتوارى .

ويختفى بعد ظهوره مرة بعد مرة، كلما كان الذكر خنس، وكلما بطل عاد إلى وسواسه، [فالذكر - ١] له كالمقامع التي تقمع المفسد، فهو شديد النفور منه، ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيعاً كما [ورد] عن بعض السلف أن المؤمن يبنى شيطانه كما يبنى الرجل بعيه في السقر، قال البغوي^٢ : له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، ويقال : رأسه كرأس الحية ه واضع رأسه على يمين القلب يحدثه، فإذا ذكر الله خنس، وإذا^٣ لم يذكر^٢ الله رجع و وضع رأسه - خزاه الله تعالى^٤ .

ولما ذكر صفة المستعاذ منه، ذكر إبرازه لصفته بالفعل فقال :
 ﴿ الذي يوسوس ﴾ أى يلقى^٥ المعاني الضارة^٥ على وجه الخفاء والتكرير بحيث تصل مفاهيمها من غير سماع، وأشار إلى كثرة وسوسته بذكر^٦ ١٠ الصدر الذي هو ساحة القلب ومسكنه فقال : ﴿ في صدور الناس^٧ ﴾ أى المضطربين^٨ إذا غفلوا عن ذكر ربهم، فإنها دهايز القلوب منها تدخل الواردات إليها، وذلك كالقوة الوهمية فإن العقل يساعد في / المقدمات [الحققة - ١] المنتجة للأمر المقطوع به، فإذا وصل الأمر إلى ذلك^٩ خنس الواهمة ريثما يفتر [العقل - ١] عن النتيجة فرة ما، فتأخذ الواهمة ١٥

٩٣٤ /

(١) زيد من ظ و م (٢) نقلا عن قتادة - راجع المعالم ٧ / ٢٦٩ ، وزيد بعده في الأصل : وغيره ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٣ - ٣) من ظ و م والمالم ، وفي الأصل : تتر عن ذكر (٤ - ٤) - سقط ما بين الرقيين من ظ و م . (٥ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : المضار (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : التكوين (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : المضطرب (٨) زيد في الأصل : الحال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها .

في الوسوسة و تقبل [منها - '] الطبيعة بما لها بها من مجاسة الظلة الوهمية،
 و الناس - قال في القاموس : يكون من الإنس و من الجن ، جمع إنس
 أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه [أل - '] - انتهى ، ولعل إطلاقه
 على هذين المتقابلين بالنظر إلى النوس الذي أصله الاضطراب و التذبذب
 ه فيكون منحوتا من الأصلين : الإنس و النوس ، و من ثالث و هو النسيان .
 و لما كان الذي يعلم الإنسان الشر تارة من الجن و أخرى من
 الإنس ، قال مينا للوسواس تحذيرا من شياطين الإنس كالتحذير من
 شياطين الجن ، مقبعا الأهم الأضر ، و يجوز أن يكون يانا لـ " الناس "
 و لا تعسف فيه لما علم من نقل القاموس : (من الجنة) أى الجن الذين
 ١٠ في غاية الشر و التمرد و الخفاء (و الناس ع) أى أهل الاضطراب
 و الذبذبة^١ سواء كانوا من^٢ الإنس أو الجن ، فيكون المعنى أن الجن
 مسلط بعضهم على بعض كما هم مسلطون على الإنس ، فدخل شيطان الجن في
 الجنى [كما يدخل في الإنسى - '] و يوسوس له - قاله ' البغوى ' عن
 الكلبي ، و قال : ذكر عن بعض العرب أنه [قال - '] : جاء قوم من
 ١٥ الجن فوقوا ققيل : من أتم ؟ قالوا : أناس من الجن ، قال : وهذا معنى
 قول الفراء .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : الدمعد - كذا .
 (٣-٤) في م : الجن أو الإنس (٤) من م ، و في الأصل و ظ : قال (هـ) راجع
 م ، و في الأصل و ظ : فقالوا .

و قد ختمت السورة بما بدئت به ، والمعنى الثانى أوفق بردها
على أولها فانه يكون شرحا للناس الذين أضيفت لهم الصفات العلى ،
و الخواطر الواردة على الإنسان قد تكون وسوسة ، وقد تكون إلهاما ،
و الإلهام تارة يكون من الله بلا واسطة ، و تارة يكون بواسطة الملك ،
و يكون كل منهما فى القلب ، و الوسوسة تارة من الشيطان ، و أخرى ه
من النفس ، و كلاهما يكون فى الصدر ، فان كان الإنسان مراقبا دفع
عن نفسه الضر ، و إلا هجمت الواردات عليه و تمكنت منه و يتميز^٢
خير الخواطر من شرها بقانون الشرع على أن الامر مشكل ، فان الشيطان
يحتهد فى التليس ، فان وافق الشرع فلينظر ، فان كان فعله ذلك الحين
أولى من^٣ غير تفويت^٢ لفضيلة أخرى^١ هى أولى منه [بادر إليه - *] وإن ١٠
كان الخاطر دنيويا و أدى الفكر إلى أنه نافع من غير مخالفة للشرع
زاد على شدة تأمله الاستشارة لمن يثق^١ بدينه و عقله ، ثم الاستخارة
لاحتمال أن^٢ توافق عليه العقول ، و يكون فيه خلل لتقصير وقع فى النظر ،
و قد جعل بعضهم قانون الخاطر الرحمانى أن ينشرح له الصدر^١ و يطمئن
(١) زيد فى الأصل : تكون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من
ظ و م ، و فى الأصل : تميز (٣-٢) من م ، و فى الأصل و ظ :
التفويت (٤) زيدت الواو فى الأصل : و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
الأصل : بقوله و يقول ، و تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ،
(٥) زيد من ظ و م (٦) زيد و فى الأصل : انه (٨) من ظ ، و فى الأصل
و م : الصدور .

/إليه النفس، و^١ الشيطاني والنفسى أن ينقبض عنده الصدر و تغلق النفس، بشهادة الحديث النبوى فى البر والإثم، ويعرف الشيطاني بالحمل على مطلق المخالفة، فان الشيطان لاغرض له فى مخالفة بعينها، فاذا حصل الذكر زال ذلك، و النفسانى ملزوم شئ. بعينه سواء كان نفعا أو ضرا، ه ولا ينصرف عنه بالذكر، وقد يكون الشيطان إنسيا من أزواج وأولاد ومعارف، وربما كان أضر من شيطان الجن، فدواؤه المقاطعة والمجانبة بحسب القدرة، ومن أراد قانونا عظيما لمن يصاحب ومن يجانب فعليه بآية الكهف "و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه"^٢ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا^٣ ولا تطع ١٠ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه وكان أمره فرطا، وكما رجع مقطعها على^٤ مطلعها كذلك كان من المناسبات العظيمة مناسبة معناها للفاتحة ليرجع مقطع القرآن على مطلعها، و يلتحم مبدؤه بمرجه على أحسن وجه، كما تقدم بيان ذلك من سورة قريش إلى هنا سورة سورة، فنظر^٥ هذه السورة إلى الفاتحة والتحامها بها من جهة أن الفاتحة اشتملت ١٥ على ثلاثة أسماء: الله و الرب و الملك، وزادت بكونها أم القرآن بالرحمن الرحيم، لاشتياهما على جميع النعم الظاهرة والباطنة التى تضمنتها

(١) زيد فى الأصل: اما، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢-٢) ما بين الرقين فى الأصل و ظ: الى قوله (م) زيد فى الأصل: موصلها و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) زيد فى الأصل و م: الى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها.

صفة الربوبية، و سورة الناس على الرب و الملك و الإله الذى هو الأصل^١ فى اسم الجلالة، و اختصت الفاتحة بالاسم الذى لم^٢ يقع فيه شركة أصلاً، فلما تقرر فى جميع القرآن أنه الإله الحق، وأنه لا شركة لغيره فى الإلهية يحق بوجه من الوجوه كما أنه لا شركة فى الاسم الأعظم الذى افتتح به القرآن أصلاً بحق و لا بباطل، ختم القرآن الكريم به معبراً عنه بالإله لوضوح الأمر و اتقاء اللبس بالكلية، و صار الاختتام بما كان به الافتتاح على الوجه الأجل و الترتيب الأولى، وبقى الاسمان الآخران على نظمهما^٣، فيصير النظم إذاً ألصقت آخر الناس بأول الفاتحة^٤ إله ملك رب [الله رب -^٥] الرحمن رحيم ملك، إعلاما بأن مسمى الاسم الأعظم هو الإله الحق، و هو الملك الأعظم لأن^٦ له الإبداع^٧ و حسن التربية و الرحمة العامة و الخاصة، و حاصل سورة الناس الاستعاذة بهذا الرب الموصوف من وسوسة الصدر المثمرة للمراقبة كما أن حاصل سورة^٨ الفاتحة فراغ السر من الشواغل المقتضى لقصر^٩ الهمم عليه سبحانه و تعالى و البقاء فى^{١٠} حضرته الشاء بقصر البقاء عليه و الحكم بالفناء على ما سواه، و ذلك هو أعلى درجات المراقبة، فإذا أراد الحق إعانة عبد^{١١} حمله على الاستعاذة [بالاستعاذة -^{١٢}] فيسر عليه صدق التوكل، فيقتد بصير

٩٣٦ /

- (١) من ظ و م، وفى الأصل : اصل (٢) من ظ و م، وفى الأصل : به .
 (٣) من م، وفى الأصل وظ : معظمهما (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، وفى الأصل وظ : ان (٦) من ظ و م، وفى الأصل : الثمرة (٧) سقط من م .
 (٨) من ظ و م، وفى الأصل : على .

عابدا صادقا في العبودية فيكون إلهه سمع الذي يسمع به، و بصره الذي
يصر به، و يده التي يطش بها، و رجله التي يمشي بها، و ينبغي أنه
كلما زاده سبحانه و تعالى تقريبا ازداد له عبادة حتى ينفك من مكر
الشیطان بالموت كما قال تعالى لأقرب خلقه إليه محمد صلى الله عليه وسلم
هـ "و اعبد ربك حتى ياتيك اليقين" و من نقص من الأعمال شيئا اعتمادا
على أنه وصل فقد تزندق، و كان مثله مثل [شخص في - ٢] بيت
مظلم أسرج فيه سراجا فأضاء، فقال: ما أوقدت السراج إلا ليضيء
البيت^٢ فقد أضاء، فلا حاجة لي الآن إلى السراج، فأطفأه فعاد الظلام
كما كان، و قد ندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى افتتاح القرآن بعد
١٠ ختمه كما أشار إليه اتصال المعنى بما بينته، و سمي ذلك الحال المرتحل،
و كأن القارئ ذكر بالامر بالاستعاذة لإرادة افتتاح قراءته، فكأنه قيل:
استعد يا من ختم القرآن العظيم لتفتحه، و كأنه لما استعاذ بما أمر به في
هذه السورة قيل له: ثم ما ذا تفعل؟ فقال: أفتح، أو أنه لما أمر
بالاستعاذة قال: ماذا أفعل؟ فقيل: افتح بسم الله الرحمن الرحيم الذي
١٥ تجب مراقبته عند خواتم الأمور و فواتحها، لأنه لا يكون أمر إلا به،
أو أن البسمة مقول القول في "قل" على سبيل البدل من "أعوذ"
أو بدل من "رب الناس" و كأنه أمر بالتعوذ، [و التسمية أمر بالدفع

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل:
المكان (٤) من ظ و م، وفي الأصل: اراد (هـ) في ظ: ما (٦ - ٦) من ظ
و م، وفي الأصل: أو أنه.

و الجلب ، و ذلك لأنه لما أمر بهذا التعوذ - ١ [و كان قد قال سبحانه
 "فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" علم أن المراد
 ابتداءه بالقرآن فنسبتها^٢ إلى الفاتحة نسبة المعلول إلى علته ، فكأنه قيل :
 استعذ بهذا الرب الاعظم الذى لا ملك^٣ و إلإله غيره لأن له الحمد ،
 و [هو - ١] الإحاطة بكل شيء ، فهو القادر على كل شيء ، فهو القاهر لكل
 شيء فيه المعاد و هو الملجأ و المفرج لا إله إلا هو ، فان الاسم هو الوصف
 و المراد به الجنس ، فعنى بسم الله أى بوصفه أو بأوصافه الحسنى ، و الحمد
 هو الثناء بالوصف الجميل ، فكأنه قيل : أعوذ برب الناس بأوصافه الحسنى
 لأن [له - ١] الحمد و هو جميع الأوصاف الحسنى فان البدء فيه يحتاج
 إلى قدرة^٤ ، فله القدرة التامة ، أو إلى علم فاعلم صفته ، أو كرم فكذلك^٥ ، ١٠
 و الحاصل أنه كأنه [قيل - ١] : تعوذ به من الشيطان بما له من الاسم
 الذى لم يسامه فيه أحد لكونه جامعا لجميع الأسماء الحسنى أى الصفات
 التى لا يشوبها نقص خصوصا صفة الرحمة العامة / التى شملت أكنافها ،
 و أقامنى اسمائها ، ثم الرحمة الخاصة التى أنا أجدر الناس باستمطارها
 (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فنسبته (٣) زيد فى الأصل :
 إلا له : وفى ظ : له ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفنا (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : المبدوا - كذا (٥) زيد فى الأصل : الله تعالى ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ و م لحذفنا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فذلك (٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : كان .

لما عندى من النقص المانع لى منها والمبعد لمن اتبع الحظوظ عنها،
فأسأله أن يجعلنى من أهلها، ويجعلنى فى الدارين بوصلها، لاكون من أهل
رضاه، فلا أعبد إلا إياه، ولك أن تقر الاتصال والالتحام بوجه
آخر ظاهر الكمال بديع النظام فنقول : لما قرب التقاء نهاية الدائرة
٥ السورية آخرها بأولها ومفصلها بموصلها اشتد تشاكل الرأسين، فكانت
هذه السور الثلاث الأخيرة مشكلة للثلاث الأولى فى المقاصد، وكثرة
الفضائل والفوائد : الإخلاص بسورة التوحيد آل عمران، وهو را... ،
والفلق للبقرة طباقا ووفقا، فان الكتاب الذى هو مقصود سورة البقرة
خير الأمر، فهى للعون بخير الأمر، والفلق للعوذ من شر الخلق المحص
١٠ لكل خير، وفى البقرة "أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" "يعلمون
الناس السحر" - الآيات، "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من
بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم" [الآية - ٢]، والناس للفتحة،
فانه إذا فرغ الصدر الذى هو مسكن القلب الذى هو مركب الروح
الذى هو معدن العقل كانت المراقبة . فكان ذلك بمنزلة تقديس النفس
١٥ بالتوحيد والإخلاص، ثم الاستعاذة من "كل شر" ظاهر ومن كل سوء
باطن للتأمل لتلاوة سورة المراقبة بما دعا إليه الحال المرتحل وما بعدها

(١) من ظ وم، وفى الأصل : تلاوى (٢) من ظ وم، وفى الأصل : لتعوذ .
(٣) زيد من م (٤) من ظ وم، وفى الأصل : كانه (٥ - ٥) من ظ وم،
وفى الأصل : شر كل (٦) زيد فى الأصل : بما دعت إليه سورة المراقبة .
ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها .

من الكتاب، على غاية من السداد و الصواب، و كأنه اكتفى أولاً
 بالاستعانة المعروفة كما يكتب في أوائل الأمور بأيسر مأمور، فلما ختم
 الختمه جوزى بتعوذ من القرآن، رقية إلى مقام الإحسان، فاتصل الآخر
 بالاول أى اتصال بلا ارياب، و اتحد به كل اتحاد - إن في ذلك لذكرى
 لأولى الألباب، هذا ما يسره الله من مدلولات نظومها و جعلها، بالنسبة ه
 إلى مفهوماتها^١ و عللها، وبقى النظر إلى ما يشير إليه أعداد كلماتها،
 بطائف^٢ رموزها و إشاراتنا، فهي عشرون كلمة توازيها إذا حسبت من
 أول النبوة سنة عمرة القضاء و هي السابعة من الهجرة، بها تين^٣ الأمن
 بما وسوس به الشيطان سنة عمرة الحديبية من أجل رؤيا النبي صلى الله
 عليه و سلم لدخول البيت و الطواف به، فإذا ضمنت إليها الضمائر الثلاث ١٠
 كانت ثلاثاً و عشرين فوازت السنة العاشرة من الهجرة و هي سنة حجة الوداع
 و هي القاطعة لتأثير وسواس الشيطان الذى كان في أول السنة الحادية
 عشرة / عند موت النبي صلى الله عليه و سلم إلى العرب بأمر الردة^٤، فأعاذ الله
 من شره بهمة الصديق رضى الله تعالى عنه حتى رد الناس إلى الدين
 و أزال به وسواس^٥ الشياطين المفسدين، [فاتنظمت كلمة المسلمين -^٦] ١٥

٩٣٨ /

(١) من ظ و م، و في الأصل : مدلولها (٢) من ظ و م، و في الأصل :
 بطائف (٣) من م، و في الأصل و ظ : تين (٤) من ظ و م، و في الأصل :
 كانتا (٥) زيد في ظ و استطعت (٦) زيد في الأصل : الشيطان و، و لم تكن
 الزيادة في ظ و م فحذفنا (٧) زيد من ظ و م .

تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع « إن الشيطان قد آيس أن يعبد في جزيرة العرب بعد اليوم ، فإذا ضمنت إليها كلمات البسمة صارت سبعا وعشرين توازي سنة استحكام أمر عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه الذي ما سلك لجا إلا سلك الشيطان لجا غيره ،

هـ وذلك سنة أربع [عشرة - '] من الهجرة ، هذا بالنظر إلى كلماتها ، فإن نظرت إليها من جهة الحروف كانت لها أسرار كبرى من جهة أخرى ، منها أن كلماتها مع كلمات الفاتحة انتظمت من ستة وعشرين حرفا وهي ما عدا الاء المثلثة والراء والطاء المعجمة من حروف المعجم التسعة [والعشرين كل واحدة منهما من اثنين و - '] عشرين حرفا اشتركتا^١

١٠ في ثمانية عشر^٢ منها ، واختصت كل [واحدة - '] منهما بأربعة : الفاتحة بالحاء والطاء المهملتين ، والضاد والغين المعجمتين ، والناس بالجيم والحاء والشين المعجمتين^٣ والفاء ، وقال ابن ميلق : سقط من الفاتحة سبعة أحرف « ثج خز شظف ، - انتهى ، فلعل في ذلك - والله أعلم - إشارة إلى [أن - '] تكامل نزول القرآن من أوله إلى آخره في عدد الحروف التي اشتمل [عليها - '] كل من سورتي أوله وآخره من السنين وذلك اثنان وعشرون ، والثالثة والعشرون سنة القدوم على منزله^٤

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : اشتراكا .
 (٤) زيد في الأصل : حرف ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (هـ) سقط من م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : المعجمات (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : منزله .

الحى القيوم سبحانه و تعالى ما أعظم شأنه ، و أعز سلطانه ،
و أقوم برهانه .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وهذا تمام^١ ما أردته^٢ من نظم الدرر
من تناسب الآى و السور ، ترجان القرآن مبدى مناسبات الفرقان ،
التفسير الذى لم تسمح الأعصار بمثله ، ولا فاض [عليها -^٣] من التفسير ه
على كثرة أعدادها كصيب وبله ، فرغته فى المسودة يوم الثلاثاء سابع
شعبان سنة خمس و سبعين و ثمانمائة ، بمسجدى من رجة^٤ باب العيد بالقاهرة
المغرية ، و كان ابتدائى فيه فى شعبان سنة [إحدى و ستين ، فتلك أربع
عشرة سنة كاملة ، و فرغته فى هذه الميضة عصر يوم الأحد عاشر شعبان
سنة -^٥] اثنتين [و ثمانين -^٦] و ثمانمائة ، بمنزلى الملاصق للدرسة^٧ البادرية ١٠
من دمشق ، فتلك اثنتان و عشرون^٨ سنة بعدد سنى النبوة الزاهرة
الأنيسة العلية الطاهرة المباركة الزكية ، ولولا معونة^٩ الله أضحى معدوما ،
أو ناقصا مخروما ، فانى بعد ما توغلت فيه^{١٠} واستقامت^{١١} لى مبانيه ،
فوصلت إلى قريب [من -^{١٢}] نصفه ، فبالغ [الفضلاء -^{١٣}] فى وصفه

(١) من م ، و فى الأصل وظ : آخر (٢) من م ، و فى الأصل وظ : اوردته .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رحمة (٥) زيد من م .
(٦) من م ، و فى الأصل وظ : لدرسة (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل :
اثنتان و سبعون (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : معرفة (٩-٩) من ظ و م ،
و فى الأصل : فاستقامت .

/ ٩٣٩

بحسن سبك و غزارة معانيه و إحكام رصفه ، دب داء الحسد في جماعة
 أولى النكد، / و المكر و اللدد ، يريدون' الرئاسة بالباطل ، و كل منهم
 من جوهر العلم عاطل ، مدّ ليل الجهل فيهم ظلامه ، و أثار نفع السفه على
 رؤسهم سواده و قتامه ، صوبوا سهام الشرور ، و الأباطيل و أنواع
 الزور ، فأكثرُوا التشيع بالتشيع ، و التقيح و التبشيع ، و التخطئة و التضليل ،
 بالنقل من التوراة و الإنجيل ، فصنفت في ذلك الأقوال القويمة ، في
 حكم النقل من الكتب القديمة ، يثبت فيه أن ذلك سنة مستقيمة ، لتأييد
 الملة الخفية العظيمة ، و أخرجت بذلك [نص - ٢] الشافعي ، و كلام
 النووي و الرافعي ، و استكتبت على الكتاب : العلماء الانجباب ، فكتبوا
 ١٠ ما أودعته [مصاعد - ٢] النظر للاشراف على مقاصد السور ، فأطفا
 الله^٢ نارهم ، و أظهر عوارهم ، و شهر خزيمهم و عارهم ، ثم قاموا^٣ في
 بدعة دائم^٤ المعروف ، فصنفت فيها القول المعروف ، و بينت مخالفتهم
 للكتاب و السنة ، و وقوعهم في عين الفتنة ، و خرقهم لأعظم الجنة ،
 و صريح [نص - ٢] الشافعي و نقول العلماء ، فكانوا كمن أقم الحجر^٥
 ١٥ أو^٦ ملي^٧ فله بالماء ، ثم قاموا في فتنة ابن الفارض ، و كلهم معاند معارض ،

(١) من ظ و م ، و في الأصل : يرون (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد في
 الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٤) زيد في الأصل و ظ :
 و اظلم به نورهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٥ - ٥) من م ،
 و في الأصل و ظ : فقاموا (٦) من م ، و في الأصل و ظ : دعا - كذا
 (٧) في ظ : الحجر (٨) في م « و » .

و ألبوا على رعا ع الناس، فاشتد شعاع البأس، فكادوا أن يطبقوا على الانعكاس، وصوبوا طريق الإلحاد، و بالغوا في الرفع من أهل الاتحاد، و لجوا بالخصام^٢ في العناد، و أفتوا^٣ بمحض الباطل، و بثوا السم القاتل، إلا ناسا قليلا، كان الله بنصرهم على ضعفهم كفيلا، فسألهم سؤالا، جعلهم ضللا جهالا، فداولوه فيما بينهم و تناقلوه و عجزوا عن جوابه ه بعد أن راموه أشد الروم، و حاولوه فظهر لأكثر الناس جاهلهم، و اشتهر بينهم ضلالهم، و غيهم الواضح و محالهم، و صنف في ذلك عدة^٤ مصنفات، بانت فيها مخازيهم و ظهرت المخبات، منها صواب الجواب للسائل المرتاب، و منها القارض لتكفير ابن القارض، و منها تدمير المعارض في تكفير ابن القارض، و منها تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي، و منها تحذير [العباد - °] من أهل العناد ببدعة الاتحاد، أنفقت فيها عمرا مديدا، و بددوا فيها أوقاتي - بددم الله تبديدا، و هدد أركانهم و أعضادهم تهديدا، و قرعتهم بالمعجز عن الجواب، الكاشف للارتباب، صباحا و مساء، و إعادة و إبداء، فحملهم التقريع، و التويخ و التبخيخ، على كتابة جواب، لم يخل من ارتجاج و اضطراب^٥، و شك ١٥

- (١) من م، و في الأصل: صبوا، و في ظ: ضربوا (٢) من ظ و م، و في الأصل: في الخصام (٣) من ظ و م، و في الأصل: اتوا (٤) سقط من ظ . (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد في الأصل: أهل الإلحاد و، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م، في الأصل: ارتياب .

وارتياب، 'بينت أن' جامعه [أخطأ - ٢] في جميعه الصواب، وكفر^٢
في أربعة مواضع كفرا صريحا، وكذب^٣ في ثمانية فصار [بذلك - ٥]
جريحا، بل هالكا طريقا. فأطلت بذلك التفرع، والتويخ والتبشيع،
فقلت أعناقهم، / وضعف شقاقتهم^٤، وخفي نفاقهم، غير أنه حصل في كل

/ ٩٤٠

٥ واحدة من هذه الوقائع، من الشرور وعجائب المقدور، ما غطى ظلامه
الشموس الطوالع. وطال الأمر في ذلك سنين، وعم الكرب حتى
كثر الآنين، والتضرع في الدعاء والحنين. وثبت الله ورزق الصبر
والإناة حتى أكمل هذا الكتاب، على ما تراه من الحسن والصواب.
وقد قلت مادحا للكتاب المذكور، بما أبان عنه^٥ من عجائب

١٠ المقدور، وغرائب الأمور، شارحا لحالي، وحالهم وظفر آمالي،

[و - ٦] خية آمالهم من مجزوء الرجز، وضربه مقطوع، والقافية

متواتر مطلق محرد، مسميا له بـ 'كتاب لئما' لأن جل مقصوده بيان ارتباط

الجل بعضها ببعض حتى أن كل جملة تكون آخذة بمحيزة^٦ ما أمامها

متصلة بها، وذلك هو المظهر المقصود من الكلام وسره ولبابه، الذي

١٥ هو [للكلام - ٧] بمنزلة الروح وبيان معاني المفردات، وكل جملة على

حيالها بمنزلة الجسد، فالروح هو المقصود الأعظم يدرك ذلك من يذوق

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: بيتان - كذا (٢) زيد من ظ و م.

(٣) من ظ و م، وفي الأصل: كفروا (٤) في ظ: كفر (٥) زيد من م،

وموضعه في ظ: في ذلك (٦) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٧) من ظ

و م، وفي الأصل: منه (٨) من ظ و م، وفي الأصل: معجزة.

و يفهم، و يسرى ذهنه في ميادين التراكيب^١ و يعلم، و دلاء طرف يراد بها
ثبوت الثاني بما دخل عليه بثبوت الأول على غاية المسكنة بمعنى أنها
كالشروط تطلب جملتين^٢ يلزم لذلك الملزوم، فتم الكتاب في هذا النظم
ب دلاء لآتي أكثر من استعمالها فيه لهذا الغرض:

- هـ هذا كتاب لما لم الممانى لما
غدت بحور عليه تمد مدا جما
[بشرت من يحسده بأن يموت غما - ٢]
فان قصدى صالح جاهدت فيه الهما
فربنا يقبله كيفية و كما
فبالذى أردتـه لقد أحاط علما
١٠ كابدت فيه زمنا من حاسدى ما غما
عدوا^٣ سنين عددا يسقون قلبى السما
و كم دهونى مرة و كم رمونى سهما
و أوسقوا^٤ قلبى أذى و أوسعونى ذما
١٥ و كم بغونى^٥ عثرة فما رأوا الى جرما
و قتروا من قاصدى همهمة و عزما

(١) من ظ و م، وفى الأصل: التركيب (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
الجملتين (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: عمدوا (٥) من ظ
و م، وفى الأصل: سقوا (٦) من ظ و م، وفى الأصل: بغوا الى .

و أودعهم بالآذى و أودعهم رجما
 ألقى إذا اشتد لظى أذى إذا هم رجما
 ألقى إذا الليل دجا و بالبالا ادلها
 إذا هم و ظلمهم بدعوة في الظلما
 / أستصرخ الله بهم أقول يا اللهما
 يا رب إني جاهد فافرج إلهي الغما
 لا ذنب لي عندهم إلا الكتاب لما
 جرت بنايع الهدى منه فصارت بما
 صنعتها و في بحو رعلها ما طما
 و قد علا^٢ تركيبه و عاد يحلو نظما
 عملته نصيحة لمن يجب العلمما
 أودعته فرائدا^١ يرقص منه الفهما
 تجلو العمى من لطفها و تسمع الأصما
 خص نفيس عليها و للأناسي عما
 تنطق من تغنى بها و إن يكونوا^٣ بكما
 أفعالها جليلة أعيذها بالأسما
 سهل ربي أمره على حتى تما

٥ / ٩٤١

١٠

١٥

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : في دعوة (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : عا (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : فوائدا (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : يكون .

- في أربع وعشرة من السنين صما^١
 قال لسان عدما دونك بدرا تما
 وليس يلقى^٢ ناقصا يا صاحبي يوما
 أعيذه بالمصطفى من شر وعدما
 ومن حسود^٣ قد غدا من أجله مهتما
 فليس ينبغي ذمه إلا بغیضنا أعمأ
 كفاه ربى شرم و زان منه الاسما
 وردّ في تدبيرهم تدميرهم و الفرما
 [و ردّم بغیظهم لما ينالوا غلما - ^٤]
 و زاده سعاده و لازمه النعما
 ١٠

قال ذلك منسباً أحوج الخلائق إلى عفو الخالق أبو الحسن إبراهيم بن
 عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى
 قائلاً: الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم
 تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين، و حسبنا الله و نعم الوكيل .
 [و كان الفراغ من هذا الجزء على يد أقل عيد الله و أحوجهم إلى ١٥

لطف الله و عفوه عبد الكريم بن علي بن محمد المحولي الشافعي نزيل بلد

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : صما (٢) من م ، وفي الأصل : يكنى ، وفي
 ظ : يلقى (٣) من ظ ، وفي الأصل و م : حسد (٤) زيد من م (هـ) سقط
 من ظ و م .

الله الحرام - غفر الله له ولوالديه وللمسلمين - . . . بمكة
المشرقة في يوم السبت المبارك السادس والعشرين من شهر صفر
الحير سنة أربع وأربعين و تسعمائة ، وقد تجاوز سنن الآن خمسة وسبعين
عاما - أسأل الله حسن الخاتمة والنجاة على دين الإسلام والوفاء بأحد
ه حرميه بمنه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
دائما أبدا إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل - ^١ ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .

/ وقال بعض تلامذة المصنف وهو العرس خليل بن موسى المقرئ

/ ٩٤٢

مادحا^١ للكتاب المذكور المسمى بـ «دلاء» :

١٠ برهان دين [الله - ^٢] أضفى موضعا أسرار قول الله في القرآن
وأقنى بما ترك الورى من بعده تمشى الورا أبدا مدى الأزمان
فن ادعى نسجا على منواله فقد ادعى ما ليس فى الإمكان
وإذا المفسر^٣ رام يوما أنه بمثاله يأتى بلا إذعان
قلنا له فسر وقايس بعد ذا ولنا الدليل عليك بالبرهان

* * *

١٥ وكان الفراغ من نسخ هذا النصف الأخير من الكتاب المسمى بـ «دلاء»
مناسبات القرآن العظيم على من أنزل عليه أفضل الصلاة والسلام فى

(١) زيدت العبارة المحجوزة من م (٢) زيد فى الأصل : له أى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحدقناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى
الأصل : المضى - كذا (٥) و العبارة من هنا إلى النهاية ساقطة من ظ و م .

الليلة الثالثة عشرة من شهر جمادى الأولى من شهر سنة سبع و تسعين
و ألف على يد أحقر العباد، و أحوجهم إلى مغفرة ربه الجواد، محمد بن
أحمد البدرشني بلدا، الشافعي مذهبا، مصليا و مسلما على أفضل و أكمل
و أجمل خلق الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب و على آله و أصحابه
و أزواجه و ذريته و أهل بيته الطيبين الطاهرين صلاة و سلاما دائما ه
متلازمين بدوام ملك الله و لاحول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، و حسبنا الله
و نعم الوكيل آمين آمين .

إن تلق عيبا فلا تعجل بسبك لي إلى امرؤ لست معصوما من الزلل



خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الثانى و العشرين من تفسير
"نظم الدرر فى تناسب الآى و السور" - و به تم الكتاب - للشيخ العلامة
برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى
يوم الاثنين ٦ / ذى الحجة سنة ١٤٠٤ هـ = ٣ / سبتمبر سنة ١٩٨٤ م ،
تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين
أحمد - قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده ، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل
محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس)
و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله
النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و لإنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة -
كان الله له و لوالديه .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن يتفعلنا به و يوفقنا لما يحبه
و يرضاه ، و هو المسئول لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير
و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية